

رَوْضُ الرَّبَّاحِيِّنَ

فِي حِكَايَا الصَّالِحِينَ

تأليف

عَفِيفُ الدِّينِ أَبِي السَّعَادَاتِ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسْعَدِ الْيَافِعِيِّ الْمَكِّيِّ شَيْخِ الْمَلِكِيِّ

(٦٩٦ - ٥٧٦٨ هـ)

تحقيق:

محمد عزت

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

٥٩٢٢٤١٠ - ٥٩٠٤١٧٥ www.arabicdawateislami.net

ترجمة المؤلف (١)

٧٠٠م - ٧٦٨هـ

اسمه :

عبد الله بن أسعد على بن سليمان بن فلاح الياغى ، اليمنى ، ثم المالكى

الشافعى .

عفيف الدين ، صوفى ، شاعر .

مشارك فى الفقه والعربية والأصلين واللغة والفرائض والحساب .

مولده :

ولد قبل السبعمائة بستين أو ثلاث (٢) .

وفاته :

ورحل إلى عدن ، وجاور بمكة وتوفى بها فى ٢٠ جمادى الآخرة ودفن بمقبرة

باب المعلى .

من تصانيفه الكثيرة .:

✽ مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان .

✽ مرهم العلل المعضلة فى أصول الدين .

✽ الإرشاد والتطريز فى فضل ذكر الله .

✽ وتلاوة كتابه وديوان شعر .

وروض الرياحين فى حكايات الصالحين ويسمى نزهة العيون النواظر وتحفة

القلوب الحواضر .

(١) انظر معجم المؤلفين ج ٦ ص ٣٤ .

(٢) الدرر الكامنة وفى الشذرات ولد قبل السبعمائة بقليل وفى النجوم الزاهرة : ولد سنة ٦٦٨هـ

تقريباً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق أُوحد الزمان وفريد العصر والأوان
عفيف الدين وواسطة عقد عباد الله الصالحين ناصر كلمة الحق والدين عبد الله بن
أسعد اليافعي اليمنى نزيل الحرمين الشريفين رحمه الله وأرضاه وجمّل منقلبه ومثواه
أمين .

الحمد لله المعروف بالمعروف الموصوف بالكمال فى الأزال والآباد المتقدس عن
النقص والمثل والشريك والضد والزوجة والأولاد المنفرد بالعظمة والكبرياء والعزة
والبقاء الملك الحنان المنان الجواد الذى هدى بفضلته من شاء وأضل بعدله من شاء من
العباد ونبه فى كتابه الكريم على وفق ما سبق فى علمه القديم من الإشقاء والإسعاد
فقال عز من قائل (من يهدى الله فهو المهتد) وقال تعالى : (ومن يضلّل الله فما له
من هاد) الذى أذاق حلاوة طاعاته ولذاذة مناجاته من شغله به من الزهاد والعباد
وخص بفضلته العظيم من اصطفاه للحضرة القدسية وصفاه من كدورات الصفات
النفسية فأبعد عنه الهجر والإبعاد ونور قلوب أوليائه بنور معرفته وسقاهاهم بكأس
محبته شراب الوداد فسكروا براح الهوى ولم يسقوا مداما كما قلت فى الإنشاد :

سكارى ولم يسقوا مداما وإنما سقوا حب حسن جل عن واصف
سقاهاهم من الراح التى من يشمها تميل به قبل ارتشاف المغارف

تجلى لهم فشهدوا جمال المحبوب وعجائب الملك والملكوت والغيوب وتعمت
بالمشاهدة منهم عين الفؤاد وأجلسهم على بساط الأئس مقربين فى حضرة القدس
وصرفهم فى ملكه فهم الملوك فى الحقيقة فى جميع البلاد وفى المعنى قلت :

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم من الملك إلا اسمه وعقابه
شموس الهدى منهم ومنهم بدوره وأنجمه منهم ومنهم شهابه

أولئك هم أهل الولاية نالهم
وقرب وأنس واجتلاء معارف
وأسرار غيب عندهم علم كشفها
وقلت فيهم أيضا فى قصيدة أخرى :
نجم فتية غر كرام
بحار العلم أوتاد الأراضى
وقلت فيهم أيضا فى قصيدة أخرى :
ملوك البرايا ليس يشقى جليسهم
حبوا وحظوا خصوا اصطفوا ثم قربوا
أما تواتر نفوسهم فأحياهم الحى القيوم
الحياة الطيبة قبل يوم المعاد وأطعمهم من
تحف فواكه جنات الوصل وطرف هدايا فيض الفضل فى روضات رضوان رب العباد

(وفى هذا المعنى قلت) :

جنوا من جنان الوصل تفاح تحفة
وعيش هنى فى حمى ظل نعمة
فأها على تلك العطيات والمنى
فوا أسفا إن مت يوما بحسرتى
جنوا ثمرات المقامات العالية والأحوال الغالية كما قلت فى كتاب الإرشاد أيضا:
جنوا ثمر خوخ الخوف فى روضة الرضا

وإجاص إخلاص وتين التوكل

وأرطاب حب قد جنتها يد الهوى
ورمان إجلال وتفاح هيبة
جناء جنان عارف بمعارف
فياطرف قلب عش برؤياك طرفة
وياطيب عيش ناعم من رآك لم
فسبحان من أنعم عليهم بفضله ومن عليهم بسنى العطايا وجاد .

أحمده على ما هदानا للإسلام وخصنا بسيد الأنام وسراج الظلام محمد الماحى
بنوره ظلام الكفر والعناد المخصوص بالمقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود
والشرف المشهود يوم يقوم الأشهاد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة

خالصة التوحيد سالمة من الشرك والإلحاد وأشهد أن محمدا عبده المصطفى ورسوله المرتضى الهادى إلى سبيل الرشاد ﷺ وعلى آله الغر الكرام وأصحابه النجباء الأُمجاد .

(أما بعد) فإنى لما كنت محبًا للأولياء والصالحين وعاشقا للصوفية العارفين من أهل الذوق والشوق والتجريد والانفراد ومولعا بكلامهم وحكاياتهم فى كتب الحقائق والدقائق النفيسات الجياد كما قلت فى محاسن ذكرهم فى المعنى :

دعتنى دواعى حُبهم نحو ذكرهم	بجمع كتاب فيه لب لباب
به من حكايات الملاح ملامحها	محاسن أفعال وحسن خطاب
وفضل كرامات وأحوال أهلها	وعالى مقامات زهت بقباب
قباب من الأنوار فى ذروة العلا	زهت فى سماء المجد مثل شهاب
سمت للسّموات ارتفاعا ورفعَة	بحضرة قدس فى شريف رحاب
فأرواحهم ترتاح شوقا وتجتلى	جمالا لها يبدو بكشف حجاب
حكاياتهم يحيى القلوب سماعها	ويروى ظمأ الصدى بعذب شراب
تخيرت منها وانتخب محاسنا	لأهل الهوى والعاشقين سوابى
وأهديت رباها لمشتم طيبها	بروض رياحين القلوب كتابى
هدية خال من هوى حسنّها لمن	دعا هواها نحو كشف نقاب

وسميت هذا الكتاب : (بروض الرياحين فى حكايات الصالحين ولقبته بنزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر فى حكايات الصالحين والأولياء الأكابر) .

انتخبته وانتقيته وجمعته وألفته من كتب عديدة لأئمة كبار ذوى مناقب حميدة منهم الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي والإمام الأستاذ أبو القاسم القشيري والشيخ الإمام شهاب الدين السهروردي والشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الخبزي والشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي السكندري والشيخ أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني والإمام العالم أبو الفرج بن الجوزي والشيخ الإمام العالم أبو عبيد الله محمد بن قدامة المقدسي والشيخ الإمام العالم أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي والإمام العالم أبو العباس أحمد بن علي عرف بابن الأَطْرِياني وآخرون يطول عددهم غير هؤلاء العشرة رضى الله عنهم (وأودعته) خمسمائة حكاية وخمسة فصول منها فصلان مقدمة وفصلان خاتمة وفصل خاتمة الخاتمة وبالله التوفيق وعليه التكلان .

(الفصل الأول : من المقدمة فى شىء من فضائل الأولياء والصالحين والفقراء والمساكين) .

(والثانى فى إثبات كرامات الأولياء السادات الأصفياء .

(والفصل الأول من الخاتمة : فى الجواب عن إنكار وقع من بعض الفقهاء المنصفين فى بعض حكاياتهم (والثانى) فى بيان مذاهبهم رضى الله عنهم فى عقيداتهم .

(وفصل الختام : فى توحيد الرحمن وطرف من طرف الجنان مختوما بمدح خاتم الأنبياء وتاج الأصفياء ﷺ وشرف وكرم وعظم .

والحكايات عن الأولياء والصالحين ومشايخ الصوفية وأهل الدين المجذوبين منهم والسالكين الصادقين منهم والصدّيقين والفقراء المباركين والمجاهدين والزاهدين والعبادين ينتفع بها إن شاء الله تعالى الزهاد والعباد وأهل الدين وتقوى بها قلوب المريدين كما روينا عن تاج العارفين قطب العلوم سيد الطائفة المشغولة بالله العارف أبى القاسم الجنيد قدس الله روحه ونور ضريحه أنه قيل له ما للمريدين فى مجازاة الأحكام فقال الحكايات جند من جنود الله تعالى تقوى بها قلوب المريدين قيل له فهل فى ذلك شاهد ، فقال رضى الله عنه نعم قوله تعالى :

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك^(١)) .

وكذلك حكى عن الشيخ الصالح الكبير العارف بالله الخبير أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه قال اختلفت إلى مجلس بعض القصاص فأثر كلامه فى قلبى فلما قمت لم يبق فى قلبى منه شىء فعدت ثانيا فسمعته فبقى فى قلبى أثر كلامه فى الطريق ثم ذهبت فعدت ثالثا فبقى أثر كلامه فى قلبى حتى رجعت الى منزلى فكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق إلى الله تعالى .

ولما حكى للشيخ العارف الواعظ يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه هذه الحكاية قال عصفور اصطاد كركيا يعنى بالعصفور القاص وبالكركى أبى سليمان الدارانى وكذلك بلغنا أن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين . ثم إنى حذف أسانيد الحكايات رغبة فى الاختصار وعلمنا بأن من ليس له فيهم اعتقاد لا يفيد فيه الإسناد وأما من اعتقدهم فإنه ينتفع بما سمع عنهم ولا يتوقف على ثبوت الأسانيد القوية كتوقف الأحاديث النبوية إذ ليس يترتب على ذلك شىء من الأحكام الشرعية بل مجرد حكايات وعظية ، فينبغى أن يتعظ بها ولا ينكر فقد قال الشيوخ رضى الله عنهم أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم قالوا ويخشى عليه سوء الخاتمة

(١) سورة هود الآية ١٢٠ .

نعوذ بالله من سوء القضاء .

(وقال) الشيخ العارف بالله أبو تراب النخشبى رضى الله عنه إذا ألف القلب الإعراض عن الله تبارك وتعالى صحبته الوقيعة فى أولياء الله عز وجل .

(وقال) الشيخ العارف أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى رضى الله عنه ما تعبد متعبد بأكثر من التحجب إلى أولياء الله تعالى لأن محبة أولياء الله تعالى دليل على محبة الله عز وجل .

(وقال) الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه التصديق بعلمنا هذا ولاية يعنى الولاية الصغرى دون الكبرى (قلت) والناس على أربعة أقسام : (القسم الأول) حصل لهم التصديق بعلمهم والعلم بطريقهم والذوق لمشروبهم وأحوالهم .

(والقسم الثانى) حصل لهم التصديق والعلم المذكوران دون الذوق .

(والقسم الثالث) حصل لهم التصديق دونهما .

(والقسم الرابع) لم يحصل لهم من الثلاثة شىء نعوذ بالله من الحرمان ونسأله التوفيق والغفران وهأنا معترف بأنى خال عن أحوالهم وذوقهم جاهل بعلم تحقيقهم عاجز عن سلوك طريقهم لكننى محبهم وموقن بصدقهم وفيهم قلت شعرا فى المعنى .

ألا أيها السادات إن طريقكم
طريق كحد السيف در من
ولانى وإن عجز عرانى محبكم
فهل من فتى فيكم على جذب عاجز
إلهى بذاك انفعه واحشره معهم
إلهى الفقير اليافعى ليس عنده
وصل على من فضلهم فيض فضله
ومن خير آل فى البرايا وصاحب
محمد المختار من آل هاشم

على غيركم وعر صعاب عقابه
يكون على حد السيوف ذهابه
فأنتم لقلبى خلدته ومآبه
شديد القوى سهل عليه اجتذابه
وعمر بنا قلبا تنهى خرابه
سوى حبهم ذازاده وركابه
خلاصتهم من ذا اللباب لبابه
من الخلق كل آله ووصحابه
غياث الورى الغيث الرواء سحابه

(الفصل الأول من المقدمة فى شىء من فضائل الأولياء الصالحين والفقراء والمساكين مما جاء به القرآن والأخبار والآثار) .

قال عز من قائل : ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾^(٢) . وقال سبحانه : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾^(٣) . وقال عز وجل : ﴿والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾^(٤) . وقال سبحانه : ﴿يحبهم ويحبونه﴾^(٥) . وقال عز وجل : ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾^(٦) . وقال تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم﴾^(٧) . وقال تعالى : ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين﴾^(٨) . وقال تعالى : ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾^(٩) . وقال تعالى ﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا﴾^(١٠) . فهذه عشر آيات اقتضرت عليها . وأما الأخبار فنقتصر منها على عشرة أحاديث صحيحة .

(الحديث الأول) روي فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن الله تبارك وتعالى قال ممن عادى لى وليا فقد

-
- | | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة النساء الآية ٦٩ . | (٢) سورة يونس الآية ٦٢ : ٦٤ . |
| (٣) سورة الحجر الآية ٤٢ . | (٤) سورة العنكبوت الآية ٦٩ . |
| (٥) سورة المائدة الآية ٥٤ . | (٦) سورة الأحزاب الآية ٢٣ . |
| (٧) سورة فصلت ٣٠ ، ٣٢ . | (٨) سورة آل عمران ١١٣ : ١١٤ . |
| (٩) سورة الكهف الآية ٢٨ . | (١٠) سورة البقرة الآية ٢٧٣ . |

أذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه روى استعاذنى واستعاذ بى بالنون والباء أذنته بالحرب أعلمته بأنى محارب له وأنشدنا بعض شيوخنا لبعضهم :

من اعتز بالمولى فذاك جليل ومن رام عزّاً من سواه ذليل
ولو أن نفسى مذبرها مليكها مضى عمرها فى سجدة لقليل
أحب مناجاة الحبيب بأوجه ولكن لسان المذنبين كليل

(الحديث الثانى) رويانا فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أيضاً رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وفيهم قلت فى أرجوزة مثثلة .

لله قوم فى الحمى كرام مستيقظون وللورى نيام
أو لو مقامات علت وأحوال

دارت عليهم فى الهوى كئوس نور البرايا للهدى شمس
ليسوا كشمس فى السماء أقال

خلعات مولا هم عليهم زهر تزهو وبين الخلق شعث غبر
ما أحمر الكبريت يدرى جهال

مع جبه أعطاهم المعارف إن أقسموا يوماً أبر الحالف
أجبة أدولوا بكل أدلال

(الحديث الثالث) رويانا فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جاء رجل فقال يا رسول الله أى الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله تعالى قال ثم من قال ثم رجل يعتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه» وفى رواية: «يتقى الله، ويدع الناس من شره» وأنشدوا .

أخص الناس بالإيمان عابد خفيف الحاذ مسكنه القفار
له فى الليل حظ من صلاة ومن صوم إذا طلع النهار
وقوت النفس يأتى فى كفاف وكان له على ذاك اصطبار
وفيه عفة وبه خمول إليه بالأصابع لا يشار
وقل الباقيات عليه لما قضى نحبه وليس له يسار
فذلك قد نجا من كل شر ولم تمسسه يوم البعث نار

(الحديث الرابع) روينا في صحيح البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى وقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» . وكان بن عمر رضى الله عنهما يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك وأنشدنا بعض شيوخنا لبعضهم :

أيا فرقة الأحباب لا بد لى منك ويا دار دنيا إننى راحل عنك
ويا قصر الأيام مالى وللمنى ويا سكرات الموت مالى وللضحك
ومالى لا أبكى لنفسى بعبرة إذا كنت لا أبكى لنفسى فمن يبكى
ألا أى حى ليس بالموت موقنا وأى يقين منه أشبهه بالشك

(الحديث الخامس) روينا فى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام قال الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» قال الترمذى: حديث حسن صحيح وفى مدح والفقراء قلت:

وقائلة ما المجد للمرء والفخر فقلت لها شىء لبيض العلا مهر
فأما بنو الدنيا ففخرهم الغنى كزهر نضير فى غد ييبس الزهر
وأما بنو الأخرى ففى الفقر فخرهم نضارته تزداد ما بقى الدهر
وسمعت بعض الفقراء الواجدين يغنى ويكفى ويقول فى غنائه :

قال لنا حبيبنا اليوم لهم وغدا لنا

(الحديث السادس) روينا فى الصحيحين عن أسامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجدد محبوسون غير أن أهل النار قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء يعنى بأصحاب الجدد بفتح الجيم الأغنياء وفى وعظ النساء المذكورات وفى مدح الحور المليحات قلت فى بعض القصيدات :

ألا يا غوانى من أرادت سعادة وتوقى عذابا بالنسا صار محدقا
فأكثر أهل النار هن حقيقة روينا حديثا فيه صدقا مصدقا
تخلى التباهى تبدل اللهو بالبكا وتبذل كل الجهد فى الزهد والتقى
وتعتاض عن لين بدنيا خشونة وعن يابس فى الدين أخضر مورقا
رعى الله غزلانا تبسبت قوائنا ويصبح منها القلب بالخوف محرقا
تظل عن المرعى الخصب صوائما ويمسى سمين البطن بالظهر ملصقا

ترى بين عين والسهاد تواملا
وبين معاء والغذاء تقاطعا
ترى ناحلات قارئات مصاحفا
فدتها من الآفات كل نفوس من
خليلى إن الموت لا شك نازل
فجدا لدار لا يزول نعيمها
ولقيا حسان ناعمات منعم
كواعب أتراب زهت فى خيامها
كدرت وياقوت وبيض نعامة
مليحات أوصاف تعالت صفاتها
تغنى بما لم تسمع الخلق مثله
غناهن نحن الخالدات فقط ما
ولا سخط والراضيات بنا المنى

وبين الكرى والعين منها تفرقا
وبين خلوف المسك والثغر ملتقى
ولؤلؤ نحر البدر فى الورد مشرقا
يخالفها فى الوصف غربا ومشرقا
وبين الأحبا لا يزال مفرقا
بها الحسن واللذات والمملك والبقا
بهن سعيده سعد ذلك من لقا
بظل نعيم قط مامسها شقا
كساها البها والنور والحسن رونقا
عن الوصف فوق المرتقى وصفها رقى
وقد حبرت صوتا رخيما مشوقا
نبيد ونحن الناعمات فلا شقا
فتوبى لمن كنا له من أولى التقى

(الحديث السابع) رويانا فى الصحيحين أيضا عن سهل بن سعد الساعدى رضى
الله عنه قال . مر رجل بالنبي ﷺ فقال لرجل جالس عنده مارأيك فى هذا فقال
رجل من أشرف الناس هذا والله حرى إن خطب أن ينكح وإن شفيع إن يشفع
فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ ما رأيك فى هذا
فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى إن خطب ألا ينكح وإن
شفيع ألا يشفع وإن قال لا يسمع لقوله .

فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض مثل هذا وأنشد بعضهم :
لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه
لقد رفع الإسلام سلمان فارس
وأنشد آخر وقيل إنه لعلى كرم الله وجهه :
وأنا قليل المال خير من المثرى
ولم تلق عبدا قد عصى الله بالفقر
ويروى للغنى وللفقير باللام .

(الحديث الثامن) رويانا فى الصحيحين أيضا عن أبى موسى الأشعري رضى الله
عنه أن النبي ﷺ قال : «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ
الكبير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ

الكبير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجرد منه ريحا متنتة» قوله يحذيك يعطيك وأنشد بعضهم :

تجنب قرين السوء واصرم حباله فإن لم تجرد عنه محيصا فداره
واحجب حبيب الصدق واترك مراه تتل منه صفو الود ما لم تماره
ولله فى عرض السموات جنة ولكنها محفوفة بالمكاره

(الحديث التاسع) رويانا فى كتاب الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله عز وجل: «المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» قال الترمذى حديث حسن صحيح.

وفى موطأ الإمام مالك رضى الله عنه بإسناده الصحيح يقول الله تبارك وتعالى: «وجبت محبتي للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتزاورين فى والمتبادلين فى» وأنشد بعضهم فى إغباب زيارة الإخوان وقلتها واقتصاد الزائر على حسب ما يختار المزور.

إذا شئت أن تقلى فزر متواترا وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا
يقولون لا تمل زيارة صاحب فإنك إن أملتته كره القربا
وأنشد بعضهم

يقل إحنائى عند من زرت بيته كثيرا ولكنى أقل فيكثر
وإن زرت من لا يشتهى أن أزوره كثيرا فما لومى له حين يضجر
وأنشد آخر

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا
فإنى رأيت الغيث يسأم دائما ويسأل بالأيدى إذا هو أمسكا

(الحديث العاشر) رويانا فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ؛ إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله عز وجل اجتمعا عليه وافترقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فىقال إنى أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وفى هذا الحديث قلت هذه القصيدة المسماة معالى الرفعة فى حديث السبعة :

رويانا حديثا فى الصحيحين سبعة يظلهم المولى بخير ظلال
يظلهمو فى ظله الله يوم لا سوى ظله ظل فهاك مقالى

نشأ بالتقى لله لا بضلال
تعلقه فيها بغير زوال
بحال افتراق منهما ووصال
دعت ذات على منصب وجمال
بما أنفقت يمينه علم شمال
ففاضت به عيناه خوف نكال
وشوقا إلى رؤيا جمال جلال
وأكرم بها في القوم سبع خصال
ومجد فعال فوق كل فعال
تجلى لهم باهى جمال كمال
وغرفات در كالنجوم عوال
وحوار من النور المضيء غوال
ومن زينة والكل ليس ببال
سماع ويخطر للأنام ببال
أنيلوا نوالا خير كل نوال

أماله عدل ومن في عبادة
ومن قلبه يهوى المساجد دائما
وشخصان في الله الكريم تحايا
وإني أخاف الله من قال عندما
ومصدق أخفى التصديق لم يكن
ومن ذكر الرب المهيمن خاليا
وخوف القلى والهجر بعد وصاله
فأكرم بهن من سبعة طيبي الثنا
وأكرم به فخرا سما كل مفخر
بمقعد صدق تحت عرش مليكهم
تراهم ملوكا فوق نجب من البها
على سرر الياقوت في فرش سندس
وما تشتهيه النفس من كل لذة
وما لم تر عين وتسمع أذن ذى
هنيئا لهم طوبى لهم تم سعدهم

(قلت) وهذه الأحاديث العشرة كلها صحاح كما ترى . وهذه أحاديث أخرى رواها جماعة من الأئمة بأسانيدهم في كتبهم . منها ما رواه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : «بدلاء أمتي أربعون رجلا اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر فإذا جاء الأمر قبضوا» ، ورووا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إن لله تبارك وتعالى في الأرض ثلثمائة رجل قلوبهم على قلب آدم عليه السلام وله أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام وله واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة وإذا مات من الثلثمائة أبدل الله مكانه من العامة يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة وذكر بعضهم عزرائيل ولم يذكر موسى وجعل مكانه إبراهيم ومكان جبريل ومكان ميكائيل ومكان

ميكائيل إسرافيل ومكان إسرافيل عزرائيل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والواحد المذكور فى هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها به يقع صلاح العالم وقال بعضهم لم يذكر رسول الله ﷺ قلبه فى جملة قلوب الأنبياء والملائكة والأولياء إذ لم يخلق الله تعالى فى عالم الخلق والأمر أعز وألطف وأشرف من قلبه ﷺ فقلوب الملائكة والأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم بالإضافة إلى قلبه كإضافة سائر الكواكب إلى كمال الشمس .

وقال الشيخ العارف أبو الحسن الثورى رضى الله عنه شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا أشوق إليه من قلب محمد ﷺ فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكاملة وقال الشيخ العارف بحر المعارف ذو النون المصرى رضى الله عنه ركضت أرواح الأنبياء فى ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا محمد ﷺ أرواح الأنبياء إلى رياض الوصال . ورووا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : «البداء بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والأوتاد بسائر الأرض والخضر عليه السلام سيد القوم» . وعن الخضر عليه السلام أنه قال : «ثلثمائة هم الأولياء وسبعون هم النجباء وأربعون هم أوتاد الأرض وعشرة هم النقباء وسبعة هم العرفاء وثلاثة هم المختارون وواحد منهم هو الغوث» رضى الله عنهم أجمعين .

وروا عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال إن لله عبادا يقال لهم الأبدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الخلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم أربعون رجلا على مثل قلب إبراهيم ﷺ لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه .

(واعلم) أنهم لا يسبون شيئا ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحتقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجرة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم إنما قلوبهم تصعد فى السقوف العلا ارتياحا إلى الله تعالى فى استباق الخيرات (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) وهذا بعض كلامه . ورووا عن البراء بن عازب رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان كانوا أعقل الناس قال قلنا يا رسول الله فكيف كانوا أعقل الناس قال كان نهمتهم المسابقة إلى ربهم عز وجل والمسارعة إلى ما يرضيه وزهدوا فى الدنيا وفى فضولها وفى

رياستها ونعيمها فهانت عليهم فصبروا قليلا واستراحوا طويلا .

وروا عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال بعثت الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولا فقال يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم فقال يا رسول الله إن الفقراء يقولون لك إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله ورواه بعضهم ذهبوا بالجنة هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه ويعتقون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخرا لهم فقال رسول الله ﷺ بلغ الفقراء عنى أن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء أما الخصلة الأولى فإن فى الجنة غرفا من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم فى السماء لا يدخلها إلا نبي أو فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والخصلة الثانية تدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام والخصلة الثالثة إذا قال الفقير (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) مخلصا وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير فى فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع إليهم الرسول فأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يا رب رضينا .

وروا عن الحسن البصرى رضى الله عنه أنه روى عن النبى ﷺ أنه قال : «أكثرنا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فإن لهم دولة قالوا : يا رسول الله وما دولتهم قال ﷺ إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا إلى من أطعمكم كسرة أو كساكم ثوبا أو سقاكم شربة فى الدنيا فخذوا بيده ثم أقبضوا به إلى الجنة .

وروا عن الحسن أيضا رضى الله عنه بروايته عن النبى ﷺ انه قال : «يؤتى بالعيد الفقير يوم القيامة فيعتذر الله عز وجل إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل فى الدنيا فيقول الله عز وجل : «وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوائك على ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة ولكن يا عبدى اخرج إلى هذه الصفوف وانظر إلى من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك» والناس يومئذ قد أجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك فى الدنيا فيأخذ بيده ويدخله الجنة .

وروا نحو هذا بأسانيدهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ وقال فيه : «فانظر إلى من أطعمك أو سقاك أو كساك» ثم ذكر الحديث .

وروا أن الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ : «يا موسى إن من عبادى من لو سألتى الجنة بحدافيرها لا عطيته ولو سألتى علاقة سوط من الدنيا لم أعطه وليس

ذلك من هوان له على ولكنى أريد أن أدخر له فى الآخرة من كرامتى وأحميه من الدنيا كما يحمى الراعى غنمه من مراعى السوء» . ورووا عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين، والفقراء الصادقون الصابرون هم جلساء الله يوم القيامة» .

وروا عن النبى ﷺ انه قال : «اللهم أحيى مسكينا وأميتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين» قلت وناهيك بهذا الشرف للمساكين ولو قال ﷺ واحشر المساكين فى زمرتى لكفاهم شرفا فكيف وقد قال ﷺ واحشرنى فى زمرة المساكين . ورووا الحديث المشهور قال رسول الله ﷺ إن النور إذا وقع فى القلب وانشرح الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال ﷺ : «نعم التجافى عن دار الغرور ، والإجابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله» .

قلت فعلى هذا لا يكون هذا النور المذكور إلا لقلب زاهد فى الدنيا . والحديث الحسن فى الترمذى وغيره عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) .

قال العلماء معنى دان نفسه أى حاسبها .

وروا عن زيد بن أسلم رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال إذا أخرج رجل غنى من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل فقير درهما واحدا من درهمن لا يملك غيرهما طيبة به نفسه صار صاحب الدرهم الواحد أفضل من صاحب مائة ألف درهم . قلت ويؤيده قوله ﷺ : «سبق درهم مائة ألف درهم» الحديث أخرجه الإمام أبو عبد الرحمن النسائى فى سننه وإلى ذلك أشرت حيث قلت :

لئن كان للأموال فخر على الثرى

فلفقر فخر بالثرى معلق

وإن أنفق المثرى الوفا عديدا

فدروهم أهل الفقر يا صاح يسبق

وأشرت أيضا إلى ذلك بأوضح من هذا حيث قلت :

روينا حديثا بالأسانيد مثبتا

على مائة مع مثلها ألف مرة

إذا جاد ذا من درهمن بواحد

ويدل على فضل صدقة الفقير أيضا قوله تعالى : (والذين لا يجدون إلا

جهدهم) وقوله ﷺ : «أفضل الصدقة جهد المقل» والأخبار فى فضائلهم خارجة عن الحصر وتقتصر منها على هذا القدر .

وأما الآثار عن السلف الصالحين والأئمة العاملين رضي الله عنهم أجمعين
شخارجة عن الحصر أيضا وهأنا أذكر منها نبذة يسيرة محذوفة الأسانيد طلبا للاختصار
وخوفا من الملل في الإكثار . فعن الضحاك رضي الله عنه قال من مر في السوق
فرأى شيئا يشتهيهِ ولا يقدر عليه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها
كلها في سبيل الله تعالى .

وعن أبي سليمان الداراني رضي الله عنه قال تنفس فقير دون شهوة لا يقدر
عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام .

وعن إمام الورعين وعلم الزاهدين وسر العارفين أبي نصر بشر بن الحارث
رضي الله عنه قال العبادة من الفقير كعقد جواهر على جيد حسناء والعبادة من الغنى
كشجرة خضراء على مزبلة .

وقيل ثياب الفقراء من الصوف الخشن والمزبلة والسواد إذا لبسها الزهاد كانت
عليهم بهجة وإذا لبسها غيرهم كانت عليهم سمجة .

وعن ابن وهب رحمه الله قال وقع حريق في حى ملك بن دينار فقال شباب
الحى منزل أبى يحيى مالك بن دينار منزل أبى يحيى مالك بن دينار فخرج عليهم
مالك متزرا ببارية وفي يده مطهرة وهو يقول نجأ المخفون نجأ المخفون أو قال فاز
المخفون نحن وأنتم أو قال منا ومنكم يوم القيامة وقال أيضا يا معاشر الأغنياء موتوا
كمدا فإن العيش عيش الآخرة أو قال فى الدار الآخرة وقال أيضا درهم الفقير أركى
عند الله من دينار الغنى .

(وعن) أبى الدرداء رضي الله عنه أنه قال أهل الأموال يأكلون وتأكف ويشربون
ونشرب ويلبسون ولبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر إليها معهم وهم
يحاسبون عليها ونحن براء منها وقال أيضا ما أنصفنا إخواننا الأغنياء يحبوننا فى الله
تعالى ويفارقوننا فى الدنيا وإنه سيأتى يوم يسرهم أن يكونوا بمنزلتنا ولا يسرنا أن
نكون بمنزلتهم .

وفى هذا المعنى قلت :

ولا قط تغبط أهل دنيا فلأنهم غدا يغبطونك يحزنون وتفرح
فما ذاك إلا فتنة أى فتنة بها نطق طه عن الحق تفصح
أعنى قوله تعالى فى سورة طه : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم
زهرة الحياة الدنيا لنتفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) .

(وعن) أبى الدرداء رضي الله عنه أيضا أنه كان يوما جالسا فأتته امرأته
فقال أتجلس بين هؤلاء ووالله ما فى البيت هفة ولا سفة من دقيق فقال يا هذه إن

بين أيدينا عقبة كثودا لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهى راضية .
(وعن) بعض الشيوخ الأكاابر أنه جاءه إنسان فقال ادع الله لى فقد أضرنى العيال فقال له الشيخ رضى الله عنه إذا قال لك عيالك ما عندنا دقيق ولا خبز فادع الله فإن دعاءك أرجى من دعائى لك فى تلك الساعة .

(وعن) بعضهم أيضا أنه قال له أولاده ما عندنا عشاء فقال نحن أهون على الله من أن يجوعنا إنما يجوع أحبابه أو قال أولياءه . وكان بعضهم يقول إذا أقبل الفقير مرحبا بشعار الصالحين .

(وعن) الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه سئل عن استعاذة النبى ﷺ من الفقر وقد أخبر بما فيه من الثواب فقال إنما معناه فقر القلب لا فقر اليد كما أن الغنى غنى القلب لا غنى اليد .

(وعن) الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه أنه جاءه إنسان بخمسائة درهم ووضعها بين يديه وقال تفرقها على هؤلاء الجماعة فقال ألك غيرها قال نعم لى دنائير كثيرة قال أتحب زيادة عليها قال نعم قال الجنيد خذها فأنت أحوج إليها منا ولم يقبلها وأنشد بعض الأخيار :

لكسرة من جريش الخبز تشبعنى وشربة من قراح الماء تروينى
وخرقة من خشين الثوب تسترنى حيا وإن مت تكفينى لتكفينى
(ولبعضهم أيضا)

حذفت فضول النفس حتى رددتها إلى دون ما يرضى به المتعفف
وأملت أن أجرى خفيفا إلى العلا فإن رمتم أن تلحقوا بى فخففوا
لأ بتذلن النفس حتى أصونها وغيرى فى قيد من الذل يرسف
حملت جبال الحب فوقى وإننى لأعجز عن حمل القميص وأضعف
(وروى) أن الطراز المعلم طيب الثناء جميل الشيم ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أتاه رجل بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وقال تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك ولله در القائل حيث قال :

ولست بميال إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء فى جانب الفقر
(وعن) الإمام الجليل السيد الحفيل عبد الله بن المبارك رضى الله عنه أنه سئل من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذى يأكل بدينه .
(وعن) إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه قال طلبت أبناء الدنيا الراحة فى الدنيا فأخطئوا ولو علموا أن الملك ما نحن فيه لقاتلوا عليه بالسيف .

(وعن) ذى النون المصرى رضى الله عنه قال الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين بالله تعالى .

(وعن) الشيخ الكبير أبى مدين الشهير رضى الله عنه قال الملك ملكان ملك البلاد وملك قلوب أعباد والملوك على الحقيقة هم الزهاد .

(وقال) جماعة من العلماء منهم الإمام الشافعى رضى الله عنه إذا أوصى إنسان بماله لأعقل الناس صرف إلى الزهاد فى الدنيا .

(وقال) الشيخ الكبير العارف بالله الخبير أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه من فوائد الفقر وثمراته وجود ألم الجوع والعرى والتلذذ بهما والزيادة منهما والمنافسة فيهما وأنشدوا فى ذلك :

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبرهما ثوبى تحتهما قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى ما تم إن غبت يا أملى والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

(وعن) قطب الإخوان كبير الشأن أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه قال إن لله عبادا لو حجبتهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار .

(وعن) الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى عثمان المغربى رضى الله عنه أنه قال العارف بالله تضىء له أنوار العلم فينظر بها عجائب الغيب .

(وعن) الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى سعيد الخراز رضى الله عنه قال : إذا أراد الله أن يتولى عبدا من عبده فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا هو فحينئذ صار العبد زمنا فانيا فوقع فى حفظه سبحانه وتعالى وبرئى من دواعى نفسه .

(وقال) إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه لرجل أتعب أن تكون وليا لله قال نعم فقال لا ترغب فى شىء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله تعالى وأقبل بوجهك وكليتك عليه ليقبل عليك ويواليك .

(وقال) الشيخ أبو نصر السراج رضى الله عنه الناس فى الأدب على ثلاث طبقات أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسمار الملوك وأشعار العرب وأما أهل الدين فأكثر آدابهم فى رياضة النفس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم فى طهارة القلوب ومراعاة

الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب فى مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب .

(وقال) الشيخ الكبير إمام السالكين حجة الله على العارفين قطب المقامات كثير الكرامات أبو محمد سهل بن عبد الله رضى الله عنه أعمال البر كلها فى صحائف الزاهدين قلت هذا قول عارف صديق فى نهاية التصديق وبيانه مختصرا أن أهل الدنيا يخرج بعضهم بعض ماله فى بعض أعمال البر وهو يحب كثرة المال واتساعه ويتعرض به للفتنة ويشغله عن أنواع الطاعة والزهاد خرجوا عن الكل لله تعالى بالفعل والنية بغضا للدنيا وتفرغا للطاعات السنية وجمعوا بين العبادات القلبية والبدنية والمالية واطلع الحق سبحانه وتعالى على قلوبهم فلم يجد فيها حبا لغيره فأكرمهم بقربه وهب لهم مالا تفهمه العقول من فضله وخيره ، اللهم لا تحرمنا خيرك لشرنا ، وهب لنا من فضلك العظيم واجعل بك شغلنا بجاه نبيك محمد الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم إنك الملك المنان ذو الفضل العظيم فهذه قطرة من بحار فضائلهم اقتصرت عليها وإن يكن فى بعض الأحاديث التى ذكرتها ضعف فى الأحاديث الصحيحة كفاية منها قوله ﷺ : «هذا خير من ملء الأرض ذبا مثل هذا» أخرجاه فى الصحيحين كما ذكرنا كفاية منها قوله ﷺ وقوله ﷺ (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) أخرجاه أيضا فى الصحيحين ، كما تقدم وقوله ﷺ : «قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجدد محبوسون» أخرجه مسلم فى صحيحه كما مضى وقوله ﷺ : (يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام) أخرجه الترمذى فى جامعه ، وقال حديث حسن صحيح كما ذكرناه وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة ويكفى حاله ﷺ وما كان عليه من الفقر ورفض الدنيا كما هو مشهور فى الأحاديث وكذلك حال الأنبياء والأولياء والسلف الصالحين رضى الله عنهم .

(وقال) الإمام الكبير العارف بالله الخبير المحقق الورع الشهير أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى رضى الله عنه بعد أن ذكر العلماء المائتين إلى الدنيا يزعمون أن أصحاب محمد ﷺ كانت لهم أموال فيحتاج المغرورون بذكر الصحابة رضى الله عنهم ليعذرهم الناس على جمع المال وقد دهام الشيطان وما يشعرون ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لأنك متى زعمت أن أختيار الصحابة رضى الله عنهم أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد أزريت بمحمد

ﷺ وبالمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح أمته إذ نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله ﷺ بل كان ﷺ للأمة ناصحا وعليهم مشفقاً وبهم رءوفاً رحيماً ويحك أيها المفتون هذا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فى تقاه وصنائه المعروفة وبذله الأموال فى سبيل الله تعالى مع صحبته لرسول الله ﷺ وبشراه بالجنة يوقف فى عرصه القيامة وأهوالها بسبب مال اكتسبه من حلال للتعفف وصنائع المعروف وأنفق منه قصداً وأعطى فى سبيل الله سبحانه منع من السعى إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبوا فما ظنك بأمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب من كل مفتون متمرغ فى تخاليط الشبهات والسحت يكالب على أوساخ الناس ويتقلب فى الشهوات والزينة والمباهاة وفتن الدنيا ثم يحتج بعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ثم قال المحاسبي رضى الله عنه بعد كلام طويل حسن ذكر فيه الصحابة رضى الله عنهم كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله تعالى فى أرزاقهم واثقين وبمقادير الله عز وجل مسرورين وفى البلاء راضين وفى الرخاء شاكرين وفى الضراء صابرين وفى السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعلى أنفسهم مؤثرين وعن حب العلو والتكاثر ورعين وكانوا إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحباً بشعار الصالحين فبالله عليك أكذلك أنت والله إنك لبعيد الشبه بالقوم حالك ضد أحوالهم ، تطغى عند الغنى ، وتبطر عند الرخاء ، وتفرح عند السراء ، وتغفل عند أداء شكر النعماء ، وتقنط عند الضراء ، وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء ، وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وتجمع المال لتنعم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منك فيما حرم الله عليك وكانوا للذلة الصغرى أشد استعظاما منك من كبار المعاصى فليت أطيب أموالك وأهلها مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا من حسناتهم ، ألا تقبل وليت صومك مثل إفطارهم وسهرك مثل نومهم وليت حسناتك مثل واحدة من حسناتهم ويحك ينبغى لك أن ترضى بالبلغة وتعتبر بذوى الأموال إذا وقفوا للسؤال وتسبق فى الرعيل الأول فى زمرة المصطفى ﷺ لا حسب عليك ولا حساب فقد قال ﷺ : «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسائة عام» .

انتهى كلام المحاسبي رحمه الله وهذا بعض كلامه .

(وقال) بعض الشيوخ الكبار رأيت النبي ﷺ في المنام وهو يحدثني بفضائل الفقراء وشرف الفقير على الغنى فحفظت من قوله ﷺ أنه قال لى حسبك أن عائشة رضى الله عنها تدخل الجنة قبل أغنيائها بخمسائة عام وأن بنتى فاطمة رضوان الله عليها تدخل الجنة قبل عائشة بأربعين سنة لأنها نالت من الدنيا أقل من عائشة رضوان الله عليهما .

(ورويانا) عن الشيخ العارف الجليل المعظم أبى عبد الرحمن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه دخل الرى ومعه ثلثمائة وعشرون رجلا يريدون الحج وعليهم جباب الصوف وليس معهم جراب وطعام فدخلوا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافهم تلك الليلة فلما كان من الغد قال الرجل لحاتم ألك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجيء أيضا معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى فلما جاءوا إلى الباب إذا هو يشرق حسنا فبقى حاتم متفكرا يقول يا رب عالم على هذا الحال ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء لها سعة وفيها ستور فبقى حاتم رضى الله عنه متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه فإذا بفرش وطبئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة فقعد الرازى وحاتم قائم فأوماً إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا اجلس لعل لك حاجة فقال نعم فقال ما هى قال مسألة أسألك عنها فقال سل قال قم فاستو جالسا حتى أسألك فاستوى جالسا قال حاتم رضى الله عنه علمك هذا من أين أخذته قال من الثقات حدثونى به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله ﷺ قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن قال عن النبي ﷺ قال والنبي ﷺ عمن قال عن جبريل عليه السلام قال وجبريل عليه السلام عمن قال عن الله عز وجل قال حاتم ففيما أداه جبريل عن الله تبارك وتعالى إلى النبي ﷺ وأداه النبي ﷺ إلى أصحابه رضى الله عنهم وأصحابه إلى الثقات والثقات إليك هل سمعت من كان فى داره أميرا وكان فى داره الثروة والمتاع الحسن وكانت داره واسعة كانت له عند الله تعالى المنزلة الكبرى قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وقدم لآخرته وأحب المساكين كانت له عند الله المنزلة الكبرى العالية قال فأنت بمن اقتديت بالنبي ﷺ وبأصحابه الصالحين أم بقرعون وهامان؟ يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه ثم خرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وأنشدوا فى السعادة بالتقوى لا بالدنيا ولا بجمع المال :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد
وما لا بد أن يأتى قريب ولكن الذى يمضى بعيد

(قلت) وحاتم الأصم المذكور رضى الله عنه من كبار شيوخ الصوفية وقد اجتمع به الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وسمع كلامه وسأله فأجابه واستحسن جوابه ولم يزل العلماء الصالحاء قديما وحديثا يعتقدون طائفة الصوفية ويزورونهم ويتبركون بمجالستهم ودعائهم وآثارهم .

من ذلك ما جاء عن الإمام سفيان الثورى فى مجالسته لرابعة رضى الله عنها وتأدبه معها وما جاء عن الإمامين الشافعى وأحمد فى مجالستهما لشييان الراعى رضى الله عنهما وحكايته المشهورة معهما فقد روينا أن الإمام أحمد كان عند الإمام الشافعى فجاء شييان الراعى فقال أحمد أريد يا أبا عبد الله أن أئبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم فقال له الشافعى لا تفعل فلم يسمع فقال لشييان ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم واللييلة ولم يدر أى صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شييان فقال شييان يا أحمد هذا قلب غفل عن الله فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه ثم يعيدهن بعد فغشى على أحمد وفي رواية أخرى فالواجب أن يؤدب بإعادة الخمس فلما أفاق أحمد من غشيته قال له الإمام الشافعى ألم أقل لك لا تحرك هذا .

وفى رواية أخرى أنه سأله عن الزكاة أيضا فى كم تجب فقال شيبان أما على مذهبكم فتجب فى الإبل فى كذا وكذا وفى البقر فى كذا وكذا وفى الزرع والثمار فى كذا وكذا وأما على مذهبي فالكل له وستجىء حكايته مع الإمام سفيان الثورى لما اعترض لهم الأسد فى طريق الحج .

وكذلك روينا أن فقيها من أكابر الفقهاء كانت حلقتة بجانب حلقة الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى بكر الشبلى رضى الله عنه فى جامع المنصور وكان يقال لذلك الفقيه أبر عمران وكان يتعطل عليه وعلى أصحابه حلقتهم بكلام الشبلى فسأل أصحاب أبى عمران يوما الشبلى عن مسألة فى الحيض وقصدوا إخراجها فذكر مقالات الناس فى تلك المسألة والخلاف فيها فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلى وقال يا أبا بكر استفدت فى هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها وكان عندى من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل .

وكذلك روينا أنه اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه الشافعي المذهب الملقب بالبار الأشهب بمجلس الأستاذ الإمام العارف بحر المعارف أبي القاسم الجنيد رضى الله عنهما فسمع كلامه فقبل له ما تقول فى هذا فقال لا أدري ما أقوله ولكنى أقول أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل وما مات ابن سريج حتى اعتقد الصوفية واستحسن طريقهم وقال بعضهم حضرت مجلس أبى العباس بن سريج فتكلم فى الفروع والأصول بكلام حسن أعجبت منه فلما رأى إعجابى قال أتدرى من أين هذا هذا من بركة مجالستى أبا القاسم الجنيد وقيل لعبد الله بن سعيد بن كحلان أنت تتكلم على كلام كل أحد وههنا رجل يقال له الجنيد فانظر هل تعترض عليه فحضر حلقتة فسأل الجنيد عن التوحيد فأجابه فتحير عبد الله وقال أعد على ما قلت فأعاده ولكن لا بتلك العبارة فقال عبد الله هذا شيء آخر لم أحفظه فأعده على مرة أخرى فأعاده بعبارة أخرى فقال عبد الله ليس يمكننى حفظ ما تقول فأمله علينا فقال إن كنت أجريه فأنا أملكه فقام عبد الله وقال بفضله واعترف بعلو شأنه وأنشد أحدهم :

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت سحائب الوحى فيها أبحر الحكم

وقيل لأبى القاسم الجنيد ممن استفدت هذه العلوم فقال من جلوسى بين يدي الله عز وجل ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأشار إلى درجة فى داره وقال رضى الله عنه لى علمت أن لله تبارك وتعالى علما تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى تتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه وأخذته وقال أيضا رضى الله عنه ما أخذنا التصوف من القليل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسناات وكثرة الذكر لله عز وجل وأداء فروضه وواجباته وستته والاتباع لجميع ما أمر به والانتهاى عن جميع ما نهى عنه .

(وروى) أن النجيب بن النجيب أبا المعالى إمام الحرمين رضى الله عنه كان يدرس يوما فى المسجد بعد صلاة الصبح فمر بعض شيوخ الصوفية ومعه أصحابه من الفقراء وقد دعوا إلى بعض المواضع فقال إمام الحرمين فى نفسه ما شغل هؤلاء إلا الأكل والشرب والرقص فلما رجع الشيخ من الدعوة مر عليه وقال يا فقيه ما تقول فىمن يصلى الصبح وهو جنب ويقعد فى المسجد ويدرس العلوم ويغتاب الناس فذكر إمام الحرمين أنه كان عليه غسل ثم حسن اعتقاده بعد ذلك فى الصوفية .

(وروى) ان الإمام أحمد رضى الله عنه كان مع جلاله قدره يكثرت الردد إلى

بعض الصوفية العارفين فقبل له أتتردد لرواية عند هذا الشيخ فقال عنده رأس الأمر تقوى الله أو قال معرفه الله .

وكذلك لما سعى بالصوفية إلى بعض الخلفاء أمر بضرب رقابهم فأما الجنيد فتستر بالفقة وكان يفتى على مذهب أبي ثور وأما الشحام والرقام والثورى فقبض عليهم وبسط النطع لضرب رقابهم فتقدم الشيخ العارف بالله أبو الحسين النورى رضى الله عنه فقال له السيف أتدرى لماذا تبادر فقال نعم فقال وما يعجلك فقال أوثر أصحابى بحياة ساعة فتحير السيف وأنهى الأمر إلى الخليفة فتعجب الخليفة ومن عنده من ذلك وكان القاضى عنده فاستأذن الخليفة أن يذهب إليهم ليجتنب معهم ويختبر حالهم فأذن له الخليفة فى ذلك فاتاهم وقال يخرج إلى واحد منكم حتى أبحث معه فخرج إليه أبو الحسين النورى فألقى عليه القاضى مسائل فقهية فالتفت عن يمينه ثم التفت عن يساره ثم أطرق ساعة ثم أجابه عن الكل ثم جعل يقول وبعد (فإن لله عبادا إذا أقاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله) وسرد كلاما كثيرا أبكى القاضى ثم سأله القاضى عن التفاته فقال سألتنى عن المسائل ولا أعلم لها جوابا فسألت عنها صاحب اليمين فقال لا علم لى ثم سألت عنها صاحب الشمال فقال لا علم لى ثم سألت قلبى فأخبرنى عن ربى فأجبتك بذلك فأرسل القاضى إلى الخليفة يقول له إن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم .

(وكذلك) جاء جماعة من فقهاء اليمن إلى الشيخ الكبير بحر الحقائق وموضح الدقائق العارف بالله تعالى أبى الغيث بن جميل قدس الله روحه ونور ضريحه ونفعنا والمسلمين ببركته يمتحنونه فى شىء فلما دنوا منه قال مرحبا بعبيد عبدي فاستعظموا ذلك فلقوا شيخ الطريقين وإمام الفريقين الفقيه العالم العارف بالله أبا الذبيح إسماعيل ابن محمد الحضرمى رضى الله عنه ونفعنا به وأخبروه بما قاله الشيخ أبو الغيث لهم فضحك وقال صدق أنتم عبيد الهوى والهوى عبده وكان الشيخ أبو الغيث المذكور أميا ويحضر مجلسه الفقراء ويسألونه المسائل الدقيقة فيجيبهم .

وللمشايخ مع الفقراء حكايات يطول ذكرها وسنذكر شيئا من ذلك إن شاء الله تعالى فى حكايات الكتاب .

(وقال الأستاذ الإمام) أبو القاسم القشيري رضى الله عنه فى رسالته المشهورة أما بعد فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين جعل قلوبهم معادن أسرارهم واختصهم من

بين الأمة بطوالع أنواره صفاهم من الكدورات البشرية ورقاهم إلى مجال المشاهدات لما تجلى لهم من حقائق الأحدية ووقفهم للقيام بأداب العبودية وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية وهذا من بعض كلامه ثم قال فى آخر الرسالة والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فأما الذى للناس غيب فلهم ظهور وأما الذى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى
والناس فى سدف الظلام ونحن فى ضوء النهار

(قال) ولم يكن عصر من الأعصار فى مدة الإسلام وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علو فى التوحيد وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به انتهى كلامه ولله در قائلهم فى هذه الأبيات :

كانت لقلبي أهواء مفرقة وصارت يحسدنى من كنت أحسده
وتركتم للخلق دنياهم ودينهم وصرتم مولى الورى مذ صرت مولائى
فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى شغلا بحبك يا دينى ودينائى

ولله در القائل الآخر

فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبهم وقلوبهم جـوالة بمعسكر
وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى به أهل ود الله كالأنجم الزهر

ولله در القائل الآخر

على مثل حد السيف تسرى إلى العلا فممن فاز بالتوفيق فالله صانه
فمن زاغ لا أرض تقبل ولا سما ولولا جميل اللطف والله ما نما

ولله در القائل الآخر

إذا جيش الأحباب جيشا من الجفا وإن ركبوا خيل الصدود مغيرة
بنينا من الصبر الجميل حصونا لقيناهم بالذل مدرعيننا
صبرنا على أحكامنا ورضينا وإن لم يروا فى ودنا ووصالنا

ولله در القائل الآخر

ولو طردوني كنت عبدا لبعدهم وإن أبعدونى زدت فى الحب والود
ولى عندهم هجر كما حكم الهوى وهم أهل فضل لى ومنزلة عندى
ولله در القائل الآخر

وكنت قديما أطلب الوصل منهم فلما أتانى الحلم وارتفع الجهل
تيقنت أن العبد لا طلب له فإن قربوا فضل وإن أبعدوا عدل
وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو

ولله در القائل الآخر

ولقد جعلتك فى الفوائد محدثى وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس موانس وحبیب قلبى فى الفؤاد أنيسى
ولله در القائل الآخر

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود غاية المنى فكل الذى فوق التراب تراب

ولله در القائل الآخر

نفس المحب على الأسقام صابرة لعل سقمها يوما يداويها
لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها
الله يعلم أن النفس قد تلفت شوقا إليك ولكنى أسليها
فنظرة منك يا سؤلى ويا أملى أشهى إلى من الدنيا وما فيها

وقال آخر

إن كان سفك دمي أقصى مرادكم فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

الفصل الثاني فى إثبات كرامات الأولياء

وظهور الكرامات على الأولياء جائز عقلا وواقع نقلا أما جوازه عقلا فإنه ليس بمستحيل فى قدرة الله عز وجل بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هذا مذهب أهل السنة من المشايخ العارفين والنظار الأصوليين والفقهاء والمحدثين رضى الله عنهم أجمعين وتصانيفهم ناطقة بذلك شرقا وغربا وعجما وعربا ثم القول الصحيح المختار عند جمهور الأئمة المحققين من أهل السنة أن كل ما جاز للأنبياء من المعجزات جاز للأولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدى ولا يرد على ذلك القرآن للزومه التحدى ولا يصح قول من يقول إن ذلك يؤدى إلى الالتباس بين الكرامات والمعجزات لأن المعجزة يجب على النبي ﷺ أن يتحدى بها ويظهرها والكرامة يجب على الولي أن يخفيها ويسرها إلا عند الضرورة أو إذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار أو لتقوية يقين بعض المريدين كما فعل بعضهم غرف عسلا من الجو ووضعها فى فم مرید له .

(وروى) أن رجلا رأى غيره الكعبة من بلاد بعيدة وآخر أرى بعض المنكرين الكعبة يطوف بها وقد سمعنا سماعا محققا أن جماعة منهم شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافا محققا ورأيت بعضها عما شاهد ذلك من الثقات الأتقياء بل من السادات العلماء وغير ذلك مما يطول ذكره وما ذهب إليه الإمام أبو إسحاق الإسفراينى رحمه الله من إثبات بعض الكرامات دون بعض فهو مخالف لمذهب الجمهور الصحيح المشهور (وأما) وقوع ذلك نقلا أعنى ظهور الكرامات فقد جاء فى القرآن وفى الأخبار والآثار بالإسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد (فمن ذلك) فى القرآن ما أخبر الله تعالى عن مريم بنت عمران رضى الله عنها فى قوله عز وجل (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب^(١) . (وقوله) سبحانه وتعالى لمريم (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)^(٢) وكان فى غير أوان الرطب كما جاء فى التفسير (ومن ذلك) ما أخبر الله عز وجل من العجائب على يد الخضر عليه السلام مع موسى النبي ﷺ (وكذلك) قصة ذى القرنين رضوان الله عليه وتمكين الله سبحانه وتعالى له ما لم يمكنه لغيره .

(وكذلك) قصة أهل الكهف رضى الله عنهم والأعجائب التى ظهرت من كلام

(٢) سورة مريم الآية ٢٥ .

(١) سورة آل عمران الآية ٣٧ .

الكلب معهم وغير ذلك (وكذلك) قصة آصف بن برخيا رضى الله عنه مع سليمان عليه السلام فى عرش بلقيس فى قوله تعالى: ﴿قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾^(١) وكل هؤلاء المذكورين ليسوا بأنبياء (ومن ذلك) فى الأخبار الحديث الصحيح المشهور فى الصحيحين حديث جريج الراهب الذى كلمه الطفل فى المهد حين قال له يا غلام من أبوك فقال فلان الراعى (ومن ذلك) حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة وهو حديث صحيح متفق على صحته وهو مشهور فى الصحيحين وفى آخره فانفجرت الصخرة فخرجوا يمشون (ومن ذلك) حديث البقرة التى حمل عليها صاحبها أو ركبها على اختلاف الرواية فالتفتت إليه فكلمته فقالت إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله تعجبا وفضعا أبقرة تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنى أو من بذلك أنا وأبو بكر وعمر وهذا أيضا حديث صحيح مشهور مذكور فى الصحيحين وغيرهما وهو متفق على صحته أعنى اتفقوا على تكلم البقرة المذكورة وإن اختلفا فى بعض ألفاظ الحديث (ومن ذلك) الحديث الصحيح المتفق على صحته المذكور فى الصحيحين فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه مع ضيفه الذى قال فيه وإيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها فاكلوا حتى شعبوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك فنظر إليها أبو بكر رضى الله عنه فقال لامراته يا أخت بنى فراس ما هذا قالت لا وقررة عيني لهى الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات.

(ومن ذلك) أيضا الحديث الصحيح المتفق على صحته أن المخرج فى الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون فإن يك فى أمتى أحد منهم فإنه عمر (ومن ذلك) أيضا ما صح عن عمر رضى الله عنه أنه قال يا سارية الجبل الجبل فى حال خطبته فى يوم الجمعة فبلغ صوته إلى سارية فى ذلك الوقت فتحذر من العدو فى مكان من الجبل فى تلك الساعة فكان فى ذلك لعمر كرامستان بيتان إحدهما ما كشف له عن حال سارية وأصحابه من المسلمين وحال العدو والثانية بلوغ صوته إلى سارية من بلاد بعيدة (ومن ذلك) الحديث المتفق على صحته فى سعد بن أبى وقاص الذى قال فيه أبو سعدة أصابتنى دعوة سعد أخرجاه فى الصحيحين (ومن ذلك) الحديث المتفق على صحته أيضا فى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنه الذى قال فيه لتى ادعت عليه أنه أخذ شيئا من أرضها فقال اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى أرضها فما ماتت حتى ذهب

بصرها وبينما هي تمشى في أرضها اذ وقعت في حفرة فماتت أخرجاه أيضا في الصحيحين (ومن ذلك) الحديث الصحيح حديث البخارى الذى قال فيه قالت والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب رضى الله عنه فو الله لقد وجدته يوما يأكل قطفًا من عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمرة وكانت تقول إنه لرزق رزقه الله خبيبا يعنى بهذه المرأة بنت الحرث بن عامر بن نوفل كما ذكر في الحديث (ومن ذلك) الحديث الصحيح حديث البخارى أيضا فى أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله تعالى عنهما الذى قال فيه خرجا من عند النبى ﷺ فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله (ومن ذلك) الحديث الصحيح حديث الرجل الذى سمع صوتا فى السحاب يقول اسق حديقة فلان (وما جاء) أن ابن عمر رضى الله عنهما قال للأسد الذى منع الناس الطريق تنح فصبص بذنبه وذهب فمشى الناس فقال ابن عمر رضى الله عنه صدق رسول الله ﷺ من خاف الله خوف الله منه كل شيء (ومن ذلك) ماجاء أن رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه فى غزاة فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله باسمه الأعظم فمشوا على الماء.

(وما جاء) أنه كان بين سليمان وأبى الدرداء رضى الله عنهما قصعة فسبحت حتى سمعا التسبيح وما جاء أن عمران بن الحصين رضى الله عنه كان يسمع تسليم الملائكة عليه حتى اکتوى فانجس عنه ذلك سنة ثم أعاده الله عليه (ومن ذلك) الحديث الصحيح حديث مسلم المتقدم ذكره رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره قلت ولو لم يكن إلا هذا الحديث لكفى دليلا.

(وقد ورد) عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما بلغ حد الاستفاضه وقد صنف العلماء فى ذلك كتبا كثيرة وسيأتى حديث أويس إن شاء الله تعالى فيما بعد وحكايات كثيرة عن السلف والخلف فى الكرامات.

(فإن قيل) ما بال الصحابة رضى الله عنهم لم يشتهر عنهم من الكرامات الكثيرة مثل ما اشتهر عن الأولياء بعدهم.

(فالجواب) ما أجاب به الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه لما قيل له يا أبا عبد الله إن الصحابه لم يرو عنهم من الكرامات مثل ما قد روى عن الأولياء والصالحين فكيف هذا فقال أولئك كان إيمانهم قويا فما احتاجوا إلى زيادة شيء يقوون به وغيرهم كان إيمانهم ضعيفا لم يبلغ إيمان أولئك فقووا بإظهار الكرامات لهم.

(قلت) وفي هذا المعنى قال بعض الشيوخ الكبار فى كرامات مريم ابنة عمران كانت فى بدايتها يتعرف إليها بخرق العادات بغير سبب تقوية لإيمانها وتكميلاً ليقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوى إيمانها وكمل يقينها ردت إلى السبب وقيل لها (هزى إليك بجلع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) (وكذلك) قال الشيخ الإمام العارف بالله المحقق شيخ الطريقة ولسان الحقيقة شهاب الدين السهروردي رضى الله عنه وخرق العادة إنما يكشف به لموضع ضعف يقين المكاشف رحمة من الله تعالى لعباده العباد ثوابا معجلا لهم و فوق هؤلاء قوم ارتفعت الحجب عن قلوبهم وباشروا بواطنهم روح اليقين وصرف المعرفة فلا حاجة لهم إلى مدد من المخزقات ورؤية القدرة والآيات ولهذا المعنى ما نقل عن أصحاب رسول الله ﷺ كثير من ذلك إلا القليل ونقل عن المتأخرين من المشايخ والصادقين أكثر من ذلك لأن أصحاب رسول الله ﷺ ببركة صحبة النبي ﷺ ومجاورة نزول الوحي وتردد الملائكة وهبوطها تنورت بواطنهم وعانوا الآخرة وزهدوا فى الدنيا وتزكت نفوسهم وانخلعت عاداتهم وانصقلت مرايا قلوبهم فاستغنوا بما أعطوا عن رؤية الكرامة واستلما أنوار القدرة ومن بلغ من قوة اليقين هذا المبلغ يرى فى إجراء عالم الحكمة ما يرى الغير من القدرة ويرى القدرة ممكنة بل متجلية من سجع الحكمة فلو تجردت له القدرة وانكشفت له ما استغرب والمستغرب للقدرة يقوى يقينه بها لأنه محجوب بالحكمة عن القدرة قال وقد تكون للأولياء أنواع من الكرامات كسماع الهوائف من الهواء والنداء من بواطنهم وتطوى لهم الأرض وقد تنقلب لهم الأعيان وقد ينكشف لهم ما فى الضمير ويعلمون بعض الحوادث قبل تكونها من بركة متابعتهم رسول الله ﷺ فأوفر الناس حظا من الصحة والقرب والعبودية أوفرهم حظا من متابعتة ﷺ قال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (١).

(قال) وكرامات الأولياء من تمة معجزات الأنبياء وكل رسول كان له أتباع ظهرت لهم كرامات ومخرقات للعادات هذا بعض كلامه رضى الله تعالى عنهم .

(وقال) الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري رضى الله عنه وكل نبي ظهرت كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته قال ثم هذه الكرامات قد

(١) سورة آل عمران الآية ٣١ .

تكون إجابته دعوة وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء في زمان عطش أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة أو تخليصا من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة انتهى كلام الأستاذ أبي القاسم رحمه الله .

(قلت) فإن قال قائل تشبته الكرامات بالسحر .

(فالجواب) ما أجاب به المشايخ العارفون والعلماء المحققون في الفرق بينهما أن السحر يظهر على أيدي الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير الالتزام بالأحكام الشرعية وآدابها الدرجة العليا فافترقا وقد تقدم الفرق بين الكرامات والمعجزات .

(قلت) والناس في إنكار الكرامات مختلفون . فمنهم من ينكر كرامات الأولياء مطلقا وهؤلاء أهل مذهب معروف عن التوفيق مصروف . ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانه كمعروف وسهل والجنيد وأشباههم رضى الله عنهم فهؤلاء كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه والله ما هي إلا إسرائيليه صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد ﷺ لأنهم أدركوا زمنه . ومنهم من يصدق بأن الله تعالى أولياء لهم كرامات ولكن لا يصدق بأحد معين من أهل زمانه فهؤلاء محرومون أيضا لأن من لم يسلم لواحد معين لم ينتفع بأحد نسأل الله تعالى التوفيق وحسن الخاتمة في عافية لنا وللمسلمين ولمشايخنا والدينا وأمة محمد أجمعين .

(وسئل) بعض العلماء الكبار عن كرامات الأولياء فقال ومن ينكر هذا إن كنت

لم تعرف من هذا شيئا ولم تعقله فأرجع إلى أن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وفي معناه أنشدوا :

إذا كنت المكذب يا جهول
فكن بالفهم ترجع نحو شيء
عن الآيات تصدقك العقول
له الدين المصدق والرسول
قدير ليس يعجزه المهول
بان إلهنا ما شاء يقضى

(قلت) والعجب كل العجب ممن ينكر الكرامات وقد جاءت في الآيات

الكريمات والأحاديث الصحيحة والآثار المشهورات والحكايات المستفيضات الصادرات عن العيان والمشاهدات من السلف والخلف وبلغت في الكثرة والشهرة في

جميع البلاد مبلغا يخرج عن الحصر والتعداد ثم إن كثيرا من المنكرين لو رأوا الأولياء والصالحين يطهرون في الهواء لقالوا هذا سحر أو قالوا هؤلاء شياطين ولا شك أن من حرم التوفيق فكذب بالحق غيبا وحدسا كذب به عيانا وحسا كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿لو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾^(١).

فواعجبا كيف ينسب السحر وفعل الشياطين إلى الأولياء المقربين والأبرار الصالحين الزاهدين العابدين الصابرين الشاكرين الخائفين الراجين المتقين الورعين المتوكلين الراضين المخبتين العارفين المطهرين من الصفات المذمومات المتحلين بحاسن الصفات المحمودات المتخلقين بأخلاق المولى جل وعلا المشمرين في طاعة الله تعالى المتأدبين بأداب الشريعة الشريفة والسنة الغراء المرتفعين عن حضيض الرخص إلى معالي عزائم ذروة العلاء المقبلين على المولى المعرضين عن الدنيا بل وعن الآخرة الذين كنست بنفوسهم المزابيل لما أماتوها لتحيا فأحيهاها الحى القيوم وجمال جلاله لقلوبهم تجلى لما جاهدوا في الله حق جهاده أنجز لهم ما وعهم بقوله تبارك وتعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾^(٢) فيأليت شعرى من أولى بهذه الآية وبقوله تعالى ﴿ويشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾^(٣) وبقوله سبحانه ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾^(٤) . وبقوله عز وجل : ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾^(٥) . ويقول رسول الله ﷺ في الصحيحين (الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) وهل هؤلاء أهل العزائم أم هم المترخصون . وبقوله ﷺ أشعث أغبر الحديث الصحيح المشهور . وبقوله ﷺ لما رأى مصعب بن عمير رضى الله عنه متجردا فى إهاب كبش دعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون . وبقوله ﷺ لما سئل عن الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) الحديث الصحيح المشهور وعلى هذا إلا للمراقبين الحاضرين . وبقوله ﷺ إن البذاء من الإيمان يعنى بها رثاءة الهيئة وترك فاخر اللباس وهل هذا إلا للمتقشفين الزاهدين وغير ذلك كحديث أويس رضى الله عنه وما كان فيه من رثاءة الحال والتوحش والانعزال وغير ذلك مما لا يمكن فيه الاستيعاب ولا يسع بعضه

(٢) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

(١) سورة الأنعام الآية ٧ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٢ .

(٣) سورة الحج ٣٤ : ٣٥ .

(٥) سورة النحل: الآية ٩٩ .

هذا الكتاب من أولى بهذه المذكورات وأشباهها ومن المشكور المدوح بحسن ثنائها أهل هذه الأوصاف المذكورات المحمودات أم أهل أصدادها من الصفات المذمومات فأى الفريقين أولى بالهداية أهل المجاهدة أم غيرهم وقد قال الله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وأيهما أولى بعزل سلطان الشيطان عنه أهل التوكل أم غيرهم . وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وأيهما أولى بالرجولية الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) أم الذين قال الله فيهم ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ وأى الفريقين أولى بقوله ﷺ في الحديث الصحيح ما ذُبان جائعان أرسلوا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه وأيهما أولى بفساد الدين أهل الحرص والطمع أم أهل الزهد والورع وأيهما أولى بقوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾^(٢) الأغنياء أم الفقراء وأيهما أولى بقوله ﷺ إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة الحديث المتفق على صحته أهل المال والثروة أم أهل الفقر والقلّة وأيهما عباد الرحمن المذكورون في سورة الفرقان والذين قال فيهم الملك المنان ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ وأيهما عبيد الدنيا والشيطان اللعين الذين قال الله سبحانه فيهم : ﴿وَمَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٣) والذين قال فيهم النبي ﷺ (تعس عبد الدينار والدرهم وأيهما أولى باتباع السنة والافتداء بالشرعية أهل الزهد والجد والأخذ بالعزائم الرفيعة أم أهل الرخص والتواني وحب الدنيا الوضيعة الذين يحسبون أن السنة في متابعة الحظوظ النفسية ولا يدرون أن أشرف الاتباع رفض الدنيا والاتصاف بالصفات السنية فكم من زاعم أنه مقتد بالسنة ومتبعها وهو تارك للفروض ومضيعها كما قال السيد الجليل العارف بشر بن الحرث رضى الله عنه لما قيل له الناس يقولون إنك تارك للسنة يعنون ترك الزوج فقال قل لهم أنا مشغول بالفرض عن السنة وهل الفرض المتعين إلا إزالة الصفات المذمومات من القلب من الحقد والحسد والرياء والعجب والكبر والأمل والغيبة والنميمة والكذب والتصنع والسمعة والخيلاء والشح والنفاق وغير ذلك من رذائل الأخلاق التي تطهر منها أهل الخوف والإشفاق الأكياس الحذاق أم الفرض المذكور معرفة البيوع والطلاق

(٢) سورة العلق الآيتان ٦ ، ٧ .

(١) سورة النور الآية ٣٧

(٣) سورة الزحرف الآية ٣٦ .

التي قدمها الجهال الأحماق وهل يشرق النور في مرآة القلوب المصقولة بالزهد والهدى أم المظلمة بالذنوب والعيوب والصدأ وهل يستوى ذم (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) ومدح (الذين يذكرون الله قياما وقعودا أو على جنوبهم) أم هل يستوى من باع دينه بدنيا وبذل نفسه في هواه وقال لسان حاله في معناه :

يدلت النفس في طلب المعالي معالي المجد في جاه ومال
ومن باع بدنياه دينه رابحا وبذل نفسه في حب مولاه سامحا وقال لسان حاله
مطربا وصائحا ما قلت نائبا محبا :

يا سادتي إن قتلتم مهجتي ودمى بنظرة في الجمال الغالب العالى
فقد أنلتم جميل الفضل عبدكم وقد ربحت ببيع الدون بالعالى
(قلت) وقد تمت المقدمة الموعودة وهأنا ابتدئ إن شاء الله تعالى بحكايات
الصالحين المحمودة ولست ألتزم في ذلك ترتيبا بينهم في التقديم لا بالفضائل ولا
بالأسنان ولا بالأمكنة ولا بالأزمان وقد أجمع في الحكاية الواحدة بين حكايتين أو
أكثر إما لصغر الحكاية أو للمناسبات أو لكونها صدرت عن شخص واحد في بعض
الحالات وقد أغير بعض الألفاظ في بعض الحكايات إما باختصار أو بتقديم وتأخير أو
بإصلاح شعر مختل عند من هو خبير في حكم الوزن والإعراب أو في حكم الشرع
والآداب وقد أحذف الشعر من بعض الحكايات لكونه غير مناسب أو عاريا عن الحسن
أو ركيكا ليس السمع فيه براغب وقد أودعت هذا الكتاب شيئا من نسيجي المهلهل
بعضه أنشأته جديدا وبعضه من نسيجي الأول (وفي عدم جودته قلت).

يقولون لم لا قلت شعرا تفيده فقلت لأنى إن أقل لا أجيده
إذا رمت غزلان المعانى نقرن من شبك اصطيادى وابن عرس أصيده
فلا الجيد العالى العزيز يريدنى ولا الدانى الدون الردىء أريده
وأنا أسأل الله الكريم البر الرحيم أن يرزقنا التوفيق والهدى والسلامة عن الزيف
والردى وأن يتفعلنا بعباده الصالحين ويجعلنا من حزبه المفلحين وأن ينفع بهذا الكتاب
ويعظم به الأجر والثواب ويجعله خالصا لوجهه الكريم ويهب لنا من فضله العظيم
وأحبابنا والمسلمين آمين إنه الملك الديان ذو الطول والإحسان وهو حسبنا ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

حكايات الصالحين

وأقدم عليها كالشوايش لها هذه القصيدة المسماة الشهد الحالى فى فضل
الصالحين ومقامهم العالى :

وحالى حلى فىهم ملاح فوائق
وزاهى كرامات عظام خوارق
ومشهود أنوار بواه بوارق
إذا شمها فى الغرب من فى المشارق
فكيف بمن منها بكاساتها سقى
وكم من لطيفات المعانى دقائق
وكم من معان للعلوم حقائق
وكم من مليح للعقول موافق
ويحلو كطعم الشهد فى ثغر ذائق
كتابى وكم طيب من القوام عابق
لحباب زهت يختارها كل حاذق
عرائسها اللاتى سبت لب عاشق
بغالى جمال فائق الحسن رائق
سوى كل كفاء فى المحبة صادق
لها الصدق فى الدنيا ونفس مفارق
فنافس وسابق نحوها كل سابق
فبالدون يرضى الدون عند العلائق
لنيل المعالى قاطعا كل عائق
ونال المنى من قرب مولى الخلائق
جمال جلال جل عن وصف ناطق
هنيه ما يلقي هناك وما لقي

أيا عاشقا على جمال صفاتهم
وعالى مقامات وأحوال سادة
ومكنون أسرار وباهى معارف
ووصل لأحباب وراح محبة
تمايل نشوانا بها طوال دهره
لهم فى الهوى كم من غريب عجائب
وكم من شواج للقلوب رقائيق
وكم من جهيد للنفوس مخالف
تسمع حكايات يطيب سماعها
كساها جمال القوم حسنا به كست
وخمس مئين عدها فى كتابنا
تنزه برؤيا حسننها حين تجتلى
فهاهى فى روض الرياحين قد بدت
محاسن غرسادة لا يتالها
أبت ترتضى خطابها غير ممهر
فإن كنت للمهر الذى عز قادرا
وإن كنت مثلى عاجزا فارض بالدنى
رعى الله من أمسى وأضحى مشمرا
إلى أن علا فوق المقامات فى العلا
فطوبى له فى حضرة القدس يجتلى
ويسقى كئوس الوصل من خمرة الهوى

الحكاية الأولى عن أبي الفيض ذي النون المصري رضى الله عنه

قال وصف لى رجل من السادة باليمن قد برز على الخائفين وسما على المجتهدين بسيماه بين الناس معروف وباللب والحكمة والتواضع والخشوع موصوف .
(قال) فخرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فلما قضيت الحج قصدت زيارته لأسمع من كلامه وانتفع بموعظته أنا وأناس كانوا معى يطلبون ما أطلب من البركة وكان معنا شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين وكان مصفر الوجه من غير سقم أعمش العينين من غير رمد يحب الخلوة ويأنس بالوحدة تراه كأنه قريب عهد بمصيبة وكنا نعدله على أن يرفق بنفسه فلا يجيب قولنا وعدلنا ولا يزداد إلا مجاهدة واجتهادا ولسان حاله يقول :

أبها العاذلون فى الحب مهلا	حاش لى عن هواه أن أتسلى
كيف أسلو وقد تزايد وجدى	وتبدلت بعد عذى ذلا
قيل تبلى فقلت تبلى عظامى	وسط لحدى وحبكم ليس يبلى
حبكم قد شربته فى فؤادى	فى قديم الزمان مذ كنت طفلا

(قال) ولم يزل ذلك الشاب فى جملتنا حتى انتهى معنا إلى اليمن وسألنا عن منزل الشيخ فأرشدنا إليه فطرقنا الباب فخرج إلينا كأنما يخبر عن أهل القبور فجلسنا إليه فبدأه الشاب بالسلام والكلام فصافحه وأبدى له البشر والترحيب من دوننا وسلمنا كلنا عليه ثم تقدم إليه الشاب وقال يا سيدى إن الله قد جعلك وأمثالك أطباء لأسقام القلوب ومعالجين لأوجاع الذنوب وبنى جرح قد نغل وداء قد استمكن وأعضل فإن رأيت أن تتلطف بى ببعض مراهمك فافعل فأنشد الشيخ هذه الأبيات :

إن داء القلوب داء عظيم	كيف لى بالخلاص من داء ذنبى
هل طبيب مناصح لى فىنى	أعجز الخلق والأطباء طبى
أه واخجلتى ويا طول حزنى	من وقوفى إذا وقفت لربى
وانقطاع الجواب منى ولم لا	وبلائى قد حل عن كل خطب

فقال الشاب للشيخ فإن رأيت أن تتلطف بى ببعض مراهمك فافعل فقال له الشيخ سل عما بدالك فقال له ما علامة الخوف من الله تعالى قال أن يؤمنك خوف الله من كل خوف غير خوفه فانتفض الفتى جزعا ثم خر مغشيا عليه ساعة (فلما أفاق) قال رحمك الله متى يتيقن العبد خوفه من الله قال إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة العليل السقيم فهو محتتم من أكل الطعام مخافة طول السقام ويصبر على مضض

الدواء مخافة طول الضناء قال فصاح الشاب صيحة ظننا أن روحه قد خرجت ثم قال يرحمك الله ما علامة المحبة لله تعالى فقال يا حبيبي إن درجة المحبة لله رقيقة فقال الشاب أحب أن تصفها لى فقال يا حبيبي إن المحبين لله تعالى شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب إلى جلال عظمة الإله المحبوب فصارت أرواحهم روحانية وقلوبهم حجية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة الكرام وتشاهد تلك الأمور باليقين والعيان فعبوده بمبلغ استطاعتهم له لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره فشقق الشاب شهقة فمات رحمه الله تعالى عليه فجعل الشيخ يقبله ويبكى ويقول هذا مصرع الخائفين هذه درجة المحبين هذه روح حنت فأنت فسمعت فاشتقت فشقت فماتت وأنشد بعضهم :

على قدر علم المرء يعظم خوفه فلا عالم إلا من الله خائف
فأمن من مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف

الحكاية الثانية عن ذى النون المصري أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير في نواحي الشام إذ وقعت إلى روضه خضراء وفي وسطها شاب قائم يصلى تحت شجرة تفاح فتقدمت إليه وسلمت عليه فلم يرد على السلام فسلمت ثانيا فأوجز في صلاته ثم كتب في الأرض بأصبعه :

منع اللسان من الكلام لأنه كهف البلاء وجالب الآفات
فإذا نطقت فكن لربك ذاكرا لا تنسه واحمده في الحالات

(قال ذو النون رضى الله عنه) فبكت طويلا وكتبت بأصبعي في الارض:

وما من كاتب إلا سيلى ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تسراه

فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فيها فقمت لأخذ في غسله ودفنته فإذا قائل يقول خل عنه فإن الله عز وجل وعده ألا يتولى أمره إلا الملائكة (قال ذو النون) فملت إلى شجرة فركعت عندها ركعات ثم أتيت الموضع الذى مات فيه الشاب فلم أجد له أثرا ولا عرفت له خبرا رضى الله عنه.

الحكاية الثالثة عنه أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير فى بعض جبال بيت المقدس إذ سمعت صوتا وهو يقول ذهبت الآلام عن أبدان الخدام وولعت بالطاعة عن الشراب والطعام وألفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلام قال رضى الله عنه فتبعت الصوت فإذا بشاب أمرد قد علا وجهه اصفرار يميل مثل الغصن إذا ميلته الريح عليه شملة قد اتزر بها وأخرى قد اتشح بها فلما رأتى توارى عنى بالشجر فقلت له أيها الغلام ليس الجفاء من أخلاق المؤمنين فكلمنى وأوصنى فخر ساجدا لله وجعل يقول هذا مقام من لأذ بك واستجار بمعرفتك وألف محبتك فى إله القلوب وما تحويه من جلال عظمتك احجبنى عن القاطعين لى عنك ثم غاب عنى فلم أره رضى الله عنه (وقال أيضا رضى الله عنه) بينما أنا أسير بين جبال الشام إذا أنا بشيخ على قلعة من الأرض قد سقط حاجباه على عينيه كبرا فسلمت عليه فرد على السلام ثم جعل يقول يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبا ويا من قصده الزاهدون فوجدوه حبيبا ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه مجيبا ثم أشد يقول :

وله خصائص مصطفون حبه اختارهم فى سالف الأزمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه فهم ودائع حكمة وبيان

الحكاية الرابعة عن الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال حضرت إملاك بعض الأبدال من الرجال ببعض الأبدال من النساء فما كان فى جماعة من حضر أحد إلا وضرب يده إلى الهواء وأخذ شيئا فطرحة من در وياقوت وما أشبهه قال الجنيد فضربت بيدي فأخذت زعفرانا فطرحته فقال لى الخضر عليه السلام ما كان فى الجماعة من أهدى ما يصلح للعرس غيرك (وقال) بعض العارفين كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين فى الهواء عليهن ثياب من فضه وذهب وجوهر فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن فى الحسن والجمال وقيل لى انظر إليهن فسجدت وغمضت عيني فى السجود وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لى بهذا ولم أزل أتضرع حتى صرفهن عنى .

الحكاية الخامسة عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه

قال أصابتنى علة فى ساقى فكننت أتحامل عليها للصلاة فقامت عليها من الليل فأجهدت وجعا فجلست ثم لففت إزارى فى محرابى ووضعت رأسى عليه وثمت فبينما أنا كذلك إذ أنا بجارية تفوق الدمى حسنا وجمالا تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت على وهن خلفها فقالت لبعضهن ارفعهن ولا توقظنه فأقبلن نحوى فاحتملتنى وأنا أنظر إليهن فى منامى ثم قالت لغيرهن من الجوارى اللاتى معها افرشن له ومهدن له ووطنن له ووسدنه قال ففرشن تحتى سبع حشايا لم أر لهن فى الدنيا مثلا ووضعن تحت رأسى مرافق خضرا حسانا ثم قالت للاتى حملتنى اجعلنه على الفرش رويدا لا تهجنه قال فجعلتنى على تلك الفرش وأنا أنظر إليها وما تأمرهن به من شأنى ثم قالت احففنه بالريحان فأتى بياسمين فحففن به الفرش ثم قامت إلى فوضعت يدها على موضع العلة التى كنت أجد فى ساقى فمسحت ذلك المكان بيدها ثم قالت قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور فاستيقظت والله كأنى قد نشطت من عقال فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتى تلك ولا ذهب من قلبى حلاوة منطقتها بقولها قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور.

الحكاية السادسة عن عبد الواحد أيضا رضى الله عنه

قال ثمت عن وردى ليلة فإذا أنا بجارية لم أر أحسن منها وجها عليها ثياب حرير خضر وفى رجلها نعلان يسبحان والزمامان يقدسان وهى تقول يا ابن زيد جد فى طلبى فإنى فى طلبك ثم جعلت تقول:

من يشترينى ومن يكن سكنى
يأمن فى ربحه من الغبن

قال فقلت يا جارية ما ثمك فأنشأت تقول:

محببة الله ثم طاعته
فقلت لمن أنت يا جارية فقالت:

للمالك لا يرد لى ثمنا
من خاطب قد أتاه بالثمن

قال فاتتبه عبد الواحد وآلى على نفسه ألا ينام الليل وكان من الجماعة الذين صلوا الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة من السلف الصالح رضى الله عنهم ونفعنا

الحكاية السابعة

روى أن الشيخ مطهر السعدي رضى الله عنه بكى شوقا إلى الله تعالى ستين سنة فرأى فى المنام كأنه بجانب نهر يجرى بالمسك الأذفر حافته شجر اللؤلؤ وقضبان الذهب وإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد سبحان المسيح بكل لسان سبحانه سبحان الموجود بكل مكان سبحانه سبحان الدائم فى كل الأزمان سبحانه قال فقلت من أنتن فقلن خلق من خلق الرحمن سبحانه فقلت ما تصنعن ههنا فقلن :

يرانا إله الناس رب محمد
يناجون رب العالمين إلههم
لقوم على الأقدام بالليل قوم
فتسرى هموم القوم والناس نوم

الحكاية الثامنة عن الشيخ أبى بكر الضير رضى الله عنه

قال كان فى جوارى شاب حسن الوجه يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءنى يوما وقال يا أستاذ إنى نمت عن وردى الليلة فرأيت كأن محرابى قد انشق وكأنى بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن منهن وجهها وإذا فيهن واحدة شوهاء لم أر أقبح منها منظرا فقلت لمن أنتن ولمن هذه فقلن نحن ليالك التى مضت وهذه ليلة نومك ولو مت فى ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم أنشدت الشوهاء تقول:

اسأل لمولاك يرددنى الى حالى
لا ترقدن الليالى ما حييت فإن
نحن السرور لمن نال السرور بنا
فقد أردت بخير إذ وعظت بنا
فأنت قبحتنى من بين أشكالى
نمت الليالى فهن الدهر أمثالى
جوف الظلام بسكنى المنزل العالى
فأبشر فأنت من المولى على بال

(قال) فأجابتها جارية من الحسان تقول :

أبشر بخير فقد نلت المنى أبدا
نحن الليالى اللواتى كنت تسهرها
نحن الحسان اللواتى كنت تخطبنا
أبشر فقد نلت ما ترجوه من ملك
غدا تراه تجلى غير محتجب
فى جنة الخلد فى روضات جنات
تتلو القرآن بترجيع ورنات
جوف الظلام بلوعات وزفرات
بر وجود بأفضال وفرحات
تدنى إليه وتحظى بالتحيات

(قال) ثم شهق شهقة خرميتا رحمة الله تعالى عليه .

الحكاية التاسعة عن أحد العارفين

قال نمت ليلة عن حزبي فرأيت في المنام جارية حسناء لم أر أحسن منها وجها
ولا أطيب منها ريحا فناولتني رقعة في يدها فقالت اقرأ ما فيها فقرأته فإذا هو :
لذت بنومة عن خير عيش مع الولدان في غرف الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها وتبقى في الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك إن خيرا من النوم التهجد بالقران
قال فاستيقظت مرعوبا فوالله ما ذكرتها قط إلا طار نومي رحمه الله .

الحكاية العاشرة

روى أن الشيخ السرى السقطى رضى الله عنه دخل عليه أبو القاسم الجنيد
رضى الله عنه وهو يبكى فقال له ما يبكيك فقال جاءتنى البارحة الصبية فقالت يا
أبت هذه ليلة حارة وهذا الكوز أعلقه ههنا لك حتى يبرد فقلت نعم قال السرى رضى
الله عنه فغلبتنى عيناي فتمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء
فقلت لمن أنت فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان فانتبهت وتناولت الكوز
وضربت به الأرض قال الجنيد رضى الله عنه فرأيت الخنزف المكسور لم يرفعه أحد
حتى عفى عليه التراب (وقال) الشيخ أبو سليمان الداراني رضى الله عنه نمت عن
وردي ليلة فإذا أنا بحوراء تقول يا أبا سليمان تنام وأنا أربى لك فى الخيام منذ
خمسائة عام أو كما قالت من الكلام .

الحكاية الحادية عشرة عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه

قال بينما نحن ذات يوم فى مجلسنا هذا قد تهيأنا للخروج إلى الغزو وقد
أمرت أصحابى أن يتهيئوا لقراءة آيتين فقرأ رجل فى مجلسنا (إن الله اشترى من
المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فقلت نعم يا حبيبي فقال إنى اشهدك أنى قد
بعث نفسى ومالى بأن لى الجنة فقلت له إن حد السيف أشد من ذلك وأنت صبي وأنا
أخاف ألا تصبر وتعجز عن ذلك فقال يا عبد الواحد أبايع الله تعالى بالجنة ثم أعجز
أنا أشهد الله تعالى أنى قد بايعته أو كما قال رضى الله عنه قال عبد الواحد

فتقاصرت إلينا أنفسنا وقلنا صبي يعقل ونحن لا نعقل فخرج من ماله كله تصدق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا فقال السلام عليك يا عبد الواحد ، فقلت وعليك السلام ربح البيع ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا إذا نمنا حتى انتهينا إلى دار الروم ، فبينما نحن كذلك إذا به أقبل وهو ينادى واشوقاه إلى العيناء المرضية فقال أصحابي لعله وسوس لهذا الصبي واختلط عقله فقلت حبيبي وما هذه العيناء فقال إنى غفوت غفوة فرأيت كأنه أتاني أت فقال لى اذهب إلى العيناء المرضية فهجم بى على روضة فيها نهر من ماء غير آسن وإذا على شط النهر جوار عليهن من الحللى والحلل مالا أقدر أن أصفه فلما رأينى استبشرن بى وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام يا ولى الله نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامى فإذا أنا بنهر من لبن لم يتغير طعمه فى روضة فيها من كل رينة جوار لما رأيتهن افتنتت بحسنهن وجمالهن فلما رأينى استبشرن وقلن هذا والله زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام يا ولى الله نحن خدمها وإماؤها فتقدم أمامك فتقدمت فإذا أنا بنهر من خمر لذة للشاربين وعلى شط الوادى جوار أنسينى من خلفت فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية قلن لا نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت فإذا أنا بنهر آخر من عسل مصفى وجوار عليهن من النور والجمال ما أنسانى ما خلفت فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية قلن يا ولى الله نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامى فوصلت من خيمة إلى درة بيضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحللى والحلل ما لا أقدر أن أصفه فلما رأتنى استبشرت ونادت من فى الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم قال فدنوت من الخيمة ودخلت فإذا هى قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدرر والياقوت فلما رأيتها افتنتت بها وهى تقول مرحبا بك يا ولى الرحمن قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لأعتقها فقالت مهلا فإنه لم بأن ذلك أن تعانقنى لأن فيك روح الحياة وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالى قال فانتبعت يا عبد الواحد ولا صبر لى عنها قال عبد الواحد فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل الغلام عليهم فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحط فى دمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا رضى الله عنه ولله ذر القائل :

يسمى ويصبح مغرورا وغرارا
حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
فسينبغى لك ألا تأمن النارا

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها
هلا تركت من الدنيا معانقة
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها

الحكاية الثانية عشر

حكى عن بعض الصالحين أنه عبد الله عز وجل أربعين سنة فلما كان فى بعض الليالى أخذته دالة على الله عز وجل فقال إلهى أرنى ما قد أعددت لى فى الجنة وأخبرنى ما قد أعددت لى من الحور العين الحسان فما استتم الكلام حتى انشق المحراب فخرجت منه حورية لو خرجت إلى الدنيا لفتنت من فيها فقال لها أنسية أنت أم جنية فأنشأت تقول :

شكوت إلى المولى وقد علم الشكوى فأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى
وأرسلنى أنسى إليك وإننى أناجيك طول الليل لو تسمع النجوى

فقال يا جارية لمن أنت فقالت أنا لك فقال كم لى مثلك حورية قالت مائة حورية ولكل حورية مائة خادمة ولكل خادمة مائة وصيفة ولكل وصيفة مائة قهرمانة ففرح وقال يا حورية هل أعطى أحد أكثر منى قالت يا مسكين عطاؤه عطاء البطالين الذين يقولون أستغفر الله العظيم فيغفر لهم ثم يستغفرون الله تعالى عند غروب الشمس فيغفر لهم ثم أنشأت تقول :

وله خصائص مصطفون لحبه اختارهم فى سالف الأزمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه فهم ودائع حكمه وبيان

(وأنشدت أيضا تقول :)

نشرت لهم أعلام حب حبيبهم فتبايعوا وتناهبوا الأعلاما
يا حسنهم فى ظل عرش مليكهم كل يقود من النحيب زماما
حتى إذا صاروا بحضرة قدسه كشف المليك حجابه إكراما
فهم الملوك العارفون بربهم والدائبون بيبابه خداما

(قلت) وهذه خمس أبيات قلتها وألحقتها بهذه الأبيات الأربعة :

من غال وياقوت وزاهى جوهر يعملوه نور يسكنون خياما
ومع الحسان الحور عين لو بدت ليلا أنارت بالجمال ظلاما
ولعطرت كل الوجود وزخرفت ولمات كل بالجمعال غراما
يا حسنها بين الجوارى عندما تمشى لتلقى قادمين كراما
يجزون غرفات بها فوق المنى وتحية يلقونها وسلاما

الحكاية الثالثة عشرة عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه

قال كنت فى مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة وإذا فيها رجل يعبد صنما فقلنا له يارجل من تعبد فأوما إلى الصنم فقلنا إن إلهك هذا مصنوع وعندنا من يصنع مثله ما هذا بإله يعبد ، قال فأنتم من تعبدون قلنا نعبد الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض بطشه وفى الأحياء والأموات قضاؤه تقدست أسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه قال ما أعلمكم قلنا وجه إلينا هذا الملك رسولا كريما فأخبرنا بذلك قال فما فعل الرسول قلنا لما أدى إلينا الرسالة وقبضه الملك إليه واختار له مالديه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم ترك عندنا كتاب الملك قال فأرونى كتاب الملك فإنه ينبغى أن تكون كتب الملوك حسانا فأتيناها بالمصحف فقال ما أعرف هذا فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكى حتى ختمنا فقال ينبغى لصاحب هذا الكلام ألا يعصى ثم أسلم وحسن إسلامه وعلماه شرائع الدين وسورا من القرآن فلما كان الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال يا قوم هذا الإله الذى دللتمونى عليه إذا جن الليل ينام قلنا لا ينام يا عبد الله هو عظيم حى قىوم لا تأخذه سنة ولا نوم قال فبئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فأعجبنا كلامه فلما عزمنا على الانصراف عنه قال خذونى معكم فأخذناه فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابى هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه قال ما هذا قلنا دراهم تنفقها فقال لا إله إلا الله دللتمونى على طريق لم تسلكوها أنا كنت فى جزائر البحر أعبد صنما من دونه فلم يضيعنى وأنا لا أعرفه فكيف يضيعنى الآن وأنا أعرفه فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لى إنه فى الموت فأتيته فقلت له هل لك من حاجة قال قضى حوائجى من جاء بكم إلى الجزيرة قال عبد الواحد فغلبتني عيناى فمنت عنده فرأيت روضة خضراء فيها قبة وفى القبة سرير وعلى السرير جارية حسناء لم ير أحسن منها وهى تقول بالله ألا ما عجلتم به إلى فقد اشتد شوقى إليه فاستيقظت فإذا به قد فارق الدنيا رحمه الله تعالى فغسلته وكفنته وواريته فلما كان الليل رأيت فى منامى تلك الروضة وفيها تلك القبة وفى القبة السرير وعلى السرير تلك الجارية وهو إلى جانبها وهو يقرأ هذه الآية ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾^(١) رضى الله عنه .

(١) سورة الرعد ٢٣ ، ٢٤ .

الحكاية الرابعة عشرة عن الشيخ أبي عبد الله القرشي رضي الله عنه

قال كنت عند الشيخ أبي إسحق إبراهيم بن طريف فأتى إليه إنسان فسأله هل يجوز للإنسان أن يعقد على نفسه عقدة لا يحلها إلا بنيل مطلوبه فقال له نعم واستدل بحديث أبي لبابة الأنصاري رضي الله عنه في قصة بنى قريظة وقوله ﷺ أما إنه لو أتاني لاستغفرت له ولكنه إذ قد فعل ذلك بنفسه فدعوه حتى يحكم الله تعالى فيه قال فسمعت هذه المسألة وعقدت على نفسي أنى لا أتناول شيئا إلا بإظهار قدرة فمكثت ثلاثة أيام وكنت إذ ذاك أعمل صناعتي في الحانوت فبينما أنا جالس على الكرسي إذ ظهر لى شخص بيده شئ فى إناء فقال لى اصبر إلى العشاء تأكل من هذا ثم غاب عنى فبينما أنا فى وردى بين العشاءين إذ انشق الجدار وظهرت لى حوراء بيدها ذلك الإناء الذى كان بيد الشخص فيه شئ يشبه العسل فتقدمت إلى والعتنتى منه ثلاثا فصعقت وغشنى علي ثم أفقت وقد ذهبت فلم يطب لى بعد ذلك طعام ولا شراب وأشرب قلبى تلك الصورة فما استحسنت بعدها شخصا ولا كنت أتمكن من سماع كلام الخلق وأقت على ذلك مدة .

الحكاية الخامسة عشرة عن مالك بن دينار رضي الله عنه

أنه كان يوما ماشيا فى أزقة البصرة فإذا هو بجارية من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم فلما رآها مالك نادى أيتها الجارية أبيعك مولاك فقالت كيف قلت يا شيخ قال قلت أبيعك مولاك قالت ولو باعنى كان مثلك يشترينى قال نعم وخيرا منك فضحكت وأمرت به أن يحمل إلى دارها فحمل فدخلت إلى مولاه فأخبرته فضحك وأمر أن يدخل به إليه فأدخل فألقيت له الهيبة فى قلب السيد فقال ما حاجتك فقال بعنى جاريتك قال أوتطبق أداء ثمنها قال قيمتها عندى نواتان مسوستان فضحكوا وقال كيف كان ثمنها عندك هذا قال لكثرة عيوبها قال وما عيوبها قال إن لم تتعطر ذفرت وإن لم تستك بخرت وإن لم تمتشط وتدهن قملت وشعثت وإن تعمر عن قليل هرمت ذات حيض ويول وأقذار وحزن وغم وأكدار ولعلها لاتودك إلا لنفسها ولا تحبك إلا لتنعما لاتقى بعهدك ولا تصدق فى ودك ولا تخلف عليها أحدا بعدك إلا رآته مثلك وأنا بدون ما سألت فى جاريتك من الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور ومن المسك والزعفران والجوهر والنور ولو مزج بريقها أجاج لطاب ولو دعى بكلامها ميت لأجاب ولو بدأ معصمها للشمس لأظلمت وكسفت ولو بدا فى

الظلمات لأنارت به وأشرفت ولو واجهت الأفاق بحليها وحللها لتعطرت بها وترخرفت نشأت في رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان وقصرت في خيام النعيم وغذيت بماء التنسيم لا تخلف عهدا ولا تبدل ودها فأيهما أحق بدفع الثمن قال الذى وصفت قال فإنها الموجودة الثمن القريبة الخطب فى كل زمن قال فما ثمنها رحمك الله قال اليسير المبذول لنيل الخطير المأمول أن تنفرغ فى ليك ساعة فتصلى ركعتين تخلصهما لربك وأن تضع طعامك فتذكر جائعك فتؤثر الله عز وجل على شهوتك وأن ترفع عن الطريق حجراً أو قدراً وأن تقطع أيامك بالبلغة والقلة وترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش فى الدنيا بعز القناعة وتأتى إلى موقف الكرامة آمناً غدا وتنزل فى الجنة دار النعيم فى جوار الملك الكريم مخلدا فقال الرجل يا جارية أما سمعت ما قال شيخنا هذا قالت نعم قال أفصدق أم كذب قالت بل صدق وبر ونصح قال فأنت إذا حرة لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة عليك وأنتم أيها الخدام أحرار وضيعة كذا وكذا لكم وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي فى سبيل الله تعالى ثم مد يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه واستتر به فقالت الجارية لاعيش لي بعدك يا مولاي فرمت بكسوتها ولبست ثوبا خشناً وخرجت معه فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما وأخذاً طريقاً غيره فتعبدا جميعاً حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة رحمة الله عليهما .

الحكاية السادسة عشرة عن جعفر بن سليمان رحمه الله

قال مررت أنا ومالك بن دينار رضى الله تعالى عنه بالبصرة فبينما نحن ندور فيها مررنا بقصر يعمر وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجها منه وإذا هو يأمر ببناء القصر ويقول افعلوا واصنعوا فقال لى مالك أما ترى إلى هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على هذا البناء ما أحوجنى إلى أن أسأل ربي أن يخلصه فلعله يجعله من شباب أهل الجنة يا جعفر ادخل بنا إليه قال جعفر فدخنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام ولم يعرف مالكا فلما عرفه قام إليه فقال ألك حاجة فقال كم نويت أن تنفق على هذا القصر قال مائة ألف درهم فقال ألا تعطينى هذا المال فأضعه فى حقه وأضمن لك على الله عز وجل قصرا فى الجنة خيرا من هذا القصر بولدانه وخدمه وقيانه وخيمة من ياقوتة حمراء مرصعة بالجواهر ترابه الزعفران وملاطه المسك أفيح من قصرك هذا لا يخرب أبدا ولم تمسه يد ولم يينه بان بل قال له الجليل سبحانه كن فكان قال فأجلنى الليلة وبكر على غدا فقال نعم قال جعفر فبات مالك وهو يفكر فى ذلك

الشاب فلما كان في وقت السحر دعا فأكثر من الدعاء فلما أصبحنا غدونا فإذا بالشاب جالس على باب قصره فلما عاين مالكا دهش إليه ثم قال ما تقول فيما قلت بالأمس قال تفعل قال نعم فأحضر البدر ودعا بدواة وقرطاس ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان إنى قد ضمنت لك على الله تعالى قصرا بدل قصرك بصفته كما وصفت وزيادة على الله تعالى واشتريت لك بهذا المال قصرا فى الجنة أفيح من قصرك هذا فى ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب وحملنا المال فما أمسى مالك حتى ما بقى مقدار قوت ليلة وما أتى على الشاب أربعين يوما حتى وجد مالك رضى الله عنه كتابا موضوعا فى المحراب وعندما انتقل من صلاة الغداة فأخذه ونشره فإذا فى ظهره مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار وفيها الشاب القصر الذى ضمنت له وزيادة سبعين ضعفاً قال فبقى مالك رضى الله عنه متعجباً وأخذ الكتاب فقمنا فذهبنا إلى منزل الشاب فإذا الباب مسدود والبكاء فى الدار فقلنا ما فعل الشاب قالوا مات بالأمس فأحضرنا الغاسل فقلنا له ما فعلت أنت غسلته قال نعم قال مالك فحدثنا كيف صنعت قال قبل الموت إذا أنامت وغسلتني وكفنتني اجعل هذا الكتاب بين كفني وبدني فجعلت الكتاب بين كفنه وبدنه ودفنته معه فأخرج مالك الكتاب فقال الغاسل هذا الكتاب بعينه والذى قبضه لقد جعلته بين كفنه وبدنه بيدى قال فكثير البكاء فقام الشاب فقال يا مالك خذ منى مائتى ألف درهم واضمن لى مثل هذا قال هيئات كان ما كان وفات ما فات والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى ودعا له رحمة الله تعالى عليه .

الحكاية السابعة عشرة عن محمد بن السماك رضى الله عنه

قال كان موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي من أنعم بنى أمية عيشا وأرخاهم بالا يعطى نفسه شهوتها من صنوف اللذات فى المأكول والمشرب والملبس والطيب والجوارى والغلمان ليست له فكرة ولا همة إلا فى الذى هو فيه من عيشته ولذته وكان شابا جميلا وجهه كاستدارة القمر وكانت نعمة الله عليه سابعة يستغل فى كل حول نحو من ثلثمائة ألف وثلاثة آلاف دينار ويصرف هذا كله فيما هو فيه من النعيم وكان له مستشرف عال يقعد فيه بالعشيات ويشرف فيه على الناس له أبواب مشرعة إلى الجادة وأبواب مشرعة إلى بساينه وقد ضرب فيه قبة عاج مضيبة بالفضة مطلية بالذهب وهو على سرير عليه غلالة قصب وعلى رأسه عمامة مكللة باللؤلؤ

ومعه في القبة ندماؤه وقد وقف على رأسه الخدم والقينات بحذائه في مجلس خارج من القبة يراهن إذا انتهى سماع القينات نظر نحو الستارة وإن أراد سكوتهن أو ما بيده إلى الستارة فأمكن هذا دأبه إلى أن يذهب الليل ويذهب عقله فتخرج الندماء ويخلو مع من شاء فإذا أصبح اشتغل بالنظر إلى اللاعبين بين يديه بالشطرنج والترد ولا يذكر بين يديه موتاً ولا مرضاً ولا سقماً ولا شيئاً فيه ذكر الغم إلا الفرح والسرور والنوادر التي تضحك ويطيب كل يوم بأنواع الطيب والمشمومات ما يكون في أوانه حتى مضت له سبع وعشرون سنة فبينما هو ذات ليلة في قبته وقد مضى بعض الليل إذ سمع نغمة من حلق شجي خلاف ما يسمع من مطريه فأخذ يقلبه ولها عما كان فيه وأوماً إليهم أن أمسكوا وأخرج رأسه من بعض طبقات القبة إلى الجادة يستمع الذي وقع بقلبه فإذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه فصاح بغلमानه وقال اطلبوا صاحب هذا الصوت وكان عمل فيه الشراب فخرج الغلمان يطوفون فإذا هم بشاب نحيل الجسم دقيق العنق مصفر اللون ذابل الشفتين شعث الرأس قد لصق بطنه بظهره وعليه طمران لا يتوارى بغيرهما حافي القدمين قائم في المسجد يناجي ربه سبحانه وتعالى فأخرجوه من المسجد وانطلقوا به لا يكلمونه ووقفوا به بين يديه فنظر إليه فقال من هذا فقالوا صاحب النغمة التي سمعت قال أين أصبتموه قالوا في المسجد قائماً يصلى ويقرأ فقال أيها الشاب ما كنت تقرأ قال كلام الله عز وجل قال فأسمعني تلك النغمة فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إن الأبرار لفي نعيم إلى قوله تبارك وتعالى عينا يشرب بها المقربون) أيها المغرور إنها خلاف مجلسك ومستشرفك وفرشك إنها أرائك مفروشة بفرش مرفوعة بطائنها من إستبرق على رفر فخر وعبقري حسان يشرف ولي الله تعالى منها على عينين تجريان في جنتين فيهما من كل فاكهة زوجان لا مقطوعة ولا ممنوعة في عيشة راضية في جنة عالية لاتسمع فيها لأغية فيها عين جارية فيها سرور مرفوعة وأكواب موضوعة ومارق مصفوفة وزاري مبثوثة في ظلال وعيون أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار وأي نار إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفترون عنهم وهم ملبسون في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر في سموم وحميم وظل من يحموم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ بينه وصاحبه وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه كلا إنها لظى نزاعه للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى في جهد جهيد وعذاب شديد ومقت من رب العالمين وما هم منها مخرجين

فقام الهاشمي من مجلسه وعانق الشاب وبكى وصاح وقال انصرفوا عني وخرج إلى صحن داره وقعد على حصير مع الشاب ينوح على شبابه ويندب نفسه والشاب يعظه إلى أن أصبح وقد عاهد الله تعالى ألا يعود لمعصيته أبدا فلما أصبح أظهر توبته ولزم المسجد والعبادة وأمر بالذهب والفضة والجواهر والملابس فبيعت كلها وتصدق بها وقطع الإجراء على نفسه ورد الضياع المقتطعة وباع ضياعه وعبيده وجواريه وأعتق من اختار العتق وتصدق به كله ولبس الصوف والخشن وأكل الشعير وكان يحيى الليل كله ويصوم النهار حتى كان يزوره الصالحون والأخيار ويقولون له ارفق بنفسك فإن المولى كريم يشكر اليسير ويثيب عليه الكثير فيقول يا قوم أنا أعرف بنفسى إن جرمى عظيم عصيت مولاي في الليل والنهار وبكى ويكثر البكاء ثم خرج حاجا على قدميه خافيا ما عليه إلا خيشة وما معه إلا ركوة وجراب حتى قدم مكة وقضى حجه فأقام بها إلى أن توفي رحمه الله وكان يدخل الحجر بالليل وينوح على نفسه ويقول سيدي كم لم أراقبك في خلواتي كم أبارزك بالمعاصي سيدي ذهبت حسناتي وبقيت تبعاتي فالويل لي يوم ألقاك والويل من صحيفتي إذا نشرت مملوءة من فضائحي وخطيئاتي بل حل لي الويل من مقتك إياي وتوبيخك لي في إحسانك إلي ومقابلة نعمتك بالمعاصي وأنت مطلع على فعالي سيدي إلى من أهرب إلا إليك وإلى من ألتجئ وعلى من أعتد إلا عليك سيدي إنى لا أستأهل أن أسألك الجنة بل أسألك بجودك وكرمك وفضلك أن تغفر لي وترحمني فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة وأنشدوا في هذا المعنى :

عصيتك جاهلا يا ذا المعالى ففرج ما ترى من سوء حالى
إلى من يرجع المملوك إلا إلى مولاه يامولى الموالى
وقد ألحقت هذين البيتين بثالث فقلت :
فإنك أهل مغفرة وعفو وتواب ومفضال السنوال

الحكاية الثامنة عشرة

حكى أنه كان لهارون الرشيد ولد قد بلغ من العمر ست عشرة سنة وكان قد رافق الزهاد والعباد وكان يخرج إلى المقابر ويقول قد كنتم قبلنا وقد كنتم تملكون الدنيا فما أراها منجيتكم وقد صرتم إلى قبوركم فياليت شعري ما قلتكم وما قيل لكم ويبيكى بكاء شديدا وكان رضى الله عنه ينشد :

تروعنى الجنائز كل يوم ويحزنى بكاء النائحات

فلما كان في بعض الأيام مر على أبيه وحوله ورؤاه وكبار دولته وأهل مملكته وعليه جبة صوف وعلى رأسه مئزر صوف فقال بعضهم لبعض لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك فلو عاتبه لعله يرجع عما هو عليه قال فكلمه في ذلك وقال يابني فضحتني بما أنت عليه فنظر إليه ولم يجه ثم نظر إلى طائر وهو على شرافة من شراريف القصر فقال أيها الطائر بحق الذي خلقتك إلا جئت على يدي فانقض الطائر على كف الغلام ثم قال له ارجع إلى موضعك فرجع إلى موضعه فقال بحق من خلقتك إلا ما سقطت في كف أمير المؤمنين فما نزل فقال له الغلام أنت الذي فضحتني بحبك الدنيا وقد عزمت على مفارقتك ففارقه ولم يتزود منه بشيء إلا مصحف كريم وخاتم وانحدر إلى البصرة وكان يعمل مع الفعلة في الطين وكان لا يعمل إلا يوم السبت بدرهم ودانق يتقوت في كل يوم دانقا قال أبو عامر البصري وقد كان وقع في جدارى حائط فخرجت أطلب من يعمل لى في الحائط إذ رأيت غلاما لم أر أحسن منه وجها وبين يديه زنبيل وهو يقرأ في مصحف فقلت له يا غلام أتعلم فقال ولم أعمل ألعلم خلقت ولكن أخبرني في أى الأعمال تستعملني فقلت في الطين فقال بدرهم ودانق وأصلى صلاتي فقلت لك ذلك ثم مضيت به إلى العمل وتركته يعمل فلما كان المغرب جئته فوجدته قد عمل عمل عشرة رجال فوزنت له درهما فقال يا أبا عامر ما أصنع بهذا وأبى أن يقبل فوزنت له درهما ودانقا فلما كان الغد خرجت إلى السوق في طلبه فلم أجده فسألت عنه فقيل لى إنه لا يعمل إلا يوم السبت ولا تراه إلا يوم السبت الثانى فأخرت العمل إلى السبت الثانى ثم أتيت السوق فإذا هو على تلك الحال فسلمت عليه ثم عرضت عليه العمل فقال كمقالته الأولى فمضيت به إلى العمل فوقف أنظر إليه من بعيد وهو لا يرانى فأخذ كفا من الطين وتركه على الحائط وإذا الحجارة تتركب بعضها على بعض فقلت هكذا أولياء الله تعالى معانون فلما أراد أن ينصرف وزنت له ثلاثة دراهم فأبى أن يقبل إلا درهما ودانقا فوزنت له ذلك فلما كان السبت الثالث جئت إلى السوق فلم أره فسألت عنه فقيل لى له ثلاثة أيام وجع فى خرابة يعالج سكرات الموت فوهبت أجرة لمن يدلنى عليه ومشينا حتى وقفنا عليه فى خراب بلا باب وإذا هو مغشى عليه فسلمت عليه وإذا تحت رأسه نصف لبنة وهو فى حال الموت فسلمت عليه ثانية فعرفتنى فأخذت رأسه وجعلته فى حجرى فمئنى من ذلك وأنشأ يقول :

يا صاحبي لا تغتررتنعم	فالعمر ينفد والنعيم يزول
وإذا علمت بحال قوم مرة	فاعلم بأنك عنهم مسئول
وإذا حملت إلى القبور جنازة	فاعلم بأنك بعدها محمول

ثم قال يا أبا عامر إذا فارقت روحى جسدى فغسلنى وكفى فى جبتى هذه فقلت يا حبيبي ولم لا أكفئك فى ثياب جديدة فقال الحى أحوج إلى الجديد من الميت الثياب تبلى والعمل يبقى وخذ زنبيلي ومزرى فادفعهما للحفار وخذ هذا المصحف والخاتم وامض بهما إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ولا تدفعهما إلا من يدك إلى يده وقل له يا أمير المؤمنين معى وديعة من غلام غريب وهو يقول لك لاتموتن على غفلتك هذه أو قال على غرتك هذه ثم خرجت روحه رضي الله عنه فعلمت أنه ولد الخليفة وعملت بجميع ما أوصانى به وأخذت المصحف والخاتم ودخلت بغداد وقصدت قصر الخليفة هارون الرشيد ووقفت على موضع مشرف فخرج موكب عظيم فيه تقدير ألف فارس ثم تبعه عشرة مواكب فى كل موكب ألف فارس وخرج أمير المؤمنين فى الموكب العاشر فناديت بقرابتك من رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين إلا ما وفت لى قليلا فلما رأتى قلت يا أمير المؤمنين معى وديعة من غلام غريب ثم دفعت إليه المصحف والخاتم وقلت له هذا ما أوصانى به فنكس رأسه وأسبل دمعته وأوصى على بعض الحجاب وقال ليكن هذا عندك إلى أن أسألك عنه فلما رجع هو وأصحابه أمر بالستور فرفعت ثم قال للحاجب هات الرجل وإن كان يجدد على أحزاني فقال لى الحاجب يا أبا عامر إن أمير المؤمنين محزون مهموم فإذا أردت أن تكلمه عشر كلمات فاجعلها خمسا فقلت نعم ودخلت عليه فإذا مجلسه خال فلما رأتى قال ادن منى يا أبا عامر فدنوت منه فقال أتعرف ولدى قلت نعم فى أى شىء كان يعمل قلت فى الطين والحجارة قال أستعملته أنت قلت نعم فقال استعملته وله اتصال برسول الله ﷺ فقلت المعذرة لله تعالى ثم إليك يا أمير المؤمنين فإنى ما علمت من هذا إلا عند وفاته قال أنت غسلته بيدك قلت نعم قال هات يدك فأخذها ووضعها على صدره وهو يقول بأبى كيف كفنت العزيز الغريب ثم أنشأ يقول :

ياغريبـــــــــــــــــا عليه قلبى يذوب ولعينى عليه دمع سكـــــــــوب
يا بعيد المكان حزنى قريـــــــــب كدر الموت كل عيش يطـــــــــيب
كان بدرا على قضيب الجـــــــــين فهوى البدر فى الثرى والقضيب
قال ثم تجهز وخرج إلى البصرة وأنا معه حتى انتهى إلى القبر فلما رآه غشى عليه فلما أفاق أنشد هذه الأبيات :

يا غائبا لا يئوب من سفـــــــــره عاجله موته على صغـــــــــره
ياقرة العين كنت لى أنســـــــــا فى طول ليلى نعم وفى قصره

شربت كأساً أبوك شاربها لا بد من شربها على كبره
أشربها والأنام كلهم من كان من بدوه ومن حضره
فالحمد لله لاشريك له قد كان هذا القضاء من قدره

قال أبو عامر فلما كان تلك الليلة قضيت وردى واضجعت وإذا بقبة من نور عليها سجاف من نور وإذا قد كشف السجاف فإذا الغلام ينادى يا أبا عامر جزاك الله عنى خيراً فقلت يا ولدى إلى ماذا صرت قال إلى رب كريم راض غير غضبان أعطاني مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وآلى على نفسه ألا يخرج عبد من الدنيا مثل خروجي إلا أكرمه مثل كرامتى فاستيقظت فرحاً به بما قال لى وبشرنى به رضي الله عنه (قلت) وقد حكيت هذه الحكاية على غير هذه الصفة من طريق آخر قال الراوى سئل هارون الرشيد عنه فقال إنه ولد لى قبل أن أتلى بالخلافة فنشأ نشأً حسناً وتعلم القرآن والعلم فلما وليت الخلافة تركنى ولم ينل من دنياي شيئاً فدفعت إلى أمه هذا الخاتم وهو ياقوت يساوى مالا كثيراً وقلت لها تدفعين هذا إليه وكان باراً بأمه رحمة الله تعالى عليه .

الحكاية التاسعة عشرة عن عبد الله بن مهران رحمه الله تعالى

قال حجج هرون الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون رضي الله عنه فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به فيينما هم كذلك به إذ أقبلت هودج هارون فكف الصبيان عن الولوع به، فلما جاء هرون نادى بهلول بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال رأيت النبى ﷺ بمنى على جمل وتحت رحل رث فلم يكن ضرب ولا طرد ولا إليك إليك وتواضعك فى سفرك يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك فبكى هرون حتى سقطت الدموع على الأرض ثم قال يا بهلول زدنا يرحمك الله فقال:

هب أنك قد ملكت الأرض طمرا ودان لك العباد فكان ماذا

أليس غدا مصيرك جوف قبر ويحشو التراب هذا ثم هكذا

فبكى هرون ثم قال أحسنت يا بهلول هل غيره قال نعم يا أمير المؤمنين رجل أتاه الله مالا وجمالاً فأنفق من ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله تعالى من الأبرار فقال أحسنت يا بهلول مع الجائزة فقال اردد الجائزة على من أخذتها

منه فلا حاجة لى فيها قال يابهلول إن يكن عليك دين قضيناه فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك فقال يابهلول فنجرى عليك ما يكفيك فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عباد الله فمحال أن يذكرك وينسانى فأسبل هرون السجاف ومضى .

الحكاية العشرون

حكى أنه لما خرج هرون الرشيد حاجاً إلى مكة فرش له من جوف العراق إلى الحرام لبود مرعزى وكان حلف ألا يحج إلا راجلاً فاستند يوماً إلى ميل وقد تعب وإذا بسعدون المجنون قد عارضه وهو يقول :

أليس الموت يأتيك	هب الدنيا تواتيك
وظل الميل يكفيك	فما تصنع بالدني
دع الدنيا لشانيك	ألا ياطالب الدني
كذاك الدهر ييكيك	كما أضحكك الدهر

قال فشهو هرون الرشيد شهقة خر مغشيا عليه حتى فاتته ثلاث صلوات فلما أفاق طلبه فلم يقع له على أثر وبقي متلهفا عليه (ويروى) أن هرون قال فى حجته هذا الكلام الركوب على الخنافس ولا المشى على الطنافس .

الحكاية الحادية والعشرون عن محمد بن الصباح رحمه الله تعالى

قال خرجنا نستقى بالبصرة فلما أصبحنا إذا نحن بسعدون المجنون قاعدا على الطريق فلما رأنى قام وقال إلى أين قلت نستقى قال بقلوب سماوية أم بقلوب خاوية قلت سماوية قال اجلسوا ههنا واستسقوا فجلسنا حتى ارتفع النهار وما تزداد السماء إلا صحوا ولا الشمس إلا حرا فنظر إلينا وقال يابطالون لو كانت قلوبكم سماوية لسقيتم ثم توضأ وصلى ركعتين ولحظ السماء بطرفه فتكلم بكلام لم أفهمه فوالله ما استتم كلامه حتى رعدت السماء وأبرقت وأمطرت جيدا فسألناه عن الكلام الذى تكلم به فقال إليكم عنى إنما هى قلوب حنت فزنت فعاننت فعلمت وعملت وعلى ربها توكلت ثم أنشأ يقول :

أعرض عن الهجران والتمادى
ما العيش إلا فى جوار قوم
وارحل مولى منعم جواد
قد شربوا من صافى الوداد

الحكاية الثانية والعشرون عن مالك بن دينار رضى الله عنه

قال دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون المجنون رضى الله عنه فقلت له كيف حالك وكيف أنت فقال يا مالك كيف يكون حال من أصبح وأمسى يريد سفرا بعيدا بلا أهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديدا فقلت ما يبكيك فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى ولكن بكيت ليوم مضى من عمري لم يحسن فيه عملى أبكاني والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكثود ولا أدري بعد ذلك أصير إلى الجنة أم إلى النار فسمعت منه كلام حكمة فقلت إن الناس يزعمون أنك مجنون فقال وأنت اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا زعم الناس أنى مجنون وما بى جنة ولكن حب مولاي قد خالط أحشائي وجرى بين لحمى ودمى وعظامى فأنا والله من حبه هائم مشغوف فقلت يا سعدون فلم لا تجالس الناس وتخالطهم فأنشأ يقول:

كن من الناس جانبنا
قلب الناس كيف شئنا
وارض بالله صاحبنا
ت تجدهم عقاربنا
(وأنشد بعضهم فى هذا المعنى)

وما زلت مذلاح المشيب مفرقى
فما إن عرفت الناس إلا ذممتهم
فما كل من يهوى يحبك قلبه
وما الناس بالناس الذين عهدتهم
أفتش عن هذا الورى ثم أكشف
جزى الله خيرا كل من لست أعرف
ولا كل من تحبب يكن لك منصف
ولا الدار بالدار التى كنت تألف

الحكاية الثالثة والعشرون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال بينما أنا أطوف وقد هدأت العيون ببيت الله الحرام إذ أنا بشخص قد حاذى البيت وهو يقول رب عبدك المسكين الطريد الشريد من بين يديك أسألك من الأمور أقربها ومن الطاعات أيسرها وأسألك بأصفيائك من خلقك الكرام من الأنبياء عليهم السلام إلا سقيتنى بكأس محبتك وكشفت عن قلبى أغطية جهل معرفتك حتى أرقى بأجنحة الشوق إليك فأتاجيك فى أركان الحق بين رياض العرفان ثم بكى حتى سمعت وقع دموعه على الحصى ثم ضحك وانصرف فتبعته وقلت فى نفسى هذا إما عارف

وإما مجنون فخرج من المسجد وأخذ نحو خراب مكة ثم التفت إلى وقال مالك؟
ارجع أمامك فقلت ما اسمك يرحمك الله، قال عبد الله قلت ابن من قال ابن عبد
الله قلت قد علمت أن الخلق كلهم عبيد الله وبنو عبیده فما اسمك قال سماني أبي
سعدون قلت المعروف بالمجنون قال نعم، قلت فمن القوم الذى سألت الله تعالى بهم
ويحرمتهم قال أولئك قوم ساروا إلى الله تعالى سير من نصب المحبة بين عينيه
وتجردوا تجرد من أخذت الروحانية بقلبه ثم التفت إلى وقال يا ذا النون قلت نعم قال
بلغنى أنك تقول قل شيئاً أسمع من أسباب المعرفة قلت أنت الذى يقتبس من عملك
فقال حق السائل الجواب ثم أنشأ يقول:

قلوب العارفين تحن حتى تحمل بقـربـه فى كل راح
صفت فى ودمولاها فليست لها عن ود مولى من براح

الحكاية الرابعة والعشرون

قيل كان سعدون المجنون رضى الله عنه يدور فى شوارع البصرة ويقف على
كل دار مر بها ويقرأ (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم) ويكئ
وينشد :

فلو لم يكن شئ سوى الموت والبلبلى وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقاً يا ابن آدم بالبكا على نائبات الدهر مع كل مسعد
وكان إذا اشتد به الجوع أنشد : بأنك لا تضيع من خلقتنا
إلهى أنت قد آليت حقاً تؤدى ما ضمنت كما قسمنا
وأنت ضامن للرزق حتى ولكن القلوب كما علمتنا
وإنى واثق بك يا إلهى وكان عليه جبة صوف مكتوب على كمها الأيمن سطر :
عصيت مولاك يا سعيد ما هكذا تفعل العبيد
وعلى الكم الأيسر مكتوب سطران : يأتى به السيد اللطيف
تبا لمن قوته رغيف وهو به راحم رءوف
يعصى إلهاله جلال ومن خلفه سطران
كل يوم يمر يأخذ بعضى يذهب الأطييين منى ويمضى
يا نفس كفى عن المعاصى وتوبى ما المعاصى على العباد بفرض

ومن بين يديه سطران

نحن من طينة عليك السلام
ثم موت تساوى به الأنام

أيها الشامخ الذى لا يرام
إنما هذه الحياة متاع
وعلى عكازه مكتوب سطران

واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
يحصى عليك وما خلفت موروث

اعمل وأنت بذى الدنيا على وجل
واعلم بأنك ما قدمت من عمل

ف قيل له أنت حكيم لست بمجنون فقال أنا مجنون الجوارح لست بمجنون القلب
ثم ولى هاربا رضى الله عنه .

الحكاية الخامسة والعشرون

عن أبى الجوال المغربى رحمه الله تعالى قال كنت جالسا مع رجل صالح بيت
المقدس وإذا قد طلع علينا شاب والصبيان حوله يقذفونه بالحجارة ويقولون مجنون
فدخل المسجد وهو ينادى اللهم أرحنى من هذه الدار فقلت له هذا كلام حكيم فمن
أين لك هذه الحكمة فقال (من أخلص لله الخدمة أورثه طرائف الحكمة وأيده بأسباب
العصمة) وليس بى جنون وزلق بل قلق وفرق ثم جعل يقول:

وعفت الورى شوقا إليه فلم أنم
لأكتم ما بى من هواه فما انكنتم
كشفت قناعى ثم قلت نعم نعم
وإن قيل مسقام فما بى من سقم
وحرمة روح الأتس فى حندس الظلم
فقلت لطرفى أفصح العذر فاحتشم
وأخبرهم أن الهوى يورث السقم
وقرب مزارى منك يا بارئ النسَم

هجرت الورى فى حب من جاد بالنعم
وموهت ذهنى بالجنون على الورى
فلما رأيت الشوق بالحب بائحا
فإن قيل مجنون فقد جننى الهوى
وحق الهوى والحب والعهد بيننا
لقد لامنى الواشون فيك جهالة
فعباتهم طرفى بغير تكلم
فبالحلم يا ذا المن لا تبعدنى

قال فقلت أحسنت لقد غلط من سماك مجنوننا فنظر إلى وبكى وقال أو لا
تسالنى عن القوم كيف وصلوا فاتصلوا، قلت بلى أخبرنى فقال طهروا الأخلاق
ورضوا منه بيسير الأرزاق وهاموا من محبته فى الآفاق واتزروا بالصدق وارتدوا
بالإشفاق وباعوا العاجل الفانى بالأجل الباقى وركبوا فى ميدان السباق وشمروا تسمير
الجهابذة الخذاق حتى اتصلوا بالواحد الرزاق فشردهم فى الشواهد وغيبهم عن الخلائق

لا تأويهم دار ولا يقربهم قرار فالنظر إليهم اعتبار ومحبتهم افتخار وهم صفوة أبرار
ورهبان أحبار ومدحهم الجبار ووصفهم النبي المختار إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا
لم يفتقدوا وإن ماتوا لم يشهدوا ثم أنشأ يقول :

كن من جميع الخلق مستوحشا	مستأنسا بالواحد الحق
واصبر فبالصبر تنال المنى	وارض بما يجـرى من الرزق
واحذر من النطق وأفـاته	فأفـة المؤمن فى النطق
وجد فى السير وشمر كما	شمر أهل السبق للسبق
أولئك الصفوة ممن سما	وخيـرة الله من الخلق

قال فأنسيت الدنيا عند حديثه ثم ولى هاربا وأنا مستأسف عليه رضى الله عنه .

الحكاية السادسة والعشرون عن ابن القصاب الصوفى رحمه الله :

قال دخلنا جماعة إلى المارستان فرأينا فيه فتى مصابا شديد الهوس فولعنا به
وزدنا فى الولع فاتبعناه فصاح وقال: (انظروا إلى ثياب مطرزة وأجساد معطرة قد
جعلوا الولع بضاعة والسخف صناعة وجانبوا العلم رأسا ليسوا من الناس فقلنا له
أتحسن العلم فنسألك فقال أى والله إنى لأحسن علما جما فاسألونى فقلنا: من
السخى فى الحقيقة فقال: الذى رزق أمثالكم وأنتم لا تساءون قوت يوم فضحكنا
وقلنا: من أقل الناس شكرا فقال من عوفى من بلية ثم رآها فى غيره فترك العبرة
والشكر واشتغل بالبطالة واللهو قال فكسر قلوبنا وسألناه عن بعض الخصال المحمودة
فقال خلاف ما أنتم عليه ثم بكى وقال يا رب إن لم ترد على عقلى فرد على يدي
لعلى أصفع كل واحد من هؤلاء صفقة فتركناه وانصرفنا .

الحكاية السابعة والعشرون

عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه :

قال سألت الله عز وجل ثلاث ليال أن يرينى رفيقى فى الجنة فقبيل لى يا
عبد الواحد رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء فقلت وأين هى قيل فى بنى فلان بالكوفة
فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها فقالوا هى مجنونة ترعى غنيمات فقلت أريد أن
أراها فقالوا اخرج إلى الجبانة فخرجت فإذا هى قائمة تصلى وإذا بين يديها عكاز
وعليها جبة صرف مكتوب عليها لا تباع ولا تشتري وإذا الغنم مع الذئب فلا الذئب
تأكل الغنم ولا الغنم تخاف الذئب فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت ارجع يا

ابن زيد فليس الموعد ههنا إنما الموعد غدا فقلت يرحمك الله من أعلمك أنى ابن زيد فقالت أما علمت أن الأرواح جنود مجنونة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقلت لها عظيمى فقالت واعجبا لواعظ يوعظ إنه بلغنى ما من عبد أعطى من الدنيا شيئا فابتغى إليه ثانيا إلا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب بعدا وبعد الأئس وحشة ثم أنشأت تقول:

يا واعظا قام لاحتساب	ترجر قومما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا	هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا	عيبك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي	موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغنى والتمادى	وأنت فى النهى كالمريب

فقلت إنى أرى الذئاب مع الغنم فلا الغنم تفرع من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فلاى شىء هذا فقالت إليك عنى فإنى أصلحت ما بينى وبين سيدى فأصلح ما بين الذئاب والغنم رضى الله عنها ونفعنا بها أمين.

الحكاية الثامنة والعشرون

حكى عن الربيع قال : بت أنا وابن المنكدر وثابت البنانى عند ريحانة المجنونة رضى الله عنها وعنهم أجمعين قال فقامت أول الليل وهى تقول :-

قام المحب إلى المؤمل قومة كاد الفؤاد من السرور يطير
فلما كان جوف الليل سمعنا هاتفا يقول :

لا تأنسن بمن توحشك نظرتة فتمنن من التذكار فى الظلم
واجهد وكد وكن فى الليل ذا شجن يسقيك كأس وداد العز والكرم
فلما ذهب الليل نادى واحزنه واسلبه فقلت مم ذا فقالت :

ذهب الظلام بأنسه ويالفه ليت الظلام بأنسه يتجدد

الحكاية التاسعة والعشرون عن عتبة الغلام رضى الله عنه:

قال خرجت من البصرة فإذا أنا بخباء أعراب قد زرعا وإذا بخيمة مضرورية وإذا بالخيمة جارية مجنونة عليها جبة صوف مكتوب عليها لاتباع ولا تشتري فدنوت منها فسلمت فلم ترد على السلام ثم سمعتها تقول:

أفلح الزاهدون والعابدون	إذ لمواهم أجماعوا البطونا
أسهروا الأعين القريحة فيه	فمضى ليلهم وهم ساهرون

حيرتهم محبة الله حتى
هم ألبا ذوو عقول ولكن
حسب الناس أن فيهم جنونا
قد شجاهم جميع ما يعرفونا

قال فدنوت إليها فقلت لمن الزرع فقالت لنا إن سلم فتركها وأتيت بعض
الأخبية فأرخت السماء مطرا كأفواه القرب فقلت والله لآتينها وأنظر قصتها في هذا
المطر فلماذا بالزرع قد غرق وإذ هي قائمة وهي تقول والذي أودع قلبي من صرف
الصفاء مودة محبته إن قلبي ليوقنن منك بالرضا ثم التفتت إليّ وقالت يا هذا إنه هو
الذي زرعه فأنبته وأقامه فسنبله وركبه فشققه وأرسل عليه غيثا فسقاه واطلع عليه
فحفظه فلما دنا حصاده أهلكه ثم رفعت رأسها نحو السماء وقالت كل العباد عبادك
وأرزاقهم عليك فاصنع ما شئت فقلت لها كيف صبرك فقالت اسكت يا عتبة إن إلهي
لغنى حميد في كل يوم منه رزق جديد الحمد لله الذي لم يزل يفعل بي أكثر مما أريد
قال عتبة فوالله ما ذكرت كلامها إلا هيجنى وأبكاني .

الحكاية الثلاثون عن ذي النون المصري رضى الله عنه :

قال وصف لي رجل من أهل المعرفة في جبل لكام فقصدته فسمعته يقول
بصوت حزين في بكاء وأنين :

يا ذا الذى أنس الفؤاد بذكره
تفنى الليالى والزمان بأسره
أنت الذى ما إن سواك أريد
وهواك غض فى الفؤاد جديد
قال ذو النون فستتبع الصوت فإذا بفتى حسن الوجه، حسن الصوت وقد
ذهبت تلك المحاسن وبقيت رسومها نحيل قد اصفر واحترق وهو شبيهه بالواله الحيران
فسلمت عليه فرد على السلام وبقي شاخصا يقول :

أعميت عيني عن الدنيا وزينتها
إذا ذكرتك وفى مقلتي أرق
فأنت والروح منى غير مفترق
من أول الليل إلى مطلع الفلق
إلا رأيتك بين الجفن والحدق
وما تطابقت الأحداق عن سنة

ثم قال يا ذا النون مالك وطلب المجانين قلت أو مجنون أنت قال سميت به
قلت مسألة قال سل قلت أخبرنى ما الذى حبب إليك الانفراد وقطعك عن المؤانسين
وهمت فى الأودية والجبال فقال حبى له هيمنى وشوقى إليه هيجنى ووجدى به
أفردنى ثم قال يا ذا النون أعجبك كلام المجانين قلت إى والله وأشجانى ثم غاب
عنى فلا أدرى أين ذهب رضى الله عنه .

الحكاية الحادية والثلاثون عن ذى النون المصرى أيضا رضى الله عنه :

قال بلغنى أن بجبل المقطم جارية متعبدة فأحببت لقاءها فخرجت إلى المقطم أطلبها فلم أجدها فلقيت جماعة من المتعبدين فسألتهم عنها فقالوا ترك العقلاء وتساءل عن المجانين فقلت دلونى عليها وإن كانت مجنونة قالوا هى فى الوادى الفلانى فذهبت إلى الوادى فلما أشرفت عليها سمعت صوتا حزينا وهو يقول :

يا ذا الذى أنس الفؤاد بذكره أنت الذى ما إن سواك أريد
قال فاتبعت الصوت فإذا بجارية جالسة على صخرة عظيمة فسلمت عليها
فردت على السلام وقالت يا ذا النون مالك وللمجانين تطلبهم فقلت لها وأنت
مجنونة فقالت لو لم أكن مجنونة ما نودى علىّ بالجنون فقلت لها ما الذى جننك
قالت يا ذا النون (جبه جننى وشوقه هيمنى ووجدته أقلقنى) لأن الحب فى القلب
والشوق فى الفؤاد والوجد فى السر فقلت يا جارية الفؤاد غير القلب فقالت نعم
الفؤاد نور القلب والسر نور الفؤاد فالقلب يحب والفؤاد يشاق والسر يجد قلت وما
يجد قالت يجد الحق قلت وكيف يجد الحق قالت يا ذا النون وجدان الحق بلا كيف
ثم أنشأت تقول :

إن كنت بالوجد موجودا فلا وجدت نفسى وجودك إلا بعد موجودى
فقلت يا جارية ما صدق وجدانك للحق فبكت بكاء شديدا حتى كادت نفسها
تفيض ثم غشى عليها فلما أفاقت نادى تقول أواه أواه منك ثم أنشأت تقول :
فوجدى به وجد بوجود وجوده ووجد وجود الواجدين لهيب
لئن مت حقا فى محبة سيدى فإن المنايا فى الفؤاد تطيب
ثم صاحت صيحة وقالت هكذا يموت الصادقون وغشى عليها ساعة فحركتها
فإذا هى ميتة فطلبت شيئا أحفر لها به قبرا فإذا هى قد غيبت عنى فلم أجدها رحمة
الله عليها .

الحكاية الثانية والثلاثون عن الفضيل بن عياض رضى الله عنه :

قال مكثت فى جامع الكوفة ثلاثة أيام لم أطعم طعاما ولم أشرب شرابا فلما
كان فى اليوم الرابع هزلنى الجوع فبينما أنا جالس إذ دخل على من باب المسجد رجل
مجنون وييده حجر كبير وفى عنقه غل ثقيل والصبيان من ورائه فجعل يجول فى
المسجد حتى إذا حاذانى جعل يتفرس فى ففرعت فى نفسى منه فقلت إلهى وسيدى
أجعتنى وسلطت على من يقتلنى فالتفت إلى وقال :

محل نبات الصبر فيك غريزة فياليت شعري هل لصبرك آخر
قال الفضل فزال عنى جزعى وطاوعنى هلعى وقلت يا سيدى لولا الرجاء لم
أصبر قال فأين مستقر الرجاء منك قلت بحيث مستقر هموم العارفين قال أحسنت
والله يا فضيل إنها لقلوب الهموم عمرانها والأحزان أوطانها عرفته فاستأنست به
وارتحلت إليه فعقولهم صحيحة وقلوبهم غارقة بالأنوار مشرقة وأرواحهم بالملكوت
والأعلى معلقة ثم ولى وأنشأ يقول :

فهام ولى الله فى القفر سائحا وحطت على سير القدوم رواحله
فعداد بخير قد جرى فى ضميره تذوب به أحشاؤه ومفاصله
قال الفضيل فوالله لقد بقيت عشرة أيام لم أطعم ولم أشرب شرابا وجدا
بكلامه فطوبى لمن استوحش من الخلق وأنس بالحق وأشد بعضهم :

أنست بوحدتى ولزمت بيتى فطاب الأنس وصفنا السرور
وأدبنى الزمان فلا أبالى هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما عشت يوما أسار الجند أم ركب الأمير
وأنشد آخر :
كفانى من اللذات ألا يروعنى وزير ولا يسطو على أمير

الحكاية الثالثة والثلاثون عن الشبلى رضى الله عنه :

قال مر بى بهلول المجنون فى بعض الأيام وهو خارج إلى الجبانة ومعه قصبة
قد جعلها فرسه ويده مفرعة وهو يعدو فقلت إلى أين يا بهلول فقال إلى العرض
على الله عز وجل قال فجلست حتى رجعت وقد انكسرت القصبة واحمرت عيناه من
البكاء فقلت له ما كان منك قال وقفت بين يديه على أن يكتبنى من الخدام فلما
عرفنى طردنى قلت هذا القول من بهلول قول عارف محب مقبول صدر من قلب
حزين بالخوف مشغول وفى معنى العرض والرد والقبول أشرت فى هذه العشرة
الآيات أقول :

عرضنا على المولى ونحن عبیده
فمن كان منا ليس يصلح خادما
ومن كان يصلح فهو فى قدس حضرة
حبيب له جباه عريض ورفعة
أولئك خدام كرام وسادة
فمنا شقى رده وسعيده
فعن بابه بالطرد ذاك بعبيد
قريب ومقبول هناك حميد
ومجد على مر الجديد جديد
ونحن عبید السوء بثس عبید

يقابلهم وعد ونحن وعيد
سكارى ولكن العذاب شديد
إلى أن كنا بالعقار نמיד
تطير إلى الرب الكريم وفود
لهم فرح يحلو هناك وعيد

فيا غبنا يوم التغابن عندما
ترى الناس كأنهم سكارى وما هم
تحيط بنا الأهوال من كل جانب
وهم ركبوا نجبا من النور فى الهوى
فلا فزع يحزنهم بل بقربه

(قيل) مثل الصالحين وما زينهم الله به دون غيرهم مثل جند قال لهم الملك
تزينوا للعرض على غداً فمن كانت ريته أحسن كانت منزلته عندى أرفع ثم يرسل
الملك فى السر بزينة من عنده ليس عند الجند مثلها إلى خواص مملكته وأهل محبته
فإذا تزينوا بزينة الملك فخرها على سائر الجند عند العرض على الملك فهذا مثل من
وفقههم الله للأعمال الصالحات :

الحكاية الرابعة والثلاثون قال السرى السقطى رضى الله عنه

خرجت يوماً إلى المقابر فإذا ببهلول المجنون فقلت له أى شىء تصنع ههنا قال
أجالس قوما لا يؤذوننى وإن غبت لا يغتابوننى فقلت له ألا تكون جائعاً وأنشأ يقول:
تجموع فإن الجوع من علم التقى وإن طويل الجوع سيثشبع
(وقيل) لآخر من عقلاء المجانين وقد أقبل من بعض المقابر من أين جئت فقال
من عند هذه القافلة النازلة قيل له ماذا قلت لهم وماذا قالوا لك قال قلت لهم متى
ترحلون فقالوا حين تقدمون (وقيل) لآخر لم لا تصلى فتكلم بكلام عجيب غريب
وأنشد شعراً .

وقد أسقطت حالى حقوقهم عنى
ولم يأنفوا منها أنفت لهم منى

يقولون زرنا واقض واجب حقنا
إذا هم رأوا حالى ولم يأنفوا لها

وأنشد بعضهم شعراً :

أقاسيه من فرط الجوى بسطوا العذرا

يقولون مجنون ولو علموا بما

(وسئل) بعضهم عن هؤلاء المجانين وما يتكلمون به من الحكمة والمعرفة فقال
إن هؤلاء كان لهم فضل وعقل فلما أخذ الله عقلم أبقى عليهم فضلهم .

الحكاية الخامسة والثلاثون عن عطاء رضى الله عنه :

قال دخلت سوقا من الأسواق فإذا بجارية ينادى عليها فاشتريتها بسبعة دنائير على أنها مجنونة وجئت بها إلى منزلى فلما كان الليل وقد مضى بعضه رأيتها قد توضأت واستقبلت القبلة تصلى فسمعتها تختنق بالدموع وتقول إلهى بحبك لا إلا ما رحمتنى فتحققت جنونها وقلت يا جارية لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبى لك فقالت إليك عنى يا بطل فوحق حقه لو لم يحبنى ما أنامك وأقامنى ثم سقطت على وجهها وجعلت تقول :

الكرب مجتمع والقلب محترق والصبر مفترق والدمع مستبق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شىء فيه لى فرج فامنن على به ما دام بى رمق

ثم نادى بأعلى صوتها إلهى كانت المعاملة بينى وبينك سرا والآن قد علم المخلوقون فاقبضنى إليك ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا رحمة الله عليها.

الحكاية السادسة والثلاثون عن الشبلى رضى الله عنه :

قال رأيت مجنوناً فى بعض الطرقات والصبيان خلفه يرحمونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه فزجرتهم عنه فقالوا يا شيخ دعنا نقتله فإنه كافر قلت ما بدا لكم من كفره قالوا يزعم أنه يرى ربه ويحاده فقالت أمسكوا على قليلا ثم تقدمت إليه فوجدته يتحدث ويضحك ويقول فى أثناء ذلك هذا جميل منك تسلط على هؤلاء الصبيان يفعلون بى هكذا، فقلت له يا أخى هؤلاء الصبيان يقولون عنك شيئا قال يا شبلى ما يقولون، قلت يقولون إنك تزعم أنك ترى ربك وتحاده فصاح صيحة عظيمة ثم قال يا شبلى وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بين بعده وقربه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين ثم ولى عنى مسرعا وهو يقول :

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ومشاوك فى قلبى فأين تغيب

قلت الصواب فى هذا البيت أن يقال :

جمالك فى عينى وذكرك فى فمى وحبك فى قلبى فأين تغيب
لأن بعض ألقاظ البيت الذى قاله لا يجوز فى صفات الخالق سبحانه وتعالى.

الحكاية السابعة والثلاثون عن محمد بن محبوب رحمه الله

قال كنت في شارع المارستان فإذا بـغلام قد غلّ وقيد فقال لي يا ابن محبوب أترأه بعد الغل والقيد راضيا عني كل ذلك في جبه ثم بكى وأنشأ يقول:

من ذنوبي يجيق لي أن أنوحا	لم تدع لي الذنوب قلبا صحيحا
أخلقت مهجتي أكف المعاصي	ونعاني المشيب نعيًا صريحًا
كلما قلت قد برا جرح قلبي	عاد قلبي من الذنوب جريحًا
إنما الفسوز والنعيم لعبد	جاء في الحشر آمنًا مستريحًا

الحكاية الثامنة والثلاثون عن علي بن عبدان رحمه الله

قال كان عندنا مجنون يجن بالنهار ويفيق بالليل ويصلي ويناجي ربه إلى الصباح فقلت له يوما منذ كم جننت قال منذ عرفت ثم أنشأ يقول:

أنا الذي ألبسني سيدي	لما تقربت لباس الوداد
فصرت لا أوى إلى مؤنس	إلا إلى مالك رزق العباد

قال فخرجت فإذا أنا ذاهل العقل فدخل وقال آتانا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فعلمت أنه جائع فقدمت إليه طعاما فأكل ثم شرب وأنشأ يقول:

عليك اتكالي لا على الناس كلهم	وأنت بحالي عالم ليس تعلم
وأقسمت إنى كلما جعت سيدي	ستفتح لي بابا فأسقى وأطعم
قلت له أوصني بوصية فأنشأ يقول:	

الزم الخوف مع الخبز	ن وتقوى الله تريح
واترك الدنيا جميعا	إن تقوى الله أرجح
واجتهد في ظلمة الليالي	ل إذا مس الليل جنح
واقرع الباب قليلا	فلعل الباب يفتح

(وقيل) لبعضهم علمني شيئا أنتفع به فقال فر منهم ولا تأنس بهم فيتم اتصالك ويقل عذابك (فقلت زدني) قال (الزم الصدق والتقى واترك العجب والريا واغلب النفس والهوى ترزق السؤال والمنى) فقلت حسبك رضى الله عنه .

الحكاية التاسعة والثلاثون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال رأيت في جبل لبنان في كهف رجلا أبيض الرأس واللحية أشعث أغبر نحيفا نحिला وهو يصلى فسلمت عليه بعد ما سلم من الصلاة فرد على السلام وقام إلى الصلاة فما زال راکعا وساجدا حتى صلى العصر ثم استند إلى حجر وجعل يسبح الله ولا يكلمنى فقلت له رحمك الله ادع الله عز وجل لى فقال: (آسك الله بقربه) فقلت له زدنى فقال يا بني من آتسه الله بقربه أعطاه أربع خصال عزا من غير عشيرة وعلما من غير طلب وغنى من غير مال وأنسا من غير جماعة ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعد ثلاثة أيام ثم قام فتوضأ وسألنى كم فاته من صلاة فأخبرته فقال:

إن ذكر الحبيب هيّج شوقى ثم حب الحبيب أذهل عقلى

وقد استوحشت من ملاقاتة المخلوقين وأنست برب العالمين انصرف عني بسلام فقلت له يرحمك الله وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة وأريد موعظة منك ويكيت فقال: (أحبيب مولاك ولا ترد بحبه بدلا فالمحبون لله هم تيجان العباد وعلم الزهاد وهم أصفياء الله وأحباؤه وعباده وأولياؤه) ثم صرخ صرخة وفارق الدنيا فما كان إلا هنيهة فإذا نحن بجماعة من العباد ينحدرون من الجبل فتولوه حتى واروه تحت التراب فسألت ما اسم هذا الشيخ فقالوا شيبان المصاب رحمه الله ونفعنا به.

الحكاية الأربعون عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا جالس في بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتا يقول يا ذا الأيادى التي لا تحصى ويا ذا الجود والبقاء متع بصر قلبي في الجولان في جبروتك واجعل همتى متصلبة بجود لطفك يالطيف وأعدني من مسالك المتجبرين بجلال بهائك يارءوف واجعلنى لك في الحالين خادما وطالبا وكن لى يا منور قلبي وغاية طلبى في القصد صاحبا قال فطلبت الصوت فإذا هي امرأة كأنها العود المحترق وعليها درع من الصوف وخمار من الشعر قد أضناها الجهد وأفناها الكمد ودوبها الحب وقتلها الوجد فقلت السلام عليك فقالت وعليك السلام يا ذا النون فقلت لا إله إلا الله وكيف عرفت اسمى ولم ترينى قالت كشف لى عن سره الحبيب فرفع عن قلبي حجاب العمى فعرفنى اسمك فقلت ارجعنى إلى مناجاتك فقالت أسألك يا ذا النور والبهاء أن تصرف عني شر ما أجد فقد استوحشت من الحياة ثم خرت ميتة فبقيت متحيرا متفكرا فأقبلت عجوز كالولهاة فنظرت إليها ثم قالت الحمد لله الذي أكرمها

فسألتها من هي فقالت أنا زهراء الوالهة وهذه ابنتي توهم الناس منذ عشرين سنة أنها
مجنونة وإنما قتلها الشوق إلى ربها عز وجل رضى الله عنها وأنشد بعضهم :
قالوا جنت بمن تهوى قلت لهم ما لذة العيش إلا للمجانين

الحكاية الحادية والأربعون

عن الشيخ أبى عبد الله الإسكندرى رضى الله عنه .

قال كنت بجبل لكام أسبج راجيا رؤية الرجال أو النساء من القوم الصالحين
فجمع الله لى مرادى فأول من لقيت امرأة وقد سمعتنى أنشد هذه الأبيات :

يا جيرة الحى من شرقى ذى سلم هل عودة لئالينا على العلم
أيام شملى بكم ياسلم مجتمع وحبل ودى لديكم غير منصرم
ناشدتك الله إن جزت العقيق ضحى فاقراً السلام عليهم غير محتشم
وقل تركت صريعا في دياركم ميتا كحى بغير السقم ذا سقم

قال فلما رأيتهما قلت في نفسي لو كان اجتماعي برجل كان أحسن من امرأة
فقالت يا عبد الله ما رأيت أعجب من حالك أريد الاجتماع بالرجال من لم يصل
إلى مقامات النساء فقلت ما أكثر دعواك فقلت تحرم الدعاوى بغير بيعة فقلت فما
الذى لك من البيعة قالت هو لى كما أريد لأنى له كما يريد قلت فأريد الساعة سمكا
مشويا طريا قالت هذا من نزول مقامك وافتجاعك في غذائك وطعامك وهلا سألته
أن يهب لك من الشوق جناحا تطير به إليه كطيراني ثم طارت وتركنتى فوالله ما
رأيت أمراً من ذلى وأحلى من عزها فعدوت خلفها وقلت يا سيدتى بالذى أعطاك
ومنعنى وجاد عليك وخذلتى جودى على بدعوة فقالت أنت لا تريد إلا دعوة الرجال
ثم أنشدت :

ما الجزع وما الغضا وما نعمان لولاك وما طويلع والبسان
ما ينفعنى العقيق والسكان إن لم أراكم بالحمى سكان
فقلت لها إن لم يكن الدعاء فزوديني منك بنظرة وقلت :

قفى زوديني نظرة من جمالك وإلا دعيني سائرا مع جلالك
وقولي لحادى العيس هذا أسيرنا ترفق بصب واله متسهالك
وجودى على المشتاق يوماً بنظرة وفاء له إن الوفاء من فعالك

فقالت إن الذي أنا فيه من الخطر أولى من اشتغالك بالنظر قلت والدعاء لا بد منه قالت في غداك تلقى السيد الداعي والمولى المجيب الواعي والمليح المقبول في المساعي ثم مرت ولحلو العيش أمرت غابت عنى ما غابت بل بسهام حالها رمت قلبى فأصابت ثم بت ليلتى ببليتي قد بليت بشرف بالها يلبابى وقطعت لما قطعت بسيف حبها أوصالي فلما كان من الغد إذا أنا برجل يزحف عليه آثار المآثر وبه من الحب نائر فقلت إن كان الرجل المشار إليه كما ذكرت فهو هذا فاقبل بإقباله وقبوله على وقال نعم هو هو قلت يا سيدى فلعل إرفادى بدعوة يكون لى بها عند الحبيب حظوة فقال يا أبا عبدالله فاتك دعاء من ليس لها دعوى أما كان عندك من بصر البصيرة ما تعرف به ريحانة الكوفية ولكن يا أبا عبد الله ما أقدر أن أدعو لك حتى تصل إلى مقام مجانينا وفي غد تراهم وتؤمن بما من الوجد اعتراهم ثم غاب عنى فلم أره فأدركنى من الوجد مالا أعبر عنه ولا أقدر على فراغي منه ثم أنشد لسان حالي :

أنا شيخ الهوى بزواية الحب	ومن يدعى الغرام مريدى
والذي مات بالغرام شهيدا	ذاك في شرعة الهوى من شهودى
وفقيه مدرس سنن العشر	ق فمن ذا الذى يكون معيدى
وإذا ما ادعى المحبة قوم	دع دعاويهم فهم من عبيدى
يا أهيل الهوى إلى هلموا	أنا سلطانكم وأنتم جنودى
قلت للقلب قد ملئت غراما	فأجاب الفؤاد هل من مزيد
سكرة الحب أين منها خلاصي	ليس عن سكرة الهوى من محيد
وإذا أنكر العذول غرامي	فالهوى سائقى ودمعى شهودى

فلما كان من الغد إذا بقارئ يقرأ (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه) بصوت رخيم من قلب حزين رحيم يكاد سامعه يذوب شوقا ومستحديه يتوله جنونا وعشقا ومجاريه لا يجاريه سعيًا وسبقًا فالمطرود يناديه بحضرة نادية كم تسعد وأشقى فقلت وقد استعبدنى بحسن صوته رفقا بالذى جاد بنعمة النعمة حقا ارفق بقلب شقه خوف الفراق شقا وجعله على لبة أطيّار العشق عنقا وصيره صريعا على مصارع أبواب أرباب الوصل والوصول ملقى قال فبرر لى رجل قد خنقه الحب خنقا وقال ما تريد بالمجنون الذى دمعه لا يرقا وجنونه لا يداوى ولا يرقى وعمره في الطريق ينادى الحريق فما يرى نحو الغريق سحابا ولا برقًا ولكن قد أحالوك على في الدعاء بنسبة الجنون بيننا وفقا فعليك بجناب المجانين وانشق من حبههم نشقا والزم سنة محمد صل.

الله عليه سلم تدم وتبق واحذر أن تخرج عنها فتسمع منه وقد غضب سحقا سحقا فقلت أوصني فقال ارحم نفسك من الذنوب فإنها ضعيفة وارفق بها رفقا وإياك ودياك فإنها تجعل أعالي أبنائها ببحرها غرقى وأر ساطهم شرقي وأدناهم حرقى ومع هذا متعك الله قبولا ووصولاً وصدقاً وجعلك من قوم رضى الله عنهم فقال عز من قائل أولئك هم المؤمنون حقا ولا أحرمك لذة النظر ولا جعلك ممن يقنع بعد العيان بالخبر ففهمت ما أشار إليه رحمة الله عليه .

الحكاية الثانية والأربعون عن ذى النون رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير في جبل أنطاكية إذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جبة صوف فسلمت عليها فردت علي السلام ثم قالت ألت ذى النون فقلت عافاك الله كيف عرفتنى فقالت عرفتك بمعرفة حب الحبيب ثم قالت أريد أن أسألك عن مسألة قلت سلى قالت أى شىء السخاء قلت البذل والعطاء قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قلت المسارعة إلى طاعة رب العالمين قالت فإذا سارعت إلى طاعة المولى فهو أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد منه شيئا ويحك يا ذى النون إنى أريد أن أطلب منه شيئا منذ عشرين سنة فأستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة ولكن أعمل تعظيما لهيبته وعز جلاله ثم مرت وتركتنى رضى الله عنها .

الحكاية الثالثة والأربعون عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير في تيه بنى إسرائيل إذا أنا بجارية سوداء قد استلبها الوله من حب الرحمن شاخصة ببصرها نحو السماء فقلت السلام عليك يا أختاه فقالت وعليك السلام يا ذى النون فقلت لها من أين عرفتنى يا جارية فقالت يابطال إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم أدارها حول العرش فما تعارف منها أتلّف وما تناكر منها اختلف فعرفت روحى روحك في ذلك الجولان وأنشدت تقول: إن القلوب لأجناد مجنّدة لله في الغيب والأهواء تختلف فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

قال ذو النون رضى الله عنه فقلت إنى لأراك حكيمة علمينى شيئا مما علمك الله فقالت يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله تعالى، ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الرب عز وجل فحينئذ يقيمك على الباب ويوليك ولاية جديدة ويأمر الخزان لك بالطاعة فقلت يا أختاه زيدينى فقالت يا أبا الفيض خذ من نفسك لنفسك وأطع الله تعالى إذا خلوت بحبيبك إذا

دعوت رضى الله عنها ورحمها.

الحكاية الرابعة والأربعون عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال حججت على الوحدة فجاورت بمكة فكنت إذا جن الليل دخلت الطواف

وإذا بجارية تطوف وتقول:

أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته
إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره
فأصبح عندى قد أناخ وطنبا
وإن رمت قربا من حبيبي تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا به له
ويسعدني حتى ألد وأطربا

قال فقلت لها يا جارية أما تتقين الله في مثل هذا المكان تتكلمين بهذا الكلام

فالتفتت إلي وقالت يا جنيد :

لولا التقى لم ترنى
إن التقى شردنى
أفر من وجدى به
فجبه هيمنى

أهجر طيب الوسن
كما ترى عن وطنى
فجبه هيمنى

ثم قالت يا جنيد أنت تطوف بالبيت أم برب البيت فقلت أطوف بالبيت فرفعت رأسها إلى السماء وقالت سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قرية
وتأهوا فلم يدروا من التيه من هم
إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر
وحلوا محل القرب في باطن الفكر
فلو أخلصوا في الود خبت صفاتهم
وقامت صفات الود للحق بالذكر

قال الجنيد فغشى على من قولها فلما أفقت لم أرها رضى الله عنها.

الحكاية الخامسة والأربعون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال لقيت امرأة في تيه بنى إسرائيل عليها مدرعة من شعر وخمار من صوف وفي كفها عكار من حديد فقلت السلام عليك ورحمة الله فقالت عليك السلام ورحمة الله ما للرجال وخطاب النساء عافاك الله فقلت أنا أخوك ذى النون المصرى، فقالت مرحبا حياك الله بالسلام قلت ما تصنعين ههنا قالت كلما آتيت إلى بلد يعصى فيه الحبيب ضاق على ذلك البلد فأنا أطلب بقعة طاهرة أخرج عليها ساجدة أناجيه بقلب ذاب من شدة الشوق إلى لقائه، قلت ما سمعت أحدا يذكر الحبيب أحسن من ذكرك فأى شيء المحبة، فقالت سبحان الله أنت الحكيم الواعظ وتسالني عن المحبة أول المحبة يبعث على الكد الدائم حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفاء جرعه من محبته لذيد الكئوس ثم صرخت وخرت مغشيا عليها فلما أفاقت رضى الله عنها

قالت :

أحبك حين حب الهوى
فأما الذي هو حب الهوى
وأما الذي أنت أهل له
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
وحببا لأنك أهل لذاك
فشغلى بذكرك عن سواك
فكشفك لي الحجب حتى أراك
ولكن لك الحمد في ذا وذاك

الحكاية السادسة والأربعون عن محمد بن رافع رحمه الله

قال أقبلت من بعض بلاد الشام فبينما أنا في بعض الطريق رأيت فتى عليه جبة من صوف ويده ركوه فقلت أين تريد قال لا أدري فقلت من أين جئت فقال لا أدري فظننته موسوسا فقلت من خلقك فاصفر لونه حتى كأنه صبغ بالزعفران ثم قال خلقتني من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فقلت يرحمك الله أنا من إخوانك ومن يأنس إلى أمثالك فلا تنقبض مني فقال إني والله أود لو جاز لي ترك الجماعات حتى أنفرد في شاهق منيف صعب المرتقى أو في غار لعلى أجد قلبي ساعة يسلو عن الدنيا وأهلها فقلت وما جنت عليك الدنيا حتى استحقت منك هذا البغض فقال جنائياتها العمى عن جنائياتها فقلت هل من دواء تعالج به من هذا العمى الذي حجب عنى ما يراد بي، فقال ما أراك تقدر على هذا العلاج فاستعمل من الدواء أسره فقلت صف لي دواء لطيفا، قال فما داؤك قلت حب الدنيا فتبسم وقال أى داء أعظم من هذا ولكن اشرب السموم الطرية والمكاره الصعبة قلت ثم ماذا قال ثم مر الصبر الذى لا جزع فيه والتعب الذى لا راحة فيه قلت ثم ماذا قال ثم الوحشة التى لا أنس فيها والفرقة التى لا اجتماع معها قلت ثم ماذا قال ثم السلوى عما تريد والصبر عما تحب فإن أردت فاستعمل هذا وإلا فتأخر واحذر الفتن فإنها كقطع الليل المظلم قلت له فدلنى على عمل يقربنى إلى الله عز وجل فقال يا أخى قد نظرت في جميع العبادات فلم أر أرفع أو قال أنفع من الفرار من الناس وترك مخالطتهم يا أخى رأيت القلب عشرة أجزاء فسعة مع الناس وجزء مع الدنيا فمن قوى على الانفراد حاز تسعة أجزاء من القلب ثم غاب عنى فلم أره رضى الله عنه .

الحكاية السابعة والأربعون عن بعض الصالحين رضى الله عنهم

قال مررت بطبيب وبين يديه جمع من الناس وهو يصف لهم ما يشربون فتقدمت إليه فجس يدي جسا لطيفا وقال لي :

أرى بك داء ليس يبلغه وصفى
ولكن بحمد الله يسريك ذو اللطف
فصحت من الآلام صبيحة مغرم
صدقت وقد أظهرت جملة ما أخفى
فجدلى بوصف فيه برئى من الضنا
فقد حل ما بى من سقامى ومن ضعفى

قال فأطرق ساعة ثم قال خذ عروق الفقر مع ورق الصبر مع إهليلج التواضع
ثم ألق الجملة في ظرف اليقين واجعل عليه ماء الخشية والحيا وأوقد تحته نار الحزن
والشجن ثم صنفه بمنخل المراقبة في جام الرضا وامزجه بشراب التوكل وتناوله بكف
الصدق واشربه بكأس الاستغفار وتمضمض بعده بماء الورع واجعل حميتك في ترك
الحرص والطمع فإنك إن فعلت هذا رجوت لك الشفاء إن شاء الله تعالى وأنشدوا:

قل للطبيب إذا ماجئت تسأله هل في علمك ما يشفى من الكمد
إنى مرضت بأوزارى وفجعتهها وليس بى ألم أشكوه في جسدى

الحكاية الثامنة والأربعون

قيل مر أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه في بعض شوارع
البصرة فإذا هو بحلقة كبيرة والناس حولها يمدون إليها الأعناق ويشخصون إليها
بالأحداق فمضى إليهم لينظر ما سبب اجتماعهم فإذا فيهم شاب حسن الشباب نقى
الثياب عليه هيبة الوقار وسكينة الأخيار وهو جالس على كرسي والناس يأتونه بقوارير
من الماء وهو ينظر في دليل المرضى ويصف لكل واحد منهم ما يوافق من أنواع الدواء
فتقدم إليه وقال السلام عليك أيها الطبيب ورحمة الله وبركاته هل عندك شيء من
أدوية الذنوب فقد أعيا الناس دواؤها يرحمك الله فأطرق الطبيب رأسه إلى الأرض
ولم يتكلم فناده ثانية كذلك فلم يتكلم فناده ثالثة كذلك فرفع رأسه بعد ما رد السلام
فقال أو تعرف أدوية الذنوب بارك الله فيك قال نعم قال صف وبالله التوفيق قال
تعمد إلى بستان الإيمان فتأخذ منه عروق النية وحب الندامة وورق التدبر وبذر الورع
وثمر الفقه وأغصان اليقين ولب الإخلاص وقشور الاجتهاد وعروق التوكل وأكمام
الاعتبار وسيقان الإنابة وترياق التواضع تأخذ هذه الأدوية بقلب حاضر وفهم وافر
بأنامل التصديق وكف التوفيق ثم تضعها في طبق التحقيق ثم تغسلها بماء الدموع ثم
تضعها في قدر الرجاء ثم توقد عليها بنار الشوق حتى ترغى زبد الحكمة ثم تفرغها
في صحائف الرضا وتروح عليها بمراوح الاستغفار ينعقد لك من ذلك شربة جيدة ثم
تشربها في مكان لا يراك فيه أحد إلا الله تعالى فإن ذلك يزيل عنك الذنوب حتى لا
يبقى عليك ذنب ثم أنشأ الطبيب يقول:

ياخاطب الحوراء في خدرها شمر فتقوى الله من مهرها
وكن مجدا لا تكن وانيا وجاهد النفس على صبرها
ثم شهن شهقة فارق بها الحياة الدنيا فقال رضى الله عنه إنك لطبيب الدنيا
وطبيب الآخرة ثم أمر بتجهيزه ودفنه رحمة الله عليه.

الحكاية التاسعة والأربعون عن ذى النون رضى الله عنه

قال مررت ببعض الأطباء وحوله جماعة من الرجال والنساء وهو يصف لكل
واحد منهم ما يوافق من الدواء فدنوت إليه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت
يرحمك الله صف لي دواء الذنوب وكان حكيما حاذقا فأطرق ساعة ثم قال لى إن
وصفت لك تفهم فقلت نعم إن شاء الله تعالى فقال خذ عروق الفقر مع ورق الصبر
مع إهليلج التواضع مع بليج الخضوع مع دهن بنفسج الهية مع خطمية المحبة مع تمر
هندي السكينة مع ورد الصدق فإذا جمعت الأوصاف فأجملها في قدر الأحكام
وصب فوقها من ماء الأحكام وأوقد تحتها بنار الاشتياق والاحتراق وحركها بأصطام
العظمة يزيد زيد الحكمة فإذا صفا بصفاء الفكرة فاجعله في جام الذكر وصفه بأوراق
الرضا واجعل فيه محمود الإنابة وغض مقل الجد في العمل واشربه في حانوت
الخلوة وتمضمض بماء الوفاء وغير فاك بسواك الخوف والجوع وشم تفاح القناعة وامسح
شفتيك بمنديل الإعراض عما سوى الله تعالى فهذه شربة تحبط الذنوب وتقرب من
علام الغيوب.

الحكاية الخمسون

حكى عن أحدهم أنه مرض وضعف واصفر لونه فقيل له ألا ندعو لك طبيبا
يداويك من هذا المرض فقال الطبيب أمرضنى ثم أنشد :
كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طبيبي
(وقال) ذو النون المصرى رضى الله عنه إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا
نصب أعينهم وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبدلوا من
غير وعي ولا بكم وإنهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله وبرسوله ﷺ ثم شربوا
بكأس الضفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت
فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت أوراق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا
فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك
للدنيا واستلأنوا خونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت

أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا
خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدیر الحكمة
وركبوا في سفينة العطفة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض
الراحة ومعدن العز والكرامة (وقال) رضى الله عنه اللهم اجعلنى من الذين تاهت
أرواحهم في الملكوت وكشف لهم حجاب الجبروت فخاضوا في بحر اليقين وتنزهوا
في ظهر رياض المتقين وركبوا في سفينة التوكل وأقلعوا بشرع التوسل وساروا بريح
المحبة في جداول قرب العزة وحطوا بشاطئ الإخلاص فنبذوا الخطايا وحملوا
الطاعات برحمتك يا أرحم الراحمين وأنشد بعضهم :

ركب المحب إلى الحبيب سفينة	تجري من الخطرات في أمواج
في سرسر السر سرا أقلعت	في لج بحر زاخر عجاج
ياحسنها تجرى به متفردا	بعلومه في جناح ليل داج
فالقلب مشكاة وفيه زجاجة	قد علقت بسلاسل المنهاج
متوقد بالنور من زيتونة	تسقى سراجا فاق كل سراج

وفي شىء من هذه المعانى قلت لما جاءتهم عناية الفضل تركوا الفضول وسافروا
إلى منازل الوصول وركب السادات على خيل السعادات واستعانوا في سفرهم على
سلوك الطريق بزاد التقوى المعجون بماء التوفيق وراضوا خيلهم في رياض الرياضة
وضمروها وأجموها بلجام منع الالتفات إلى غير مولاهم وزجروها وضربوها بسوط
الخوف وحركوها بإعمال أعمال الشوق وركضوها إلى غاية المنى في ميدان السوق
ونالوا بمواضى عزائم الهمم العوالى عزيز مكرمات مجد المعالى باجتلاء بعض عرائس
الأنوار فى جنات سرر ومعارف الأسرار بعد ما جاهدوا في سلوك الطريق عساكر
الهوى لما عرضوا للصد والتعويق وذبخوا نفوس الهوى بسيوف المخالفة وطعنوا فرسان
الطبع برماح ترك العادات السالفة وطهروا بماء الدموع الطهور نجاسات الذنوب
والعيوب وسائر الشرور حتى صحت لهم العبادة المفتقرة إلى الطهارة كالصلاة وداووا
قلوبهم من أمراض علل حب الدنيا وسائر الحظوظ والجاه وأحرقوا أشجار خبثها بنار
حزن القلب الأواه وطيبوها بماء ورد الأوراد وأحيوا ميتها بذكر الله واعجباه كيف
نعرف تلك المواهب والأحوال ولا نتداوى من الداء العضال الذى بيننا وبينها حال
فنبأ مثلهم من الأسقام التى أمرضت منها القلوب ونصير على مرارة المراهم التى
صبروا عليها حتى نشفى مثلهم وتزول عنا علل العيب لقد عجزنا وملنا إلى الهوى

وإلف العادة ولم نخرج عن الرعونات والطباع التى خرج عنها السادة فلم نتعظ بعظة
ولم نتزجر عن نهى ولم نأتمر بأمر وذلك من سوء حظ أنفسنا ولم تساعدنا السعادة
وإلا فنحن نعرف مراهم الداء التى تداوى بها السعداء وفيها قلت في بعض القصائد
منشدا:

ومع غارقون الذكر مغلى عزائم
بها براء معلول وإيقاظ نائم
وجوع وصمت مع سهاد مداوم
طبيب قلوب أو طبيب معالم
وذنها نأى عنه الذكا غير فاهم
ورتق لفتق من طعام مخاصم
يأبيض مسلول من العلم صارم
بداء هوى طبع النفوس الظورالم
لذلك مركوم الهوى غير شام
ويسمع تكليما حلا من منادم
وليس بمشتاق له غير طاعم
ليهننا بعيش للأحبة ناعم
وياضبعة الأعمار سوق المواسم
لقد فاتنا كل المنى والمكارم
ولم ندر طعم الحب مثل البهائم
سكرنا وغبنا عن جميع العوالم
وياح بمكتوم الهوى كل كاتم
ونور وأسرار وطيب تنادم
ولا ليلى ولا سلمى ولا أم سالم
ويرجى لعبد قارع الباب لازم
وصل على المختار من آل هاشم

فترياق تقى مع سفوف رياضة
مراهم أسقام القلب نواقع
وأركان بنيان الرياضة عزلة
وليس طبيب في جميع الورى سوى
فهذا يداوى الناس من داء جهلهم
بفتق الرتق في غوامض مشكل
عن السنة الغرا يذب مجاهدا
وهذاك يشفى قلب كل معلل
فيشتم طيبا فاح من جانب الحمى
وينظر نورا من جمال محير
ويطعم من طعم إلهى ما يشوقه
فمن ذاق طعم الحب يشتاق للقا
فيا أسفا يا حسرتا يامصيبنا
كما لم نكن كالغير أهلا لقربه
ثموت ولم ننظر جمال جلاله
فلو شاهدت ذاك الجمال أعيننا
وملنا نشاوى من شراب محبة
ونحن حجبنا عن عجائب قدرة
فما العيش إلا ذاك لا عيش عزة
وذلك فضل الله يؤتبه من يشا
فيارب وفق واجف وافتح وعافنا

(وقلت في ذلك المعنى في أخرى)

لذكر وفكر حب عن كل مشغل
خلافا ولم ترجع إلى الطاعة اقتل
فما خيب المولى رجاء مؤملا

فجرد لسيف الصديق بعد تجرد
به النفس إن رامت هواها وحاولت
وداوم ولازم قرع باب مؤملا

وقل واعظا للنفس عند التمللمل
منايا كرام فاصبرى وتململى
بدهن رياضات وتوب معجل
وفي سيل عين كل أوساخه اغسل
لسكنى أراض منه طابت وأجبل
أن اتخذى منها بيتا بها احللى
بوابل غيث الغوث من رحمتى اهطل
وأرضا ويجرى كل عين ومنهل
إليها بزكى ثمرك الطيب احلملى
أضءاء لكل الكون علو وأسفل
بمشكاته من زيت تقسواه مشعل
وإجاص إخلاص وتين التوكل
وأعناب أشواق بها القلب ممتلى
وموز الحيا مبدى رجاء السفرجل
جنى من جناها كل دان مذل
ويا نفسه أحلى نفيس له كللى
ير عيش غبن غير عيش منكل
ولكن بأخبار الصدوق المعدل
حكى فضل حال الأولياء بالتطفل

وصابر فما نال العلا غير صابر
مع الصبر إحدى حسنيين منك أو
وداو لسقم القلب واعمر خرابه
وأحرق بنار الحزن أشجار خبثه
وطيب بورد الورد واجعله صالحا
فيوحى إلى الأسرار كالنحل ربها
ويوحى لسحب الجود من فيض فضله
فيحى الحيا منه شعابا وأنجدا
وينبت أشجار المعارف موحيا
فيزهر أنوارا لسوامع برقها
بمصباح قلب في زجاجة صدره
ويثمر خوخ الخوف في روضة الرضا
وأرطاب حب قد جنتها يد الهوى
ورمان إجلال وتفتح هيبة
جنان جنان عارف بمعارف
فيا طرف قلب عش برؤياك طرفه
وياطيب عيش ناعم من رآك لم
وماذاقك الحاكى ولا شم أو رأى
طفيلى حالى في زرى فضوله

(وقلت في ذلك المعنى في أخرى)

لدى شهوة أو عند صدم بلية
ويبدو نحاس النحاس في كل محنة
دروع الرضا والصبر في كل شدة
وراحوا وقد أرووا مواضى الأسنة
وأرخوا لها نحو العلا للأعنة
بيض العوالى في القصور العلية
فأضحوا ملوك الدهر فوق الأسرة
وفقر غنى والحزن كل مسرة
شراب كئوس حاليات هنية

وعبد الهوى يمتاز من عبد ربه
بكير البلى يبدو من التبر حسنه
حلا من حللى قوم كرام تدرعوا
ولاقوا طعان النفس في معرك الهوى
وساقوا جياذ الجود عند استباقهم
سموا فاحتلوا بيض المعالى عواليا
مقامات قوم أتعبوا النفس في السرى
بذل أنيلوا العز والجهد راحة
وطيب عيش بالطوى ثم بالظما

بجنات وصل في رياض معارف
جنوا من جناها زاكيا لا يذوقه
تسلت عن الدنيا وماتت عن الهوى
وصلت عليها صالحات فعالها
وشيلت على نعش انتعاش إلى البقا
وقومها في البعث باعث عقلها
وألزمها تمشى صراط استقامة
هوت جوف نار الهجر والبعد والقلى
ونالت مناها والسعادة كلها
إلهى تفضل بالعطا واكشف الغطاء
وصل على خير الأنام وآله

لهم ذلت منها قطوف تدلت
من الخلق إلا كل نفس زكية
وغسلها في موتها ماء دمعة
وقد كفت في بيض أثواب توبة
بقبر خمول شق في أرض غربة
وحاسبها في كل مثقال ذرة
دقيقا كحد السيف إن عنه زلت
وإن ثبتت سارت بجنبات وصلة
فيا سعد نفس أدركت ما تمت
وكل الخطا فاغفره وامن بجنة
وأصحابه والحمد لله تمت

قلت وهذه الأقوال أقولها بغير أفعال كما قال بعض الرجال ما يأتي ذكره قريبا وأستغفر الله من هذا الحال ومن كل حال وأسأله التوفيق لصالح الأعمال وحسن الخاتمة عند منتهى الآجال.

الحكاية الحادية والخمسون عن سرى رضى الله عنه

قال بينما نحن نسير في بعض بلاد الشام إذ قال واحد منا ههنا عابد فميلوا بنا إليه لعل الله يسخره يكلمنا فملنا إليه فوجدناه يبكى فقلنا له ما يبكى العابد فقال مالى لا أبكى وقد توعدت الطريق وقل السالكون فيها وهجرت الأعمال وقل الراغبون فيها وقل الحق ودرس هذا الأمر فلا أراه إلا في لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال قد افترش الرخصة وتمهد التأويل واعتل بزلل العاصين ثم صاح صيحة وقال كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا وانقطعت عن روح ملكوت السماء ثم جعل يقول واغماه من فتنة العلماء واكرباه من حيرة الأدلاء وجال جولة ثم قال أين الأبرار من العلماء بل أين الأخيار من الزهاد ثم بكى وقال شغلهم والله طول الأمل عن رد الجواب وعن ذكر الجنة والنار والثواب والعقاب وطول الحساب ثم قال أستغفر الله من شهوة الكلام تنحوا عنى فخليناه يبكى وقد ملئنا منه غما وهما رضى الله عنه وأنشد أحدهم:

وغير تقى يأمر الناس بالتقى طيب يداوى الناس وهو عليل

وقلت في هذا المعنى في ذم نفسي

يعلم لا بأعمال وقول
بلا فعل وندب لا انتداب
أمور غير فعال ونهاه
فعول للمناهى ذو ارتكاب

وقلت أيضا

إلهى لئن لم تعف فالويل كله
تعلم علما ليس فيه بعامل
فإن تتقم من ظالم شر ظالم
وإن تعف منك العفو فضل أنت به
على مجذب عطشان لهفان مقفر
لعبد مسيء ذى ضلال وباطل
وكم قال من قول وليس بفاعل
فعدل أتى من عادل خير عادل
سحائب جود جاد بالخصب هائل
فقير إلى غوث يغيب ووابل

الحكاية الثانية والخمسون عن أحدهم

قال رأيت عند قبر النبي ﷺ تسعة من الأولياء فتبعتهم فالتفت إلى أحدهم وقال لي أين تمر فقلت أسير معكم لحبى فيكم فإني سمعت عمن زرموه ﷺ أنه قال المرء مع من أحب، فقال أحدهم إنك لن تقدر على المسير إلى هذا الموضع الذى نقصده فإنه لا يقدر عليه إلا من بلغت سنه أربعين سنة فقال آخر دعه لعل الله يرزقه فسرت معهم والأرض تطوى من تحتنا طيا والحب يقول للعشاق هيا وأنشدوا في المعنى:

والله ما جئتكم زائرا
إلا رأيت الأرض تطوى له
ولا انثنى عزمى عن بابكم
إلا تعثرت بأذياله

قال فلم نزل كذلك حتى انتهينا إلى مدينة مبنية بالذهب والفضة وأشجارها متعانقة وأنهارها مطردة رائقة وفواكهها كثيرة فائقة فدخلنا وأكلنا من ثمارها وأخذت معى ثلاث تفاحات فلم يمنعننى من أخذها فسألتهن عند الانصراف عن المدينة فقالوا هذه مدينة الأولياء إذا أرادوا التتزه ظهرت لهم أينما كانوا ما دخلها أحد قبل الأربعين غيرك فلما دخلنا مكة أعطيت الدامغانى تفاحة فقذفها فلامنى أصحابي وقالوا اردد ما أعطيت إلى مكانه وكنت كلما جعت أكلت من التفاحة وهي لا تتغير ورجعت إلى أهلى وقد بقيت معى تفاحة واحدة وهي التى ادخرتها لنفسي فعانقتنى أختى وقالت أين الذى أطرفتنا به من سفرك فقلت وما الذى أطرفكم به وأنا بعيد عن الدنيا وعن الراحة فقالت أين التفاحة فعميت عليها وقلت وأى تفاحة قالت يا مسكين والله لقد أدخلونى تلك المدينة وأنا بنت عشرين سنة وأما أنت فلم ترها إلا بعد أن طردوك وأنا

والله جذبت إليها جذبة وخطبت إليها خطبة قلت أي أخت فالبدل الكبير منهم يقول لى لم يدخلها أحد لم يبلغ أربعين سنة غيرك، قالت نعم من المرديدن وأما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى شئت أريتكمها فقلت قد شئت فقالت يا مدينة احضرى فوالله لقد رأيت المدينة بعينها تتدلى إليها وترف عليها فمدت يدها وقالت أين تفاحك قالت فتساقط على من التفاح ماعلاني فضحكت ثم قالت من عنده من الملك هذا يحتاج إلى تفاحتك قال فاستحقرت والله نفسى عند ذلك وما كنت أعلم أن أختى منهم رضى الله عنها وعنهم وأنشدوا في المعنى:

الشوق ينمو والغرام يزيد	والسقم يكتم والشفاء بعيد
وقديم عهدى ثابت لا ينقضى	أزعمتم أن الغرام جديد
لا والغوير وساكنيه ورامة	وطويلع والبان حين يمد
وحياة منعرج اللوامن لعلع	والرقمتين وما حوته زرود
ما حلت عن عهدى ولاخت الهوى	وعلى القطيعة صابر وجليد
وإذا ترنم طائر في أيكة	أبكى أسى ويلذ لى التغيريد
وأنوح إذ ناح الحمام على اللوا	شوقا إلى وادى الغضا وأמיד
يابانة الجرعاء من وادى النقا	بان الكرى وتزايد التسهيد
إلا رحمت مولها حلف الضنا	كتم الغرام ومقلتاه شهود
ويظل في عرصات نجد منشدا	قلبا براه الوجد فهو فقيد
يبكى بنعمان ورملة عالج	ويجنب ساكنة الخبا ويريد
يخفى هواه خيفة وتسترا	عن عاذل والعدل ليس يفيد

الحكاية الثالثة والخمسون عن الشيخ أبي الربيع المالقي رضى الله عنه

قال سمعت بامرأة من الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا ألا نזור امرأة فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على كرامة قد اشتهرت عنها وكانت تدعى بالفضة فنزلنا القرية التى هى بها فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا يوضع فيه شىء فمضينا إليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها نريد أن نرى هذه البركة التى ذكرت لنا عن هذه الشاة التى عندكم فأعطتنا الشاة فحلبناها في القدح فشرينا لبنا وعسلا فلما رأينا ذلك سألتناها عن قصة الشاة، فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شىء فحضر العيد فقال لى زوجى وكان رجلا صالحا تدبج هذه الشاة في هذا اليوم فقلت له لا تفعل فإنه قد رخص لنا في الترك والله يعلم حاجتنا إليها فاتفق أنه استضاف بنا في ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا

قرى فقلت له يارجل هذا ضيف وقد أمرنا الله بإكرامه فخذ تلك الشاة فاذبحها قالت ففخنا أن تبكى عليها صغارنا فقلت له أخرجها من البيت إلى وراء الجدار فاذبحها فلما أراق دمها قفزت شاة على الجدار فنزلت إلى البيت فخشيت أن تكون قد انفلتت منه فخرجت لأنظرها فإذا هو يسلم الشاة فقلت له يارجل عجا وذكرت له القصة فقال لعل الله تعالى أن يكون قد أبدلنا خيرا منها فكانت تلك تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف ثم قالت يا أولادى إن شويهتنا هذه ترعى في قلوب المريدين فإذا طابت قلوبهم طاب لبنها وإن تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم يطب لكم كل شىء طلبتموه منه رضى الله عنها .

(قلت) وقد سألتنى بعض أهل العلم والأخبار ماذا تعنى بالمريدين فظهر لي والله أعلم أنها تعنى بالمريدين نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع إرادة التخصيص تسترا أو تحريضا للمريدين على تطيب قلوبهم إذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الأنوار والأسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم ولو لم يكن الأمر كذلك بل المراد عموم المريدين لكان يطيب اللبن من سائر الغنم ولو خبث قلبها لما نفعهما طيب قلوب المريدين وإذا طاباهما لم يضرهما خبث قلوب المريدين والله أعلم .

الحكاية الرابعة والخمسون عن بعض أصحاب السرى رضى الله عنه

قال كان لسرى تلميذة ولها ولد عند المعلم فبعث به المعلم إلى الرحى فنزل الصبى في الماء فغرق فأعلم المعلم سريا بذلك فقال السرى قوموا بنا الى أمه فمضوا إليها وتكلم السرى عليها في علم الصبر ثم تكلم في علم الرضا فقالت يا أستاذ وأى شىء تريد بهذا فقال لها إن ابنك قد غرق فقالت ابنى فقال نعم فقالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر فقالت أين غرق فقالوا ههنا فصاحت به ابنى محمد فأجابها لبيك يا أمه فنزلت وأخذت بيده فمضت به إلى منزلها فالتفت السرى إلى الجنيد وقال أى شىء هذا قال الجنيد رضى الله عنه أقول: قال قل، قال: إن المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها وحكم من كان مراعيًا لما لله عز وجل عليه ألا يحدث عليه حادثة حتى يعلمه بذلك فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بذلك فأنكرت فقالت إن ربي عز وجل ما فعل هذا رضى الله عنها ونفعنا بها .

الحكاية الخامسة والخمسون عن أبي عامر الواعظ رضى الله عنه

قال بينما أنا جالس بمسجد رسول الله ﷺ إذ جاءنى غلام أسود برقعة فقرأتها فإذا فيها أسعدك الله يا أخى بمسامرة الفكرة ونعمك بمؤانسة العبرة وأفردك بحب الخلوة وأيقظك من الغفلة يا أبا عامر أنا أخ من إخوانك بلغنى قدومك فسرت بذلك واشتقت إلى رؤيتك ومجالستك وسماع محادثتك وبنى من الشوق ما لو كان فوقى لأظننى ولو كان تحتى لأقلننى سألتك بالذى حباك بالبلاغة إلا لما ألخفتنى جناح التوصل بزيارتك والسلام (قال) أبو عامر فقمتم مع الرسول حتى أتى بي إلى قباء فأنزلنى منزلا رحيبا خربا وقال قف ههنا حتى أستأذن لك فوفقت فخرج إلى وقال لي ليج فدخلت فإذا ببيت مفرد في الخربة له باب من جريد النخل وإذا بشيخ قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروبا ومن الخشية محزوننا قد ظهرت في وجهه أحزانه وذهبت من البكاء عيناه ومرضت أجفانه فسلمت عليه فرد على السلام وإذا به أعمى مقعد مسقام فقال يا أبا عامر غسل الله تعالى من أدران الذنوب قلبك لم يزل قلبى إليك تواقا وإلى استماع الموعدة منك مشتاقا وبنى جرح نغل قد أعيا الواعظين دواؤه، وأعجز المطيبين شفاؤه وقد بلغنى نفع مراهمك للجراح والألام فبادر رحمك الله في إيقاع الترياق ولو كان مر المذاق فىنى ممن يصير على ألم الدواء رجاء الشفاء قال أبو عامر فنظرت إلى منظر بهرنى وسمعت كلاما أفظعنى ففكرت طويلا وتأتى لي من الكلام وسهل من صعوبته ما راق للأفهام وحصل به للسامع المرام فقلت يا شيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء وأجل سمع معرفتك في سكان الأرجاء وانقل حقيقة إيمانك إلى جنة المأوى فترى ما أعد الله تعالى فيها للأولياء ثم تشرف على نار لظى فترى ما أعد الله فيها للأشقياء فشتان ما بين الدارين ليس الفريقان في الموت سواء، قال فأنَّه وصاح صبيحة وزفر زفرة والتوى وبكى حتى أروى الثرى وقال يا أبا عامر وقع والله دواؤك على دائي وأرجو أن يكون عندك شفائى زدنى يرحمك الله قال فقلت يا شيخ إن الله تعالى عالم بسريرتك مطلع على حقيقة ضميرك شاهدك في خلوتك بعينه حيث كنت عند استتارك من خلقه ومبارزته فصاح صبيحة كصيحته الأولى ثم قال من لفقرى، من لفاقتى، من لذنبى، من لخطيئتى، أنت لى يا مولاي وإليك منقلبي ومثواى ثم خر ميتا رحمه الله فخرجت إلى جارية عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف قد ذهب السجود بجهتها وأنفها وتورمت لطول القيام قدماها واصفر لونها فقالت أحسنت والله يا حادى قلوب العارفين ومثير أشجان غليل المحزونين لانسى لك هذا المقام رب العالمين هذا الشيخ والدى مبتل بالسقم منذ

عشرين سنة صلى حتى أقعد وبكى حتى عمى وكان يتمناك على الله ويقول حضرت مجلس أبي عامر فأحيا موات فكرى وطرده وسن نومي فإن سمعته ثانيا قتلنى فجزاك الله من واعظ خيرا ومتعك من حكمته بما أعطاك ثم أكبت على أبيها تقبل بين عينيه وتبكى وتقول يا أبتاه، يا من أعماه البكاء على ذنبه، يا أبت يا أبتاه يا من قتله ذكر وعيد ربه يا أبت يا أبتاه يا حليف الحرقه والبكاء يا أبت يا أبتاه يا جليس الابتهاال والدعاء يا أبت يا أبتاه يا قتيل الوعاظ والحكماء قال أبو عامر فأجبتها فقلت أيتها الباكية الحيرى والناحبة الثكلى إن أباك نجبه قد قضى وورد دار الجزا وعين كل ما عمل وعليه يحصى في كتاب عند رب لا يضل ولا ينسى فمحسن فله الزلفى ومسىء فوارد دار من أساء فصاحت الجارية كصيحة أبيها وجعلت ترشح عرقا ثم ماتت رحمها الله تعالى فصلينا عليهما ودفناهما وسألت عنهما فقيل لى هما من ولد الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين فما زلت جزعا مما جنيت عليهما حتى رأيتهما في المنام وعليهما حلتان خضراوان فقلت مرحبا بكما وأهلا وسهلا فما زلت حذرا مما وعظتكما به فما صنع الله بكما فقال الشيخ :

أنت شريكى فى الذى نلته	مستأهلا ذاك أبا عامر
وكل من أيقظ ذا غفلة	فنصف ما يعطاه للآمر
من رد عبدا مذنبا كان كمن	قد راقب رب العزة القاهر
واجتمعوا فى دار عدن وفى	جوار رب سيد غافر

يا أبا عامر وردت على رب كريم راض غير غضبان فأسكننى الجنان وزوجنى من الحور الحسان فاحرص يا أبا عامر أن تكثر من الاستغفار فى كل وقت وفى الليل عند الأسحار تجاور الرب العزيز الغفار وأنشد بعضهم :

إذا أمسى وسادى من تراب	وبت مجاور الرب الرحيم
فهونى أصحابى وقولوا	لك البشرى قدمت على كريم

الحكاية السادسة والخمسون عن بهلول رضى الله عنه

قال بينما أنا ذات يوم فى بعض شوارع البصرة وإذا بصبيان يلعبون باللوز واللوز وإذا بصبى ينظر إليهم ويبكى فقلت هذا صبى يتحسر على ما فى أيدى الصبيان ولا شىء معه فلحقت به فقلت له أى بنى ما يبكيك أشتري لك الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان فرفع بصره إلي وقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت أى بنى فلماذا خلقنا قال للعلم والعبادة قلت من أين لك ذلك بارك الله تعالى فىك قال

من قوله عز وجل ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (١).
قلت له أي بنى إني أراك حكيماً فعظني وأوجز فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهز بانطلاق
فلا الدنيا بباقية لحي
كأن الموت والحدثان فيها
فيا مغروراً بالدنيا رويدا
مشمرة على قدم وساق
ولا حي على الدنيا بيباق
إلى نفس الفتى فرسا سباق
ومنها خذ لنفسك بالوثاق

قال بهلول رضى الله تعالى عنه ثم رمق السماء بعينيه وأشار إليها بكفيه
ودموعه تنحدر على خديه وأنشأ يقول :

يامن إليه المبتهل
يا من إذا ما أمهل
يا من عليه المتكمل
يرجوه لم يخط الأمل

قال فلما أتم كلامه خر مغشياً عليه فرفعت رأسه إلى حجري ونفضت التراب
عن وجهه بكفى فلما أفاق قلت له أي بنى ما نزل بك وأنت صبي صغير لم يكتب
عليك ذنب قال إليك عنى يا بهلول إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا
يتقد لها إلا بالصغار وأنا أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم فقلت له أي بنى
أراك حكيماً فعظني وأوجز فأنشأ يقول:

غفوت وحادى الموت في أثرى يحدو
أنعم جسمى باللباس ولينه
كأننى به قد مر في برزخ البلى
وقد ذهبت منى المحاسن وامحت
أرى العمر قد ولى ولم أدرك المنى
وقد كنت جاهرت المهيمن عاصيا
وأرخيت خوف الناس سترا من الحيا
بلى خفته لكن وثقت بحلمه
فلو لم يكن شيء سوى الموت والبلى
لكان لنا في الموت شغل وفي البلى
عسى غافراً الزلات يغفر زلتى
أنا عبد سوء خنت مولاي عهده
فكيف اذا أحقرت بالنار جسثى
أنا الفرد عند الموت والفرد في البلى

قال بهلول فلما فرغ من كلامه وقعت مغشيا على وانصرف الصبي فلما أفقت نظرت إلى الصبيان فلم أره معهم فقلت لهم من يكون ذلك الغلام قالوا وما عرفته قلت نعم قالوا ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين قلت قد عجبت من أين تكون هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة نفعتنا الله تعالى به وبآبائه آمين .

الحكاية السابعة والخمسون عن بشر الحافي رضى الله عنه

قال رأيت رجلا عشية عرفة عليه الوله وهو يبكى ويتحجب انتحابا شديدا وهو

يقول :

سبحان من لو سجدنا بالعيون له على شبا الشوك والمحى من الإبر
لم يبلغ العشر من معشار نعمته ولا العشير ولا عشرا من العشر
وأنشد أيضا :

كم قد زلت فلم أذكرك في زلتى وأنت يا مالكي بالغيب تذكرنى
كم أكشف الستر جهلا عند معصيتى وأنت تلتف بي حلما وتسترنى
قال ثم غاب عنى وحجب فلم أره فسألت عنه فقيل لى هو أبو عبيد الخواص
أحد الخواص له سبعون سنة ما رفع وجهه إلى السماء فقيل له في ذلك فقال إنى
لأستحيى أن أرفع إلى المحسن وجهها مسيئا رضى الله عنه واعجابه من مطيع يتذلل
ويستحيى مع إحسانه ومن عاص يتذلل ولا يستحيى مع عصيانه اللهم لا تحرمنا النظر
إلى وجهك الكريم وانفعا ببركة أوليائك الصالحين واحشرنا معهم في الدارين آمين .

الحكاية الثامنة والخمسون عن مالك بن دينار رضى الله عنه

قال خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وإذا بشاب يمشى في الطريق بلا زاد ولا ماء ولا راحلة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له أيها الشاب من أين قال من عنده قلت وإلى أين قال إليه قلت وأين الزاد قال عليه قلت إن الطريق لا تقطع إلا بالماء فهل معك شيء قال نعم قد تزودت عند خروجي بخمسة أحرف قلت وما هذه الخمسة الأحرف قال قوله تعالى : ﴿كهيعص﴾^(١) قلت وما معنى كهيعص قال أما الكاف فهو الكافي، وأما الهاء فهو الهادى، وأما الياء فهو المؤوى، وأما العين فهو العالم، وأما الصاد فهو الصادق، فمن كان مصاحبا كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا لا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج إلى حمل الزاد والماء قال مالك فلما سمعت

(١) سورة مريم الآية ١ .

كلام هذا الشاب نزعت قميصي على أن ألبسه أياه فأبى أن يقبله وقال أيها الشيخ العرى خير من قميص الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وكان إذا جنه الليل رفع وجهه إلى السماء وقال يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لى ما يسرك واغفر لى ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا قلت لم لا تلبى فقال يا شيخ أخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك ولا أسمع كلامك ولا أنظر إليك ثم مضى فما رأيته إلا في منى وهو يقول :

دمى حلال له في الحل والحرم
قامت على رأسها فضلا عن القدم
عاينت منه الذى عاينت لم تلم
بالله طافوا لأغناهم عن الحرم
والناس ضحوا بمثل الشاء والنعم
تهدى الأضاحى وأهدى مهجتى ودمى

إن الحبيب الذى يرضيه سفك دمي
والله لو علمت روحى بمن علقت
يا لائسى لا تلمني في هواه فلو
يطوف بالبيت قوم لو بجارحة
ضحى الحبيب بنفسى يوم عيدهم
للناس حج ولى حج إلى سكنى

ثم قال اللهم إن الناس ذبحوا وتقربوا إليك وليس لى شىء أتقرب به إليك سوى نفسى وقد أهديتها إليك فتقبلها منى ثم شهق شهقة فخر ميتا رحمه الله تعالى وإذا بقائل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل بسيف الله فجهزته وأوريته وبت تلك الليلة متفكرا في أمره فرأيته في منامى فقلت له ما فعل الله بك قال فعل بى كما فعل بشهداء بدر وزادني فقلت لم زادك قال لأنهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بمحبة الجبار رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية التاسعة والخمسون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال رأيت في البادية شابا حدثا كأنه سيكة فضة قد ولع بجسمه الوله يريد الحج فصحبته وأوصيته وذكر له بعد المسافة فأنشأ يقول :

بعيد على الكسلان أو ذى ملالة فأما على المشتاق غير بعيد

(وقيل) لما وقف الشبلى رضى الله عنه بعرفات لم ينطق بشىء حتى غربت الشمس فلما جاوز العلمين هملت عيناه بالدموع وأنشأ يقول :

أروح وقد ختمت على فـؤادى بحبك أن يحل به سواكـ
فلو أنى استطعت غمضت طرفى فلم أنظر به حتى أراكـ
وفي الأحباب مختص بوجـد وأخر يدعى معه اشتراكـ
إذا انسكبت دموع في خـدود تبين من بكى عن تباكـ

(وقال) الفضيل بن عياض رضى الله عنه والناس وقوف بعرفات ما تقولون ولو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء يطلبون منه دانقا أكان يردهم قالوا لا فقال والله للمغفرة في جنب كرم الله أهون على الله عز وجل من الدائق في جنب كرم ذلك الرجل. ووقف الفضيل رضى الله عنه أيضا في بعض حجاته ولم ينطق بشيء فلما غربت الشمس قال واسواتاه وإن عفوت.

الحكاية الستون عن إبراهيم بن المهلب السائح رضى الله عنه

قال بينا أنا أطوف وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول سيدى بحبك لى إلا رددت على قلبى فقلت لها يا جارية من أين تعلمين أنه يحبك فقالت بالعناية القديمة جيش في طلبى الجيوش وأنفق الأموال حتى أخرجنى من بلاد الشرك وأدخلنى في التوحيد وعرفنى نفسه بعد جهلى أياه فهل هذا يا إبراهيم إلا لعناية ومحبة قلت فكيف حبك له قالت أعظم شىء قلت وكيف هو قالت هو أرق من الشراب وأحلى من الحلاب ثم ولت وهى تقول :

له مقلة عبرى أضرب بها البكا	وذى قلق لا يعرف الصبرا والعزا
فمن ذا يداوى المستهام من الضنا	وجسم نحيل من شجا لوعة الهوى
إذا غطفت منه العواطف بالقنا	ولا سيما والحب صعب مرامه

الحكاية الحادية والستون عن أحد الصالحين رضى الله عنه

قال كانت إلى جنبى عجوز قد أضتها العبادة فسألتها أن ترفق بنفسها فقالت يا شيخ أما علمت أن رفقى بنفسى غيبنى عن باب المولى ومن غاب عنه مشتغلا بالدنيا عرض نفسه للبلوى وما قدر عملى إذا عملت واجتهدت فكيف إذا قصرت ثم قالت واسواتاه من حسرة السباق وفجعة الفراق فأما حسرة السباق فإذا قام القائمون من قبورهم وركب الأبرار نجائب الأنوار وساروا إلى قصور من العز والجلال ورفعت لهم منازل المحيين وقدمت بين أيديهم نجائب المقربين وبقى المسبوق في جملة المحزونين فعند ذلك يتقطع فؤاده حسرة وتأسفا ويدوب ندامة وتلهفا.

أما فجعة الفراق فعند تمييز الناس بالجمع والافتراق وذلك أن الله سبحانه وتعالى إذا جمع الخلق في صعيد واحد أمر ملكا ينادى أيها المجرمون امتازوا إن المتقدمين قد فازوا وهو قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فيميز الرجل من

زوجته والولد من والديه والحبيب من حبيبه هذا يحمل مبعجلا إلى جنات النعيم وهذا يساق مسلسلا مغلولا إلى عذاب الجحيم وقد طال منهم التلفت والوداع ودموعهم تجرى كالأنهار بفجعة الانقطاع وأنشدوا في البين والفراق :

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ورأيت كيف تكره التوديعا
لعلمت أن من الدموع محدثا ورأيت من عتب الحديث دموعا
قلت وقد أبدلت هذا البيت الثاني بيت يناسب فراق الآخرة وحال الباكين فيها
فقلت :

لعلمت أن من الدموع لأنهرها تجرى وعانيت الدماء دموعا

الحكاية الثانية والستون عن مالك بن دينار رضى الله عنه

قال رأيت في بعض الأيام شابا عليه آثار الدعاء ونور الإجابة ودموعه تتساقط على وجهه فعرفته وكنت أعهدده بالبصرة ذا نعمة فبكيت لما رأيت من حاله على تلك الصفة وبكى الآخر لما رأيته وبدأنى بالسلام وقال يا مالك بالله عليك إلا ذكرتنى في وقت خلواتك وسألت الله لى التوبة والمغفرة لعله يرحمنى ويغفر لى ثم أنشأ يقول :

وعرض بذكرى حين تسمع زينب وقل ليس يخلو ساعة منك باله
عساها إذا ما مر ذكرى بسمعها تقول فلان عندكم كيف حاله

قال مالك رضى الله عنه ثم ولى ودموعه تستبق فلما دخلت أشهر الحج توجهت إلى مكة فبينما أنا في المسجد الحرام إذ رأيت حلقة يجتمع الناس إليها وإذا بفتى يتضرع وقد قطع على الناس طوافهم بكثرة بكائه فوقفت عليه أنظر مع الناس إليه فإذا هو الرجل صاحبى فسررت به وسلمت عليه وقلت له الحمد لله الذى أبدلك بخوفك أمنا وأعطاك ما تتمنى قال فأنشد :

فساروا بلا خوف إلى خيف أمنهم فلما أناخوا في منى بلغوا المنى
تمنوا فأعطاهم مناهم وصانهم بتوبته الخلصا عن الفحش والخناس
وسامح عن كل الذنوب التى جرت وما اجترح العبد المسىء وما جنى
أدار عليهم ساقى القوم خمرة فنادوا من الساقى فقال لهم أنا
أنا الله فادعونى أنا الله ربكم لى المجد والعليا والمالك والسنا

قال مالك ثم قلت له بالله عليك أطلعنى على أمرك كيف كان فقال ما كان إلا

خيرا دعانى بفضلله فأجبتّه وأعطانى كل ما منه طلبته وأنشأ يقول :

ولما دعانى قلت أهلا ومرحبا
وحقك أنت السؤل والقصد والمنى
فقلبي ما اشتاق إلا رآك لأجله
كذاك النقا والبان والجزع واللوا
وإن عرضوا يوما بسعدى وزينب
لئن ذكرت تلك المنازل سادتى
بوصلك ما أحلى هواك وأعذبا
وإن لامنى فيك العذول وأطنبا
ولا أرض نعمان ولا الخيف أوقبا
بهم إن حدا الحادى وغنى وأطربا
فما اشتقت سعدى لا ولا رمت زينبا
فقصدى دون الكل ساكنة الخبا

قال مالك ثم عاد الى طوافه وتركنى ومضى فلم أره ولم أجد له خبرا.

الحكاية الثالثة والستون عن أحد الصالحين

قال حججت سنة من السنين وكانت سنة كثيرة الحر والسموم فلما كان ذات يوم وقد توسطنا أرض الحجاز انقطعت عن الحجاج وغفوت قليلا فلم أشعر إلا وأنا وحدى في البرية فلاح لى شخص أمامى فأسرعت إليه فلحقته وإذا به غلام أمرد لا نبات بعارضيه كأنه القمر المنير أو الشمس الضاحية وعليه أثر الدلال والترف فقلت له السلام عليك يا غلام فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم فعجبت منه كل العجب ورأيت أمره فلم أتمالك أن قلت له ياسبحان الله من أين عرفتنى ولم ترنى قبلها فقال يا إبراهيم ما جهلت مذ عرفت ولا قطعت مذ وصلت فقلت له ما الذى أوقفك في هذه البرية في هذه السنة الكثيرة الحر والقيظ فأجابنى يا إبراهيم ما أنست بسواه ولا رافقت غيره وأنا منقطع إليه بالكلية مقرر له بالعبودية فقلت له من أين المأكول والمشروب فقال تكفل لى به المحبوب فقلت والله إنى خائف عليك لأجل ما ذكرت لك فأجابنى ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب وأنشأ يقول :

من ذا يخوفنى بالبر قطعته
الحب أفلقتنى والشوق أزعجنى
فلو أجوع فذكر الله يشبعنى
وإن ضعفت فوجد منه يحملنى
فهل لصغرى تكون اليوم تحقرنى
إلى المحب وقد قدمت إيمانا
ولا يخاف محب الله إنسانا
ولا أكون بحمد الله عطشانا
من الحجاز إلى أقصى خراسانا
دع عنك عدلك لى قد كان ما كانا

قال (فقلت) سألتك بالله يا غلام إلا ما أعلمتنى بحقيقة عمرك فقال لقد آليت

على بأجل الأيمان عندي عمرى اثنتا عشرة سنة ثم قال يا إبراهيم ما الذى ألك إلى ذلك تسألنى عن عمرى فقد أخبرتك بحقيقته فقلت والله لقد أدهشنى ما سمعت منك فقال الحمد لله على ما أولانا من نعمه وفضلنا على كثير من عباده المؤمنين قال فتعجبت من حسن وجهه وبهاء طلعه وحلاوة منطقه وقلت سبحان الله الخالق المصور فأطرق الغلام برأسه إلى الأرض مليا ثم رفع رأسه إلى السماء ينظرنى شزرا وأنشأ يقول :

ويحى إذا كان الجحيم جزائى	ماذا يحل بيهجتى وبهائى
يبلى العذاب محاسنى ويشينها	ويطول منى فى الجحيم بكائى
ويقول لى الجبار جل جلاله	يا عبد سوء أنت من أعدائى
بارزتى وعصيت أمرى جاهلا	أنسيت عهدى ثم يوم لقائى
وترى وجوه الطائعين كأنها	بدر بدا فى ليلة الظلماء
كشفت الحجاب فعابنوا فأدهشوا	ونسوا نعيمهم وكل رخاء
وكساهم حلل المهابة والرضا	وحيا الوجوه بنضرة وبهاء

ثم قال يا إبراهيم اعلم أن المنقطع من قطعه الحبيب والمواصل من أخذ من الطاعة بنصيب ولكن أنت المنقطع عن الحاج يا إبراهيم فقلت له نعم أنا ذاك وأنا أسألك بالله إلا ما دعوت لى أن ألحق من سبقنى من أصحابى قال فنظرت الغلام قد لمح بطرفه إلى السماء وتكلم بكلمات حرك بها شفتيه فعند ذلك لحقتنى سنة من النوم وأغمى علي فلم أفق إلا وأنا فى وسط الحاج وزمىلى يقول لى يا إبراهيم احذر أن تقع عن الراحلة ولم أعرف أصعد الغلام إلى السماء أم نزل فى الأرض فلما وافينا مكة ودخلت الحرم إذا أنا بالغلام وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يبكى ويقول :

تعلقت بالأستار والبیت زرته	وأنت بما فى القلب والسر أعلم
أتيت إليه ماشيا غير راكب	لانى على صغرى محب متيم
هويتك طفلا حيث لا أعرف الهوى	فلا تعدلونى إننى متعلم
وإن كان قد حانت إلهى منيتى	لعلى بوصل منك أحظى وأغنم

قال فارخى نفسه ووقع ساجدا وأنا أنظر إليه فأتيته فحركته فإذا هو قضى نجه رضى الله عنه قال فتأسفت عليه كل الأسف ومضيت إلى راحلتى وأخذت ثوبا استعنت بمن يساعدنى عليه حتى أواريه فأتيت إليه فلم أجده فسألت عنه الحجاج فلم أجد من قال إنه رآه حيا ولا ميتا فعلمت أنه مستور عن أعين الخلق وأنه لم يره غيرى

فأتيت إلى مكاني وغفوت قليلا فرأيت في المنام في موكب عظيم وهو في أولهم وعليه من النور والحلل مالا أحسن وصفه فقلت له ألسنت صاحبي فقال نعم فقلت له ألسنت مت قال كان ذلك فقلت له والله لقد طلبتك أن أكفك وأصلي عليك فلم أجدك فقال يا إبراهيم اعلم أن الذي من بلدي أخرجني وبجبه شوقني وعن أهلي غربنى هو كفتني وما أحوجني فقلت له ما الذي فعل بك إلهك بعد ذلك قال أوقفني بين يديه وقال لي ما بغيتك فقلت إلهي وسيدى أنت بغيتي ومنأى فقال لي أنت عبدى حقا حقا ولك عندى إلا أحجب عنك ما تريد فقلت أريد أن تشفعني في القرن الذي أنا فيه فقال شفعتك فيه ثم إنه صافحني فاستيقظت بعد المصافحة من منامى وأصبحت وقضيت ما كان على من فرائض الحج ونسكه لم يفتر قلبي عن ذكر الغلام تأسفى عليه وسرت في جملة الحاج فلم أر أحدا إلا ويقول يا إبراهيم لقد أزعجت الناس من طيب رائحة يدك وقال بعض المحدثين لهذا الخبر لم تزل رائحة الطيب تخرج من إبراهيم حتى قضى نجه رحمة الله عليه.

الحكاية الرابعة والستون عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال حججت سنة من السنين فيبينما أنا أمشى مع أصحابي إذ عارضنى عارض في سرى يقتضى الخلوة وخروجا عن الطريق الجادة فأخذت طريقا غير الطريق الذي عليه الناس فمشيت ثلاثة أيام بلياليها ما خطر على سرى ذكر طعام ولا شراب ولا حاجة فانتهيت إلى بركة خضراء فيها من كل الثمرات والرياحين رأيت في وسطها بحيرة فقلت كأنها الجنة وبقيت متعجبا فيبينما أنا كذلك أتفكر إذ أنا بنفر قد أقبلوا سيماهم الآدميون عليهم المرقعات الحسان والفوط الملاح فحفوا بى وسلموا علي فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أين أنا وأنتم ثم وقع بخاطرى بعد سؤالي لهم أنهم من الجن وأن البقعة بقعة غريبة فقال قائل منهم قد جرت بيننا مسألة واختلفنا فيها ونحن نفر من الجن قد سمعنا كلام الله عز وجل من محمد ﷺ ليلة العقبة وسلبتنا نعمة كلامه جميع أمور الدنيا وقد قبض الله لنا هذه البحيرة في هذه البركة قلت وكم بيننا وبين الموضوع الذي تركت فيه أصحابي فتبسم بعضهم وقال يا أبا إسحق إن لله عز وجل أسراراً وعجائب إن الموضوع الذى أنت فيه لم يحضره آدمى قبلك إلا شاب ومن أصحابكم واحد توفى ههنا وذلك قبره وأشار إلى قبره على شفير البحيرة حوله روضة ورياحين لم أر مثلها قبل ثم قال بينك وبين القوم الذين فارقتهم مسيرة

كذا وكذا من شهر أو كذا وكذا من سنة والله أعلم أيهما ذكر إبراهيم قال قلت أخبروني عن الشاب فقال قائل منهم بينما نحن قعود على شفير البحيرة نذاكر المحبة وتداول فيها إذا بشخص قد أقبل إلينا وسلم علينا فرددنا عليه السلام وقلنا له من أين أقبل الشاب قال من مدينة نيسابور قلنا له ومتى خرجت منها قال منذ سبعة أيام قلنا له وما الذي أزعجك على الخروج من وطنك قال سمعت قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾^(١) قلنا له فما معنى الإنابة وما معنى التسليم وما معنى هذا العذاب، فلكل الإنابة أن ترجع بك منك إليه، قلت ولم يذكر التسليم في الأصل الذي نقلت منه ولله أن تسلم نفسك له وتعلم أنه أولى بك قال، ثم قال بالعذاب وصاح صيحة عظيمة فمات فواريناه وهذا قبره رضى الله عنه قال إبراهيم فتعجبت مما وصفوا ثم دنوت من قبره فإذا عند رأسه طاقة نرجس كأنها رحي عظيمة وعلى قبره مكتوب هذا قبر حبيب الله قتيل الغيرة وعلى ورقة مكتوب صفة الإنابة قال فقرأت ما على النرجس مكتوب فسألوني أن أفسره لهم ففسرته لهم فوقع فيهم الطرب فلما أفاقوا وسكنوا قالوا قد كفينا جواب مسألتنا قال ووقع على النوم فما انتهيت إلا وأنا قريب من مسجد عائشة رضى الله عنها وإذا في وطائي طاقة ريحان فبقيت معى سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد أيام فقدتها رضى الله عنه وعنهم.

الحكاية الخامسة والستون عن أحد الصالحين

قال خرجت مرة إلى الحج فنمت ذات ليلة مقمرة فسمعت صوت شخص ضعيف يقول لي يا أبا إسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فإذا هو شاب نحيل الجسم كأنما أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرفه ومنها ما لا أعرفه فقلت له من أين أنت فسمى لى بلده وقال قد كنت في عز وثروة فطالبتنى نفسى بالعزلة فخرجت هائما إلى البرارى والقفار وهأنا قد أشرفت على الموت وسألت الله أن يقيض لى وليا من أوليائه وأرجو أنك هو فقلت له ألك والدان قال نعم وأخوة وأخوات قال نعم فقلت هل اشتقت إليهم أو ذكرتهم قال لا إلا اليوم أردت أن أشم ريحهم فاحتوشنتى السباع والبهائم ويكين معى وحملن إلى هذه الرياحين قال إبراهيم فأقبلت حية عظيمة وفي فمها نرجس كثير فقالت دع شرك عنه فإن الله مطلع على أوليائه وأهل طاعته فغشى على فما أفقت حتى خرجت روحه رضى الله عنه ثم وقع

(١) سورة الزمر الآية ٥٤.

على سبات فانتبهت وأنا على الجادة فلما قضيت الحج دخلت بلده الذى ذكره فاستقبلتنى امرأة بيدها ركوة ماء ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى قالت يا أبا إسحق كيف رأيت الشاب فىنى فى انتظارك منذ ثلاثة أيام قال فذكرت لها القصة إلى أن قلت قال أردت أن أشم ريحهم فصاحت وقالت آه بلغ الشم وخرجت روحها فخرج أتراب لها عليهم المرقعات و الفوط فتولين أمرها رحمة الله عليها.

الحكاية السادسة والستون

حكى أنه ركب جماعة من التجار فى البحر متوجهين إلى الحج فانكسر المركب وضاق وقت الحج وفيهم إنسان معه بضاعة بخمسين ألفا فتركها وتوجه إلى الحج فقالوا له لو أقمتم فى هذا المكان لعل أن تخرج لك بعض بضاعتك فقال والله لو حصلت لى الدنيا كلها ما اخترتها على الحج ورؤية من يشهده من أولياء الله تعالى بعد أن رأيت منهم ما رأيت قالوا وما رأيت منهم قال كنا مرة متوجهين إلى الحج فأصابنا عطش فى بعض الأيام وبلغت الشربة كذا وكذا ودرت فى الركب من أوله إلى آخره فلم يحصل ماء لا يبيع ولا غيره وبلغ العطش منى الجهد فتقدمت قليلا وإذا أنا بفقير معه عكاز وركوة وقد ركز العكاز فى ساقية بركة والماء ينبع من تحت العكاز ويجرى فى الساقية إلى البركة فجئت إلى البركة فشربت وملأت قربتى ثم أعلمت الركب فاستقوا كلهم منها وتركوها وهى تطفح قال فهل يسمح بفوت مشهد يشهده مثل هؤلاء القوم رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية السابعة والستون عن أبى عبدالله الجوهري رضى الله عنه

قال كنت سنة فى عرفات فلما كان آخر الليل نمت فرأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه كم وقف هذه السنة قال له صاحبه ستمائة ألف فلم يقبل منهم إلا ستة أنفس قال فهممت أن أطم وجهى وأنوح على نفسى فقال له الآخر ما فعل الله تعالى فى الجميع قال نظر الكريم إليهم بعين الكرم فوهب لكل واحد منهم مائة ألف وغفر لستمائة ألف بستة أنفس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الحكاية الثامنة والستون عن علي بن الموفق رضى الله عنه

قال جلست يوما في الحرم وقد حججت ستين حجة فقلت في نفسى إلى متى أتردد في هذه المسالك والقفار فغلبتني عيناي فنمت فإذا أنا بقاتل يقول لى يا ابن الموفق هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب فطوبى لمن أحبه المولى وحمله إلى المقام الأعلى وأنشأ يقول :

دعوت إلى الزيارة أهل ودى ولم أطلب بها أحدا سواهم
فجاءونى إلى بيتى كراما فأهلا بالكرام ومن دعاهم
(وروى) عن ذى النون المصرى رضى الله عنه أنه قال رأيت شابا عند الكعبة
يكثُر الركوع والسجود فدنوت منه وقلت له إنك تكثُر الصلاة فقال أنتظر الإذن
بالانصراف قال فرأيت رقعة سقطت عليه فيها من العزيز الغفور إلى العبد الصادق
الشكور انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر رضى الله عنه .

الحكاية التاسعة والستون عن أحد الصالحين

قال بينما أنا جالس عند الكعبة إذ جاء شيخ قد شال ثوبه على وجهه ودخل
إلى زمزم فاستقى منها بركوة كانت معه وشرب فأخذت فضلته فشربت فإذا هو ماء
مخلوط بعسل لم أذق شيئا قط أطيب منه قال فالتفت لأنظره فإذا هو قد ذهب، قال
ثم عدت من الغد فجلست عند البئر وإذا الشيخ قد أقبل وثوبه مسدول على وجهه
ودخل من باب زمزم واستقى دلوا وشرب فأخذت فضلته فشربت منها فإذا لبن ممزوج
بسكر لم أذق شيئا أطيب منه رضى الله عنه .

الحكاية السبعون عن سهل بن عبدالله رضى الله عنه

قال مخالطة الولي للناس ذل وتفرده بالله عز وقلما رأيت وليا لله إلا منفردا إن
عبد الله بن صالح كان له سابقة وموهبة من الله جزيلة وكان يفر من الناس من بلد
إلى بلد حتى أتى مكة فطال مقامه فيها فقلت له لقد طال مقامك بها قال لى لم أقم
بها ولم أر بلدا ينزل فيه من الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد والملائكة تغدو فيها
وتروح وإنى أرى فيه أعاجيب كثيرة وأرى الملائكة يطوفون بالبيت على صور شتى لا
يقطعون ذلك ولو قلت كل ما رأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين فقلت له
أسألك بالله إلا أخبرتنى بشيء من ذلك فقال ما من ولى لله تعالى صححت ولايته إلا

وهو يحضر هذا البلد في كل ليلة جمعة ولا يتأخر عنه فمقامى ههنا لأجل من أراه منهم ولقد رأيت رجلا يقال له مالك بن القاسم الجيلي وقد جاء ويده غمرة فقلت له إنك قريب عهد بالأكل فقال لى أستغفر الله فإنى منذ أسبوع لم أكل ولكن أطعمت والدتى وأسرعت لألحق صلاة الفجر وبينه وبين الموضوع الذى جاء منه تسعمائة فرسخ فهل أنت مؤمن بذلك قلت نعم قال الحمد لله الذى أرانى مؤمنا قلت وقدر تسعمائة فرسخ مائة وسبعة عشر مرحلة وذلك مسيرة ثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما في مجرد سير النهار دون الليل أو قال الليل دون النهار * وقد أخبرنى بعضهم أنه يرى حول الكعبة الملائكة والأنبياء والأولياء عليهم السلام وأكثر ما يراهم ليلة الجمعة وكذلك ليلة الاثنين وليلة الخميس وعدد لى جماعة كثيرة من الأنبياء والأولياء وذكر أنه يرى كل واحد منهم في موضع معين يجلس فيه حول الكعبة ويجلس معه أتباعه من أهله وقربائه وأصحابه وذكر أن نبينا ﷺ يجتمع عنده من أولياء الله تعالى خلق لا يحصى عددهم إلا الله ولم يجتمع على سائر الأنبياء كذلك * وذكر أن إبراهيم وأولاده ﷺ يجتمعون ويجلسون بقرب باب الكعبة بحذاء مقامه المعروف وموسى وجماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بين الركبتين اليمانيين وعيسى وجماعة منهم عليهم السلام في جهة الحجر ورأى فيه قبر إسماعيل عليه السلام وجماعة من الملائكة عليهم الصلاة والسلام عند الحجر الأسود ورأى سيد الخلق أجمعين المرسل رحمة للعالمين تاج الأصفياء وخاتم الأنبياء محمدا صلى الله عليه وعليهم أجمعين جالسا عند الركن اليماني مع أهل بيته وأصحابه وأولياء أمته وذكر أنه رأى إبراهيم وعيسى عليهما السلام أكثر الأنبياء محبة لأمة محمد ﷺ وأكثرهم فرحا بفضلهم وأنسهم بهم ورأى في بعض الأنبياء غيرة من فضلهم وذكر أسراراً كثيرة منها ما ذكره يطول ومنها ما لا تحمله بعض العقول (قلت) ولا تستبعد الغيرة المذكورة فقد كان من غيرة موسى عليه السلام وبكائه ليلة المعراج ما كان والغيرة في الخير محمودة وإنما يذم الحسد وما ذكره عن إبراهيم وعيسى عليهما الصلاة والسلام مناسب لخالهما وكثرة دهما لهذه الأمة يعرف ذلك من له الاطلاع على الأخبار والآثار بل يفهم ذلك من القرآن والله تعالى أعلم .

الحكاية الحادية والسبعون

حكى أنه حج هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه وجاء زين العابدين على بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين فوقف الناس له وتحووا عنه حتى استلم الحجر فقبل لهشام من هذا قال لا أعرفه فقال الفرزدق لكنى أعرفه وأنشد يقول :

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
يكاد يكسه عرفان راحته	ما قال لا قط إلا فى تشهده
إذا رأته قريش قال قائلها	إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	وليس قولك من هذا بضائره
يغضى حياء ويغضى من مهابته	

هذا التقى النقى الطاهر العلم
والبيت يعرفه والحل والحرم
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
لولا التشهد كانت لاءه نعم
الى مكارم هذا ينتهى الكرم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
بجده أنبياء الله قد ختموا
العرب تعرف من أنكرت والعجم
فلا يكلم إلا حين يبتسم

(وروى) أن زين العابدين رضى الله عنه كان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة ولا يدع صلوات الليل فى السفر والحضر وكان إذا توضأ اصفر لونه وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقبل له مالك فقال ما تدرون بين يدي من أقوم .
وكان رضى الله عنه إذا هاجت الرياح سقط مغشيا عليه ووقع حريق فى بيت هو فيه وهو ساجد فجعلوا يقولون له يا ابن رسول الله النار فما رفع رأسه حتى طفئت فقبل له فى ذلك لما رفع رأسه فقال ألهتنى عنها النار الأخرى وكان رضى الله عنه يقول اللهم إني أعوذ بك أن تحسن فى لوامع العيون علانيتى وتقبح سريرتى .
وكان رضى الله عنه يقول إن قوما عبدوا الله عز وجل رهبة فتلك عبادة العبيد وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار وقوما عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار .
وكان رضى الله عنه لا يحب أن يعينه على طهوره أحد كان يستقى الماء لظهوره ويخمره قبل أن ينام فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم يتوضأ ويأخذ فى صلاته ويقضى ما فاته من النهار إذا مشى لآتجاوز يده فخذه ولا يخطر بيده .

وكان رضى الله عنه يقول عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت كل العجب لمن شك فى الله تعالى ولا يرى خلقه وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء .

وكان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معاشهم فلما مات فقدوا ماكانوا يؤتون به بالليل لأنه كان رضى الله عنه ينفق سراء ويظن الجاهل به أنه بخيل فلما مات وجدوه كان ينفق على أهل مائة بيت .

(وقال) ابنه محمد الباقر رضى الله عنهما أوصانى أبى فقال لاتصحبن خمسة ولاتحادثهم ولاترافقهم فى طريق لاتصحبن فاسقا فإنه يبيعك بأكلة فما دونها قلت يا أبت وما دونها قال يطمع فيها ثم لاينالها ولاتصحبن البخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ولاتصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب ويقرب منك البعيد ولا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وقد قيل عدو عاقل خير من صديق أحمق ولا تصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعوننا فى ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى .

(وروى) أنه تكلم رجل فى زين العابدين وافترى عليه فقال زين العابدين إن كنت كما قلت فاستغفر الله تعالى وإن لم أكن كما قلت فغفر الله تعالى لك فقام إليه الرجل معتذرا وقبل رأسه وقال جعلت فداك لست كما قلت فاستغفر لى قال غفر الله لك فقال الرجل الله أعلم حيث يجعل رسالاته ولقد أحسن القائل :

وما الناس إلا واحد من ثلاثة	شريف ومشروف ومثل مقوام
فأما الذى فوقى فأعرف حقه	وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى مثلى فإن زل أو هفا	تفضلت إن الحر بالفضل حاكم
وأما الذى دونى فإن قال صنت له	مقاتله عرضى وإن لام لائم
سألزم نفسى الصفيح عن كل مذنب	وإن كثرت منه على الجرائم

(وأقبل) خادم لزين العابدين مسرعا بشواء من التنور لضيف عنده فسقط من يده على ابن له صغير فأصاب رأسه فقتله فقال زين العابدين رضى الله عنه أنت حر لأنك لم تتعمدة وأخذ فى جهاز ابنه .

ودخل على محمد بن أسامة بن زيد فى مرضه فجعل محمد يبكى فقال له زين العابدين رضى الله عنه ما شأنك قال على دين قال كم هو قال خمسة عشر ألف دينار فقال هو على .

وخرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسهه فثارت إليه العبيد والموالي فقال لهم زين العابدين مهلا عن الرجل ثم أقبل عليه وقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيا الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد أنك من أولاد الرسول .

(قلت) لايتوهم غر أنهم كانوا أهل دنيا ينفقون منها الأموال إنما كانوا أهل سخاء وفتوة وفضل ومروءة وجود مكارم النبوة كانت تأتيهم الدنيا فيخرجونها في العاجل وفيهم يصدق قول القائل :

ويستأنفون الصبر في آخر الصبر
عليه فلم يدر المقل من المثري

وهم ينفقون المال في أول الغنى
إذا نزل الحى الغريب تنازعوا
(وقال آخر)

ثناها لقبض لم تطعه أنامله
لجاد بها فليتنق الله سائله
فلجته المعروف والجود ساحله

تعود بسط الكف حتى لو أنه
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه
هو البحر من أي النواحي أتيت
(وقال آخر)

ومن يتيم ضعيف النطق والبصر
كالفرخ فى الركن لم ينهض ولم يطر

كم بالمواسم من سعفاء أرملة
من يعدك تكفى فقد والى
(وقال آخر)

حتى تراه غنيا وهو مجهود
زرق العيون عليها أوجه سود

إن الكريم ليخفى عنك عسرتة
وللبخيل على أمواله علل

(وقال) حسان بن ثابت رضى الله عنه لما قال رسول الله ﷺ لى من الأنصار

من سيدكم يابنى سلمة قالوا الحر بن قيس على بخل فيه فقال رسول الله ﷺ وأى
داء أدوا من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح فسمع حسان رضى الله عنه مقالة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشأ يقول :

فقال لنا من ذا تعدون سيىدا

تبخله فينا وقد نال سؤدا

رमितم بها حرا وغل بها يدا

وحق لعمرو ذى الندى أن يسودا

وقال خذوه إنه عائد غدا

على مثلها عمرو لكنك المسودا

يقول رسول الله والحق قوله

فقلنا له حر بن قيس على التى

فقال وأى الداء أدوى من التى

وسود عمرو بن الجموح لجوده

إذا جاءه السؤال أنهب مالله

فلو كنت يا حر بن قيس على التى

فتبسم رسول الله ﷺ من شعره وقال إن من الشعر لحكما وروى لحكمة .
(وقال الإمام الحفيل السيد الجليل ابن المبارك رضي الله عنه) سخاء النفس عما
فى أيدى الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل .

الحكاية الثانية والسبعون

حكى عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضي
الله عنهم أجمعين أنه خرج حاجا فلما دخل المسجد الحرام نظر إلى البيت فبكى حتى
علا صوته فقبل له إن الناس ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلا فقال ولم لا أبكى
لعل الله ينظر إلى برحمة فأفوز بها عنده غدا ثم طاف بالبيت وصلى خلف المقام
ورفع رأسه من السجود فإذا موضع سجوده مبتل بدموع عينية وقال لبعض أصحابه
إنى لمحزون وإنى لمشتغل القلب فقبل له وما حزنك وما شغل قلبك قال إنه من دخل
قلبه صافى خالص دين الله تعالى شغله عما سواه وما عسى أن تكون الدنيا هل هى
إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها أو أكلة أكلتها أو كما قال رضي الله
عنه .

وقال إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مئونة وأكثرهم معونة إن نسيت ذكرك
وإن ذكرت أعانوك قوالون بحق الله تعالى بأمر الله عز وجل فأنزل الدنيا بمنزلة منزل
نزلت به وارتحلت عنه أو كما أصبته فى منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء
وأشد :

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيشى لا يكون بدائم
تأمل إذا ما نلن بالأمس لذة فأفنيتهها هل أنت إلا كحالم
(وقال) رضى الله عنه إن الغنى والعز يجولان فى قلب المؤمن فإذا وصلا إلى
مكان فيه التوكل استوطناه .

(قلت) يعنى وإن لم يجدا فيه توكلنا رحلا عنه وفى معنى
ذلك قلت :-

يجول الغنى والعز فى قلب مؤمن فإن ألفيا جوف القلوب توكلنا
أقاما فأمسى العبد بالله ذا غنى عزيزا وإن لم يلفياه ترحلنا
وقوله من دخل قلبه صافى خالص دين الله عز وجل شغله عما سواه أشار
بذلك إلى المحبة لأن صافى خالص دين الله تعالى يستلزم محبة الله حقيقة فى
القلب الذى حل فيه فحيثئذ يشتغل بالمحبوب عما سواه فلا يسمع ولا يبصر إلا بالله
ومنه قول القائل :

حبيب قلبي به سمعى به بصرى

وعليه يدل الحديث حبك للشىء يعمى ويصم .

(وقال) عبد الله بن عطاء رحمه الله ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علما

منهم عند محمد بن على بن الحسين .

وقال بعض أهل اللغة إنما لقب محمد بن على بن الحسين بالباقر لتبقره وتوسعه

فى العلم يقال بقرت الشىء بقرا أى فتحته ووسعته وسمى الأسد باقرا لأنه يبقر بطن

فريسته .

وقال محمد بن على رضى الله عنهما كان لى أخ فى عيني عظيما وكان الذى

عظمه فى عيني صغر الدنيا فى عينه .

الحكاية الثالثة والسبعون

عن الليث بن سعد رضى الله عنه

قال حججت ماشيا سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة ، فلما صليت العصر

رقيت أبا قبيس فإذا برجل جالس وهو يدعو فقال يارب يارب حتى انقطع نفسه ، ثم

قال يا رباه يارباه حتى انقطع نفسه ثم قال يا الله يا الله حتى انقطع نفسه ثم قال

ياحى ياحى حتى انقطع نفسه ، ثم قال يارحمن يارحمن حتى انقطع نفسه ثم قال

يارحيم يارحيم حتى انقطع نفسه ثم قال يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه سبع

مرات ، ثم قال اللهم إنى أشتهى العنب فأطعمنيه وإن بردى قد خلقا يعنى ثوبيه قال

الليث فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا وليس على وجه الأرض

يومئذ عنب وبردين موضوعين فأراد أن يأكل فقلت أنا شريكك فقال ولم قلت لأنك

كنت تدعو وأنا أؤمن ، فقال لى تقدم وكل ولا تحببى منه شيئا فتقدمت وأكلت معه

شيئا لم أكل مثله قط ، وإذا به عنب ليس له عجم فأكلت حتى شبعت والسلة لم

ينقص منها شىء ثم قال لى خذ أحب البردين إليك فقلت له أما البردان فأنا غنى

عنهما فقال لى توار منى حتى البسهما فتواريت عنه فاتزر بأحدهما وارتنى بالآخر ثم

أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلها على يده ونزل فاتبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه

رجل فقال اكسنى كساك الله يا ابن رسول الله حلة من حلل الجنة ، فدفعهما إليه

فلحقت الرجل ، فقلت له ، من هذا ، فقال : جعفر بن محمد فطلبته لأسمع منه

لأنتفع به فلم أجده رضى الله عنه .

(قال) الإمام سفيان الثوري رضى الله عنه سمعت جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه يقول لقد عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها فإن تك فى شىء فيوشك أن تكون فى الخمول فإن لم توجد فى الخمول فيوشك أن تكون فى التخلى وليس كالخمول فإن لم تكن فى التخلى فيوشك أن تكون فى الصمت وليس كالتخلى فإن لم توجد فى الصمت فيوشك أن تكون فى كلام السلف الصالح والسعيد من وجد فى نفسه خلوة .

(وروى) أنه طلبه الخليفة أبو جعفر المنصور وقد تغيط عليه وتوعده بالقتل فلما دخل عليه تهدده وأوعده وقال له اتخذك أهل العراق إماما يحبون إليك زكاة أموالهم وتلحد فى سلطاني وتبغيه الغوائل قتلنى الله إن لم أقتلك فقال رضى الله عنه يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أعطى فشكر وإن أيوب عليه السلام ابتلى فصبر وإن يوسف عليه السلام ظلم فغفر فذهب غيظ المنصور وشره وجاء سروره وخيره فرضى عن جعفر الصادق رضى الله عنه وأثنى عليه فلما خرج من عنده قيل له ماذا قلت حين دخلت قال قلت اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام واكفنى بكنفك الذى لايرام واغفر لى أو قال وارحمنى بقدرتك على لا أهلك وأنت رجائى اللهم إنك أجل وأكبر مما أخاف وأحذر اللهم بك أذفع فى نحره وأعوذ بك من شره .

وقال رضى الله عنه حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله ﷺ قال من أنعم الله عليه بنعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حزبه أمر فليقل لاحول ولا قوة إلا بالله .

الحكاية الرابعة والسبعون عن شقيق البخى رضى الله عنه

قال خرجت حاجا فى سنة تسعة وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما أنا أنظر إلى الناس وزيتهم وكثرتهم نظرت فتى حسن الوجه فوق ثيابه ثوب صوف مشتملا بشملة وفى رجله نعلان وقد جلس منفردا فقلت فى نفسى هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس فى طريقهم والله لأمضين إليه وإلا وبخته ، فدنوت منه فإذا رآنى مقبلا قال يا شقيق (اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) وتركنى ومضى فقلت فى نفسى إن هذا لأمر عظيم قد تكلم بما فى نفسى ونطق باسمى ما هذا إلا عبد صالح لألحقنه ولأسألنه أن يحلنى فأسرعت فى أثره فلم ألحقه وغاب عن عينى فلما نزلنا واقصة إذا به يصلى وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجرى فقلت هذا صاحبى أمضى إليه وأستحلّه ، فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه فلما رآنى مقبلا

قال ياشقيق اقرأ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركنى ومضى فقلت إن هذا الفتى لمن الأبدال قد تكلم على سرى مرتين فلما نزلنا زبالا إذا بالفتى قائم على البئر ويده ركوة يريد أن يستقى فسقطت الركوة من يده فى البئر وأنا أنظر إليه فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول :

أنت ربى إذا ظمئت من الماء ء وقوتى إذا أردت الطعاما

اللهم أنت تعلم يا إلهى وسيدى مالى سواها فلا تعدمنى إياها قال شقيق رضى الله عنه فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها فمد يده وأخذ الركوة وملأها ماء وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كتيب من رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه فى الركوة ويحركه ويشرب فأقبلت إليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت أطعمنى من فضل ما أنعم الله تعالى به عليك فقال ياشقيق لم تزل نعمة الله تعالى علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولنى الركوة فشربت منها فإذا سويق وسكر فوالله ما شربت قط ألد منه ولا أطيب ريحا فشبع وأقمت أياما لا أشتهي طعاما ولا شرابا ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة فى جنب قبة الشراب فى نصف الليل يصلى بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس فى مصلاه يسبح ثم قام فصلى فلما سلم من صلاة الصبح طاف بالبيت أسبوعا وخرج فتبعته فإذا له حاشية وموال وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق ودار به الناس من حوله يسلمون عليه فقلت لبعض من رأيته بالقرب منه من هذا الفتى فقال هذا موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين فقلت عجبت أن تكون هذه العجائب والشواهد إلا لئله هذا السيد.

الحكاية الخامسة والسبعون عن الشيخ أبى سعيد الخراز رضى الله عنه

قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان يسأل شيئا فقلت فى نفسى مثل هذا يكون كلا على الناس فنظر إلى وقال (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه) فاستغفرت فى سرى فنادانى وقال : (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) .

(وقال بعضهم) كنت أسير فى البادية مع القافلة فرأيت امرأة تمشى بين القافلة فقلت هذه ضعيفة سبقت القافلة لئلا تنقطع وكان معى دريهمات فأخرجتها من جيبى وقلت لها خذيها فإذا نزلت القافلة فاطلبنى لأجمع لك شيئا تكثرين مركوبا يحملك فمدت يدها وقبضت شيئا من الهواء فإذا فى يدها دراهم فناولتنى إياها وقالت أنت

أخذتها من الجيب ونحن أخذناها من الغيب رضى الله عنها .
وسمعت امرأة متعلقة بأستار الكعبة تنشد هذه الأبيات :

ياحبيب القلوب مالى سواكا فارحم اليوم زائرا قد أتاك
عيل صبرى وزاد فيك اشتياقى وأبى القلب أن يحب سواكا
أنت سؤالى وبغيتى ومرادى ليت شعرى متى يكون لقاكا
ليس قصدى من الجنان نعيما غير أنى أريدها لأراكا

الحكاية السادسة والسبعون

عن الشيخ أبى عبد الرحمن بن خفيف رضى الله عنه

قال دخلت بغداد قاصدا الجمع ، وفى رأسى نخوة الصوفية يعنى حدة الإرادة
وشدة المجاهدة وأطرح ما سوى الله تعالى قال ولم أكل أربعين يوما ولم أدخل على
الجنيد وخرجت ولم أشرب وكنت على طهارتى فرأيت ظبيا فى البرية على رأس بئر
وهو يشرب وكنت عطشان فلما دنوت من البئر ولى الظبى وإذا الماء فى أسفل البئر
فمشيت وقلت ياسيدي مالى عندك محل هذا الظبى فسمعت قائلا يقول من خلفى
جربناك فلم تصبر ارجع فخذ الماء إن الظبى جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت
بالركوة والحبل فرجعت فإذا البئر ملآنة فملأت ركوتى وكنت أشرب منها وأتطهر إلى
المدينة ولم ينفد الماء فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد على
قال لو صبرت ساعة لنبع الماء من تحت قدميك .

الحكاية السابعة والسبعون عن أحدهم

أنه كان يمشى فى البرية فإذا هو بفقير يمشى حافى القدمين حاسر الرأس عليه
خرقتان متزر بإحدهما مرتد بالأخرى ليس معه زاد ولا ركوة قال فقلت فى نفسى لو
كان مع هذا ركوة وحبل إذا أراد الماء توضأ وصلى كان خيرا له ثم لحقت به وقد
اشتدت الهاجرة فقلت له يا فتى لو جعلت هذه الخرقة التى على كتفك على رأسك
تتقى بها الشمس كان خيرا لك فسكت ومشى فلما كان بعد ساعة قلت له أنت حاف
ما ترى فى نعلى تلبسها ساعة وأنا ساعة فقال أراك كثير الفضول ألم تكتب الحديث
قلت بلى قال فلم تكتب عن النبى ﷺ من حسن إسلام المرء تركه مالايعنيه فسكت
ومشينا فعطشت ونحن على ساحل البحر فالتفت إلى وقال أنت عطشان فقلت لا
فمشينا ساعة وقد كظنى العطش ثم التفت إلى وقال أنت عطشان فقلت نعم وما تقدر

تعمل معى فى مثل هذا الموضع فأخذ الركوة منى ودخل البحر ، وغرف الماء وجاءنى به وقال اشرب فشربت ماء أعذب من ماء النيل وأصفى لونا وفيه حشيش ولله در القائل :

إذا وردوا الأطلال تاهت بهم عجباً وإن لمسوا عودا زها غصنه رطباً
وإن وطئوا يوماً على ظهر صخرة لأنبتت الصماء من وطئهم عشباً
وإن وردوا البحر الأجاج لشربة لأصبح ماء البحر من ريقهم عذبا

قال فقلت فى نفسى هذا ولى لله تعالى ولكنى أدعه حتى إذا وافينا المنزل سألته الصحبة فوقف وقال أيما أحب إليك تمشى أو أمشى فقلت فى نفسى إن تقدم فاتنى ولكن أتقدم أنا وأجلس فى بعض المواضع فإذا جاء سألته الصحبة فقال يا أبا بكر إن شئت تقدم واجلس وإن شئت تأمر فإنك لاتصحبنى ومضى وتركنى فدخلت المنزل وكان به صديق لى وعندهم عليل فقلت له رشوا عليه من هذا الماء فرشوا عليه فبرئ بإذن الله تعالى وسألته عن الشخص ، فقالوا ما رأيناه رضى الله عنه ونفع به .

الحكاية الثامنة والسبعون عن الشيخ فتح الموصلى رضى الله عنه

قال رأيت فى البادية غلاما لم يبلغ الحلم يمشى ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد الجواب ، فقلت له ، إلى أين يا غلام ، فقال إلى بيت الله الحرام ، قلت له فبم إذن تحرك شفتيك قال بالقرآن قلت فإنه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر منى سنا فقلت خطوك قصير وطريقك بعيد فقال إنما على نقل الخطى وعلى الله الإبلاغ فقلت أين الزاد والراحلة فقال زادى يقينى وراحلتى رجلاى قلت عن الخبز والماء فقال يا عماء رأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك فقلت لا قال إن سيدى دعا عباده إلى بيته وأذن لهم فى زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم ، وإنى استقبحت ذلك فحفظت الأدب معه أفتراه يضيعني فقلت كلا وحاشا ثم غاب عن عينى فلم أراه إلا بمكة فلما رآنى قال يا شيخ أنت بعد على ذلك الضعف فى اليقين ثم أنشأ يقول :

مالك العالمين ضامن رزقى فلماذا أكلف الخلق رزقى
قد قضى لى بما على ومالى مالكى فى قضائه قبل خلقى

صاحب البذل والندى فى يسارى ورفيقى فى عسرتى حسن صدقى
فكما لايرد عجزى رزقى فكذا لايجر رزقى حدقى

الحكاية التاسعة والسبعون عن أحدهم

قال بقيت فى بربة الحجاز أياما لم أكل شيئا فاشتھيت. باقلا حارا وخبزا من باب الطاق ، فقلت أنا فى البرية وبينى وبين العراق مسافة بعيدة ، فلم أتم خاطرى حتى نادى أعرابى من بعيد يا باقلا حارا وخبزا فتقدمت إليه وقلت له عندك باقل حار قال نعم وبسط مئززا كان عليه وأخرج خبزا وباقلا حارا وقال لى كل فأكلت ثم قال كل فأكلت ، ثم قال لى ثالثة كل فأكلت فلما قال الرابعة قلت بحق الذى بعثك لى فى هذه البرية إلا ماقلت لى من أنت فقال الخضر وغاب عنى فلم أره سلام الله ورضوانه عليه .

الحكاية الثمانون عن شقيق البلخى رضى الله عنه

قال رأيت فى طريق مكة مقعدا يزحف على الأرض فقلت له من أين أقبلت قال من سمرقند قلت وكم لك فى الطريق فذكر أعواماً تزيد على العشرة فرفعت طرفى إليه أنظر متعجبا فقال لى يا شقيق مالك تنظر إلى فقلت متعجبا من ضعف مهجتك وبعد سفرك فقال لى يا شقيق أما بعد سفرتى فالشوق يقربها وأما ضعف مهجتى فمولأى يجملها يا شقيق أتعجب من عبد ضعيف يحمله المولى اللطيف وأنشد يقول :

أزوركم والهوى صعب مسالكه والشوق يحمل من لامال يسعده
ليس المحب الذى يخشى مهالكه كلا ولا شدة الأسفار تقعده

الحكاية الحادية والثمانون عن أحد الصالحين

قال رأيت فى الطريق غلاما شابا نحيف الجسم دقيق الساقين وهو يبكى ويقول واشواقه لمن يرانى ولا أراه فقلت له من هو فأنشد يقول :

ولى حبيب بلا كيف ولا شبهه ولى مقام بلا ربع ولا خيم
أتيت من دار عشق لا أمثلها من عند من لم أطق شرحاً له بفم
قال ثم غشى عليه زمانا فحركناه فوجدناه قد مات رضى الله عنه .

(روى) أن الشيخ نجم الدين الأصبهانى رضى الله عنه خرج مع جنازة بعض الصالحين بمكة فلما دفنوه وجلس الملقن يلقنه ضحك الشيخ نجم الدين وكان من عادته لا يضحك فسأله أحد أصحابه عن ضحكه فزجره فلما كان بعد ذلك قال ما ضحكت

إلا لأنه لما جلس الملقن على القبر سمعت صاحب القبر يقول ألا تعجبون من ميت يلقن حيا رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين .

الحكاية الثانية والثمانون عن الشيخ المزني الكبير رضى الله عنه

قال كنت بمكة فوقع بى انزعاج فخرجت أريد المدينة فلما وصلت إلى بئر ميمونة رضى الله عنها إذا بشاب مطروح وهو فى النزع فقلت قل لا إله إلا الله ففتح عينيه وأنشأ يقول :

أنا إن مت فالهوى حشو قلبى وبداء الهوى تموت الكرام
ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه ، فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بى من إرادة السفر فرجعت إلى مكة رضى الله عنهما وقال بعضهم كان عندنا فتى بمكة عليه أظمار رثة وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا ، فوقعت محبته فى قلبى ، ففتح لى بمائتى درهم من وجه حلال فحملتها إليه ووضعها على طرف سجادة وقلت له إنى فتح لى بهذه من وجه حلال فاصرفها فى بعض حوائجك فنظر إلى شزرا ثم قال إنى اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات تريد أن تخدعنى عنها بهذه وقام وبدرها وقعدت ألتقطها فما رأيت كعزه حين مر ولا كذلى حين كنت ألتقطها رضى الله عنه .

الحكاية الثالثة والثمانون عن أحدهم

قال كنت بالمدينة فجئت عند القبر الشريف فإذا برجل أعجمى كبير الهامة يودع النبى ﷺ فتبعته لما خرج فلما بلغ مسجد ذى الحليفة صلى ولبى فصليت ولبيت وخرجت خلفه فالتفت فرأنى وقال ما تريد فقلت أريد أن أتبعك فأبى فألححت عليه فقال إن كان ولا بد فلا تضع قدمك إلا على أثر قدمى فقلت نعم فمشى فأخذ على غير الطريق فلما مر هزيع من الليل إذا بضوء سراج فالتفت إلى وقال هذا مسجد عائشة فتقدم أنت أو أتقدم أنا فقلت ما تختاره فتقدم ونمت أنا حتى إذا كان وقت السحر دخلت مكة فطفت وسعيت وجئت عند الشيخ أبى بكر الكتانى رضى الله عنه وجماعة من الشيوخ عنده فعود فسلمت عليهم ، فقال لى الكتانى متى قدمت قلت الساعة قال من أين قلت من المدينة قال كم لك عنها قلت البارحة فنظر بعضهم إلى بعض فقال لى الكتانى مع من جئت قلت مع رجل من حاله أو قصته كذا وكذا، قال ذاك أبو جعفر الداغانى وهذا فى حاله قليل ثم قال قوموا فاطلبوه ثم قال لى يا ولدى

قد علمت أن هذا ليس حالك ثم قال كيف كنت تحس بالأرض تحت قدميك قلت مثل الموج إذا دخل تحت السفينة رضى الله عنه ونفع به أمين .

الحكاية الرابعة والثمانون عن سفيان بن إبراهيم رحمه الله

قال لقيت إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه بمكة شرفها الله تعالى فى سوق الليل عند مولد النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فأجأته إلى ناحية من الطريق قال فسلمت عليه وصليت عنده وقلت له ما هذا البكاء يا أبا إسحق فقال خير فعاودته مرة ثانية وثالثة فلما أطلت عليه السؤال قال لى يا سفيان إن أنا أخبرتك بخبر تبوح به أم تستر على فقلت له يا أخى قل ماشئت قال اشتهيت نفسى سكباجا منذ ثلاثين سنة وأنا أمنعها جهدى فلما كان البارحة غلبنى النوم وإذا أنا بشاب من أحسن الناس وجها ويده قدح أخضر يعلو منه البخار ورائحة السكباج فأجمعت همتى عنه فقرب منى وقال يا إبراهيم كل فقلت ما أكل شيئا تركته لله عز وجل فقال ولا إن أطعمك الله تعالى قال فما كان لى والله جواب إلا البكاء فقال لى كل يرحمك الله فقلت له قد أمرنا ألا نطرح فى وعائنا إلا ما نعلم فقال لى كل عافاك الله فإنما ناولنى هذا رضوان وقال لى ياخضر اذهب بهذا الطعام فأطعمه لنفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها الله تعالى على طول صبرها على ما يحملها من منعها شهواتها ثم قال فالله عز وجل يطعمها وأنت تمنعها يا إبراهيم إنى سمعت الملائكة يقولون من أعطي فلم يأخذ طلب ولم يعط فقلت إن كان كذلك فهأنا بين يديك لم أخل بالعهد مع الله تعالى وإذا بفتى آخر قد ناوله شيئا وقال ياخضر لقمة فلم يزل يطعمنى بيده فانتبهت وحلاوة ذلك فى فمى ولون الزعفران فى شفتى فدخلت زمزم فغسلت فمى فلا الطعم ذهب ولا أثر الزعفران قال سفيان قلت له فأرنى فإذا أثره لم يذهب فقلت يا من يطعم مناع الشهوات إذا صححوها المنع لأنفسهم يا من ألزم قلوب أوليائه التصحيح يا من سقى قلوبهم من شراب محبته أترى لسفيان عندك ذلك قال ثم أخذت يد إبراهيم ورفعته إلى السماء وقلت اللهم بقدر هذه الكف وقدر صاحبها وحرمة عندك وبالجود الذى وجده منك يا الله جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك برحمتك يا أرحم الراحمين وإن لم يستحق ذلك منك يارب العالمين .

الحكاية الخامسة والثمانون

حكى عن إبراهيم بن أدهم أيضاً رضى الله عنه أنه حج إلى بيت الله الحرام فبينما هو فى الطواف ، وإذا بشاب حسن الوجه قد أعجب الناس حسنه وجماله فصار إبراهيم ينظر إليه ويكى فقال بعض أصحابه إنا لله وإنا إليه راجعون غفلة دخلت على الشيخ بلاشك قال ياسيدي ما هذا النظر الذى يخالطه البكاء فقال له إبراهيم يا أخى إننى عقدت مع الله تعالى عقدا لا أقدر أفسخه وإلا كنت أدنى هذا الفتى منى وأسلم عليه فإنه ولدى وقره عيني تركته صغيرا وخرجت فارا إلى الله تعالى وها هو قد كبر كما ترى وإنى لأستحيى من الله سبحانه وتعالى أن أعود لشيء خرجت عنه وتركته له عز وجل وأنشد :

ولا عرضت لى نظرة مذ عرفته مدى الدهر إلا كان لى حيث أنظر
أغار على طرفى له فكأننى إذا رام طرفى غيره لست أبصر
أيا منتهى ذخرى وسؤلى وعدتى وداك فى قلبى إلى يوم أحشش
ثم قال لى امض وسلم عليه لعلى أتسلى بسلامك عليه وأبرد ناراً على كبدى
فأتيت الفتى وقلت له بارك الله لأبيك فىك فقال ياعم وأين أبى إن أبى خرج فارا إلى
الله تعالى ليتنى أراه ولو مرة واحدة وتخرج نفسى عند ذلك هيهات هيهات وخنقة
العبرة وقال والله أود أنى رأيتة وأموت فى مكانى ثم بكى وأنشد يقول :

لقد حكم الزمان على حتى يرانى فى هواك كما ترانى
حبيى إن بعدت فإن قلبى على على مر الزمان إليك دانى
وإن بعدت ديارك عن ديارى فخصك ليس يبرح عن عيانى
لقد أسكنت حبك فى فؤادى مكانا ليس يعرفه جنانى
كأنك قد ختمت على ضميرى فغيرك لا يمر على لسانى

قال ثم رجعت إلى إبراهيم وهو ساجد فى المقام وقد بل الحصى بدموعه وهو يتضرع إلى الله تعالى ويكى ويقول :

هجرت الخلق طراً فى هواك وأيتممت العيال لكى أراك
فلو قطعتنى فى الحب إربى لما سكن الفؤاد إلى سواك

قال فقلت له ادع له فقال حجبه الله عن معاصيه وأعانه على ما يرضيه .

الحكاية السادسة والثمانون عن الشيخ أبي بكر الدقاق رضى الله عنه

قال بقيت بمكة عشرين سنة وكنت أشتهى اللبن فغلبتنى نفسى فخرجت إلى عسفان فاستضفت حيا من أحياء العرب فوقعت عيني على جارية حسناء أخذت بقلبي فقالت يا شيخ لو كنت صادقا لذهبت عنك شهوة اللبن فرجعت إلى مكة وطفقت بالبيت فرأيت فى منامى يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم فقلت يانبى الله أقر الله عينك بسلامتك من زليخا فقال لي يامبارك بل أنت أقر الله عينك بسلامتك من العسفانية ثم تلا يوسف عليه السلام ولمن خاف مقام ربه جنتان بصوت رحيم وأنشدوا :

وأنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وقال أحدهم لا يمكن الخروج من النفس بالنفس ، وإنما يمكن الخروج عن النفس بالله تعالى وقال استرح مع الله تعالى ولا تسترح عن الله فإن من استراح مع الله نجا ومن استراح عن الله هلك والاستراحة مع الله تعالى تروح القلب بذكره والاستراحة عن الله تعالى مداومة الغفلة وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم رضى الله عنه ذكر الله يرطب القلب ويلينه فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات فيقسو ويبس وامتنعت الأعضاء من الطاعة فإذا مددتها انكسرت كالشجرة إذا يبست لاتصلح إلا للقطع وتصير وقودا للنار أعادنا الله الكريم منها .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل رضى الله عنه العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز والقفار ليصل إلى بيته وحرمه لأن فيه آثار أنبيائه كيف لا يقطع نفسه وهو حتى يصل إلى قلبه فإن فيه آثار مولاة .

وقال الشيخ أبو تراب النخشي رضى الله تعالى عنه من شغل مشغولا بالله عن الله أدركه المقت فى الوقت أو كما قال نعوذ بوجه الله الكريم من مقتته وعذابه الأليم .

الحكاية السابعة والثمانون

عن أحدهم أنه سافر للحج على قدم التجرد وعاهد الله سبحانه ألا يسأل أحدا شيئا فلما كان في بعض الطريق مكث مدة لا يفتح عليه بشيء فعجز عن المشي ثم قال في نفسه هذا حال ضرورة تؤدي إلى تهلكة بسبب الضعف المؤدى إلى الانقطاع وقد نهى الله عن الإلقاء إلى تهلكة ثم عزم على السؤال فلما هم بذلك انبعث من باطنه خاطر رده عن ذلك العزم ثم قال أموت ولا أنقض عهدا بيني وبين الله تعالى فمرت القافلة وانقطع واستقبل القبلة مضطجعا ينتظر الموت فينما هو كذلك إذا بفارس قائم على رأسه معه إداوة فيها ماء فسقاه وأزال ما به من الضرورة ، وقال له تريد القافلة فقال وأين منى القافلة ، فقال قم وسار معه خطوات ثم قال قف ههنا والقافلة تأتيك فوقف وإذا بالقافلة مقبلة من خلفه .

قلت وسيأتي الجواب في خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى عن إنكار من أنكر هذه الحكاية وأشباهاها .

الحكاية الثامنة والثمانون

حكى أنه كان شاب يطوف بالكعبة ويشغل بالصلاة على النبي ﷺ فقيل له هل عندك في هذا شيء قال نعم خرجت أنا وأبي حاجين فمرض أبي في بعض المنازل ومات واسود وجهه وازرقت عيناه وانتفخ بطنه فبكيت وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون مات أبي في أرض غربة هذه الموتة فلما كان الليل غلبني النوم فرأيت النبي ﷺ وعليه ثياب بيض ورائحة طيبة عطرة فدنا من أبي ومسح على وجهه فصار أشد بياضا من اللبن ثم مسح على بطنه فعاد كما كان ثم أراد أن ينصرف فقمت إليه وأمسكت بردائه وقلت ياسيدي بالذي أرسلك إلى أبي رحمة في أرض غربة من أنت فقال أو ما تعرفني أنا محمد رسول الله كان أبوك هذا كثير المعاصي والذنوب غير أنه كان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بي فأعثته وأنا غياث لمن يكثر الصلاة على في دار الدنيا .

قلت وفي مدحه ﷺ خطرت لي هذه الأبيات عند كتابة هذه الحكاية في الشفاعة :

إذا أقبلت يوم الحساب جهنم
له شرف العلياء رحب مكرم
فليس سواكم يا أهل العزم يعزم
وعيسى وقبل القوم نسوح وآدم

عليك صلاة الله يا ملجأ السورى
وراموا شفيعا يستغاث بجاهه
وقالوا لأهل العزم فى الرسل من لها
فعلها الخليل والكليم تأخره
<https://www.alkalim.com>

فخير الكرام والرسول عنها تأخروا أتيت إليها بالندا تتقــــدم
أعنت جميع الخلق إذ كنت رحمة بعثت لكل العالمين ليرحموا
فأنت الذى فى الحشر تحت لوائه جميع البرايا للأنام مقــــدم

الحكاية التاسعة والثمانون عن أبى الحسن السراج

قال خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فبينما أنا أطوف وإذا بامرأة قد أضاء حسن وجهها فقلت والله ما رأيت إلى اليوم قط نضارة وحسنا مثل هذه المرأة وما ذاك إلا لقلّة الهم والحزن فسمعت ذلك القول منى فقالت كيف قلت هذا يارجل والله إنى لوثيقة بالأحزان ومكلمة الفؤاد بالهموم والأشجان ما يشركنى فيها أحد فقلت وكيف ذاك فقالت ذبح زوجى شاة ضحينا بها ولى ولدان صغيران يلعبان وعلى ثدىي طفل يرضع فقمتم لأصنع لهما طعاما إذ قال ابني الكبير للصغير ألا أريك كيف صنع أبى بالشاة قال بلى فأضجعه وذبحه وخرج هاربا نحو الجبل فأكله الذئب فانطلق أبوه فى أثره يطلبه فأدركه العطش فمات فوضعت الطفل وخرجت إلى الباب أنظر ما فعل أبوهم فدب الطفل إلى البرمة وهى على النار فوضع يده فيها فصبها على نفسه وهى تغلى فاتشر لحمه عن عظمه ، فبلغ ذلك ابنة لى كانت عند زوجها فرمت بنفسها إلى الأرض فوافقت أجلها فأفردنى الدهر من بينهم فقلت لها كيف صبرت على هذه المصائب العظيمة فقالت ما من أحد ميز بين الصبر والجزع إلا وجدت بينهما منهاجا متفاوتا فأما الصبر بحسن العلانية فمحمود العاقبة ، وأما الجزع فصاحبه غير معوض ثم أعرضت عنى وهى تنشد :

صبرت وكان الصبر غير معول وهل جزع يجدى على فأجزع
صبرت على ما لو تحمل بعضه جبال شرود أصبحت تتصدع
ملكتم دموع العين حتى رددتها إلى ناظرى فالعين فى القلب تدمع

الحكاية التسعون عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال عطشت فى بعض أسفارى وأسقطت من العطش فإذا أنا بماء رش على وجهى ففتحت عيني فإذا برجل حسن الوجه راكب على دابه شهباء فسقانى وقال كن رديفى فما لبثت إلا يسيرا حتى قال لى ما ترى فقلت أرى المدينة فقال فاقرا على رسول الله ﷺ السلام وقل له أخوك الخضر يقرئك السلام ، وقال الشيخ أبو الخير الأقطع رضى الله عنه قدمت مدينة رسول الله ﷺ فأقمت خمسة أيام ماذقت ذواقا فتقدمت إلى القبر الشريف وسلمت على النبى ﷺ وعلى أبى بكر وعمر رضى الله

عنهما وقلت يارسول الله أنا ضيفك الليلة وتنحيت ونمت خلف المنبر فرأيتهُ ﷺ في المنام وأبو بكر رضى الله عنه عن يمينه وعمر رضى الله عنه عن شماله وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بين يديه فحركنى على رضى الله عنه وقال لى قم فقد جاء رسول الله ﷺ فقامت إليه وقبلت بين عينيه فدفع إلى رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وفي يدي والله نصفه وأنشد بعضهم :

وأشتاق للوادي وأصبو إلى المعنى
يحدث عن نجد حديثا له معنى
رأوا عند بانات النقا وجهها الأسنى
وقل لمليح الحى إنى به مضى
يرق لمشتاق إلى ربعه حنا
ويدفن فى سلع ويمسى له سكنى
فقلبى يهواه وعقلى به جنا
ألاياله بدرا حوى الحسن والحسنى
وما ناح طير فى الغصون وما غنى

أحن الى نوح الحمام إذا غنى
ويعجبني مر النسيم لأنه
ويخبر عن زوار ليلي بأنهم
بعيشك إن جئت الخيام فقف بها
وعرض بذكرى عنده فلعله
متى بقبا تقضى منيه عاشق
تملك قلبى الحب من سكن الحمى
تكامل معناه فأصبح فاتنا
عليه صلاة الله ملاح بارق

الحكاية الحادية والتسعون

عن أبى جعفر الصفار رضى الله عنه

قال تهت فى البادية أياما فعطشت مدة وضعفت فرأيت رجلا نحيفا فاتحا فاه ينظر إلى السماء فقلت له ما هذه الوقفة فقال مالك والدخول بين المولى والعبيد ثم أشار بيده وقال هذه الطريق فسرت نحو إشارته فما مضيت إلا قليلا حتى رأيت رغيفين على أحدهما قطعة لحم حار وهنالك كوز فيه ماء فأكلت حتى شبعت وشربت حتى رويت ثم رجعت إليه وقلت ما التصوف فتبسم ثم قال لاح لاح ، فاصطلم فاستباح يعنى كشافا يرد على الأسرار فيخطف العبد ويستبيح منه كل ما كان له من مال وغيره حتى لا يؤثر لنفسه شيئا والاصطلام محل القهر ونعت الحيرة وصفة الدهشة رضى الله عنه .

قال وإلى هذا الاصطلام المذكور أشار الشيخ أبو الغيث اليمنى المشهور رضى الله عنه بقوله أهل الحضرة على أربعة أقسام رجل خوطب فصار كله أذنا ورجل

أشهد فصار كله عينا ورجل مصطلم تحت أنوار التجلى والرابع لسان حال الشفاعة وهو أكمل .

الحكاية الثانية والتسعون عن علي بن الموفق رضى الله عنه

قال حججت سنة من السنين فى محمل فرأيت رجلا يمشون فأحببت المشى معهم فنزلت وأركبت واحدا فى محملى ومشيت معهم فتقدمنا إلى البريد وعدلنا عن الطريق فمنا فرأيت فى منامى جوارى معهن طسوت ذهب وأباريق فضة يغسلن أرجل المشاة فبقيت أنا فقالت إحداهن لصواحبها أليس هذا منهم قلن هذا له محمل فقالت بل هو منهم لأنه أحب المشى معهم فغسلن رجلى فذهب عنى كل تعب كنت أجده .

الحكاية الثالثة والتسعون عن علي بن الموفق أيضا رضى الله عنه

قال حججت نيفا وخمسين حجة وجعلت ثوابها للنبي ﷺ ولأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولأبوى وبقيت حجة فنظرت إلى أهل الموقف بعرفات وضجيج أصواتهم فقلت اللهم إن كان فى هؤلاء من لا تقبل حجته فقد وهبت له هذه الحجة ليكون ثوابها له فبت تلك الليلة بالمزدلفة فرأيت ربي عز وجل فى المنام فقال يا على بن الموفق على تتسخى قد غفرت لأهل الموقف ومثلهم وأضعاف ذلك وشفعت كل رجل منهم فى أهل بيته وخاصته وجيرانه وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة .

الحكاية الرابعة والتسعون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال ركبنا مرة فى مركب وركب معنا شاب صبيح وجهه يشرق فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيسا فيه مال ففتش كل من فى المركب فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه وثب وثبة من المركب حتى جلس على أمواج البحر وقام له الموج على مثال السرير ونحن ننظر إليه من المركب وقال يامولاي إن هؤلاء اتهموني وأنا أقسم عليك يا حبيب قلبى أن يأمر كل دابة فى هذا المكان أن تخرج رأسها وفى أفواهاها جواهر وقال ذو النون رضى الله عنه فما تم كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب قد أخرجت رءوسها وفى فم كل واحدة منها جوهرة تتلأأ وتلمع ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر وجعل يتختر على متن الماء ويقول (إياك نعبد وإياك نستعين) حتى غاب عن بصرى قال فحملنى هذا على السياحة وذكرت قول النبي ﷺ لا يزال فى أمتى ثلاثون قلبوهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات منهم واحد بدل الله تعالى مكانه واحدا .

الحكاية الخامسة والتسعون عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال دخلت البادية فأصابتنى شدة فكابدتها وصابرتها فلما دخلت مكة داخلنى شيء من الإعجاب فنادتنى عجوز من الطواف يا إبراهيم كنت معك فى البادية فلم أكلمك لأنى لم أرد أن أشغل سرك عنه أخرج هذا الوسواس عنك .

(وقال الشيخ) أبو الحسين المزين رضى الله عنه دخلت البادية على التجريد حافيا حاسرا فخطر ببالى أنه ما دخل للبادية فى هذه السنة أحد أشد تجريدا منى فجدبنى إنسان من ورائى وقال يا حجام كيف تحدث نفسك بالأباطيل وأنشدوا :

نظرت فى الراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جنس من التعيب
والجد منها بعيد فى تطلبها فكيف تدرك بالتقصير واللعب
(وقال بعضهم) هجر النفس مواصلة الحق ومواصلة النفس هجر الحق وقيل

الهجر نيران والوصل جنان وأنشدوا :

والهجر لو سكن الجنان تحولت نعم الجنان على العيد جحيما
والوصل لو سكن الجحيم تحولت نعم الجحيم على العباد نعيما
(وقال) بعضهم إن الله تعالى وهب لكل عبد من معرفته مقدارا وحمله من البلاء على مقدار ما وهب له من المعرفة لتكون معرفته عوناً له على حمل بلائه .

الحكاية السادسة والتسعون عن أحد الصالحين رضى الله عنهم

قال رأيت سمنون فى الطواف وهو يتمايل فقبضت على يده وقلت له يا شيخ بموقفك بين يديه إلا أخبرتنى بالأمر الذى أوصلك إليه فلما سمع بذكر الموقف بين يديه سقط مغشيا عليه فلما أفاق أنشد :

ومكتئب لج السقام بجسمه كذا قلبه بين القلوب سقيم
يحقق له لو مات خوفا ولوعة فموقفه يوم الحساب عظيم

ثم قال يا أخى أخذت نفسى بخمس خصال أحكمتها فأما الخصلة الأولى أمت منى ما كان حيا وهو هوى النفس وأحييت منى ما كان ميتا وهو القلب وأما الثانية فإنى أحضرت ما كان عنى غائبا ، وهو حظى من الدار الآخرة، وغيبت عنى ما كان عندى حاضرا وهو نصيبى من الدنيا وأما الثالثة فإنى أبقيت ما كان فانيا عندى وهو التقى وأفنيته ما كان باقيا عندى وهو الهوى وأما الرابعة فإنى أنست بالأمر الذى منه تستوحشون وفررت من الأمر الذى إليه تسكنون ثم ولى عنى وهو يقول :

روحى إليك بكلها قد أقبلت لو كان فيك هلاكها ما أقلعت
تبكى عليك تخوفا وتلهفا حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة بتعطفا فلطالما متعتها فتمعت

الحكاية السابعة والتسعون

عن الشيخ أبي الربيع رضى الله عنه

قال كنا جماعة من الفقراء بمكة وكان فيهم رجال لهم سياحات وأحوال
عهدوها من أنفسهم وكنت قد وقف بى بحشى عن نفسي على أنى لم أجد لى عملا
صالحا ففكرت فى نفسى هل لى حال أنظره فى المستقبل يرد على فوجدتنى فقيرا منه
فقلت من العجز انتظار مالم يكن فتعلقت بفعل مايلزمنى فى الوقت فوجدت أنه ليس
عمل صالح أفضل من الطواف فكنت أكثر منه فكان بعضهم يقول لى إلى متى تدور
كحمار الساقية أفى كل هذا العمل أنت واجد قلبك فقلت لا ولا أعرف لى قلبا
أجده ولا أعرف له مكانا فأطلبه ولكنى سمعت قوله تعالى : ﴿وليطوفوا بالبيت
العتيق﴾^(١) فأنا أعمل على ظاهر من الأمر .

الحكاية الثامنة والتسعون

روى عن الشيخ أبي يعقوب البصرى رضى الله عنه

أنه قال جعت مرة فى الحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا فجدبتنى نفسى أن أخرج
إلى الوادى لعلى أجد شيئا أسكن به جوعى فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة
متغيرة فأخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكان قائلا يقول لى جعت عشرة أيام
فآخرتك يكون حظك سلجمة مطروحة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت
فإذا برجل جاء فجلس بين يدى ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت له كيف
خصصتنى بها فقال اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام فأشرفت السفينة على الغرق
فنذر كل واحد منا نذرا إن خلصنا الله تعالى أن يتصدق بشيء وندرت أنا إن خلصنى
الله تعالى أن أتصدق بهذه الخمسمائة الدينار على أول من يقع عليه بصرى من
المجاورين وأنت أول من لقيته ، فقلت أفتحها ففتحتها فإذا فيها كعك سميد مصرى
ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي إلى
صبيانك هدية منى إليهم ، وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يا نفس سير إليك

(١) سورة الحج : الآية ٢٩ .

عشرة أيام وأنت تطليبه من الوادى وأنشدوا :

لقد علمت وما الإشراف من خلقي
أسعى إليه فيعيني تطلبه
إن الذى هو رزقى سوف يأتيني
ولو قعدت أتانى لا يعينى

الحكاية التاسعة والتسعون

عن بنان الحمال رضى الله عنه

قال كنت فى طريق مكة أجيء من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة وقالت يابنان أنت حمال تحمل على ظهرك وتتوهم أنه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاثة أيام لم أكل فوجدت خلخالاً فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله حتى يأتى صاحبه فرمى يعطينى شيئاً فإذا بتلك المرأة فقالت أنت تاجر تقول يجيء صاحبه آخذ منه شيئاً ثم رمت إلى شيئاً من الدراهم وقالت أنفقتها فاكفتيت بها إلى قريب من مصر وأنشدوا :

كم من قوى قوى فى تقلبه
وكم ضعيف ضعيف فى تقلبه
مهذب الرأى عنه الرزق منحرف
كانه من خليج البحر يغتـرف
هذا دليل على أن الإله لــــه
فى الخلق سر خفى ليس ينكشف

الحكاية المائة

عن الشيخ أبى بكر الكتانى رضى الله عنه

قال جرت مسألة بمكة أيام الموسم فى المحبة فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد رضى الله عنه أصغرهم فقالوا له هات ما عندك يا عراقى فأطرق رأسه وذرفت عيناه ثم قال المحب عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه قد أحرق قلبه أنوار هيبته وصفا شربه من كاس وده وانكشفت له الحجب من أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فمن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا من مزيد جبرك الله يا تاج العارفين وأنشد بعضهم فى المحبة :

إذا فرقت بين المحبين ســــلوة
سأصفيك ودى ما حييت وإن أمت
فحبك لى حتى أموت قريــــن
هواك لعظمى فى التراب رهيــــن

الحكاية الأولى بعد المائة

عن الضحاك بن مزاحم رضي الله عنه

قال خرجت في ليلة جمعة أريد المسجد الجامع في الكوفة وكانت ليلة زاهرة مقمرة فإذا أنا بشاب في بعض رحاب المسجد ساجدا وهو يجود بالبكاء ، فلم أشك أنه ولي من أولياء الله تعالى فقتبت منه لأسمع مايقول فإذا هو يقول :

طوبى لمن كنت أنت معناه	عليك يا ذا الجلال معتمدى
يشكو إلى ذى الجلال بلواه	طوبى لمن بات خائفا وجلا
أكثر من حبه لمولاه	وما به علة ولا سقمام
أجابه الله ثم لبواه	إذا خلا فى الظلام مبهتلا

قال فلم يزل يكرر عليك يا ذا الجلال معتمدى وهو يبكى وأنا أبكى رحمة لبكائه ، ثم ذكر كلاما معناه أنه رأى نورا ، وسمع كلاما يقول :

وكل ما قلت قد سمعناه	ليبك عبدى فأنت فى كنفى
وذنبك الآن قد غفرناه	صوتك تشاقة ملائكتى

(قلت) لعل هذه الرؤية والسمع المذكورين وقعا فى حال النوم أو فى غيبة والله أعلم .

قال فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له بارك الله لك فى ليلتك وبارك فىك من أنت يرحمك الله قال أنا راشد بن سليمان فعرفته بما كنت سمعت من أمره وخبره وكنت أتمنى لقياه فلم أقدر على ذلك حتى يسر الله تعالى فقلت له هل لك فى صحبتى فقال هيهاه وهى يأنس بالمخلوقين من تلذذ بمناجاة رب العالمين أما والله لو خرج على أهل عصرنا هذا أحد من المشايخ أصحاب النيات الصحيحة لقال هؤلاء أحزاب لا يؤمنون بيوم الحساب ، قال ثم غاب عن بصرى فلم أدر أفى السماء صعد أم فى الأرض نزل فأشفقت على مفارقتة ، ثم سألت الله تعالى أن يجمع بينى وبينه قبل الموت فلما كان فى بعض الأعوام خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام ، فإذا أنا به فى ظل الكعبة ونفر يقرءون عليه سورة الأنعام فلما نظرنى تبسم وقال هذا لطف العلماء وذاك تواضع الأولياء ثم قام إلى وعانقنى وصافحنى وقال هل سألت الله تعالى أن يجمع بيننا قبل الموت فقلت نعم فقال الحمد لله رب العالمين على ذلك فقلت له رحمك الله أخبرنى عما رأيت تلك الليلة وسمعت فشهو شهقة ظننت أنه قد انفتق حجاب قلبه وخر مغشيا عليه ونفر الرهط الذين كانوا يقرءون عليه فلما أفاق قال يا أخى هل يغيب عنك ما الله تعالى فى قلوب أهل محبته من المهابة عن تفسير

تلك الإجابة فقلت له فما هؤلاء النفر الذين كانوا إليك قال أولئك نفر من الجن لهم على حرمة لتقديم صحبة فهم يقرءون على القرآن ويحجون معي في كل عام ، ثم ودعني وقال يا أخي جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لافرقه ولا تعب ولا حزن ولا نصب ثم غاب عن عيني فلم أراه رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الثانية بعد المائة

حكى أن عابدا من عباد الحرم كان يأتيه رجل كل ليلة بقرصين يفطر عليهما ولا يشتغل بغير الله عز وجل فقالت له نفسه يوما سكنت في القوت إلى هذا المخلوق ونسيت رزاق المخلوقين ما هذه الغفلة فلما أتاه الرجل بالقرصين ردهما عليه فانصرف عنه وبقي الفقير ثلاثة أيام ولم يفتح عليه بشيء من القوت فشكا ذلك إلى ربه سبحانه وتعالى فرأى تلك الليلة في النوم أنه واقف بين يدي الله تعالى فقال له يا عبدى لم رددت ما أرسلت به إليك مع عبدى فقال يارب لما وقع في نفسي من الكون إلى غيرك فقال يا عبدى فمن أرسله إليك قال أنت يارب قال فأنت تأخذه ممن قال منك قال فخذ ولا تعد ثم رأى الرجل المتصدق كأنه واقف بين يدي الله سبحانه وتعالى فقال له يا عبدى لم منعت عبدى قوته قال يارب علمت ذلك فقال يا عبدى أنت لمن تعطى قال لك يارب قال فأجر الفقير على عادته وابق على عادتك وثوابك الجنة رضى الله عنهما وفي هذا المعنى قلت في بعض القصائد .

فكل جميل أو جمال فجــــوده وصنعته عن حكمة ذات إنقــــان
فلا نعمة إلا ومن عنده أتــــت إليك وإن جاءتك من عند إنسان

الحكاية الثالثة بعد المائة

عن أحمد بن أبي الحواري رضى الله عنه

قال كنت مع أبي سليمان الداراني رضى الله عنه في طريق مكة فسقطت مني السطيحة فأخبرت أبا سليمان بذلك ، فقال ياراد الضالة اردد علينا الضالة فلم ألبث حتى أتى رجل يقول من سقطت منه سطيحة فنظرتها فإذا هي سطیحتى فأخذتها فقال أبو سليمان حسبت أن يتركنا بلا ماء يا أحمد فمشينا قليلا وكان برد شديد وعلينا الفراء فرأينا رجلا عليه طمران وهو يترشح من العرق فقال له أبو سليمان نواسيك ببعض ما علينا فقال الحر والبرد خلقان من خلق الله تعالى إن أمرهما غشيانى وإن أمرهما تركانى وأنا أسير في هذه البادية منذ ثلاثين سنة ما ارتعدت ولا انتفضت يلبسنى فيحاً على محبته في الشتاء ويلبسنى في الصيف مذاق برد محبته ياداراني

تشير إلى ثوب وتدع الزهد تجرد البرد يا داراني تبكى وتصيح وتستريح إلى الترويح
فمضى أبو سليمان رضى الله عنه وقال لم يعرفنى غيره .
(قيل) في هذه الحكاية ما معناه أنه لما حقق الله سبحانه يقين أبي سليمان في
رد السطيحة صانه عن العجب بما أراه الله تعالى من حال هذا الرجل حتى صغر فى
عينه حال نفسه وتلك سنة الله تعالى في أوليائه يصونهم عن ملاحظة الأعمال
ويصغر في أعينهم ما يصفو لهم من الأحوال رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم
آمين .

الحكاية الرابعة بعد المائة عن أحدهم

قال رأيت في الطواف كهلا قد أجهده العبادته ويده عصا وهو يطوف معتمدا
عليها فسألته عن بلده فقال خراسان ثم قال لى في كم تقطعون هذه الطريق قلت في
شهرين أو ثلاثة فقال أفلا تحجون في كل عام فقلت له وكم بينكم وبين هذا البيت
قال مسيرة خمس سنين فقلت والله إن هذا لهو الفضل المبين والمحبة الصادقة فضحك
وأشأ يقول :

زر من هويت وإن شطت بك الدار وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعك بعد عن زيارته إن المحب لمن يهـواه زوار

الحكاية الخامسة بعد المائة عن أحدهم

قال رأيت فتى في طريق مكة يتبختر في مشيته كأنه في صحن داره فقلت له ما
هذه المشية يا فتى فقال هذه مشية الفتيان خدام الرحمن وأنشد:
أتية بك افتخارا غير أنى أذوب من المهابة عند ذكرك
ولو أنى قدرت لمت شوقا وإجلالا لأجل عظيم قدرك
فقلت له وأين زادك وراحتك فنظر إلى منكرا لقولى ثم قال يا هذا رأيت عبدا
ضعيفا قاصدا مولى كريما ثم حمل إلى بيته طعاما وشرابا لو فعل ذلك لأمر الخدام
بطرده عن بابه إن المولى جلت قدرته لما دعاني إلى القصد إليه رزقنى حسن التوكل
عليه ثم غاب عنى فما رأيته بعد رضى الله عنه .

الحكاية السادسة بعد المائة عن أدهم

قال كنت بمكة فرأيت فقيرا يطوف بالبيت فأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها فلما كان في اليوم الثاني والثالث كان يفعل ذلك فطاف في يوم من الأيام ونظر في الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فأخرجت الرقعة من جيبه فإذا فيها مكتوب ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾^(١) رضى الله عنه ونفع به .

(وحكى عن أبى العباس الخضر رضوان الله عليه) أنه سأله بعض الأبدال هل رأيت وليا لله تعالى أرفع منك درجة قال نعم دخلت مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة فرأيت عبد الرزاق وحوله جماعة يستمعون الحديث وفي زاوية المسجد فتى جالس واضع رأسه على ركبته فقلت له أيها الشاب أما ترى الجماعة يسمعون أحاديث الرسول ﷺ من عبد الرزاق فهلا سمعت معهم فلم يرفع رأسه إلى ولا اكثر بي ولكن قال هنا من يسمع من عبد الرزاق وهنا من يسمع من الرزاق لا من عبده قال الخضر فقلت إن كان ما تقول حقا من أنا فرفع رأسه إلى وقال إن كانت الفراسة حقا فأنت الخضر فعلمت أن لله تبارك وتعالى أولياء لا أعرفهم لعلو رتبهم رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين .

الحكاية السابعة بعد المائة عن أدهم

قال كنا في المدينة نتكلم في بعض الأوقات في آيات الله تعالى المنعم بها على عباده من أوليائه وأهل وده وقربه من أصفياؤه وكان رجل ضرير بالقرب منا يسمع ما نقول فتقدم إلينا وقال أنست بكلامكم، اعلموا أنه كان لي عيال وأطفال فخرجت إلى البقيع أحتطب فرأيت شابا عليه قميص من كتان ونعله في أصبعه فتوهمت أنه تائه فقصدت أن أسلبه ثوبه فقلت له انزع ما عليك فقال لي مر في حفظ الله تعالى فقلت له الثانية والثالثة فقال ولا بد قلت ولا بد فأشار بأصبعه إلى عيني فسقطنا فقلت له بالله عليك من أنت فقال أنا إبراهيم الخواص رضى الله عنه (قلت) وإنما دعا إبراهيم الخواص رضى الله عنه على اللص بالعمى ودعا إبراهيم بن أدهم للذى ضربه بالجنة لأن الخواص شهد من اللص أنه لا يتوب إلا بعد العمى فرأى العقوبة أصلح له وابن أدهم لم يشهد توبة الضارب له في عقوبته ففضل عليه بالدعاء له فتوة منه وكرما

(١) سورة الطور الآية ٤٨ .

فحصلت البركة والخير بدعائه للضارب فأثاه مستغفرا معتذرا فقال له إبراهيم الرأس الذى يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ يعنى أن نخوة الشرف وكبر الرياسة كان في رأسى حين كنت أجول في ميدان الخيلاء والاستكبار على فرس حب الجاه وزينة الدنيا في بلخ والآن قد خرج ذلك من رأسى واستبدلت بالخيلاء والاستكبار تواضع المسكنة والانكسار وخلعت خلعة الحمقى المنسوجة من غزل الغرور والعطب وحيلة السفهاء المصوغة من نحاس النجاسة والتهيه والطرب ولبست خلعة الشرف الأبدى المنسوجة من غزل الزهد، وورع أهل التحقيق وخضوع العبودية والافتقار بمغزل التوفيق وتحليت بحلية الأولياء المصوغة من جواهر المعارف وبيواقيت الأدب، وفيروز محاسن أهل الطريق وسقيت براح المحبة على بساط مشاهدة الحبيب فلا أبالى بخفاء جندى وأنا من الملك قريب إذا حصل من ليلى قبول وإقبال وإنزال المحب فى موضع عال وشاهد حسن جمال غال فليس يحزن إذا نبحه كلب من كلاب الحى أو عليه صال وفى ذلك قلت نائبا عن لسان الحال .

إذا ما كلاب الحى فينا تنابحت أناسا ومن ليلى قبول وإقبال
برؤيا الجمال الغال منها لنا المنى ومنها لنا فى المنزل العال إنزال

الحكاية الثامنة بعد المائة

قال المؤلف خبرنى بعض الثقات من أهل اليمن أنه خرج للحج مع بعض الصالحين من أهل بلده ، فلما بلغوا جدة اکتروا جمالا يركبونها إلى مكة وساروا مع القافلة فعرض لهم بعض أولاد سلاطين مكة وأخذ الجباية من تلك القافلة حتى لم يبق إلا نحن فطالبنا بالجباية ولزمننا جمالنا فقال له الشيخ الصالح أطلق الجمال فأبى ثم كرر عليه مرارا وهو يأبى ويزداد غيظا ثم قال وحق رأس أبى ما أطلقكم إلا بكذا وكذا وذكر شيئا كثيرا فقال له الشيخ وحق مولاي ما نعطيك شيئا ثم قال الشيخ سيروا قال فسرنا وبقى ذلك الجابى على فرسه لا يقدر يتحرك فأرسل نحو الشيخ بعض غلمانة يسأل العفو عنه ويطلقه مما أصابه من العقوبة فأجابه الشيخ إلى ذلك فانطلق حينئذ ومشى به الفرس بعد أن كان لا يستطيع المشى رضى الله عنه وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم وبركاتهم آمين .

الحكاية التاسعة بعد المائة

حكى عن بشر الحافي رضى الله عنه أنه جاءه نفر فسلموا عليه فقال من أنتم قالوا نحن من الشام جئنا نسلم عليك ونريد الحج فقال شكرا لله تعالى لكم قالوا تخرج معنا لنحج في صحبتك فأبى فألحوا عليه فقال إذا عزمتم على ذلك فيكون على ثلاثة شروط ألا نحمل معنا شيئا ولا نسأل أحدا شيئا وإن أعطينا لا نقبل شيئا فقالوا أما لا نحمل ولا نسأل فنعم وأما إن أعطينا لا نقبل فلا نستطيع ذلك فقال كأنكم خرجتم من بيوتكم متوكلين على مزاول الحجاج لا متوكلين على الله تعالى دعوني وحالي روحوا إلى أشغالكم ثم قال أحسن الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وإن أعطى لا يقبل فذلك من الروحانيين أو قال مع الروحانيين وفقير لا يسأل وإن أعطى قبل فذلك يوضع له موائد في حضرة القدس وفقير يسأل وإن أعطى قبل قدر الكفاية فكفارته صدقة.

(وحكى) أنه أتى أيضا إلى بشر رضى الله عنه جماعة من الصوفية عليهم المرقعات فقال يا قوم اتقوا الله ودعوا هذا اللباس فإنكم تعرفون به فسكتوا إلا شابا منهم فإنه قال والله لنلبسناها ثم لنلبسناها حتى يكون الدين كله لله فقال أحسنت يا شاب مثلك يصلح له أن يلبسها رضى الله عنهم.

الحكاية العاشرة بعد المائة عن أحدهم

قال رأيت فقيرا ورد على بئر ماء في البادية فأدلى ركوته فيها فانقطع حبله ووقعت الركوة فيها فأقام زمانا وقال وعزتك لا أبرح إلا بركوتي أو تأذن لي بالانصراف عنها قال فرأيت ظبية عطشى جاءت إلى البئر ونظرت فيها ففاض الماء وطفح على البئر وإذا بركوته على فم البئر فأخذها وبكى وقال إلهى ما كان لي عندك محل ظبية فهتف به هاتف يقول يا مسكين جئت بالركوة والحبل وجاءت الظبية ذاهبة عن الأسباب لتوكلها علينا (قال). بعضهم سقى الله الظبية المذكورة ببركة وقفة الفقير على باب انبساطه مع مولاه وأقسم أنه لا يبرح إلا بركوته فأبر الله قسمه بصورة وزود الظبية تهذيبا لأخلاق أوليائه واهتماما بترك الأسباب واعتناء بالمسبب الوهاب عز وجل.

الحكاية الحادية عشرة بعد المائة

روى أنه سئل الشيخ أبو الخير الأقطع رضى الله عنه عن عجائب الأحوال فقال أعجب ما رأيت أنه أدخل عبد أسود رأسه في مرقعته في جامع طرسوس وخطر بباله

الحرم وزيارة الكعبة فأخرج رأسه وهو في الحرم (وقال) عبدالواحد بن زيد لأبي عاصم البصرى رضى الله عنهما كيف صنعت حين طلبك الحجاج قال كنت في غرفتي فدقوا علي الباب ودخلوا فدفعت بي دفعة فإذا أنا على أبي قبيس بمكة فقال له عبدالواحد من أين كنت تأكل قال كانت تأتي إلى عجوز وقت إفطاري بالرغيفين اللذين كنت أكلهما بالبصرة فقال عبدالواحد تلك الدنيا أمر الله تعالى أن تخدم أبا عاصم رضى الله عنه .

الحكاية الثانية عشرة بعد المائة

قال أحدهم كنا عند الشيخ أبي محمد الجريري رضى الله عنه فقال هل منكم من إذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يحدث في المملكة حدثاً أعلمه قبل أن يديه قلنا لا قال ابكوا على قلوب لا تجد من الله تعالى شيئاً (وقيل) اعتل بعضهم فحمل إليه دواء في قدح فأخذه ثم قال وقع اليوم في المملكة حدث لا أكل ولا أشرب حتى أعلم ما هو فورد الخبر بعد أيام أن القرمطي دخل مكة في ذلك اليوم وقتل بها مقتلة عظيمة فلما ذكرت هذه الحكاية لابن الكاتب قال هذا عجب فقال له الشيخ أبو عثمان المغربي رضى الله عنه ليس هذا بعجب فقال أبو على بن الكاتب فى أى شىء خبر مكة اليوم فقال هو ذا يتحارب الطلحيون وبنو الحسن ويقدم الطلحيون أسود عليه عمامة حمراء وعلى مكة اليوم غمامة على مقدار الحرم فكتب ابن الكاتب إلى مكة فكان كما ذكر أبو عثمان رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية الثالثة عشرة بعد المائة

عن أبي جعفر الحداد أستاذ الجنيد رضى الله عنهما

قال كنت بمكة فطال شعري ولم يكن معى شىء أقطعه به فتقدمت إلى مزين تؤسمت فيه الخير وقلت تأخذ شعري لله تعالى فقال نعم وكرامة وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسنى وحلق شعري ثم دفع إلى قرطاسا فيه دراهم ، وقال تستعين بهذه على بعض حوائجك فأخذتها وعقدت أن أدفع إليه أول شىء يفتح على قال فدخلت المسجد فاستقبلنى بعض إخوانى وقال لي جاء بعض إخوانك بصره من البصرة فيها ثلثمائة دينار جعلها لك في سبيل الله فأخذت الصرة وحملتها إلى المزين وقلت هذه ثلثمائة دينار تصرفها في بعض أمورك فقال ألا تستحى يا شيخ تقول لي احلق شعري لله ثم آخذ عليه شيئاً انصرف عافاك الله تعالى رضى الله عنهما .

الحكاية الرابعة عشرة بعد المائة عن الشيخ الشبلي رضى الله عنه

قال لي خاطرى يوما أنت بخيل فقلت ما أنا ببخيل فقال بل أنت بخيل فنويت أن أول شيء يفتح علي أعطيه أول فقير ألقاه فما تم هذا الخاطر حتى دخل على فلان (سماه) بخمسين ديناراً فأخذتها وخرجت فأول من لقيت فقيراً ضريراً أو قال أكمه بين يدي مزين يحلق له شعره فناولته ذلك فقال أعطاها المزين فقلت إنها دنائير فرفع رأسه إلى وقال ما قلنا لك إنك ببخيل فناولتها المزين فقال منذ قعد بين يدي هذا الفقير عقدت مع الله تعالى عقداً أنى لا آخذ على حلاقته شيئاً قال فأخذتها وذهبت بها إلى البحر ورميت بها فيه وقلت فعل الله تعالى بك وفعل ما أحبك أحد إلا أذله الله تعالى رضى الله تعالى عن الثلاثة ونفعنا بهم آمين قلت وسيأتى الجواب في خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى عن إنكار من أنكر هذه الحكاية .

الحكاية الخامسة عشرة بعد المائة

عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال دخلت البادية مرة فرأيت نصرانياً على وسطه زنار فسألنى الصحبة فمشينا سبعة أيام ثم قال لي يا راهب الحنيفة هات ما عندك من الانبساط فقد جعنا فقلت إلهى لا تفضحنى مع هذا الكافر فرأيت طبقاً عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت يا راهب النصرانية هات ما عندك فقد انتهت النوبة إليك فاتكأ على عصاه ودعا وإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقى قال فتحيرت وتغيرت وأبيت أن أكل فألح على فلم أجبه فقال كل فإنى أبشرك بشارتين إحداهما أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وحل الزنار، والأخرى قلت اللهم إن كان لهذا العبد حظ عندك فافتح علينا قال فأكلنا وشربنا ومشينا وحججنا وأقمنا سنة ومات رحمه الله ودفن بالبطحاء رضى الله عنه (وقال الخواص) رضى الله عنه دواء القلب في خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر، وقيام الليل، وخلاء البطن، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين رضى الله عنهم .

الحكاية السادسة عشرة بعد المائة

روى أنه قيل لحذيفة المرعشي رحمه الله تعالى ما أعجب ما رأيت من إبراهيم ابن أدهم رضى الله عنه قال بقينا في طريق مكة لم نجد طعاماً ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم بن أدهم وقال يا حذيفة أرى الجوع فقلت هو ما

رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى .

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر
هي ستة وأنا الضمين بنصفها
أنا جائع أنا قانع أنا عارى
فكن الضمين بنصفها يا بارى
فأجر عبيدك من دخول النار
مدحى لغيرك لهب نار خضتها

ثم دفع إلى الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك إلا بالله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقيني رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت في المسجد الفلاني فدفع إلى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فقلت له من صاحب هذه البغلة قال نصراني فجئت إلى إبراهيم بن أدهم فأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فإنه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة جاء النصراني وأكب على إبراهيم رضى الله عنه وأسلم والله در القائل :

يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيكم فيطيب

الحكاية السابعة عشرة بعد المائة

عن الشيخ أبي حمزة الخراساني رضى الله عنه

قال حججت سنة من السنين فينما أنا أمشى إذ وقعت في بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذه البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا بقصب وبارية وسدوا رأس البئر فطمسوها فهمت أن أصبح ثم قلت في نفسى والله لا أصبح أدعو من هو أقرب منهما وسكت فينما أنا بعد ساعة إذ بشىء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول تعلق بي في مهمة منه كنت أعرف منه ذلك فتعلقت به فأخرجنى فإذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول :

نهاني حيائي منك أن أكشف الغطا
تلطفت في أمرى فأبدت شاهدى
تراءيت لى بالغيب حتى كأنما
أرانى وبى من هيبتى لك وحشة
وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
إلى غائبى واللفظ يدرك باللفظ
تبشرنى بالغيب أنك في الكف
فتؤنسنى باللفظ منك وبالعطف
وذا عجب كون الحياة مع الحتف
وتحىي محبا أنت في الحب حتفه

(قلت) وسيأتى الجواب في الخاتمة عن إنكار من أنكر هذه الحكاية وأشباهها إن شاء الله تعالى

الحكاية الثامنة عشرة بعد المائة

روى أن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه كان يعمل في الحصاد ويحفظ البساتين فجاء يوما جندي وطلب منه أن يعطيه شيئا من الفواكه فأبى أن يعطيه فقلب الجندي سوطه وضرب رأسه فطأطأ له إبراهيم رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله عز وجل فلما عرفه الجندي اعتذر إليه فقال إبراهيم إن الرأس الذي يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ (وقال) رضى الله عنه لرجل وهو في الطواف اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات أولاها تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدة، والثانية تغلق باب العز وتفتح باب الذل والثالثة تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادسة تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت وأنشدوا:

إن لله عبادا فطنا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما عرفوا	أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا	صالح الأعمال فيها سفنا

الحكاية التاسعة عشرة بعد المائة عن عبدالله بن المبارك رضى الله عنه

قال كنت بمكة وقد لحق الناس قحط واستمر إمساك المطر عنهم فخرج الناس يستسقون في المسجد الحرام ولم يبق أحد من الصغار والكبار وكنت في الناس مما يلي باب بنى شيبه وإذا بعبد أسود قد أقبل عليه قطعتا خيش وقد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فأنتهى إلى موضع خفى بحدائي فسمعتة يقول إلهي قد أخلقت الوجوه كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال وقد منعنا غيث السماء لتؤدب الخليفة بذلك فأسألك يا حليما ذا أناة يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى استوت السماء بالغمام وأقبل المطر من كل مكان وجلس مكانه يسبح وأخذت أبكى فلما قام اتبعته حتى عرفت موضعه .
فجئت إلى الفضيل بن عياض رضى الله عنه فقال مالى أراك كئيبا قلت سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا قال وما ذاك فقصصت عليه القصة فصاح وسقط وقال :
ويحك يا ابن المبارك خذني إليه فقلت قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه .

فلما كان من الغد صليت الغداة وخرجت أريد الموضوع فإذا شيخ على الباب قد بسط له وهو جالس فلما رأيته عرفني وقال مرحبا بك يا أبا عبدالرحمن ما حاجتك فقلت له احتجت إلى غلام أسود فقال نعم عندي عدة فاختر أيهم شئت وصاح يا غلام فخرج غلام جلد فقال هذا محمود العاقبة أرضاه لك فقلت ليس هذا حاجتي فما زال يخرج لى واحدا بعد واحد حتى أخرج لي الغلام المذكور فلما بصرت به بدرت له عيناي بالنظر فقال هذا هو قلت نعم قال ليس لى إلى بيعه من سبيل فقلت ولم قال قد تبركت بموضعه في هذه الدار وذلك أنه لا يرزؤني شيئا .

قلت ومن أين طعامه قال يكتسب من قتل الشريط نصف دائق أو أقل أو أكثر فهو قوته فإن باعه في يومه وإلا طوى ذلك اليوم وأخبرنى الغلمان عنه أنه لا ينام الليل الطويل ولا يختلط بأحد منهم وهو مهتم بنفسه وقد أحبه قلبى فقلت انصرف إلى سفیان الثورى وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة .

فقال إن ممشاك عندي كبير خذه بما شئت فاشترته وأخذت به نحو دار الفضيل فمشيت ساعة ثم قال يا مولاي قلت لبيك فقال لا تقل لي لبيك فإن العبد أولى بأن يلبى مولاه قلت ما حاجتك يا حبيبي قال أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة وقد كان لك في غيرى سعة وقد أخرج إليك من هو أجلد منى فقلت لا يرانى الله تعالى أستخدمك ولكن أشتري لك منزلا وأزوجك وأخدمك أنا بنفسى فبكى بكاء كثيراً فقلت ما يبكيك فقال أنت تفعل بي هذا إلا وقد رأيت بعض متصلاتي بالله تبارك وتعالى وإلا فلم اخترتنى من بين أولئك الغلمان .

فقلت له ليس بي حاجة إلى هذا فقال سألتك بالله إلا أخبرتنى فقلت بإجابة دعوتك فقال لي أحسبك إن شاء الله تعالى رجلا صالحا إن لله عز وجل خيرة من خلقه ولا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده ولا يظهر عليهم إلا من ارتضى من خلقه ثم قال ترى أن تقف على قليلا فإنه قد بقيت على ركعات من البارحة فقلت هذا منزل فضيل قريب قال لا ههنا أحب إلى أمر الله عز وجل لا يؤخر فدخّل المسجد فما زال يصلى حتى أتى على ما أراد ثم التفت إلى وقال يا أبا عبدالرحمن هل من حاجة قلت لم قال إني أريد الانصراف قلت إلى أين قال إلى الآخرة فقلت لا تفعل دعنى أسر بك فقال إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بينى وبينه فأما إذا اطلعت عليها فسيطلع عليها غيرك ولا حاجة لي في ذلك ثم خر لوجهه فجعل يقول إلهى اقبضنى الساعة الساعة فدنوت منه فإذا هو قد مات .

فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزني وصغرت الدنيا في عيني رضى الله عنه
ونفعنا به (قلت) وفي أمثاله أقول:

عبيد لمولاهم تعالى وغيرهم عبيد الهوى بين الفريقين كالثرى
وعلو الثريا في ارتفاع مقامهم بهم يدفع الله البلايا عن الورى

الحكاية العشرون بعد المائة

عن محمد بن الحسين البغدادي رضى الله عنه

قال حججت في بعض السنين فبينما أنا أدور في شوارع مكة وإذا أنا بشيخ
قابض على يد جارية متغير لونها نحيل جسمها وعلى وجهها نور ساطع وضياء لامع
وهو ينادى هل من طالب هل من راغب هل من زائد على عشرين دينارا وأنا برىء
من كل عيب قال فذنوت منه وقلت له الثمن عرفناه فما العيب.

قال اعلم أنها جارية مهيمومة مهمومة قائمة ليلها صائمة نهارها لا تأكل طعاما
ولا تشرب شرابا قد ألفت الانفراد والوحدة في كل أرض وبلدة.

فلما سمعت كلامه أحب قلبي الجارية فاشتريتها بالثمن المذكور ورحت بها إلى
منزلي فرأيت الجارية مطرقة إلى الأرض ثم رفعت رأسها إلى وقالت يا مولاي الصغير
من أين أنت يرحمك الله قلت من العراق قالت من أي من العراق من البصرة أم من
الكوفة فقلت لها لا من البصرة ولا من الكوفة فقالت لعلك من مدينة السلام بغداد
قلت نعم قالت بخ بخ مدينة الزهاد والعباد قال فتعجبت وقلت جارية ينادى عليها من
حجرة إلى حجرة من أين لها معرفة بالزهاد والعباد ثم أقبلت عليها شبه الملاعب لها
وقلت لها ومن تعرفين منهم قالت أعرف مالك بن دينار، وبشر الحافي، وصالحا
المرى، وأبا حاتم السجستاني، ومعروف الكرخي، ومحمد بن الحسين البغدادي،
ورابعة العدوية، وشعوانة، وميمونة.

فأقبلت عليها وقلت لها من أين لك معرفة هؤلاء قالت يا فتى كيف لا أعرفهم
وهم والله أطباء القلوب ومن يدل المحب على المحبوب ثم أنشدت تقول:

قوم همهم بالله قد علقت فمطلب القوم مولاهم وسيدهم
يا حسن مطلبهم للواحد الصمد ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف
ولا لباس لثوب فائق أنق ولا التزويد في الأموال والعدد

قال فقلت لها يا جارية أنا محمد بن الحسين قالت لقد سألت الله تعالى أن يجمع بيني وبينك يا أبا عبدالله ما فعل حسن صوتك الذي كنت تحيي به قلوب المريدين وتبكي به عيون السامعين فقلت باق على حاله قالت فبالله عليك أسمعني شيئاً من القرآن فقرأت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فصرخت صرخة عظيمة وغشى عليها فرششت على وجهها الماء فأفاقتم ثم قالت يا أبا عبدالله هذا اسمه فكيف لو عرفته وفي الجنان رأيته اقرأ يرحمك الله فقرأت ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١) فقالت يا أبا عبدالله ما عبدنا وثنا ولا قبلنا صنما اقرأ يرحمك الله فقرأت ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(٢).

فقلت يا أبا عبدالله لقد ألزمت نفسك القنوط روح قلبك بين الرجاء والخوف اقرأ يرحمك الله ﴿وَجُوهَ يَوْمَئِذٍ مَسْفُورَةٌ ضَاكَّةٌ مَسْتَبْشِرَةٌ﴾^(٣) وقرأت أيضاً (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة)^(٤) فقالت واشوقاه إلى لقائه يوم تجلى لأوليائه اقرأ يرحمك الله فقرأت ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بَأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقُ وَكَأْسٌ مِنْ مَعِينٍ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾^(٥) إلى قوله ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ فقالت يا أبا عبدالله أراك قد خطبت الحور العين فهل بذلت من مهورهن شيئاً فقلت دليني يا جارية فإني مفلس فقالت عليك بقيام الليل وصيام النهار وحب الفقراء والمساكين ثم أنشأت تقول:

وطالبا ذاك على قدرها
وجاهد النفس على صبرها
وصم نهارا فهو من مهرها
وقد بدت رمانتا صدرها
وعقدتها يشرق في نحرها
تراه في دنياك من زهرها

ياخاطب الحوراء في خدرها
انهض بجد لا تكن وانيا
وقم إذا الليل بدا شطره
فلو رأيت عينك إقبالها
وهي تماشى بين أترابها
لهان في عينيك هذا الذي

(٢) الكهف : الآية ٢٩ .

(١) الجنانية : الآية ٢١ .

(٤) القيامة : الآيات ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) عبس : الآيات ٣٨ ، ٣٩ .

(٥) الواقعة : الآيات ١٧ - ١٩ .

قال ثم غشى عليها فرششت على وجهها الماء ثم أنشأت تقول:

إلهى لا تعذبني فإني مقمر بالذي قد كان مني
فكم من زلة لي في الخطايا غفرت وأنت ذو فضل ومن
يظن الناس بي خيرا واني لشر الناس إن لم تعف عني
ومالي حيلة إلا رجائي لعفوك إن عفوت وحسن ظني

قال ثم غشى عليها فدنوت منها فإذا هي قد ماتت رحمة الله تعالى عليها فاغتمت لذلك غما شديدا وخرجت إلى السوق لآخذ في جهازها فلما رجعت إذا هي قد كفت وحنطت وعليها حلتان خضراوان من حلل الجنة مكتوب بالنور على الكفن سطران:

السطر الأول - لا إله إلا الله محمد رسول الله .

السطر الثاني - ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَرَفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١).

قال فحملناها أنا وأصحابي وصلينا عليها ودفناها وقرأت عند رأسها سورة يس ورجعت إلى محرابي باكي العين حزين القلب على فراقها فصليت ركعتين ومنت فرأيت الجارية في الجنة وعليها الحلل وهي في مرج من زعفران أفيح عليها حلل السندس والإستبرق وعلى رأسها إكليل مرصع بالدر والجوهر وفي رجليها نعلان من الياقوت الأحمر يفوح منها رائحة المسك والعنبر وجهها أضوأ من الشمس والقمر فقلت لها مهلا يا جارية .

ما الذي أبلغك هذه المنزلة قالت حب الفقراء والمساكين وكثرة الاستغفار ونقل الأذى عن طريق المسلمين ثم أنشأت تقول:

طوبى لمن سهرت في الليل عيناه وبات ذا قلق في حب مسولاه
وناح يوما على تفريطه وبكى خوفا لما قد جناه من خطاياہ
وقام يرعى نجوم الليل منفردا خوف الوعيد وعين الله ترعاه

الحكاية الحادية والعشرون بعد المائة عن أحد أهل العلم

قال كانت تختلف إلى في بعض الأحيان جارية لها وضاءة وعليها حياء تسألني عن شرائع الإسلام وأمور الدين فأجيبها وألطف بها وكان حالها يميل الى التستر والكتمان وكان يعجبني سميتها وحسن حالها فبينما أنا بعد مدة مار بالسوق إذ رأيت الجارية وقد قبض على يدها إنسان وهو ينادى عليها من يشتري الجارية بعيها .

(١) يونس : الآية ٦٢ .

فقلت لها ألتى كنت تسألينى عن أمور الدين وشرائع الإسلام فأطرقت رأسها وأشارت به نعم فقلت له خل يدك عنها فقال ياسيدي لا أقدر فإن سيدها مجوسى وقد أغضبته فبينما أنا أتكلم معه إذ بسيدها قد أقبل فتقدمت إليه وقلت له صف لى صفة جاريتك واذكر لى ما الذى تكرهه منها قال أخبر الشيخ أن الأبعد مجوسى يعبد النار والنور وقد كنت استحسنت هذه الجارية لما رأيت من عقلها وجمالها فاشتريتها بثمن جزيل وكنت أراها كثيرة العبادة والتعظيم لمعبودنا محبة طائعة لأهتنا حتى كانت ليلة من الليالى مر بنا رجل من أهل ملتكم وقرأ شيئاً من كتابكم فما هو إلا أن سمعت ما قرأه فصاحت صيحة عظيمة فدهشنا وأنشدت :

طق السمع يا أهيل المصلى	خبر منكم فزاد اشتياقى
محكم النقل قد روته ثقات	مسند بالرواة والاتفاق
عندما شمت بارقا من حماكم	حن قلبى إلى لذيد التلاقى
وكتمت الوشاة ما بى من الوجد	ومن لوعتى وحر احتراقى
أنا أفنى بكم وتبلى عظامى	ورسيس الغرام فى القلب باقى

قال فدهشنا وهى باهته نسألها فلم ترد لنا جوابا إلا إنها هجرتنا وتركت عبادة آلهتنا وأبت أن تأكل طعامنا وإذا جن عليها الليل صلت إلى قبلكم وكم نهيناها فلم تنته وقد أذهبت نضارتها وغيرت حالها ولم يحصل لنا بها انتفاع ولم نستطع أن نردها عما هى عليه وقد عزمت على بيعها قال فقلت لها الأمر كذلك فأشارت برأسها نعم فقلت فى نفسى إنما عابها من جهلها فأنشدت :

يعيون مالو أنهم فطنوا به لكانوا أشد الناس حبا لما عابوا
فقلت لها أى آية قرئت عليك قالت قول ربكم تبارك وتعالى ﴿ففرؤا إلى الله
إنى لكم منه نذير مبين، ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إنى لكم منه نذير مبين﴾^(١) قالت
فمنذ سمعت هذا عدمت صبرى وظهر بى ما ترى من أمرى وأنشدت :

ما بين منعرج اللوى والوادی	يا صاحبى ضحى عدمت فؤادى
ورجعت ذا وله وكم من عاشق	مقتول عشق ماله من فنادى
يا أهل نجد ارحموا ذا لوعة	ما بين أطناب الخيام ينادى
ولهان لا يصغى لعذل عواذل	ظمان من ماء التواصل صادى
ما هب لى منكم نسيم مخبر	بالوصل فيه منائح الإسعاد

(١) سورة الذاريات : ٥٠ ، ٥١ .

إلا سعت مبادرا للقاكم
وإذا نطقت بذكر غزلان النقا
فلا أنتم قصدى وغاية مطلبى
لا شئ يشبهكم تعالى ذكركم
ومنعت عيني من لذيذ رقادى
أوزينب أو علوة وسعاد
ولأنتم دون الجميع مرادى
عن قول ذى زيغ وذى الحاد

قال فقلت لها لو أسمعك تمام الآيات فقالت إن كنت تحسنها فاقرأها فقرأت عليها حتى انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾^(١).

فقالت أحسنت حسبك ما ضمنه الإله المعبود ثم قلت لسيدها هل لك أن تقبض ثمنها منى فقال إن ثمنها جزيل ولى ابن عم قد تعلق بها وقصدنى فيها يروم أن ترجع عما هي عليه من الخاطر الذى قد اعترأها وهو مجوسى من أهل الملة.

قال فبينما هو يخاطبنى وإذ قد أقبل ابن عمه فقال أنا أردتها عما هي عليه فدفعها إليه فلما علمت ذلك قالت لى يا شيخ لا تسمع كلامه ليكون لى وله شأن عظيم يطلعك إلهك عليه فلما كان بعد مدة رأيت سيدها المجوسى الذى ذهب بها يصلى معنا فى المسجد فقلت له أأنت سيد الجارية قال بلى قلت كيف كان الخبر قال خير خبر، مضيت بالجارية إلى منزلى وخرجت لحاجة فلما رجعت وجدتها قد نصبت كرسيًا وجلست عليه وجعلت تذكر الله تعالى وتوحده وتُحذر أهلى وتنهاهم عن عبادة النار وتصف الجنة فخشيت أن تفسد علينا ديننا فقلت أخذت هذه الجارية طمعا أن أفسد عليها دينها فإذا هى تفسد علينا ديننا وقصصت قصتها على صاحب لى وقلت له ما تشير على أن أفعل.

قال أودعها مالا وخذه من ورائها واطلبه منها لتثبت لك عليها الحجة ثم اضربها قال فأودعتها كيسا فيه خمسمائة دينار فاشتغلت على عاداتها فى عبادتها فأخذت الكيس وهى لا تشعر وطلبتة منها فوثبت إلى الموضع الذى وضعت فيه وإذا بالكيس فى موضعه فناولتنى آياه فتعجبت من ذلك وقلت فى نفسى أنا أخذت الكيس وهذا آخر فلا شك بعد العيان هذا يدل على قدرة إلهها الذى تعبدته فأمنت بإلهها وأسلمت أنا وصاحبي وأهلى كلهم وأطلقت سبيلها كما اختارت رضى الله عنها ونفع بها وما زالت تكتنم الغرام حتى أظهر الله تعالى حالها للأنام كما أنشد لسان حالها:

(١) سورة الذاريات : الآيات : ٥٦ - ٥٨ .

كتمت الوشاة غرامى بكم
وموهت عنكم بوادى النقا
ولولاكم ما ذكرت اللوى
وحبككم في حشا أضلعى
وسكان رامنة والأجرع
ولا حن قلبى إلى لعلع

الحكاية الثانية والعشرون بعد المائة عن سرى السقطى رضى الله عنه

قال سهرت ليلة من الليالي وقلقت قلقتا شديدا فلم أطق الغمض مع ما حرمته من التهجد فلما صليت صلاة الصبح خرجت لا يقر لى قرار فوقف في الجامع أستسمع بعض القصاص لعلى أجد لقلبي راحة فوجدت قلبى لا يزداد إلا قساوة فمضيت ووقفت ببعض الوعاظ فوجدت قلبى لا يزداد إلا قساوة فقلت أمضى إلى بعض أطباء القلوب ومن يدل المحب على المحبوب فمضيت فوجدت قلبى لا يزداد إلا قساوة فقلت أفضى إلى أهل الشرط أعتبر بمن يعاقب فى الدنيا فمضيت فوجدت قلبى لا يزداد إلا قساوة فقلت أمضى إلى المارستان لعلى أتروع وأنزجر بمن ابتلى فلما ولجت المارستان وجدت قلبى قد انفسح وصدري قد انشرح وإذا أنا بجارية من أنضر الناس وجها عليها أظمار حسنة رفيعة وشممت منها رائحة عطرية عفيفة المنظر وسيمة الخطر وهى مقيدة الرجلين مغلولة اليدين فلما رأتنى تغرغرت عيناها بالدموع وأنشأت تقول:

اعيينك أن تغل يدي
تغل يدي إلى عنقى
وبين جوانحى كببد
وحققك يا منى قلبى
فلو قطعته قطعاً
بغير جريمة سبقت
وما خانت وما سرقت
أحس بها قد احترقت
يمينا برة صدقت
وحققك عنك ما رجعت

قال السرى رضى الله عنه فلما سمعت كلامها قلت لصاحب المارستان ما هذه قال مملوكة اختل عقلها فحبسها مولاه لعلها تنصلح، فلما سمعت كلام القيم أغرورقت عيناها بالدموع ثم جعلت تقول:

معشر الناس ما جنت ولكن
أغللت يدي ولم أت ذنباً
أنا مفتونة بحب حبيب
فصلاحي الذى زعمتم فسادی
وما على من أحب مولى الموالى
أنا سكرانة وقلبي صاحي
غير جهدى في حبه وافتضاحى
لست أبغى عن بابه من براح
وفسادى الذى زعمتم صلاحى
وارتضاه لنفسه من جناح

قال السرى رضى الله عنه فسمعت كلاما أفلقتى وأشجاني وأحرقنى وأبكاني فلما رأت دموعى قالت ياسرى هذا بكاؤك على صفته فكيف لو عرفته حق معرفته ثم أغمى عليها ساعة فلما أفاقت جعلت تقول:

ألبستنى ثوب وصل طاب ملبسه	فأنت مولى الورى حقا ومولائى
كانت بقلبى أهواء مفرقة	فاستجمعت مذرأتك العين أهوائى
من غص داوى بشرب الماء غصته	فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبى حزين على ما فات من زلى	والنفس فى جسدى من أعظم الداء
والشوق فى خاطرى منى وفى كبدى	والحب منى مصون فى سويدائى
إليك منك قصدت الباب معتذرا	وأنت تعلم ما ضمته أحشائى

فقلت لها يا جارية قالت لبيك يا سرى قلت من أين عرفتنى قالت ما جهلت مذ عرفت ولا فترت مذ خدمت ولا انقطعت مذ وصلت وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا، قلت أسمعك تذكير المخبة فمن تحبين قالت لمن تعرف إلينا بنعمائه وجاد علينا بجزيل عطائه، فهو قريب إلى القلوب مجيب لطلب المحبوب سميع بديع عليم حكيم جواد كريم غفور رحيم فقلت لها من حبسك ههنا، فقالت ياسرى حاسدون تعاونوا وتعاقدوا وتراسلوا، ثم شهقت شهقة حتى ظننت أنها فارقت الحياة ثم أفاقت وأنشأت تقول:

قلبى أراه إلى الأحباب مرتاحا	سكران من راح حب بالهوى باحا
يا عين جودى بدمع خوف هجرهم	فرب دمع أتى للخير مفتاحا
ورب عين رآها الله باكية	بالخوف منه تنال الروح والراحا
لله عبد جنى ذنبا فأحزنه	فبات يبكى ويذرى الدمع سفاحا
مستوحش خائف مستيقن فظن	كأن فى قلبه للنور مصباحا

قال السرى رضى الله عنه فقلت لقيم المارستان أطلقها ففعل فقلت اذهبي حيث شئت، قالت يا سرى إلى أين أذهب ومالى عنه مذهب إن حبيب قلبى قد ملكنى لبعض مماليكه فإن رضى مالكى ذهبت وإلا صبرت واحتسبت فقلت هذه والله أعقل منى فبينما هى تخاطبني إذ دخل مولاها فقال للقيم أين تحفة قال هى داخل وعندها سرى السقطى رضى الله عنه.

قال: ففرح ودخل وسلم على ورحب بى وعظمنى فقلت له هى أولى بالتعظيم منى فما الذى تكره منها فقال أمور كثيرة لا تأكل ولا تشرب ذاهلة العقل مدهوشة اللب ولا تنام ولا تدعنا نام كثيرة الفكرة سريعة العبارة ذات زفرة وحنين وبكاء وأين

وهي بضاعتي اشتريتها بكل مالى بعشرين ألف درهم وأملت أن أربح فيها مثل ثمنها
لحسن صنعتها قال قلت وما صنعتها قال مطربة قلت ومنذ كم كان بها هذا الداء قال
منذ سنة قلت وما كان بدؤه قال بينما العود في حجرتها وهي تغنى وتقول:

وحقك لا نقضت الدهر عهدا ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحي والقلب وجدا فكيف ألد أو أسلو وأهدا
فيامن ليس لى مولى سواه تراك تركتني في الناس عبدا

ثم كسرت العود وقامت وبكت وانتحبت فاتهمتها بمحبة إنسان فكشفت عن
ذلك فلم أجد له أثرا فقلت لها أهكذا كان الحديث فأجابتنى بلسان طلق وقلب
محترق وهي تقول:

خاطبني الحق من جناني فكان وعظي على لساني
قربنى منه بعد بعد وخصنى الله واصطفاني
أجبت لما دعيت طوعا ملبسنا للذى دعاني
وخفت مما جنيت قدما فوقع الحب بالأمانى

قال السرى رضى الله عنه فقلت على الثمن وأزيدك فصاح وقال وافقره من
أين لك ثمن هذه الجارية وأنت رجل فقير فقلت له لا تعجل على تكون في المارستان
حتى آتى بثمانها ثم ذهبت باكى العين حزين القلب ووالله ما عندي من ثمنها درهم
وبقيت طول الليل أتضرع وأبكي وأدعو إلى الله عز وجل فلم أطعم غمضا وأقول يا
رب إنك تعلم سرى وجهرى وقد عولت على فضلك فلا تفضحنى عند مالكها،
فبينما أنا في المحراب وإذا بقارع يقرع الباب فقلت من بالباب فقال حبيب من
الأحباب جاء في سبب من الأسباب بأمر الملك الوهاب ففتحت الباب وإذا برجل معه
أربعة غلمان وشمعة فقال يا أستاذ أتأذن لى في الدخول فقلت ادخل فدخل فقلت له
من أنت، فقال أنا أحمد بن المثنى قد أعطانى من إذا أعطى لا يبخل بالعطاء كنت
الليلة نائما فهتف بى هاتف يقول احمل خمس بدرات إلى السرى تطيب بها نفسه
ويشترى بها تحفة فإن لنا بها عناية فسجدت شكرا لله على ما أولانى من نعمة
وجلست أتوقع الفجر فلما صليت الصبح خرجت وأخذت بيد أحمد ومضيت به إلى
المارستان فإذا الموكل بها يلتفت يميننا وشمالا فلما رآنى قال مرحبا ادخل فإن لها عند
الله تعالى عناية هتف بى البارحة هاتف وهو يقول:

إنها منا ببال ليس تخلو من نوال
قربت ثم ترقت وعلت في كل حال

قال السرى رضى الله عنه فلما رأتنا تحفة تغرغرت عيناها بالدموع وقالت
شهرتني بين المخلوقين ثم أنشأت تقول:

قد تصبـرت إلى أن عـيل في حـبك صـبري
ضاق من قـيـدى وغـلى وامـتها نـى فيك صـدرى
ليس يخـفى عـليك أـمرى يا منى سـؤالى وذخـرى

قال فيبينما نحن جلوس إذ دخل مولاها وهو باكي العين حزين القلب متغير اللون فقلت له لاتبك فقد جئناك بما وزنت وريح خمسة آلاف فقال لا والله فقلت ربيع عشرة آلاف فقال لا والله فقلت وريح المثل فقال لو أعطيتني الدنيا ما قبلت هي حرة لوجه الله تعالى ، فقلت له ما القصة فقال يا أستاذ وبخت البارحة أشهدك أني قد خرجت من جميع مالى هاربا إلى الله تعالى اللهم كن لى في السعة كفيلا وبالرزق حميلا فالتفت إلى ابن المثنى فرأيتته يبكى فقلت له ما يبكيك فقال كأن الحق مارضينى لما ندبني إليه أشهدك أني قد تصدقت بجميع مالى لوجه الله تعالى فقلت ما أعظم بركة تحفة على الجميع فقامت تحفة فنزعت ما كان عليها ولبست مدرعة من شعر وخرجت وهى تبكى فقلنا لها قد أطلقك الله تعالى فما يبكيك فأنشأت تقول:

هربت منه إليـــــــــــــــــه بكيت منه عليـــــــــــــــــه
وحقه وهو ســـــــــــــــــؤلى لا زلت بين يديـــــــــــــــــه
حـــــــــــــــــتى أنال وأحظى بما رجـــــــــــــــــوت ليديه

قال ثم خرجنا من الباب فلما سرنا في بعض الطريق طلبناها فلم نجدها ومات ابن المثنى فى الطريق ودخلت أنا ومولاها مكة فيبينما نحن في الطواف إذ سمعت كلام مجروح من كبد مقروح وهو يقول:

محب الله في الدنيا سقيم تطاول سقمه فدواه داه
سقاء من محبته بكأس فأرواه المهيمن إذ سقاه
فهام بحبه وسما إليه فليس يريد محبوسا سواه
كذلك من ادعى شوقا إليه يهيم بحبه حتى يراه

قال فتقدمت إليها فلما رأتنى قالت ياسرى قلت لبيك من أنت يرحمك الله
قالت لا إله إلا الله وقع التناكر بعد المعرفة أنا تحفة فإذا هى كالحيال فقلت يا تحفة ما

الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت أنسنى بقربه وأوحشنى من غيره فقلت لها مات ابن المثنى فقالت رحمه الله لقد أعطاه مولاي من الكرامات مالا عين رأت ولا أذن سمعت وهو بجوارى في الجنة فقلت جاء مولاك الذى أعتقك معى فدعت بدعاء خفى فلم يكن بأسرع ما عايتها تلقاء الكعبة ميتة فلما نظرها سيدها لم يتمالك أن سقط على وجهه فحركته فإذا هو قد قضى نخبه فأخذت في جهازهما ودفنتهما رحمة الله عليهما.

الحكاية الثالثة والعشرون بعد المائة عن أبى هاشم المذكور رحمه الله

قال أردت البصرة فجئت إلى سفينة أكثرها وفيها رجل ومعه جارية فقال الرجل ليس ههنا موضع لك فسألته الجارية أن يحملنى ففعل فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع فقال ادعوا ذلك المسكين ليتغدى معنا فجئت على أنى مسكين فلما تغدينا قال يا جارية هاتى شرابك فشرب وأمرها أن تسقىنى فقلت يرحمك الله إن للضيف حقا فتركنى فإذا دب فيه النبيذ قال يا جارية هاتى عودك وهاتى ماعندك فأخذت العود فغنت وقالت:

يزول على الحالات عن رأى واحد
وخليته لما أراد تباعدى
فلم يصحبها بعد ذلك ساعدى
يكون أخا في الخصب لا في البشداد

وكنا كغصنى بانه ليس واحد
تبدل بى خلا فخاللت غيره
فلو أن كفى لم تردنى أبتتها
ألا قبح الرحمن كل ممالق

فالتفت إلى الرجل وقال أتحسن مثل هذا فقلت أحسن خيرا منه فقرأت:
﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار
عطلت﴾^(١).

فجعل الشيخ يبكى فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾^(٢).
قال يا جارية اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى وألقى ما معه من الشراب في
الماء وكسر العود ثم عاد إلى فاعتنقنى وقال يا أخى أترى أن الله يقبل توبتى فقلت إن
الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وواخيته في الله واصطحبنا بعد ذلك أربعين سنة
حتى مات فرأيتته في المنام فقلت له إلى ماذا صرت فقال إلى جنة المأوى فقلت بماذا
قال بقراءتك على ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ وأنشدوا:

(٢) سورة التكوير : الآية : ١٠ .

(١) سورة التكوير : الآيات ١ - ٤ .

بأدر إلى التوبة الخالصاء مجتهدا والموت ويحك لم يمدد إليك يدا
فإنما المرء في الدنيا على خطر إن لم يكن ميتا في اليوم مات غدا

الحكاية الرابعة والعشرون بعد المائة

عن إسماعيل بن عبدالله الخزازي رحمه الله .

قال قدم رجل من المهالبة من البصرة أيام البرامكة في حوائج له فلما فرغ منها انحدر إلى البصرة ومعه غلام له وجارية فلما صار في دجلة إذا بفتى على ساحل دجلة عليه جبة صوف وبيده عكازه ومزود، فسأل الملاح أن يحمله إلى البصرة ويأخذ منه الكراء فأشرف المهلبى فلما رآه رق له وقال للملاح قرب واحمله معك على الطلل فحمله فلما كان وقت الغداء دعا بالسفرة وقال للملاح قل للفتى يأتي يتغدى معنا فأبى أن يأتي إليه فلم يزل يطلب إليه حتى أتى فأكلوا حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم فمنعه الرجل ثم دعا بالشراب فشرب قدحا ثم سقى الجارية قدحا ثم عرض على الفتى فأبى فسقى الجارية وقال هاتى ما عندك فأخرجت عودا لها في غشاء فهبأته وأصلحته ثم غنت فقالت يا فتى تحسن مثل هذا قال أحسن ما هو أحسن من هذا فافتتح الفتى وقرأ:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتبلا، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾^(١) وكان الفتى حسن الصوت فرمى الرجل بالقدح في الماء وقال أشهد أن هذا أحسن مما سمعت فهل غير هذا قال نعم ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾^(٢) فوقعت في قلبه موقعا فرمى ظرف الشراب بما فيه في الماء وكسر العود ثم قال يا فتى أهنا فرج قال نعم ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾^(٣) فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فنظروا فإذا هو قد فارق الدنيا رحمه الله وكان رجلا معروفا فحمل إلى منزله واجتمع الناس فما رأيت جنازة أكثر جماعة من جنازته رحمه الله تعالى، قال وبلغنى أن الجارية المغنية تدرعت الشعر فوق الصوف وجعلت تصوم النهار وتقوم الليل فمكثت أربعين يوما ثم مرت بهذه الآية في

(٢) سورة الكهف الآية ٢٩ .

(١) سورة النساء الآية ٧٧، ٧٨ .

(٣) سورة الزمر الآية ٥٣ .

بعض الليالي ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴿.

فلما كان الصبح وجدوها ميتة رحمها الله تعالى .

الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائة عن أحدهم

قال كنا نمشي على شاطئ الأبله في الليل والقمر طالع فمررنا بقصر جندي وفيه جارية تضرب بالعود وإلى جانب القصر فقير عليه خرقتان فسمع الفقير الجارية وهي تغني وتقول:

في سبب ليل الله ود كان منى لك ييذل
كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

فصاح الفقير فقال أعيديه يا جارية بحق مولاك الكبير فهذا حالي مع الله تعالى فنظر صاحب الجارية إلى الفقير فقال لها اتركي العود وأقبلي عليه فإنه صوفي فجعلت تقول البيتين وتردهما والفقير يقول هذا حالي مع الله تعالى والجارية تقول وتردد إلى أن صاح الفقير صيحة وخر مغشيا عليه قال فحركناه فإذا هو ميت رضى الله عنه، فنزل صاحب القصر فأدخله القصر فاغتمنا عليه وقتلنا هذا يكفنه بكفن غير طيب فصعد الجندي صاحب القصر وكسر كل ما كان بين يديه فقلنا ما بعد هذا إلا خير فمضينا إلى الأبله وأعلمنا الناس فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر وإذا الناس مقبلون من كل وجه إلى الجنزة فكأنما نودى في البصرة حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم والجندي يمشى خلف الجنزة حافيا حاسر الرأس حتى دفن فلما هم الناس بالانصراف. قال الجندي للقاضي والشهود اشهدوا أن كل جارية لى حرة لوجه الله تعالى وكل ضياعي وعقارى حبس في سبيل الله وفي صندوقى أربعة آلاف دينار وهي في سبيل الله عز وجل ثم نزع الثوب الذى كان عليه فرمى به وبقي فى سراويله فأعطى ثوبين اتزر بواحد واتشح بالآخر وهام على وجهه فكان بكاء الناس عليه أكثر من بكائهم على الميت .

وقال بعضهم رأيت في تيه بنى إسرائيل رجلا قد أنحلته العبادة حتى صار كالشن البالى فقلت ما الذي بلغ بك إلى هذه الحالة فنظر إلى متعجبا من سؤالي فقال يا هذا ثقل الأوزار وخوف النار والحياء من الملك الجبار قال بعضهم في ذلك:

ذاك التذكر على أهلى وأوطانى
كما ترانى على وجدى وأحزانى
فما عصى الله عبد مثل عصياني
هذا المسىء وهذا المجرم الجانى
ولا غسلت بماء الدمع أجفانى

لما ذكرت عذاب النار أزعجنى
وصرت في القفر أرعى الوحش منفردا
وذا قليل لمثلى بعد جراته
نادوا على وقولوا في مجالسكم
فما أزعجني ولا فزعني من زللى

الحكاية السادسة والعشرون بعد المائة عن عبد الله بن الأحنف رحمه الله تعالى

قال خرجت من مصر أريد الرملة لزيارة الروذبارى رضى الله عنه فرأى عيسى ابن يونس المصرى رحمه الله فقال لى هل أدلك قلت نعم فقال عليك بصور فإن فيها شيخا وشابا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت إليهما نظرة لأغثتك باقى عمرك، قال فدخلت عليهما وأنا جائع عطشان وليس على ما يسترنى من الشمس فوجدتهما مستقبلين القبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلمانى فقلت أقسمت عليكم بالله ألا ما كلمتانى فرفع الشيخ رأسه وقال ياابن الأحنف ما أقل شغلك حتى تفرغت إلينا ثم أطرق فأقمت بين يديهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب عنى الجوع والعطش فقلت للشاب علمنى بشئ أنتفع به فقال نحن أهل المصائب ليس لنا العظة فأقمت عندهما ثلاثة أيام بلياليهن لم نأكل فيها ولم نشرب فلما كان عشية اليوم الثالث قلت فى نفسى لابد من سؤالهما فى وصية أنتفع بها باقى عمري فرفع الشاب رأسه، وقال عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى بنظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم أرهما رضى الله عنهما ونفع بهما وأنشد لسان الحال:

شدوا المطايا قبيل الصبح وارتحلوا وخلفونى على الأطلال أبكيها

الحكاية السابعة والعشرون بعد المائة عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال رأيت إبليس فى المنام نعوذ بالله منه وهو عريان فقلت له أما تستحيى من الناس فقال أهؤلاء عندك من الناس فقلت نعم قال لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم تلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس غير هؤلاء قلت من هم قال قوم فى مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى كلما هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أحترق.

قال الجنيد رضى الله عنه فلما استيقظت من النوم أتيت ذلك المسجد فإذا أنا بثلاثة رجال قد جعلوا رءوسهم فى مرقعاتهم فلما أحسوا بى أخرج واحد منهم رأسه وقال يا أبا القاسم لا يغرنك حديث إبليس الخبيث لعنه الله ثم رد رأسه رضى الله عنهم ونفعنا بهم.

الحكاية الثامنة والعشرون بعد المائة عن الجنيد أيضا رضى الله عنه

قال كنت جالسا فى مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلى عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه عن سؤال الناس كان أجمل فلما انصرفت

إلى منزلى وكان لى شىء من الورد في الليل من البكاء والصلاة وغير ذلك فثقل على جميع أورادى فسهرت وأنا قاعد وغلبتنى عينى فنمت فرأيت ذلك الفقير جاءوا به على خوان ممدود وقالوا لى كل لحمه فقد اغتبتة وكشف لى عن الحال فقلت ما اغتبتة إنما قلت في نفسى شيئاً فقيل لى ما أنت ممن نرضى منك بمثله اذهب فاستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيتة في موضع يلتقط من الماء أوراقا مما يتساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال هل تعود يا أبا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين .

الحكاية التاسعة والعشرون بعد المائة عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال كنت في جبل لكام فرأيت رمانا فاشتتهته فدنوت منه وأخذت منه واحدة فشققته فوجدته حامضا فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم قلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شىء قلت له أرى لك مع الله تعالى حالا فلو سألته أن يقيك ويحميك من هذه الزنابير فقال وأرى لك مع الله تعالى ما لا فلو سألته أن يقيك ويحميك من شهوة الرمان فإن لدغ شهوة الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا قال إبراهيم فتركته ومشيت وأنشد في ذلك :

نون الهوان من الهوى مسروقة فأسير كل هوى أسير هوان

(قلت) قوله من عرف الله لا يخفى عليه شىء أى شىء توجه إليه أو قصده أو تعلق به أو أطلع الله تعالى عليه أو نحو ذلك من تخصيص اللفظ العام الواقع في الكلام الفصيح إذ لا يمكن حمل لفظه على العموم وقد قال الشيوخ العارفون المحققون رضى الله عنهم يجوز أن يعرف العارف بالله تعالى الأشياء من حيث التفصيل .

الحكاية الثلاثون بعد المائة عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال كنت ببغداد وهناك جماعة من الفقراء فأقبل شاب ظريف طيب الرائحة حسن الخلقة حسن الوجه فقلت لأصحابه يقع لي أنه يهودي فكره الأصحاب قولي فخرجت وخرج ثم رجع إليهم وقال أيش، قال الشيخ فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال الشيخ إنك يهودي قال إبراهيم فجاءني وأكب على يدي وأسلم فقيل له في ذلك فقال نجد في كتبنا أن الصديق لا يخطئ فراسته فقلت في نفسي أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة يوجد لأنهم يقولون بترك ما سوى الله فلما اطلع هذا الشيخ علي فتفرس في علمت أنه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية رضى الله عنه .

الحكاية الحادية والثلاثون بعد المائة عن أبي العباس بن مسروق رضى الله عنه

قال قدم علينا شيخ وكان يتكلم علينا في هذا الشأن بكلام حسن عذب بالخاطر الجيد ويقول لنا كل ما وقع لكم في خاطركم فقولوا لى فوق في خاطرى أنه يهودى وكان الخاطر يقوى على ذلك ولا يزول فذكرت ذلك للجريرى فكبر ذلك عليه فقلت لا بد أن أخبر الرجل بذلك فقلت له أما أنت فقلت لنا ما وقع لكم في خواطركم فقولوا لى وقد وقع في خاطرى أنك يهودى فأطرق رأسه ساعة ثم رفعه، وقال صدقت أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وقال لقد مارست جميع المذاهب وكنت أقول إن كان مع قوم شىء من الصدق فهو مع هؤلاء فداخلكم لأختبركم فوجدتكم على الحق فحسن إسلامه رحمه الله .

الحكاية الثانية والثلاثون بعد المائة عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال كان السرى يقول لى تكلم على الناس وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس وكنت أتهم نفسى في استحقاق ذلك حياء فرأيت النبى ﷺ في المنام في ليلة جمعة فقال لى تكلم على الناس فانتبهت وأتيت باب السرى قبل أن أصبح فدققت عليه الباب فقال لى لم تصدقنا حتى قيل لك ذلك فقعد للناس في الجامع بالغداة فانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس فوقفت عليه غلاما نصرانياً متكرراً وقال أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تبارك وتعالى، فأطرق الجنيد رأسه ثم رفعه فقال أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام وقطع الزنار وتاب الله عليه اللهم تب علينا يا كريم .

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المائة

حكى عن الشبلى رضى الله عنه أنه خرج ذات يوم على أصحابه وكانوا أربعين رجلا فقال لهم يا قوم إن الله تبارك وتعالى قد تكفل بأرزاق العباد فقال عز من قائل ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾^(١) فتوكلوا على الله عز وجل، وتوجهوا إليه ولا تتوجهوا إلى سواه ثم تركهم ومضى فأقاموا ثلاثة أيام لم يفتح عليهم بشىء، فلما كان في اليوم الرابع دخل عليهم الشيخ فقال يا قوم إن الله تبارك وتعالى قد أباح السبب للعباد فقال عز من

(١) سورة الطلاق الآية ٢، ٣ .

قائل: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾^(١) فانظروا إلى أصدقكم نية فليخرج عسى أن يأتكم بشيء من القوت فاختروا واحدا منهم فقيرا فخرج يمشى في جانبى بغداد فلم يفتح له شيء من القوت فأخذه الجوع وأعياه المشى فجلس عند دكان طبيب نصرانى عليه من الناس خلق كثير وهو يصف لهم الأدوية فنظر إلى الفقير فقال ما بك وما علتك فكره أن يشكو الجوع إلى نصرانى، فمد يده فجلسها فقال علتك هذه أنا أعرفها وأعرف دواءها ثم التفت إلى غلامه فقال له امض إلى السوق فائتنى برطل خبز ورطل شواء ورطل حلواء، فمضى الغلام إلى السوق وأتاه بذلك فأخذه النصرانى وناوله الفقير وقال له هذا دواء مرضك عندى فقال له الفقير إن كنت صادقا في حكمتك فهذه العلة في أربعين رجلا فقال النصرانى لغلامه ارجع إلى السوق مسرعاً وائتنى بأربعين رطلا مثلما أتيته به فأسرع الغلام فأتى بذلك جميعه فأعطاه الفقير وأمر حمالا أن يحمله معه إلى موضعه، وقال للفقير اذهب به إلى الفقراء الأربعين الذين ذكرت فذهب الفقير والحمال معه إلى أن وصلا إلى أصحابه والنصرانى يتبعه من بعيد ليختبر صدقه فلما دخل الدويرة التى فيها أصحابه وقف النصرانى خلف طارق خارج الباب فوضع الطعام ونادوا الشيخ أبا بكر الشبلى وقدموا الطعام بين يديه فشال الشيخ يده عنه وقال يا فقراء سر عجيب فى هذا الطعام ثم أقبل على الفقير الذى أتى بالطعام وقال أخبرنى عن قصة هذا الطعام فحكى له القصة بكمالها فقال لهم الشبلى أترضون أن تأكلوا طعام نصرانى وصلكم به ولم تكافئوه فقالوا يا سيدنا وما مكافأته قال تدعون له قبل أن تأكلوا طعامه فدعوا له وهو يسمع فلما رأى النصرانى إمساحهم عن الطعام مع حاجتهم إليه وسمع ما قاله لهم الشيخ قرع الباب ففتحوا له فدخل وقطع زناره وقال يا شيخ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلام النصرانى وصار من جملة أصحاب الشبلى رضى الله عنهم.

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المائة

حكى عن الشبلى أيضا رضى الله عنه أنه اعتل فحمل إلى المارستان وكتب على بن عيسى الوزير إلى الخليفة في ذلك فأرسل الخليفة إليه مقدم الأطباء وكان نصرانيا ليداويه فما أنجحت مداواته فقال الطبيب للشبلى والله لو علمت أن مداواتك فى قطعة لحم من جسدى ما عسر على ذلك فقال الشبلى

(١) سورة الملك الآية ١٥.

رضى الله عنه دوائي في دون ذلك فقال الطيب وما هو قال تقطع الزنار فقال الطيب أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر الخليفة بذلك فبكى وقال أنفدنا طبيبا إلى مريض وما علمنا أنا أنفدنا مريضا إلى طيب (قلت) هذا هو الطيب وحكمته هي الحكمة التي بها العلل تزول وفيه وفي أمثاله أقول:

إذا ما طيب الجسم أصبح قلبه عليلا فمن ذا للطيب طيب
فقل هم أولو العلم اللدني وحكمة إلهية تشفى بتلك قلوب

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المائة

حكى عن إبراهيم الخواص رضي الله عنه أنه كان إذا أراد سفراً لم يعلم أحدا ولم يذكره وإنما يأخذ ركوته ويمشى قال حامد الأسود فبينما نحن معه في مسجده إذ تناول ركوته ومشى فاتبعته فلما وافينا القادسية، قال لى يا حامد إلى أين قلت ياسيدى خرجت لخروجك قال إنى أريد مكة إن شاء الله تعالى، قلت وأنا أريد مكة إن شاء الله تعالى فلما كان بعد ثلاثة أيام إذا بشاب قد انضم إلينا فمشى معنا يوماً وليلة لا يسجد لله عز وجل سجدة فعرفت إبراهيم وقلت إن هذا الغلام لا يصلى فجلس، وقال له يا غلام، مالك لا تصلى والصلاة أوجب عليك من الحج، فقال يا شيخ ما على صلاة قال ألتست بمسلم قال لا قال فأى شىء أنت قال نصرانى ولكن إشارتى في النصرانية إلى التوكل، وادعت نفسى أنها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما ادعت حتى أخرجتها إلى هذه الفلاة التى ليس فيها موجود غير المعبود أثير ساكنى، وأمتحن خاطرى، فقام إبراهيم ومشى وقال دعه يكن معك فلم يزل يسايرنا حتى وافينا بطن مر، فقام إبراهيم فنزع خلقاته فطهرها بالماء ثم جلس فقال له ما اسمك فقال له عبدالمسيح فقال له، عبدالمسيح هذا دهليز مكة يعنى الحرم وقد حرم الله تعالى على أمثالك الدخول إليه فقال إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام والذي أردت أن تستكشف من نفسك قد بان لك فاحذر أن تدخل مكة فإن رأيناك بها انكرنا عليك قال حامد فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا إلى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات إذا به قد أقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا فأكب على إبراهيم يقبل رأسه فقال له ما وراءك يا عبدالمسيح فقال هيهات أنا اليوم عبد لمن المسيح عبده، فقال إبراهيم حدثنى قال لما سافرتم وتركتموني جلست مكانى حتى أقبلت قافلة الحجاج فقمتم وتنكرت في زى المسلمين كأنى محرم فساعة وقعت عيني

على الكعبة اضمحل عنى كل دين سوى دين الإسلام فأسلمت واغتسلت وأحرمت
وهأنا أطلبك يومى فالتفت إلى إبراهيم، وقال يا حامد انظر بركة الصدق في النصرانية
كيف هداه إلى الإسلام ثم صحبناه حتى مات بين الفقراء رحمة الله تعالى عليه وفي
الصوفية الصادقين قلت هذه الآيات :

له مسرح في معرك ومراح	سلام على السادات من كل صادق
على باب سعدى ليس عنه براح	صفا ثم صوفى فهو صوفى مخيم
ومن دونها يبض حمت ورماح	تلافى طعان النفس في نيل وصلها
لتجلى لهم يبض هناك صباح	على حد سيف الصدق يسعون للعلا
إذا شمها أهل الصبابة صاحوا	سقتهم حميا الوصل من كرم حسنها
عبيرا ومكتوم المحبة فاحوا	وناحوا وساحوا ثم فاحوا بنشرها

الحكاية السادسة والثلاثون بعد المائة عن أبى عبدالله بن حنيف رضى الله عنه

قال كنت مدة مديدة أسبح على وجه الأرض للالتقاء بالبلاء فسئمت من
السياحة والسفر فرجعت إلى بلد أصطخر فارس فدخلت دويرة الصوفية فرأيت
جماعة من المشايخ وبين أيديهم مأكول هم تسعة نفر منهم الحسن بن أبى سعد وأبو
الأزهر بن حيان وجماعة فوقفت ساعة فتوضأت فلما فرغت وسعوا لى فقعدت معهم
وتناولت مما كانوا يأكلون ثم تفرقنا فرقدت رقدة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم
في المنام يقول لى يا ابن حنيف من كنت تطلبهم وترجو مجالستهم هم هؤلاء في هذا
البلد وأنت منهم فطالبتنى نفسى أن أخبر القوم بما رأيت فعلاى منهم وقار وهيبة فلم
ألبث ساعة من النهار حتى قابلنى الشيخ أبو الحسن بن أبى سعد وقال لى يا أبا
عبدالله أخبرهم بما رأيت في المنام فأخبرتهم فتفرقوا في البلدان حين فشا الخبر رضى
الله عنهم وعن سائر الصالحين آمين.

الحكاية السابعة والثلاثون بعد المائة عن أحدهم

قال سافرت شرقا وغربا طمعا أن أكتحل بالأبدال فوافيت ساحل البصرة عشاء
فتيامنت من الطريق وقربت من الساحل لأكون قريبا من الماء فرأيت عشرة نفر قعودا
على السجادات لم أر معهم الركى والآلات التى تكون مع الصوفية فقاموا كلهم
واستقبلونى وعانقونى ثم جلسوا كلهم مطرقين لا ينظر بعضهم إلى بعض إلى وقت
غروب الشمس، فقام واحد من الجماعة ودخل البحر ولم أعرف كيف كان حاله،

غير أنه أتى بإحدى عشرة سمكة مشوية، ولم أر نارا ولا حطبا فقام واحد منهم فطرح عند كل واحد سمكة وانفرد هو بسمكة أعظمها وتفرقوا عن المجلس واشتغل كل واحد منهم بحاله ولم يتفرغ أحد لأحد.

فلما دنا الصبح أذن المؤذن وصلوا الصبح جماعة وأخذوا سجاداتهم فدخلوا البحر ومشوا في البحر على الماء فأراد خادمهم الذى طرح السمك بين أيديهم وتخصص بالكبيرة أن يسير معهم ويمشى على الماء فغاص في البحر فالتفتوا إليه، وقالوا يا فلان من خاننا ليس منا وكنت أنظر إليهم من بعيد وأنحسر على فراقهم وأخذت الركوة ومشيت وتركت ذلك الخادم في موضعه رضى الله عنهم.

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المائة

عن الشيخ عبدالله بن عبيد العباداني رضى الله عنه

قال كنت في مسجد عبادان بعد صلاة العشاء الآخرة وفي الصف الأول ثلاثة نفر قد صلوا معنا، ثم خرجوا نحو البحر فوقع لى أنهم أولياء فتبعتهم فلما وصلوا إلى البحر امتد لهم فيه مثل الشراك من فضة، فمروا عليه فوضعت رجلى عليه لأتبعهم فغاصت في الماء فقعدت أبكى ومضوا وانصرفت إلى المسجد.

فلما كان وقت الصبح إذا بهم فى الصف الأول فجلسوا فى المسجد إلى أن صلوا العشاء الآخرة ثم خرجوا نحو البحر فامتد لهم فيه مثل الشراك من فضة فمروا عليه فوضعت رجلى على الماء فغاصت رجلى فى الماء فقعدت أبكى ومضوا وانصرفت إلى المسجد.

فلما كان اليوم الثالث إذا بهم فى المسجد فى الصف الأول فقلت فى نفسى يانفس منك أتيت لو كان فىك خير لمررت معهم وعلم الله تعالى منى الصدق فخرجوا فى الوقت الذى يخرجون فيه كل ليلة فامتد لهم فيه مثل الشراك من فضة فمروا عليه فوضعت رجلى على الماء فمررت معهم وأخذ واحد منهم بيدي فإذا هم سبع أنفس كل ثلاث ليال ينزل عليهم سبع سمكات وكان تلك الليلة الثالثة فإذا مائة عليها ثمانى سمكات فقعدت معهم أكل فقلت لواحد منهم لو كان لنا ملح فقال لى أوه أنت منهم بلى أنت منهم فأخذ بيدي فإذا أنا فى المشرعة وما رأيتهم بعد ذلك وأنا أسأل الله حسن التوفيق رضى الله عنهم ونفع بهم آمين.

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المائة

عن عبدالواحد بن زيد رضى الله عنه

قال اشتريت غلاما للخدمة فلما جن الليل طلبته فى دارى فلم أجده والأبواب مغلقة على حالها فلما أصبحت جاء وأعطانى درهما منقوشا عليه سورة الإخلاص فقلت له من أين لك هذا فقال ياسيدى لك عندى كل يوم درهم مثل هذا على أنك

لا تطلبني في الليل فكان يغيب كل ليلة ويأتي في الصبح بمثل ذلك فلما كان في بعض الأيام جاء إلى جيراني وقالوا يا عبد الواحد بع غلامك فإنه نباش القبور فغمني ذلك وقلت لهم ارجعوا فأنا أحفظه في هذه الليلة فلما كان بعد صلاة العشاء قام ليخرج فأشار إلى الباب المغلق فافتح ثم أشار إليه فانغلق وقصد الباب الثاني ففعل مثل ذلك ثم قصد إلى الباب الثالث ففعل مثل ذلك وأنا أنظر إليه فخرج فتبعته ومشيت وراءه حتى بلغ إلى أرض ملساء فترع ثيابه ولبس مسبحا وصلى إلى الفجر ورفع رأسه إلى السماء ياسيدى الكبير هات أجرة سيدى الصغير فوقع عليه درهم من السماء فأخذه وتركه في جيبه فتحيرت في أمره ودهشت بحاله وقمت وتوضأت وصليت ركعتين واستغفرت الله تعالى مما خطر ببالي ونويت أن أعتقه ثم إنى طلبته فلم أجده فانصرفت حزينا وما كنت أعرف تلك الأرض فإذا أنا بفارس على فرس أشهب فقال لى يا عبد الواحد ما قعودك ههنا قلت من شأن كذا وكذا فقال أتدرى كم بينك وبين بلدك قلت لا قال مسيرة ستين للراكب المسرح فلا تبرح من هذا المكان حتى يرجع إليك عبدك فإنه يأتيك في هذه الليلة قال فلما جن الليل إذا به قد أقبل ومعه طوفرية عليها من كل الطعام قال لى كل ياسيدى ولا تعد إلى مثلها فأكلت وقام فصلى إلى الفجر ثم أخذ بيدي فتكلم بكلام لم أفهمه وخطا معى خطوات وإذا أنا واقف على باب دارى فقال ياسيدى أليس قد نويت أن تعتقنى قلت وهو كذلك قال فأعتقنى وخذ ثمنى وأنت مأجور ثم أخذ حجرا من الأرض وأعطانيه فإذا هى قطعة ذهب، ومضى الغلام وبقيت متحسرا على فراقى له ثم اجتمعت بجيراني فقالوا ما فعلت بالنباش قلت ذاك نباش النور لا نباش القبور، ثم حدثتهم بما شاهدته منه من الكرامات فبكوا وتابوا مما خطر ببالهم رضى الله عنهم ونفع بهم.

الحكاية الأربعون بعد المائة عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال رأيت بالبصرة مملوكا في السوق ينادى عليه من يشتري هذا الغلام بعيوبه وهى ثلاث خصال لا ينام الليل ولا يأكل بالنهار ولا يتكلم إلا بما لا بد منه، قال إبراهيم فقلت للغلام أراك عارفا به، قال يا إبراهيم لو عرفته ما اشتغلت بغيره، قال فعلمت أنه من العارفين فقلت للبائع بكم هذا الغلام، فقال بما أردت فإنه مجنون فأعطيته ثمنه وقلت في نفسى يارب إنى قد أعتقته لوجهك الكريم فالتفت إلى وقال يا إبراهيم إن كنت قد أعتقنى في الدنيا من الرق فقد أعتقك الله في الآخرة من النار ثم غاب عنى فلم أراه رضى الله عنه.

الحكاية الحادية والأربعون بعد المائة

عن أحد الصالحين أنه قال اشتريت عبدا فقلت له ما اسمك قال يامولاي ما سميتني فقلت له ما الذي تعمل قال يامولاي ما به أمرتني فقلت له ما الذي تأكل فقال يامولاي ما أطعمتني فقلت له فما لك إرادة في شيء فقال وأي إرادة تكون للعبد مع مولاه قال فأبكاني وذكرني حالي مع مولاي فقلت له يا هذا لقد أدبتني مع سيدي فأنشأ يقول:

لو تم لى كونى لعبك خادما ما كنت أطلب فوق ذاك نعيمان
فارحم بفضلك ذلتى وتحيرى فكذا عرفتك محسنا ورحيما

الحكاية الثانية والأربعون بعد المائة

حكى عن أحدهم أنه دعى إلى دار مرارا كثيرة في ساعة واحدة كلما وصل الباب رده الداعى وهو طيب بذلك لم يظهر منه انزعاج فتعجب الداعى من حلمه وصبره واستعظم ذلك منه فقال له لا تستعظم منى صفة هى صفة الكلاب فإنه كلما دعى أجاب وإن طرد ذهب وإنما فعل ذلك به اختبارا له رضى الله عنه.

وعن الحسن البصرى رضى الله عنه قال فى الكلب عشر خصال ينبغى لكل مؤمن أن تكون فيه الأولى أن يكون جائعا فإنها من آداب الصالحين، والثانية ألا يكون له مكان معروف وذلك من علامات المتوكلين، والثالثة ألا ينام من الليل إلا قليلا وذلك من صفات المحبين، والرابعة إذا مات لا يكون له ميراث وذلك من صفات الزاهدين، والخامسة ألا يترك صاحبه وإن جفاه وضربه وذلك من علامات المريدين الصادقين، والسادسة أن يرضى من الأرض بأذى موضع وذلك من علامات المتواضعين، والسابعة إذا تغلب على مكانه تركه وانصرف إلى غيره وذلك من علامات الراضين، والثامنة إذا ضرب وطرد وطرح له كسرة أجاب ولم يحقد على ما مضى وذلك من علامات الخاشعين، والتاسعة إذا حضر الأكل جلس بعيدا ينظر وذلك من علامات المساكين، والعاشرة أنه إذا ارتحل عن مكانه لا يلتفت إليه وهذه من علامات المحزونين.

الحكاية الثالثة والأربعون بعد المائة

عن أحدهم قال كنا جماعة في بعض البلاد فخرجنا إلى باب البلد في بعض الأيام فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا الباب إذا نحن بدابة ميتة فلما نظر الكلب إليها رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه نحو عشرين كلباً فجاءت إلى الميتة وأكلت منها

وذلك الكلب قائم ينظر من بعيد إلى أن فرغت الكلاب من الأكل وقضت وطرها
وصدرت فوردا وأكل من سؤرها من العظام وما بقى عليها ثم انصرف .

الحكاية الرابعة والأربعون بعد المائة

حكى عن أحدهم أنه رأى كلابا في كهف في بعض الجبال مقيمة فيه لا تخرج
منه ولا تدخل البلد إلا يوما واحدا في الأسبوع تدخل فتأكل من المزابيل ثم تعود إلى
مكانها وهكذا دأبها فأقام معها مدة يخرج معها يوم خروجها إلى البلد ويأكل معها
من المزابيل مما يحصل له أكله ثم يعود معها إلى الجبل فحصل له بتلك الكلاب رياضة
وآداب .

وقال بعض الصالحين وقد جاز عليهم قوم معهم كلاب الصيد فباحتها كلاب
الدرب فقال سبحانه الله كأن هذه حادثت هذه فقالت هذه الأهلية لكلاب الصيد
يامساكين رغبتن في نعيم الملوك فسوجروكن ولو قنعتن بالمنبوذ مثلنا كنتن مخليات
فقالت لها كلاب الصيد خفى عليكن حالنا نحن لما رأوا فينا آله الخدمة حبسونا
للخدمة وقاموا لنا بالكفاية، فقالت الأهلية فالواحد منكن إذا كبر خلى وصار معنا،
قالت كلاب الصيد لأنه قصر فيما يجب عليه وكل من قصر فيما يجب عليه طرد،
اللهم لا تطردنا عن بابك ولا تعاقبنا بسخطك وعذابك .

الحكاية الخامسة والأربعون بعد المائة

روى أن أويسا القرني رضى الله عنه كان يقات من المزابيل ويكتسى منها فنبحه
يوما كلب على مزبلة فقال له أويس كل مما يليك وأنا أكل مما يلينى ولا تبحنى فإن
جزت على الصراط فأنا خير منك . وإلا فأنت خير منى وكان أهله يقولون هو مجنون
وأقاربه يستخفون به ويستهزئون والصغار به يتولعون وبالْحجارة له يرجمون وفيه
أقول :

سقى الله قوما من شراب وداده	فهاموا به من بين باد وحاضر
يظنهم الجهال جنوا وما بهم جنون	سوى حب على القوم ظاهر
سقوا بكتوس الحب راحا من الهوى	فراحوا سكارى بالحبيب المسامر
يناجونه في ظلمة الليل عندما	به قد خلوا منهم أويس بن عامر
شهير يمانى حوى المجد والعللا	لنا فيه عالى الفخر عند التفاخر

(وفي الحديث) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (إن الله
عز وجل يحب من خلقه الأتقياء الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رءوسهم المغبرة

وجوههم الخمسة بطونهم الذين إن استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإن خطبوا المنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا و إن طلّعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا قالوا يارسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك أويس القرنى قالوا يارسول الله وما أويس القرنى قال أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره، رام ببصره إلى موضع سجوده واضح يمينه على شماله ييكي على نفسه، ذو طمرين لا يؤبه له متزر بإزار صوف ورداء صوف مجهول في أهل الأرض معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله تعالى لأبره، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة وقيل لأويس قف فاشفع فيشفعه الله عز وجل في مثل عدد ربيعة ومضر، ياعمرو ياعلى إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما، يغفر الله تعالى لكما قال فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه، فلما كان في آخر السنة التي انتقل فيها عمر رضى الله عنه قام على جبل أبى قبيس فنادى بأعلى صوته يا أهل اليمن أفيكم أويس فقام شيخ كبير طويل اللحية فقال إنا لا ندرى ما أويس ولكن ابن أخ لى يقال له أويس وهو أجل ذكرا وأقل مالا وأهون أمرا من أن نرفعه إليك وأنه ليرعى إبلنا حقير بين أظهرنا فعمرى عليه عمر كأنه لا يريد وقال لى أين ابن أخيك هذا أبحرنا هو قال نعم قال وأين يصاب قال بأراك عرفات قال فركب عمر وعلى رضى الله عنهما مسرعين إلى عرفات فإذا هو قائم يصلى إلى شجرة والإبل حوله ترعى فشدا حماريهما ثم أقبلا إليه فقالا السلام عليك ورحمة الله فخفف أويس رضى الله عنه من الصلاة ورد السلام عليهما فقالا من الرجل قال راعى إبل وأجير قوم، قالنا لسنا نسألك عن الرعية ولا على الإجارة ما اسمك قال عبد الله قالوا قد علمنا أن أهل السموات والأرض جميعا عبيد لله فما اسمك الذى سمتك به أمك قال ياهذان ماتريدان إلى؟ قالوا وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أويسا القرنى فقد عرفنا الصهوبة والشهولة وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا فإن كانت بك فأنت هو فأوضح منكبه فإذا اللمعة فابتدراه يقبلانه وقالوا نشهد أنك أويس القرنى، فاستغفر لنا يغفر الله لك، فقال ما أخص باستغفارى نفسى ولا أحدا من ولد آدم ولكنه في البر والبحر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من هو مستجاب الدعوة، فقالا لا بد من ذلك فقال ياهذان قد شهر الله لكما حالى وعرفكما أمرى فمن أنتما فقال على رضى الله عنه أما هذا فأمر المؤمنين

عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأما أنا فعلى بن أبى طالب فاستوى أويس قائما وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وأنت يا ابن أبى طالب فجزاكما الله تعالى عن هذه الأمة خيرا، فقالا وأنت فجزاك الله عن نفسك خيرا، فقال له عمر مكانك رحمك الله حتى أدخل مكة فأتيتك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من ثيابي هذا المكان ميعاد بيني وبينك، فقال يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك لا أراك بعد اليوم فعرفتي ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة ما ترى على إزاراً من صوف ورداء من صوف متى تراني أحرقتها ألا ترى أن نعلى مخصوصتان متى ترانى ألبيهما، أما ترى أنى قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى ترانى أكلها يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويدك عتية كثود، لا يجاوزها إلا كل ضامر مخف مهزل فأخف يرحمك الله، فلما سمع ذلك عمر ضرب بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته ألا ليت عمر لم تلده أمه ياليتها كانت عقيما لم تعالج حملها إلا من يأخذها بما فيها ولها يعنى الخلافة ثم قال يا أمير المؤمنين خذ أنت ههنا حتى آخذ أنا ههنا فولى عمر ناحية مكة وساق أويس إبله فوافى القوم فأعطاهم إبلهم وترك الرعاية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل .

وفي صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن عن مراد ثم من قرن كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل ثم ساق الحديث إلى أن ذكر اجتماع عمر به رضى الله عنه عند قوله له فاستغفر لى فاستغفر له، فقال له عمر رضى الله عنه أين تريد قال الكوفة، قال ألا أكتب لك إلى عاملها قال أكون في غبراء الناس أحب إلى وهذا بعض الحديث .

وفي رواية لمسلم عن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن خيرا التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم، وقول أويس غبراء الناس بفتح الغين المعجمة وإسكان الباء الموحدة وبالماء وهم فقراؤهم وصعاليكهم ومن لا يعرف عينه من أخلاطهم .

(قلت) وقوله ﷺ إن أويسا خيرا التابعين صريح بأنه خيرهم مطلقا ودليل على أن النفع اللازم قد يكون أفضل من المتعدى وأن علماء الباطن العارفين بالله تعالى أفضل من علماء الظاهر العارفين بأحكام الله سبحانه .

وروى عن علقمة بن مرثد رضى الله عنه قال انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أويس القرنى رضى الله عنه ظن أهله أنه مجنون فبنوا له بيتا على باب دارهم فكانت تأتي عليه السنة والسنون لا يرون له وجهها وكان طعامه ما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بالموسم أيها الناس قوموا فقاموا فقال اجلسوا إلا من كان من اليمين فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن، فجلسوا إلا رجلا وكان عم أويس فقال له عمر أقرنى أنت قال نعم قال أفتعرف أويسا قال وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين فوالله ما فينا أحرق ولا أجن ولا أحوج منه فبكى عمر ثم قال بك لا به فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر.

(وروى) عن عمار بن يوسف الضبى .

قال قال رجل لأويس القرنى كيف أصبحت وكيف أمسيت، فقال أصبحت أحب الله وأمسيت أحمد الله، وما تسأل عن حال رجل إذا أصبح ظن أنه لا يمسى، وإذا أمسى ظن أنه لا يصبح، إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحا، وإن حق الله تعالى في مال المسلم لم يدع له في ماله فضة ولا ذهبا، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع لمؤمن صديقا يأمرهم بالمعروف ويشتمون أعراضنا ويجدون على ذلك أعوانا من الفاسقين حتى والله لقد رموني بالعظائم، وإيم الله لا أدع أن أقوم لله فيهم بحقه ثم أخذ الطريق يعنى مشى وخلانى .

(وروى) عن هرم بن حيان رضى الله عنه قال بلغنى حديث أويس فقدمت الكوفة فلم يكن لى هم إلا طلبه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ فعرفته بالنعته الذى نعت له، فإذا رجل نحيل شديد الأدمة أشعث محلوق الرأس مهيب المنظر فسلمت عليه فرد على السلام ونظر إلى ومددت يدي إليه لأصافحه فأبى أن يصافحنى .

(قلت) وفي انقباض أويس رضى الله عنه وما كان فيه من رثاثة الحال والتوحش والانعزال وما نسب إليه الجهال من الجنون والاختلال وما كان فيه من التقشف والابتذال وغير ذلك من سائر الأحوال أظهر دليل لمن نحا ذلك النحو من الفقراء الصادقين ولا مبالاة بإنكار من ينكر عليهم ويزعم أن ذلك خلاف السنة ولم يدر أن السنة العظمى هى ترك الدنيا والإعراض عن الورى والإقبال على المولى وترك الخلائق كلها سوى الله عز وجل .

قال هرم بن حيان فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه لما رأيت من حاله حتى بكى وبكى فقال وأنت فحيك الله ياهرم بن حيان كيف أنت يا أخي من ذلك على قلت الله، قال لا إله إلا الله ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾^(١)، فقلت ومن أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني قال نبأني العليم الخبير عرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل، قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال إنى لم أدرك رسول الله ﷺ، ولم يكن لى معه صحبة بأبى وأمى رسول الله ﷺ، ولكنى قد رأيت رجالا رأوه ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو قاضيا أو مفتيا فى نفسى شغل عن الناس، فقلت أى أخى اقرأ على آيات من كتاب الله تعالى أسمعها منك وأوصنى بوصية أحفظها عنك فإنى أحبك فى الله فأخذ بيدي وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربي وأحق القول قول ربي وأصدق الحديث حديث ربي ثم قرأ ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين وما خلقناهما إلا بالحق﴾^(٢) إلى قوله ﴿العزیز الرحيم﴾ فشهو شهقة وأنا أحسبه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وتوشك أن تموت أنت فإما إلى الجنة وإما إلى النار ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء يا ابن حيان ومات نبي الله ومات إبراهيم خليل الله ومات موسى نجي الله ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء ومات أبو بكر رضى الله عنه خليفة رسول الله ﷺ ومات أخى وصديقي عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقلت له يرحمك الله إن عمر رضى الله عنه لم يمت قال بلى قد نعاه الناس ونعاه إلى ربي تبارك وتعالى ونعى إلى نفسى وأنا وأنت فى الموتى ثم صلى على النبي ﷺ ودعا بدعوات خفاف ثم قال هذه وصيتى إليك كتاب الله، نعى المرسلين، ونعى صالحى المؤمنين، فعليك بذكر الموت، ولا يفارقن قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح للأمة جميعا، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار ادع لى ولنفسك.

ثم قال اللهم إن هذا زعم أنه يحبنى فيك وزارنى من أجلك فعرفى وجهه فى الجنة وأدخله على دارك دار السلام واحفظه فى الدنيا ما دام حيا وأرضه من الدنيا باليسير واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين واجزه عنى خيرا ثم قال السلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم يرحمك الله فإنى أكره الشهرة والوحدة

(٢) سورة الدخان: الآيتان ٣٨، ٣٩.

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٠. <https://arabicdict.net>

أحب إلى لأنى كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبنى واعلم أنك منى على بال وإن لم أرك وترنى واذكرنى وادع لى فىانى سادعو لك واذكرك إن شاء الله تعالى، فانطلق أنت ههنا حتى آخذ أنا ههنا فحرصت أن أمشى معه ساعة فأبى على ففارقته فجعلت أبكى وهو يبكى وأنظر إليه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه ذلك وطلبتة فلم أجد أحداً يخبرنى عنه بشىء وما أتت على جمعة إلا وأنا أراه فى المنام مرة أو مرتين، قلت وإنما قال أويس رضى الله عنه ومات محمد ﷺ ولم يقل رسول الله ﷺ كما قال فى الأنبياء قبله لأن فضله معروف والمعروف بكمال الشرف والسؤدد لا يحتاج أن يمدح ويمجد، ألا ترى أصحابنا إذا ذكروا الإمام الشافعى رضى الله عنه قالوا قال الشافعى وإذا ذكروا أحد أصحابه فقد يذكرون فضله فيقولون قال الإمام الحفيل السيد الجليل أو نحو ذلك بالسلطان لأن الشىء إذا اشتهر بكمال الفضل أو الشرف لا يحتاج إلى أن يمدح ويعرف لأنه إذا مدح لا يحتاج إلى مدح كثير، وربما وقع فى مدحه تقصير فكانت شهرة قدره مغنية عن ذكره وقوله رضى الله عنه ونعى المرسلين ونعى صالح المؤمنين يعنى ذكر موتهم.

وروى عن أصبغ رحمه الله قال كان أويس رضى الله عنه إذا أمسى يقول هذه الليلة ليلة الركوع فيركع حتى يصبح وكان يقول هذه الليلة ليلة السجود فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى تصدق بما فى بيته من الفضل من الطعام والشراب ثم يقول اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذنى به ومن مات عاريا فلا تؤاخذنى به.

وروى عن نصر بن إسماعيل رحمه الله قال كان أويس رضى الله عنه يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها ويتصدق ببعضها ويأكل بعضها ويقول اللهم إنى أبرأ إليك من كل كبد جائعة.

وروى عن عبد الله بن سلمة قال غزونا أذربيجان فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وأويس القرنى معنا فلما رجعنا مرض فحملناه فلم يستمسك فمات فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه ومشينا فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا إلى القبر فإذا لا قبر ولا أثر.

وروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى رحمه الله قال نادى مناد يوم صفين فى القوم أويس القرنى فوجد فى القتلى من أصحاب على رضى الله عنهم أجمعين والله أعلم.

الحكاية السادسة والأربعون بعد المائة

حكى أن الربيع بن خيثم رضى الله عنه قيل له في منامه إن ميمونة السوداء زوجتك في الجنة فلما أصبح سأل عنها فدل عليها فإذا هى ترعى غنما، فقال لأقيمن عندها أنظر عملها فأقام عندها فأراها لا تزيد على الفريضة فإذا أمست جاءت إلى عتر لها فحلبت ثم شربت ثم حلبت ثم سقته إياه فقال لها في اليوم الثالث ياهذه لم لا تسقينى من غير هذه العنز قالت يا عبد الله إنها ليست لى قال فلم تسقينى من هذه قالت إن هذه منحتها أشرب من لبنها وأسقى من شئت فقال ياهذه ليس لك من العمل أكثر مما أرى قالت لا إلا أنى ما أصبحت ولا أمسيت على حال قط فتمنيت سواها رضا بما قسم الله تعالى لى فقال ياهذه أعلمت أنى رأيت في المنام أنك زوجتى في الجنة، قالت فأنت الربيع بن خيثم قال نعم فقيل للراوى كيف علمت هذا قال لعلها رأت في منامها مثلما رأى.

(قلت) ماقاله الراوى صحيح لأنه يحتمل ولكن لا ينحصر ذلك في المنام بل يجوز أن يكون كشف لها في اليقظة بأن قيل لها ذلك فسمعت أو شهدت فرأت في حالة سكر الأحوال الواردة عليهم المشهورة عنهم وقد أخبرنى بعضهم أنه قيل له في اليقظة زوجتك في الجنة فلانة من الصالحات المشهورات رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية السابعة والأربعون بعد المائة

عن الشيخ أبى محمد الجريرى رضى الله عنه

قال حضر باب دارى باز أشهب فلم أصدده ومكثت أربعين سنة أنصب حبالى عليه لعلى أظفر به أو بمثله فما ظفرت فقبل وما ذاك الباز الأشهب قال رجل دخل علينا الرباط بعد صلاة العصر شاب مصفر اللون أشعث الشعر حاسر الرأس حافى القدمين فجدد الوضوء وصلى ثم جلس ووضع رأسه في جبة إلى المغرب فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك وإذا رسول الخليفة يستدعينا في دعوة فقمنا إلى الشاب وقلت له هل لك أن ترافقنا إلى دار الخليفة فرفع رأسه وقال ليس لى قلب إلى دار الخليفة ولكن أشتهى عصيدة حارة فأطرحت قوله حيث لم يوافق الجماعة والتمس شهوته وقلت في نفسى هذا قريب عهد بالطريقة لم يتأدب بعد ومضيت إلى دار الخليفة فأكلنا وسمعنا وتفرقنا آخر الليل فلما دخلت الرباط رأيت الشاب على تلك الحالة فجلست على سجادتى ساعة فلهجت عيناى في النوم وإذا جماعة وقائل يقول

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام فدنوت إليه لأسلم عليه فولى بوجهه عنى معرضاً فكررت عليه وهو يعرض عنى ولا يلتفت ولا يجيب فحفت من ذلك فقلت يارسول الله ما الذى أذنبت حتى تعرض عنى بوجهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقير من أمتى اشتهى عليك شهوة فتهاونت به فاستيقظت مرعوباً وقيمت نحو الفقير فلم أجده وسمعت صوت الباب فخرجت في طلبه فإذا به قد خرج فناديته يافى اصبرحتى تحضر شهوتك التى طلبتها فالتفت إلى وقال إذا اشتهى عليك فقير شهوة لا توصلها إليه حتى يستشفع إليك بمائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبى فلا حاجة به إليها ثم تركنى ومضى رضى الله عنه ونفع به آمين وأنشد:

طلبت الغنى من صاحبى فأجابنى إن الفقير إلى الغنى بغيض

الحكاية الثامنة والأربعون بعد المائة

عن سرى السقطى رضى الله عنه

قال قعدت يوماً أتكلم بجامع المدينة فوقف على شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه أصحابه فوعظت فسمعنى أقول فى وعظى عجباً لضعيف كيف يعصى قويا فتغير لونه وانصرف فلما كان من الغد جلست فى مجلسى وإذا به قد أقبل فسلم وصلى ركعتين وقال يا سرى سمعتك بالأمس تقول عجباً لضعيف كيف يعصى قويا فما معناه فقلت لا أقوى من المولى ولا أضعف من العبد وهو يعصيه فنهض فخرج ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد وقال يا سرى كيف الطريق إلى الله تعالى .

فقلت إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل وإن أردت الله عز وجل فاترك كل شىء سواه تصل إليه ولا تسكن إلا المساجد والخراب والمقابر فقام وهو يقول والله لا سلكت إلا أصعب الطرق وولى خارجاً فلما كان بعد أيام أقبل إلى غلمان كثير فقالوا ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب فقلت لا أعرفه إلا أن رجلاً جاءنى من صفته كذا وكذا فجرى لى معه كذا وكذا ولا أعلم حاله فقالوا بالله عليك متى عرفت حاله فعرفناه ودلنا على داره فبقيت سنة لا أعرف له خبراً فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة جالس فى بيتى وإذا بطارق يطرق الباب فأذنت له بالدخول فإذا أنا بالفتى عليه قطعة من كساء فى وسطه وأخرى على عاتقه ويده زنبيل به نوى فقبل بين عينى وقال ياسرى أعتقك الله من النار كما أعتقنى من رق الدنيا فنظرت فأومات إلى صاحبى أن امض إلى أهله فأخبرهم فمضى فإذا بزوجه قد جاءت ومعها ولده

وغلمانه فدخلت وألقت الولد في حجره وعليه حلى وحلل وقالت له ياسيدى
أرملتنى وأنت حى وأيتمت ولدك وأنت حى، قال السرى فنظر إلى وقال ياسرى ما
هذا وفاء ثم أقبل عليها وقال والله إنكما لثمرة فؤادى وحييبة قلبى وإن هذا ولدى
لأعز الخلق علي غير أن هذا سرى رضى الله عنه أخبرنى أن من أراد رضا الله قطع
كل ما سواه ثم نزع ما على الصبى وقال ضعى هذا في الأكباد الجائعة والأجساد
العارية وقطع قطعة من كسائه فلف بها الصبى فقالت المرأة والله لا أرى ولدى في
هذه الحالة وانتزعت منه فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال ضيعتم على ليلتى بينى
وبينكم إلى وولى خارجا وضجت الدار بالبكاء، فقالت امرأته إن عادى يا سرى أو
سمعت له خبراً فأعلمنى فقلت إن شاء الله تعالى فلما كان بعد أيام أتتني عجوز
فقالت ياسرى بالشونيزية غلام يسألك الحضور فمضيت فإذا أنا به مطروح تحت رأسه
لبنة فسلمت عليه ففتح عينيه وقال يا سرى ترى يغفر لى تلك الجنائيات فقلت نعم
فقال لمثلي فقلت نعم قال أنا غريق قلت هو منجى الغرقى فقال على مظالم فقلت في
الخبر أنه يؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومه فيقال لهم خلوا عنه فإن الله تعالى
يعوضكم، فقال يا سرى معى دراهم من لقط النوى إذا أنا مت فاشتر ما أحتاج إليه
وكفنى ولا تعلم أهلى لثلا يغيروا كفى بحرام فجلست عنده قليلا ففتح عينيه وقال
لمثل هذا فليعمل العاملون ثم مات رحمة الله عليه، فأخذت الدراهم فاشترت ما
يحتاج إليه وسرت نحوه فإذا الناس يهرعون فقلت ما الخبر فقيل مات ولى من أولياء
الله تعالى نريد أن نصلى عليه فجئت فغسلته وصلينا عليه ودفناه فلما كان بعد مدة
وفد أهله يستعلمون خبره فأخبرتهم بموته فأقبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله فسألتنى
أن أريها قبره فقلت أخاف أن تغيروا أكفانه، فقالت لا والله فأريتها القبر فبكت
وأمرت بإحضار شاهدين فأحضرا فأعتقت جواربها ووقفت عقارها وتصدقت بمالها
ولزمت قبره حتى ماتت رحمة الله عليها وأنشدوا:

بدلوا النفوس وأنفقوا الأموال
قبل الممات وأيتموا الأطفالا
طلب السباق وخففوا الأثقالا
حذر الفوات وفككوا الأغلالا
كانت تتيه على النعيم دلالا
طلب النجاة وكابدوا الأهوالا
ولقوا شجوننا من السرى وكلالا
رتبا تفوق الفرقدين منالا

بان الذين تجنبوا الأشغالا
تركوا النساء كأنهن أراملا
تجوعوا وتعطشوا وتضمروا
وتعزبوا وتغربوا عن أهلهم
فطموا عن الدنيا نفوسا طالما
خافوا البيات فشمروا بعزيمة
حتى إذا بليت ضنى أجسادهم
وردوا جناب مليكهم فحباهم

الحكاية التاسعة والأربعون بعد المائة

حكى أنه كان سبب خروج إبراهيم بن أدهم عن أهله وماله وجاهه ورياسته وكان من أبناء الملوك، أنه خرج يوما يصطاد فرأى ثعلبا أو أرنباً فبينما هو في طلبه إذ هتف به هاتف ألهذا خلقت أم بهذا أمرت، ثم هتف به هاتف من قربوس سرجه وقال والله مال هذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل عن مركوبه، وصادف راعياً لأبيه فأخذ جبة الراعى وكانت من صوف فلبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل البادية وكان من شأنه ما كان رضى الله عنه .

الحكاية الخمسون بعد المائة

حكى أن الشيخ أبا الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى رضى الله عنه خرج للصيد وهو يومئذ ملك كرمان فأمعن في الطلب حتى وقع في بركة مقفرة وحده فإذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سبع فلما رآته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا إليه سلم عليه وقال له يا شاه ما هذه الغفلة عن الله، اشتغلت بدنياك عن آخرتك، وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك، إنما أعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته، فجعلتها ذريعة إلى الاشتغال عنه، فبينما الشاب يحدثه إذ خرجت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها للشاب فشرب ودفع باقيه إلى شاه فشربه وقال ما شربت شيئاً ألد منه ولا أبرد ولا أعذب، ثم غابت العجوز فقال الشاب هذه الدنيا وكلها الله تعالى إلى خدمتى فما احتجت إلى شيء إلا أحضرته إلى حين يخطر ببالي، أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يادنيا اخدمى من خدمنى واستخدمى من خدمك فلما رأى ذلك تاب وكان منه ما كان رضى الله عنه ونفعنا به وأنشد أحدهم:

خدمت لما قد صرت من خدمك ودار عندى السرور من نعمك
وكانت الحادثات تطرقنسى فاحتشمتنى إذ صرت من حشمك

الحكاية الحادية والخمسون بعد المائة

عن مالك بن دينار رضى الله عنه

أنه سئل عن سبب توبته فقال كنت شرطياً وكنت منهمكا على شرب الخمر ثم إنى اشتريت جارية نفيسة ووقعت منى أحسن موقع فولدت لى بتا فشغفت بها فلما دب على الأرض ازدادت حبا في قلبى وألفتنى وألفتها فكنت إذا وضعت المسكر جاءت إلى وجاذبتنى إياه وأهرقته على ثوبى فلما تم لها ستان ماتت فأكمدنى الحزن عليها فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت ثملا من الخمر ولم أصل صلاة العشاء، فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق وأنا معهم

فسمعت حسا من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعا نحوى فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت في طريقي فإذا أنا بشيخ نقى الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له أجرنى وأعثنى فقال أنا ضعيف وهذا أقوى منى وأنا ما أقدر عليه ولكن مر وأسرع ففعل الله تعالى أن يسب لك من ينجيك منه فوليت هاربا على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى أهوالها وكدت أهوى فيها من فزعي من التنين الذى فى طلبى، فصاح بى صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأنت إلى قوله ورجعت ورجع التنين فى طلبى فأتيت الشيخ فقلت له يا شيخ سألتك أن تجبرنى من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه للمسلمين ودائع فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك، فنظرت إلى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل كوة مصراعان من الذهب الأحمر مرصع بالياقوت مكللة بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل هربت إليه والتنين ورائى حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا ففعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه، فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت، فأشرف على أطفال بوجوه كالأقمار وقرب التنين منى فتحيرت فى أمرى فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجا بعد فوج فإذا بابنتى التى ماتت قد أشرفت على معهم فلما رأتنى بكت وقالت أبى والله ثم وثبت فى كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمين فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هاربا ثم أجلستنى وقعدت على حجرى وضربت بيدها اليمنى إلى الحيتى وقالت يا أبت: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾^(١) فبكيت وقلت يابنية وأنتم تعرفون القرآن قالت يا أبت نحن أعرف به منكم، قلت فأخبرينى عن التنين الذى أراد هلاكى قالت ذلك عملك السوء الخبيث قوته فتقوى فأراد أن يغررك فى النار، قلت فأخبرينى عن الشيخ الذى مررت به فى طريقي قالت يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته فضعف حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، قلت يا بنية وما تصنعون فى هذا الجبل، قالت نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة نتظركم تقدمون علينا فنشفع فيكم فانتهت فزعا مرعوبا فلما أصبحت فارقت ماكنت عليه وتبت إلى الله عز وجل وهذا سبب توبتى رضى الله عنه.

(١) سورة الحديد الآية ١٦.

قلت) وقد جاء في الحديث أن عمل الإنسان يدفن معه في قبره فإن كان العمل كريما أكرم صاحبه وإن كان لثيما أسلمه أى إن كان عملا صالحا أنس صاحبه وبشره ونور عليه قبره ووسعه وحماه من الشدائد والأهوال والعذاب والوبال .

وقد سمعت عن بعض الصالحين في بعض بلاد اليمن أنه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس عنه سمع في القبر ضربا ودقا عنيفا ثم خرج من القبر كلب أسود فقال له الشيخ الصالح ويحك أيش أنت قال أنا عمل الميت قال فهذا الضرب فيك أم فيه قال بل في وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت بينى وبينه وضربت وطردت قلت لما قوى عمله الصالح غلب عمله القبيح وطرده عنه بكرم الله ورحمته، ولو كان عمله القبيح أقوى لغلبه وأفرعه وعذبه نسأل الله الكريم لطفه ورحمته وعفوه وعافيته لنا ولأصحابنا ولكافة المسلمين آمين .

الحكاية الثانية والخمسون بعد المائة

حكى عن أحد العصاة أنه مات فلما حفروا له قبرا وجدوا فيه حية عظيمة فحفروا له قبرا آخر فوجدوها فيه ثم كذلك قبرا بعد قبر إلى أن حفروا نحو من ثلاثين قبرا وفي كل ذلك يجدونها فيه فلما رأوا أنه لا يقدر أن يهرب من الله هارب ولا يغلبه غالب دفنوه معها وهذه الحية هى عمله كما ذكرنا في حكاية مالك بن دينار نسأل الله الكريم التوفيق وحسن الخاتمة في عفو وعافية في الدين والدنيا والآخرة إنه المنان الكريم البر الرحيم .

الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائة

عن أبى إسحاق الفزاري رحمه الله

قال كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونصف وجهه مغطى، فقلت له إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى أطلعنى على هذا فقال وتعطينى الأمان قلت نعم قال كنت نباشا فدفنت امرأة فأتيت قبرها فنبشت حتى وصلت إلى اللبن فرقعته ثم ضربت يدي إلى الرداء ثم ضربت يدي إلى اللفافة فجررتها فجعلت تجرها فقلت أتراها تغلبنى فجثيت على ركبتى فجررت اللفافة فرفعت يدها فلطمتمنى وكشف عن وجهه فإذا أثر خمس أصابع في وجهه، فقلت له ثم ماذا فعلت قال ثم رددت عليها لفافتها وإزارها ثم رددت اللبن ثم التراب وجعلت على نفسى ألا أنبش قبرا ما عشت قال فكتبت إلى الأوزاعى بذلك فكتب إلى الأوزاعى سله ويحك عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة فسألته عن ذلك فقال أكثرهم حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك إلى الأوزاعى فكتب إلى إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاث مرات أما من حول

وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة انتهى كلامهم .
(قلت) لعل الإمام الأوزاعي رضى الله عنه أراد بالسنة ههنا ملة الإسلام والمعنى والله أعلم أن الإصرار على المعاصى يجر كثيرا من العصاة إلى الموت على الكفر والعياذ بالله عز وجل ، كما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾^(١) كان عاقبة الإساءة التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها وذلك هو الكفر أعادنا الله منه وسأذكر شيئا من ذلك الآن .

الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائة

روى أن أحد الناس حضرته الوفاة فكان كلما قيل له قل لا إله إلا الله قال :
ياربِّ قاتلة يوما وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب
وذلك أن امرأة خرجت في بعض الأيام تريد حماما ، يقال له منجاب فلم تعرف الطريق وتعبت من المشى ، فصادفت رجلا على باب داره فسألته عن الحمام ، فقال هو هذا وأشار إلى داره فلما دخلت أغلق عليها الباب فلما عرفت أنه قد خدعها أظهرت السرور وقالت له اذهب هات لنا من السوق ما نطيب به وقتنا فبادر إلى ذلك وترك الباب مفتوحا فخرجت بخديعة حتى تخلصت بها من خداعة الباطل بارك الله فيها وذلك بفضل الله عليها وحفظه إياها ، فلما رجع الرجل على نية الفجور بها لم يلق في بيته إلا الويل والثبور فخرج على رأسه هائما يدور وينشد البيت المذكور حتى جعله عوضا عن شهادة (أن لا إله إلا الله) وهو في غمرات الموت محذور نستجير من ذلك بالله الكريم الغفور .

الحكاية الخامسة والخمسون بعد المائة

روى عن آخر أيضا أنه كان حرقته بيع الحشيش وهو غافل عن الله تعالى فلما حضرته الوفاة كان كلما قيل له قل (لا إله إلا الله) قال حزمة بفس .
وكان بعض الشيوخ بعد ذلك يقول لأصحابه أكثروا من الشهادة حتى تموتوا عليها كما مات هذا على هذه الكلمة التي عاش عليها .
(وروى) عن بعض الأخيار من أهل تلاوة القرآن الكريم أنه لما حضرته الوفاة كانوا كلما قالوا له قل (لا إله إلا الله) قال : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾^(٢) إلى قوله تعالى : ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء

(٢) سورة طه : الآيتان : ١ ، ٢ .

(١) سورة الروم الآية ١٠ .

الحسنى^(١) فلم يزل يعيدها كلما أعادوا عليه إلى أن مات على هذه الآية الكريمة الجليلة العظيمة .

(قلت) وكل ما ذكرنا يحقق ما ورد أنه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه نسأل الله الكريم التوفيق للطاعة والموت على الإسلام والسنة والجماعة لنا ولأحبابنا ووالدينا وأولادنا والمسلمين آمين .

الحكاية السادسة والخمسون بعد المائة

حكى أن امرأة من المتعبديات يقال لها باهية، لما أشرفت على الموت رفعت رأسها إلى السماء، وقالت يا ذخرى وذخيرتى ومن عليه اعتمادى في حياتى ومماتى لا تخذلى عند الموت، ولا توحشنى في قبرى، فلما ماتت كان لها ولد يأتى قبرها في كل ليلة جمعة ويوم جمعة ويقرأ عند قبرها شيئاً من القرآن ويدعو لها ويستغفر لها ولأهل المقابر، قال فرأيتها في المنام فسلمت عليها وقلت لها يا أمه كيف أنت وكيف حالك فقالت يا بنى إن للموت كربة شديدة وأنا بحمد الله في برزخ مفروش فيه الريحان وموسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم القيامة، فقلت ألك حاجة قالت نعم يا بنى لا تدع ما كنت عليه من زيارتنا والقراءة والدعاء لنا فانى يا بنى أسر بمجيئك إلينا ليلة الجمعة ويوم الجمعة إذا أقبلت يقول لى الموتى يا باهية هذا ابنك قد أقبل فأسر بذلك ويسر من حولى من الموتى، قال فكنت أزورها في كل ليلة جمعة ويومها وأقرأ عندها شيئاً من القرآن وأقول أنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وزاد بعضهم وتقبل حسناتكم قال فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ بخلق كثير قد جاءونى فقلت من أنتم وما حاجتكم فقالوا نحن أهل المقابر جئناك نشكرك ونسألك ألا تقطعنا من تلك القراءة والدعوات فما زلت أقرأ لهم وأدعو لهم بهن كل ليلة جمعة ويومها . قلت وما ذكر في هذه الحكاية من نفع قراءة القرآن للموتى يؤيد قول من قال من العلماء بذلك ويؤيده أيضاً ما سنذكره الآن إن شاء الله تعالى .

الحكاية السابعة والخمسون بعد المائة

ذكر أحد أهل العلم أن رجلاً رأى في النوم أهل القبور في بعض المقابر قد خرجوا من قبورهم إلى ظاهر المقبرة وإذا بهم يلتقطون شيئاً لا يدرى ما هو، قال فتعجبت من ذلك ورأيت واحداً منهم جالساً لا يلتقط شيئاً فدنوت منه وسألته مالذى يلتقط هؤلاء، فقال يلتقطون ما يهدى إليهم المسلمون من قراءة القرآن والصدقة والدعاء قال فقلت له فلم لا تلتقط أنت معهم، فقال أنا غنى عن ذلك فقلت بأى شىء قال

(١) سورة طه : الآية ٨ .

بختمة يقرؤها ويهديها إلي ولدى في كل يوم وهو يبيع الزلاية في السوق الفلاني قال فلما استيقظت ذهبت إلى السوق حيث ذكر فإذا بشاب يبيع الزلاية ويحرك شفثيه فقلت بأى شيء تحرك شفثيك قال اقرأ القرآن وأهديه إلي والدى في قبره قال فلبثت مدة من الزمان ثم رأيت الموتى قد خرجوا من القبور يلتقطون كما تقدم وإذا بالرجل الذى كان لا يلتقط معهم صار يلتقط معهم فاستيقظت وتعجبت من ذلك ثم ذهبت إلى السوق لأعرف خبر ولده فوجدته قد مات رحمه الله .

الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائة

روى أن إحدى النساء توفيت فرأتها في النوم امرأة تعرفها وإذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة فسألتهما ما في هذه الآنية قالت فيها هدية أهداها لي أولادى البارحة فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة فقال قرأت البارحة شيئا من القرآن وأهديته إليها .

(قلت) وقد بلغنى أن أحد الموتى في بلاد اليمن رآه بعض أصحابه في النوم قال وكنت قد أهديت إليه شيئا من القرآن فقال له سلم لى على فلان وقل له جزاه الله عنى خيرا كما أهدى إلى شيئا من القرآن .

وروى بعض العلماء في بعض مصنفاته ما معناه أن الشيخ الإمام مفتى الأنام عز الدين بن عبدالسلام رضى الله عنه سئل بعد موته في منام رآه السائل ما تقول فيما كنت تتكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى فقال هيهات وجدت الأمر بخلاف ما كنت أظن رحمه الله .

الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائة

عن صالح المري رضى الله عنه

قال أقبلت ليلة جمعة إلى الجامع لأصلى فيه صلاة الفجر فمررت بمقبرة فجلست عند قبر فغلبتني عيني فنمت فرأيت في نومي كأن أهل المقبرة قد خرجوا من قبورهم فقعدوا حلقا حلقا يتحدثون وإذا بشاب عليه ثياب دنسة قعد في جانب القبر مغموما مهموما فريدا بنفسه فلم يلبثوا إلا ساعة حتى أقبلت ملائكة على أيديهم أطباق مغطاة بمناديل كأنهن من نور فكلما جاء أحدا منهم طبق أخذه ودخل في قبره حتى بقى الفتى في آخر القوم فلم يأته شيء ، فقام حزينا ليدخل في قبره ، فقلت له يا عبد الله مالى أراك حزينا وما الذي رأيت قال يا صالح هل رأيت الأطباق قلت نعم فما هى قال تلك صدقات الأحياء ودعاؤهم لموتاهم يأتيهم ذلك في كل ليلة جمعة

ويومها ثم ذكر كلاما طويلا ذكر فيه أن له والدة اشتغلت عنه بالدنيا وتزوجت والتهمت وأنه يحق له أن يحزن إذ ليس له من يذكره فسأله صالح عن منزل والدته أين هو فوصف له الموضوع فلما أصبح صالح ذهب وسأل عنها فأرشد إليها فكلما من خلف الستر وقص عليها القصة فبكت حتى تحدرت دموعها على خدها ثم قالت يا صالح ذاك ولدى وفلذة من كبدي ومن كان بطني له وعاء وتديي له سقاء وحجرى له حواء قال ثم دفعت إلى ألف درهم وقالت تصدق بها على حبيبي وقره عيني ولست أنساه من الدعاء والصدقة في باقى عمري إن شاء الله تعالى قال فتصدقت بالألف عنه فلما كان يوم الجمعة الأخرى أقبلت أريد الجامع فأتيت المقبرة واستندت إلى قبر فخفقت برأسى وإذا بالقوم قد خرجوا وإذا بالفتى عليه ثياب بيض وهو فرح مسرور فأقبل نحوى حتى دنا منى، وقال يا صالح جزاك الله عنى خيرا قد وصلت إلى الهدية قلت له أنتم تعرفون يوم الجمعة قال نعم، وإن الطيور في الهواء لتعرفه تقول سلام سلام ليوم صالح يعنى يوم الجمعة أعاد الله علينا من بركته.

الحكاية الستون بعد المائة عن مالك بن دينار رضى الله عنه

قال رأيت قوما بالبصرة يحملون جنازة وليس معهم أحد ممن يشيع الجنازة فسألتهم عنه فقالوا هذا رجل من كبار المذنبين العصاة المسرفين قال فصليت عليه وأنزلته في قبره ثم انصرفت إلى الظل فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل أحدهما إليه وقال لصاحبه اكتبه من أهل النار فما فيه حاجة سلمت من المعاصى والأوزار، قال فقال له صاحبه يا أخى لا تعجل عليه اختبر عينيه قال اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر إلى محارم الله عز وجل قال فاختر سمعه قال قد اختبرته فوجدته مملوءا بسماع الفواحش والمنكرات، قال فاختر لسانه قال اختبرته فوجدته مملوءاً بالخوض في المحظورات وارتكاب المحرمات، قال فاختر يديه قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام ومالا يحل من اللذات والشهوات، قال فاختر رجله قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالسعى في النجاسات والأمور المذمومات، قال يا أخى لا تعجل عليه ودعنى أنزل إليه فنزل الملك الثانى إليه وأقام عنده ساعة وقال لصاحبه يا أخى قد اختبرت قلبه فوجدته مملوءاً إيمانا فاكتبه مرحوما سعيدا بفضل المولى سبحانه وتعالى يستغرق ما عليه من الذنوب والخطايا وأنشدوا:

لما رأوه مبـعدا عن طاعتي حكموا بأني لا أجود برحمتى
حلمى أجل ولن يضيق على الورى من ذا يحد أوامرى ومشيئتى

(قلت) إنما حصلت هذه السعادة لهذا المذكور بعناية سابقة وما تحصل هذه لكل عاص فلا تغتر بهذا فالعصاة كلهم في خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بماذا يختم لهم نسأل الله الكريم حسن الخاتمة والمغفرة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة ويسلم لنا الدين ولأحبابنا ولسائر المسلمين آمين.

الحكاية الحادية والستون بعد المائة عن أحدهم

قال سألت الله عز وجل أن يريني مقامات أهل المقابر فرأيت ليلة من الليالي كأن القيامة قد قامت والقبور قد انشقت وإذا منهم النائم على السندس ومنهم النائم على الحرير والديباج ومنهم النائم على السرر ومنهم النائم على الريحان ومنهم الضاحك ومنهم الباكي فقلت يارب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة قال فنادى مناد من أهل القبور يا فلان هذه منازل الأعمال أما أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون وأما أصحاب الضحك فهم أصحاب التوبة والإنابة وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون وأما أصحاب المراتب فهم المتحابون في الله تعالى انتهى كلامه .

(قلت) هكذا ذكر في الاصل الذي نقلت منه أعنى تفسير أصحاب المراتب ولم يتقدم للمراتب ذكر وقد تقدم ذكر السرر ولم يفسر أصحابها بعد من هم فلعله أراد بالمراتب السرر المتقدم ذكرها وأما حقيقة المراتب فهي المناصب الشريفة والمقامات العالية المنيفة، ولا شك أن أصحاب السرر المذكورة أشرف مرتبة وأعلى منزلة ممن على الأرض وإن كان أهل الأرض على الحرير وغيره، مع أن السرر المذكورة المعدة للإكرام والمرتبة العالية لا تخلو من الفرش العزيزة الغالية وإن لم تذكر معها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إخوانا على سرر متقابلين﴾^(١) ولم يذكر الفرش في هذه الآية، ومعلوم أن السرر المذكورة عليها الفرش المذكورة في آيات أخرى، وإذا قال قائل جلس الملك على سريره وجلسنا عنده علم من ذلك شيئا:

أحدهما أن السرير مفروش وإن لم يذكر ذلك .

والثاني أن الملك إنما جلس على السرير ليرتفع على من عنده برفعة المجلس مع رفعة المملكة، ولا يرضى أن يجلس معه غيره على السرير ولا يجلس هو مع غيره على الأرض في الغالب .

(١) سورة الحجر الآية ٤٧ .

ولما دخل الأحنف بن قيس على بعض الولاة لبعض مصالح المسلمين جلس معه على السرير بغير إذنه فرأى الأحنف الغضب في وجهه فقال الأحنف واعجابه كيف يتكبر من يغسل العذرة بيده كل يوم مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أكثر من ثلاث كيف يتكبر على مثله، ولما دخل عبد المطلب على بعض الملوك رأى منه الملك منظراً حسناً وخبر من سيادته وحسبه من قريش مخبراً شريفاً ومنطقاً حسناً فأجله الملك وأكرمه وكرهه أن يجلسه على الأرض ويجلس هو على السرير وكرهه أيضاً أن يجلسه معه على السرير فيشاركه في سرير الملك ومجلس العلو فنزل الملك عن سريريه وجلس مع عبد المطلب على الأرض وقضى له حاجته التي طلب وبجله وخصه بمرتبة عالية على المراتب فعلى كذا يكون المتحابون في الله تعالى أفضل من سائر المذكورين في هذه الحكاية وقد تقدم حديث الترمذي الصحيح قال الله عز وجل: (المتحابون في الله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء) والحديث الصحيح في الموطأ يقول الله عز وجل: (وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في) فقد ظهر من هذين الحديثين ما يؤيد المنام المذكور أنهم أصحاب المراتب وناهيك بها من مراتب وأكرم بها من مناصب احتوت على شرف جل قدره وعظم فخره مع ما لهم من العيش الأهنئ والجمال الأسنى والنعيم المقيم في جوار المولى الكريم زادهم الله من نعمه وتكرم علينا وعليهم بكرمه والمسلمين آمين، وأما ذكر السرر في المنام المذكور ورد ذكر منابر النور في الحديث الصحيح المشهور فليس بينهما تناقض ولا قاذح محذور فالمنابر تكون في القيامة والسرر تكون في القبور كما رأى في المنام المذكور وكما هو في الحكايات الآيات مسطور.

الحكاية الثانية والستون بعد المائة

روينا عن أحد من يحفرون القبور من الثقات رحمه الله أنه حفر قبراً في بعض البلاد فأشرف فيه على إنسان جالس على سرير ويده مصحف يقرأ فيه وربما قال وتحتة نهر يجري فغشى عليه وأخرجوه من القبر ولم يعلموا ما أصابه ثم أفاق في اليوم الثاني أو قال في الثالث فأخبرهم بما رأى فسأله بعض الناس أن يدلّه على ذلك القبر فعزم على ذلك فلما كان في الليل رأى صاحب القبر في النوم وهو يقول أقسم بالله عليك لئن دلت أحد على قبري ليصيني كذا وكذا فاستيقظ وتاب مما نوى وعمى عليهم القبر فلم يعلموا أين هو رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الثالثة والستون بعد المائة عن منصور بن عمار رضى الله عنه

قال رأيت في بعض الأيام شابا يصلى صلاة الخائفين فقلت في نفسي لعل هذا الشاب ولى من أولياء الله فوقفت حتى فرغ من صلاته ثم سلمت عليه فرد السلام فقلت له ألم تعلم أن في جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى فشهبق الشاب شهقة خر مغشيا عليه فلما أفاق زادنى فقلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾^(١).

قال فخر ميتا فكشفت عنه ثيابه فإذا على صدره مكتوب ﴿فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية﴾^(٢) قال فلما كان في الليلة الثالثة رأيت في المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل الله بك؟ قال غفر لى وأعطانى مثل ثواب أهل بدر وزادنى فقلت له: بم زادك قال لأنهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بكلام الملك الجبار.

الحكاية الرابعة والستون بعد المائة

قال المؤلف عامله الله بلطفه ورحمته في دنياه وآخرته رأيت في النوم كأن قبرا مفتوحا فدخلت فيه فإذا هو واسع لا أرى فيه أحدا إلا أرجل سرير فرفعت طرفى فإذا السرير عال وعليه شخص نائم فقلت ما أقبح فعال بنى الدنيا ما يتركون الرعونة والترفة حتى بعد الموت يدخلون في القبور السرر للموتى، فإذا بصاحب السرير ينادينى إليه فلم أقدر أصعد لكون السرير عاليا علوا مفرطا ثم إنه سهل لى طريق من جانب القبر فصعدت فيه كما يصعد في الدرج حتى حاذيت القائم على السرير فإذا هى والدتى رحمها الله تعالى وجزاها عنى أفضل الجزاء فسلمت على سلاما بغاية الشفقة البالغة والرحمة والرأفة الكاملة وسألتنى عن أخ لى كان حيا وأما إخوتى الذين خلفتهم ثم ماتوا قبل المنام المذكور فلم تسألنى عنهم وهذا يؤدى ما روى أن الموتى يعلمون بمن مات من الأحياء ويسألون من قدم عليهم من الموتى عن أحوال أهل الدنيا ثم إنها ودعتنى بعد السلام والسؤال المذكورين فانتبهت ووجدت الشجن بذلك السلام وتلك الشفقة مدة طويلة حتى إذا ذكرت ذلك وجدت تأثيره في قلبى بعد سنين.

(١) سورة التحريم الآية ٦.

(٢) سورة الحاقة الآيات ٢١ - ٢٣.

الحكاية الخامسة والستون بعد المائة

قال المؤلف أحسن الله خاتمته رؤية الموتى فى خير أو شر نوع من الكشف يظهر الله للأحياء حال الموتى لتبشير أو موعظة أو مصلحة للميت من إيصال خير إليه أو قضاء دين عليه أو غير ذلك ثم هذه الرؤية قد تكون فى النوم وهو الغالب وقد تكون فى اليقظة وذلك من كرامات الأولياء الذين هم أصحاب أحوال ومقامات عوال ينظرون إلى الموتى فى اليقظة وبقما يريد الله الحكمة يعلمها سبحانه وتعالى وفى ذلك حكايات صحيحات يطول ذكرها .

من ذلك ما قدمناه عن الشيخ نجم الدين الأصفهاني رضى الله عنه أنه سمع الميت يقول ألا تعجبون من ميت يلقن حيا لما قعد الملقن يلقنه كما مضى ومنها ما أخبرنى بعض الصالحين عن الشيخ العارف بالله بحر المعارف ذى الكرامات العظيمة والمناقب الكريمة الفقيه الإمام رفيع المقام أبى الذبيح إسماعيل بن محمد اليمنى المشهور بالحضرمى رضى الله عنه ونفعنا به ، أنه مر على بعض المقابر فى بلاد اليمن فبكأ بكاء شديداً وعلاه حزن وترح ثم ضحك ضحكا حميدا وعلاه فى الحال سرور وفرح فتعجب الناس الحاضرون هنالك وسألوه عن ذلك ، فقال رضى الله عنه كشف لى عن أهل هذه المقبرة فرأيتهم يعذبون فحزنت وبكيت لذلك ثم تضرعت إلى الله سبحانه وتعالى فيهم فقيل لى قد شفعتك فيهم فقالت صاحبة هذا القبر وأنا معهم يا فقيه إسماعيل أنا فلانة بنت المغنية فضحكت وقلت وأنت معهم ثم إنه أرسل إلى الحفار وقال من فى هذا القبر القريب العهد قال فلانة المغنية التى تشفع لها الشيخ نفع الله به .

الحكاية السادسة والستون بعد المائة

قال المؤلف غفر الله له أخبرنى الثقات أن الشيخين الكبيرين العارفين بالله الشهيرين كبيرى شيوخ اليمن المقدمين فى وقتها على شيوخ الزمان الشيخ محمد بن أبى بكر الحكمى والشيخ أبى الغيث بن جميل قدس الله روحهما ونور ضريحهما وأعاد علينا من بركاتهما جاءهما بعض الفقراء للصحة بعد موتهما فخرج الشيخ محمد من قبره وصحب الذى أتاه وأخذ عليه العهد والشروط فى كلام يطول شرحه وأخرج الشيخ أبو الغيث يده من القبر وصحب الذى أتاه وفى الحكاية كلام يطول رضى الله عنهم ونفعنا بهم أمين .

الحكاية السابعة والستون بعد المائة

قال المؤلف غفر الله له أخبرنى بعض أهل العلم عن الفقيه الإمام محب الدين الطبرى رحمة الله عليه أنه كان مع الشيخ العارف بالله الإمام إسماعيل بن محمد

الحضرمي المذكور أولاً في مقبرة زيد قال المحب فقال لى يا محب الدين أتؤمن بكلام الموتى قلت نعم قال فإن صاحب هذا القبر يقول لى أنا من حشو الجنة وقال المؤلف وحكاياتهم في هذا المقام تطول في اليقظة والنام ومن المنامات ما رأيت في ذلك أن بعض شيوخى وكان من العلماء الصالحين توفى فرأيته في المنام وهو لابس في ساقيه خلخالين نصف كل واحد منهما ذهب والنصف الآخر فضة في جهة الطول وليس بينهما لحمة ولا انفصال أصلاً أعنى الذهب والفضة وهما يحيران العقل بحسنهما وهو يتبختر في مشيته فانتبهت وكأنى إلى الآن لم أجد حلاوة حسن الخلخالين اللذين صاغتهما يد القدرة .

وسألت بعض الصواغ هل يمكن الصيغة على الصفة المذكورة قال ما تقدر ولا يمكن ذلك ولا بد أن يبقى بينهما فصل ظاهر فعلمت أنه لا يقدر مخلوق على صنعة الخالق القادر سبحانه وتعالى .

الحكاية الثامنة والستون بعد المائة

قال المؤلف كان الله له وبلغه من الخير أمله وختم بالصالحات عمله رأيت والدى رحمه الله وغفر له وجزاه عنى أفضل الجزاء بعد موته في المنام وكأنه عتبان على لكونه مات وأنا غائب عنه غيبة بعيدة المكان طويلة الزمان فقلت له أما علمت أن يعقوب عليه السلام غاب عنه ابنه دهرًا طويلًا وقلت كذا وكذا وهو صابر فقال يا ولدى وتشبهنا بالأنبياء أو قال صبرنا كصبر الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ثم رأيته بعد ذلك في أول ليلة من رجب وهى ليلة الجمعة بعد أن قرأت على قبره القرآن الكريم فبشرنى وسر بلقائى وقال الحمد لله الذى من على بثلاث خصال الأولى الاجتماع بك ثم انتبهت قبل أن يذكر لى الخصلتين الأخريين عامله الله بلطفه وعفوه وحلمه ومغفرته وفضله وكرمه وإيانا وجميع المسلمين آمين .

قلت مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترجع فى بعض الأوقات من عليين أو سجين إلى أجسادهم فى قبورهم عندما يريد الله تعالى وخصوصا فى ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم ما كان منها فى عليين وبالعذاب ما كان منها فى سجين وفى القبر يشرح الروح والجسد فى النعيم والعذاب عندما تعود إلى الجسد إلا ليلة الجمعة ويومها فإنه بلغنا أنهم لا يعذبون فيها رحمة من الله وشرفا للوقت .

قلت ويحتمل أن يكون رفع العذاب في هذا الوقت المذكور عن عصاة المسلمين دون الكفار لأمرين أحدهما أن الكافر مخلد في العذاب دون المسلم والثاني أن المسلم كان يعتقد فضل الجمعة وبركتها دون الكافر والله أعلم وقد تظاهرت أدلة الشرع من الأخبار والآثار الصحيحة الشهيرة على النعيم والعذاب في القبور ونعيم الأرواح التي في عليين وعذاب الأرواح التي في سجين على حسب السعادة والشقاوة وكل هذا لا يحيله العقل ويطول ذكر ما صح فيه من النقل وأدلتنا من المنقول والمعقول موضع ذكرها كتب الأصول ففي ميدانها اتساع في العرض والطول تجول فيه خيل الاحتجاج السوابق وتصول وتضرب بالبيض المواضي وتطعن والقنا شواجر بالنصول فهناك جيش السنة غالب مؤيد وجيش البدع مغلوب مخذول نسأل الله الكريم التوفيق والهدى ونعوذ به من الخذلان والردى ثم هذا الذي ذكرت من النعيم والعذاب للأرواح والأجساد أو للأرواح خاصة، إنما هو في البرزخ أما بعد البعث فإن الروح والجسد معا يشتركان في العذاب أو النعيم بإجماع المسلمين خلافا للفلاسفة الكفار الذين قالوا تبعث الأرواح دون الأجساد وهم الصابئون وأشد منهم كفراً الفلاسفة الطبيعيون الذين أنكروا بعث الأجساد والأرواح معا وأشد كفراً من القسمين المذكورين القسم الثالث من الفلاسفة وهم الدهريون الذين أنكروا بعث الأرواح والأجساد وأنكروا الصانع جل وعز عن قولهم وجهلهم وكفرهم علوا كبيرا وتبارك وتقدس في ذاته وصفاته عن كل نقص كبيرا كان أو صغيرا وخصنا بالخصوص بالمقام المحمود واللواء المعقود سيد الأصفياء وخاتم الأنبياء بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الحكاية التاسعة والستون بعد المائة

حكى عن الشيخ أبي على الروذباري رضى الله عنه أنه ورد عليه جماعة من الفقراء فاعتل واحد منهم وبقي في علته أياما فمل أصحابه من خدمته وشكوا ذلك إلى الشيخ أبي على ذات يوم فخالف الشيخ على نفسه وحلف ألا يتولى خدمته غيره فتولى خدمته بنفسه أياما ثم مات الفقير فغسله بيده وكفنه وصلى عليه ودفنه فلما أراد أن يفتح رأس كفنه عند إضجاعه في القبر رآه وعيناه مفتوحتان إليه وقال له يا أبا على لأنصرك بجاهي يوم القيامة كما نصرتني في مخالفتك نفسك.

الحكاية السبعون بعد المائة

عن الشيخ أبي سعيد الخراز رضى الله عنه

قال كنت بمكة فجزت يوما باب بنى شيبه فرأيت شابا حسن الوجه ميتا فنظرت في وجهه فتبسم في وجهى وقال لى يا أبا سعيد أما علمت أن الأحباب أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار وقال أبو يعقوب السنوسى رضى الله عنه جأنى مرید بمكة وقال یا أستاذ أنا غدا أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار فاحفر لى بنصفه وكفنى بنصفه فلما كان الغد وقت الظهر جاء فطاف ثم تباعد ومات فغسلته ووضعته في اللحد ففتح عينيه فقلت له أحياء بعد الموت فقال أنا حى وكل محب لله حى رضى الله عنه .

الحكاية الحادية والسبعون بعد المائة عن أحدهم

قال غسلت ميتا مريدا فأمسك إبهاى وهو على المغتسل فقلت يا بنى خل يدى فأنأ أدرى أنك لست بميت وإنما هى نقلة من مكان إلى مكان فخلى عن يدى . قلت وبلغنى أن بعض الموتى قص غاسله أظفاره فحاف عليه في بعض الأظفار فجذب الميت أصبعه أخبرنى الغاسل بذلك وبأنه رآه يبتسم ويضئ وجهه والغاسل المذكور امرأة والميت امرأة وكلتاهما من الصالحات إن شاء الله تعالى وقال الشيخ ابن الجلاء رضى الله عنه لما مات أبى ضحك على المغتسل وقالوا إنه حى حتى جاء رجل من أقرانه فغسله رضى الله عنهم أجمعين .

الحكاية الثانية والسبعون بعد المائة عن أحدهم

قال كنا في مركب فمات رجل عليل كان فيه فأخذنا في جهازه وأردنا إلقاءه في البحر فرأيت البحر قد انشق نصفين ونزلت السفينة إلى الأرض فخرجنا وحفرنا له قبرا ودفناه فلما فرغنا استوى الماء وارتفعت السفينة وسرنا . وقيل مات فقير في بيت مظلم فلما أرادوا غسله تكلفوا في طلب السراج فسطع لهم من كوة البيت نور أضاء البيت فغسلوه فلما فرغوا ذهب الضوء كأن لم يكن .

الحكاية الثالثة والسبعون بعد المائة

عن أحدهم

قال رأيت أبا تراب النخشبى رضى الله عنه ميتا في البادية قائما مستقبلا القبلة لا يمسه شيء فأردت أن أحمله وأواريه في التراب فما قدرت على رفعه وسمعت هاتفا يقول دع ولى الله مع الله .

(وروى) أنه لما حضرت وفاة الشيخ أبى على الروذبارى رضى الله عنه فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول لى يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها وأنشد يقول :

وحقك لانظرت إلى سواك	بين مودة حتى أراك
ولا استحسنت في نظرى جمالا	ولا أحببت حبا غير ذاك
ولا استلذذت في الدنيا لذيفا	ولا لى بغية إلا رضاك
فمن بنظرة فضلا ومنا	وبلغنى المنى حتى أراك

الحكاية الرابعة والسبعون بعد المائة

عن أحدهم

قال لما مات ابن الجلاء رضى الله عنه نظروا إليه فإذا هو يضحك فقال الطيب إنه حى ثم جسده فقال إنه ميت ثم كشف عن وجهه فقال لا أدرى أهو حى أو ميت .
وقيل إن عبدالله بن المبارك فتح عينيه عند الوفاة ثم ضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون رضى الله عنه .

وقال الشيخ أبو محمد الجريرى رضى الله عنه كنت عند الجنيد رضى الله عنه في حال نزعه وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له أفى هذا الحال يا أبا القاسم قال ومن أولى بذلك منى وها هى ذى تطوى صحيفتى .

الحكاية الخامسة والسبعون بعد المائة

عن محمد بن حامد رضى الله عنه

قال كنت جالسا عند الإمام أحمد بن خضرويه رضى الله عنه وهو في النزاع وقد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه عن مسألة فدمعت عيناه وقال يابنى باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح لى الساعة لا أدرى أيفتح بالسعادة أم بالشقاء وأن لى أوان الجواب وكان عليه سبعمائة دينار دينا وحضر غرماؤه

فنظر إليهم وقال اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عليهم وثيقتهم وقد قلت ادعوني أستجب لكم فاقض ديني وأرض عني خصومي إنك على كل شيء قدير فدد الباب داق وقال أين غرماء أحمد فخرجوا فقضى عنه دينه ثم خرجت روحه رضى الله عنه .

الحكاية السادسة والسبعون بعد المائة

عن أحدهم

قال إن رجلا قال للشبلى رضى الله عنه لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله فقال لا أبغى به بدلا فقال يا أبا بكر أريد أعلى من هذا فقال أخشى أن أؤخذ في وحشة الحجاب فقال أريد أعلى من ذلك فقال قال الله تعالى : ﴿ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾^(١) فزقق الرجل فخرجت روحه فتعلق أولياء الميت بالشبلى وادعوا عليه طلب ثأره فحمل إلى مجلس الخليفة فخرجت الرسالة إليه فسأله عن دعواهم عليه فقال الشبلى روح حنت فرهبت ودعيت فاجأبت وسمعت فأنابت فما ذنبى أنا فصاح الخليفة وقال خلوه فلا ذنب له .

الحكاية السابعة والسبعون بعد المائة

عن الشيخ أبى الحسن المزنى رضى الله عنه

أنه قال لأحدهم في النزاع قل لا إله إلا الله فتبسم وقال إياى تعنى وعزة من لا يدوق الموت ما بينى وبينه إلا حجاب العزة وانظفاً من ساعته وكان المزنى يأخذ بلحيته ويقول حجام مثلى يلقن أولياء الله الشهادة واحجلتاه منه وكان يبكى إذا ذكر هذه الحكاية وقيل للأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقا .
وقال الشيخ أبو محمد رويم رضى الله عنه حضرت وفاة أبى سعيد الخراز رضى الله عنه وهو يقول :

وتذكارهم عند المناجاة للسر
فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السكر
به أهل ود الله كالأنجم الزهر
وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسرى
وما عرجوا عن مس يؤس ولا ضر

حنين قلوب العارفين إلى الذكر
أديرت كئوس للمنايا عليهم
همومهم جنوالة بمعسكر
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه
وما عرسوا إلا بقرب حبيبهم

رضى الله عنه وعنهم ونفعنا بهم أجمعين والمسلمين آمين .

الحكاية الثامنة والسبعون بعد المائة

عن خلف بن سالم رحمه الله

قال قلت لأبى على بن المغيرة أين مأواك، قال في دار يستوى فيها العزيز والذليل قلت وأين هذه الدار قال المقابر قلت له أما تستوحش من ظلمة الليل قال إني أذكر ظلمة اللحد ووحشته فتهون على ظلمة الليل قلت فرما رأيت في المقابر شيئا تنكره قال ربما ولكن في هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر وانشدوا ما وجدوا مكتوبا على بعض القبور:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاءك لا يرجى وأنت قريب
تزيد بلى في كل يوم وليلة وتبلى كما تبلى وأنت حبيب

الحكاية التاسعة والسبعون بعد المائة

عن الإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالي رضى الله عنه

قال سمعت إمام الحرمين رضى الله عنه يحكى عن الأستاذ أبى بكر يعنى الإمام ابن فورك رضى الله عنه قال كان لى صاحب أيام التعلم وكان مبتدئا كثير الجهد في التعلم تقيا متعبدا وكان لا يحصل له مع الاجتهاد إلا القليل فكنا نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه بين الأولياء في الرباط ولم يدخل بيت المرضى وكان يجتهد مع مرضه فاشدد به الحال وأنا بجانبه فيينا هو كذلك إذ شخص ببصره إلى السماء ثم قال: يا ابن فورك مثل هذا فليعمل العاملون فتوفى عند ذلك رحمه الله.

الحكاية الثمانون بعد المائة

عن مالك بن دينار رضى الله عنه

أنه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك حبلان من النار بين يدي أكلف الصعود عليهما قال مالك فسألت آله ما كان فعله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الأمر إلا شدة.

(وروى) عن أحدهم أنه قال لبعض الناس وهو في النزع وكان يعامل الناس بالميزان قل (لا إله إلا الله) فقال ما أقدر أقولها لسان الميزان على لساني يمننى من النطق بها قال فقلت له أما كنت توفى الوزن قال بلى ولكن ربما يقع الميزان بشيء من الغبار ولا أشعر به.

الحكاية الحادية والثمانون بعد المائة عن أحد أصحاب

أحمد بن حنبل رضى الله عنه

قال لما مات أحمد بن حنبل رأيت في النوم وهو يمشى ويتبختر في مشيته فقلت

له يا أخى أى مشية هذه قال هذه مشية الخدام في دار السلام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي وألسنى نعلين من ذهب وقال لى هذا جزاء قولك القرآن كلام الله منزل غير مخلوق وقال يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فإذا بسفيان الثوري رضى الله عنه له جناحان أخضران يطيران بهما من نخلة إلى نخلة وهو يقرأ هذه الآية: ﴿الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾^(١) فقلت له أصيىش خبر عبدالواحد الوراق رضى الله عنه فقال تركته في بحر من النور في مركب من النور يزار به الملك الغفور فقلت ما فعل الله ببشر بن الحرث قال بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الملك الجليل سبحانه مقبل عليه وهو يقول كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب وأنعم يا من لم ينعم وقال أحدهم رأيت معروفا الكرخي رضى الله عنه في النوم كأنه تحت العرش والحق عز وجل يقول ملائكته من هذا فقالوا أنت أعلم به يا رب فقال هذا معروف الكرخي سكر في حبي فلا يفيق إلا بقلائي وقال الربيع بن سليمان رحمه الله رأيت الإمام الشافعي رضى الله عنه بعد وفاته في المنام فقلت له يا أبا عبدالله ما فعل الله بك قال أجلسنى على كرسي ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب وقال بعض الأخيار رأيت الشيخ أبا إسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي رضى الله عنه في المنام بعد وفاته وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج فقلت له ما هذا البياض فقال شرف الطاعة قلت والتاج قال عز العلم وقال الشيخ العارف أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لى باهى الله موسى وعيسى وصلى الله عليهما وسلم بالإمام الغزالي رضى الله عنه وقال أفى أمتكما حبر كهذا قالا لا رضى الله عنه وعن جميع الأولياء والعلماء ونفع بهم أجمعين آمين.

الحكاية الثانية والثمانون بعد المائة

عن بلال الخواص رضى الله عنه

قال كنت في تيه بنى إسرائيل وإذا برجل يماشيني فتعجبت منه ثم ألهمت أنه الخضر رضوان الله عليه فقلت له بحق الحق من أنت قال أخوك الخضر قلت له أريد أن أسألك فقال سل فقلت ما تقول في الشافعي فقال هو من الأوتاد فقلت ما تقول في أحمد بن حنبل فقال زجل صديق فقلت ما تقول في بشر بن الحرث فقال لم يخلف بعده مثله فقلت بأى وسيلة رأيتك قال ببرك لأملك.

الحكاية الثالثة والثمانون بعد المائة

عن أحدهم أنه رأى بشر بن الحرث في النوم بعد وفاته فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لى وأتاح لى نصف الجنة وقال كل يا من لم يشرب يا من لم يشرب

وقال لى يابشر لو سجدت على الجمر ما أدت شكر ما جعلته لك في قلوب عبادى وفي رواية أخرى أنه قال له قبضتك يوم قبضتك وليس على وجه الأرض أحد أحب إلى منك قلت وهذا يؤيد قول الخضر رضى الله عنه لم يخلف بعده مثله .

الحكاية الرابعة والثمانون بعد المائة عن أحد الصالحين

قال كان لى ابن استشهد فلم أره في المنام إلا ليلة توفى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه تراءى لى تلك الليلة فقلت يا بنى ألم تك ميتا فقال لا ولكنى استشهدت وأنا حى عند الله أرزق فقلت له ما جاء بك فقال نودى في السماء ألا لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبدالعزيز فجئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم .

الحكاية الخامسة والثمانون بعد المائة عن أحد الصالحين

أنه رأى الإمام سفيان الثورى رضى الله عنه في النوم بعد موته فقال له كيف حالك يا أبا عبدالله قال فأعرض عنى وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت كيف حالك يا سفيان فأنشد :

نظرت إلى ربي عيانا فقال لى هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما إذا أظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر أردته وزرنى فإنى عنك غير بعيد

الحكاية السادسة والثمانون بعد المائة

حكى أنه لما مات سهل بن عبدالله التسترى رضى الله عنه أكب الناس على جنازته وكان في البلد رجل يهودى قد نيف على السبعين سنة فسمع الضجة فخرج لينظر ما الخبر فلما نظر إلى الجنازة قال أترون ما أرى قالوا وما ترى قال أرى أقواما ينزلون من السماء يتبركون بالجنازة ثم أسلم وحسن إسلامه رحمه الله ونفعنا بجميع الصالحين آمين .

الحكاية السابعة والثمانون بعد المائة

عن خادمة رابعة العدوية رضى الله عنها

قالت كانت رابعة تصلى الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت هجعة في مصلاها حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مقعدها ذلك وهى فزعة يانفس كم تنامين وإلى كم تقومين يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور قالت وكان هذا دأبها إلى أن ماتت فلما حضرته الوفاة دعتنى وقالت لا تؤذنى بموتى أحدا وكفنينى في جبتي هذه وكانت جبة من شعر تقوم فيها إذا هدأت العيون قالت فكفناها بتلك الجبة وفي خمار صوف كانت تلبسه قالت فرأيتها في المنام

عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منها قلت يا رابعة ما فعلت في الجبة التي كفنك بها والخمار الصوف قالت إنه والله نزع عني وأبدلت به هذا الذي ترينه وطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكون لي ثوابها يوم القيامة فقلت لها لهذا كنت تعملين أيام الدنيا فقالت وما هذا عندما رأيت مما أعد الله من كرامات الله عز وجل لأوليائه قلت فميرني بأمر أتقرب به إلى الله تعالى قالت عليك بكثرة ذكره فإنه يوشك أن تغتبطى بذلك في قبرك .

الحكاية الثامنة والثمانون بعد المائة

روى عن أحمد بن أبي الخوارى رضى الله عنه قال كان لرابعة أحوال شتى يعنى زوجته رابعة الشامية قال فمرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الأنس ومرة يغلب عليها الخوف فسمعتها في حال الحب تقول:

حبيب ليس يعدله حبيب وما لسواه في قلبى نصيب
حبيب غاب عن بصرى وشخصى ولكن عن فؤادى منا يغيب
(وسمعتها في حال الأنس تقول)

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثى وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبى في الفؤاد أنيسى
(وسمعتها في حال الخوف تقول)

وزادى قليل ما هو مبلغى للزاد أبكى أم لطول مسافتى
أتحرقنى بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك أين مخافتى

قال وقلت لها وقد قامت بليل ما رأينا من يقوم الليل كله غيرك، فقالت سبحان الله مثلك يتكلم بهذا إنما أقوم إذا نوديت قال فجلست أكل في وقت قيامها فجعلت تذكرنى فقلت لها دعينا نتهنى بطعامنا .

فقالت ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الإله .

وقالت لى لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حب الإخوان وكانت إذا طبخت قدرا قالت كلها ياسيدى فما نضجت إلا بالتسيح .

قال وقالت لى اذهب فتزوج فتزوجت ثلاثا وكانت تطعمنى اللحم وتقول اذهب بقوتك إلى أهلك وقالت ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها قلت الظاهر والله أعلم أن هذه الرؤية المذكورة كانت في اليقظة فأما رؤية المنام فلغير الأولياء .

وهذه رابعة الشامية زوجة ابن أبي الخوارى كما ذكرناه وليست رابعة العدوية البصرية التي تقدمت وبعض أهل العلم يقول هذه الشامية رابعة بالياء المثناة المنقوطة

بنقطتين من تحت وبعضهم يقول بنقطة واحدة كرابعة البصرية رضى الله عنهما ونفع بهما أجمعين آمين .

الحكاية التاسعة والثمانون بعد المائة

حكاية شعوانة رضى الله عنها

ذكر أن شعوانة رضى الله عنها قد كبرت حتى انقطعت عن الصلاة والعبادة فأتاها آت في منامها فقال :

أذرى دموعك إذا ما كنت شاكية إن النياحة لا تشفى الحزينينا
جدى وقومى وصومى الدهر دائبة فإن الدأب من فعل المطيعينا
فأخذت بالترنم والبكاء وراجعت العمل وكانت رضى الله تعالى عنها تردد هذا البيت فتبكي وتبكي النساء معها ثم تقول :

لقد أمن المغرور دار مقامه ويوشك يوما أن يخالف كما أمن
وروى أنه أتاها الفضيل بن عياض رضى الله عنه لما قدمت وسألها أن تدعو له
فقلت : يا فضيل أما بينك وبين الله تعالى سريرة ما إن دعوته استجاب لك فشق
الفضيل شهقة وخر مغشيا عليه رضى الله تعالى عنهما ونفع بهما .

الحكاية التسعون بعد المائة

حكاية : عمرة امرأة حبيب العجمي

روى أن عمرة امرأة حبيب العجمي رضى الله تعالى عنهما كانت توقظه بالليل
وتقول قم يارجل فقد ذهب الليل وبين يديك طريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين
قد سارت قدامنا وبقينا نحن .

قال بعض الصالحين تزوجت امرأة فكانت إذا صلت العشاء لبست ثيابها
وتطيبت وتبخرت ثم تأتيني فتقول ألك حاجة فإن قلت نعم كانت معى وإن قلت لا
قامت فنزعت ثيابها ثم صفت قدميها حتى تصبح .

الحكاية الحادية والتسعون بعد المائة

حكى أنه كان لأحد الملوك جارية يقال لها جوهرة فأعتقها فمرت بأبى عبدالله
البرائى رضى الله عنه وهو في كوخ له يتعبد فتزوجت به وتعبدت معه فرأت في المنام
خياما مضروبة فقالت لمن ضربت هذه الخيام فقيل للمتجهدين بالقرآن فكانت بعد لا
تنام وكانت توقظ زوجها وتقول يا أبا عبدالله قد سارت القافلة وأشد بعضهم :

أرانى بعيد الدار لم أقرب الحمى وقد نصبت للساهرين خيام
علامة طردى طول ليلى نائم وغيرى يرى أن المنام حرام
إذا كنت لم أصلح لخدمة مثله على طيب أيام الوصال سلام

الحكاية الثانية والتسعون بعد المائة

حكى أن ملك كرمان خطب بنت الشيخ شاه الكرمانى رضى الله تعالى عنه

فاستمهله ثلاثة أيام ثم أقبل شاه يطوف المساجد فرأى غلاما يحسن صلاته، فلما فرغ قال يا غلام ألك زوجة قال لا فقال فهل لك في زوجة تقرأ القرآن وتصلى وتصوم وهى جميلة نظيفة عفيفة فقال ومن يزوجنى فقال شاه أنا أزوجك فخذ بدرهم خبزا وبدرهم أدما وبدرهم طيبا والأمر مفروغ منه فعقد عليها فلما دخلت بيت الغلام رأت رغيفا يابساً على رأس جرة فلما رأت ذلك قالت ما هذا فقال لها رغيف بقى من أمس فتركته لأفطر عليه فلما سمعت ذلك ولت راجعة فقال الشاب قد عرفت أن بنت شاه لا تتقع بفقرى ولا ترضى بى لها بعلا فقالت إن بنت شاه ليس خروجها من منزلك لفقرك بل لضعف يقينك ولست أعجب منك إنما أعجب من أبى كيف قال زوجتك من شاب عفيف كيف وصف بالعفة من لا يعتمد على الله تعالى إلا مع ادخار رغيف، فقال الشاب أنا عن هذا معتذر، فقالت أما العذر فأنت أعرف بشأنك وأما أنا فلا أقيم في بيت فيه مطوم فإما أن أخرج أنا وإما أن تخرج الرغيف من البيت فتصدق الشاب بالرغيف رضى الله تعالى عنهما .

قلت هذا التزويج المذكور صدر من الشيخ الجليل العارف بالله شاه بن شجاع الكرمانى المذكور بعد ما زهد في الملك ودخل في طريق القوم وقد تقدمت حكايته قبل ذلك وقد حكيت هذه الحكاية في كتاب الإرشاد على غير هذا الوجه ولكن اختلاف الحكايتين متقارب ويليق بهذه المرأة المذكورة قول القائل :

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

الحكاية الثالثة والتسعون بعد المائة

حكى أن بعض العباد المرابطين بعسقلان قال ذات ليلة يريد التهجد على السطح فإذا هو بهاتف يهتف من البحر يقول يا معشر العباد قسمت العبادة ثلاثة أجزاء، أولها قيام الليل، وثانيها صيام النهار، وثالثها الدعاء والتسبيح والاستغفار، وهذا خير القسمة فخذوا منه بالحظ الأوفر فسقط العابد على وجهه لما دخله من الصوت رضى الله عنه وحكى أن إبليس نعوذ بالله منه تمثل ليحيى بن زكريا عليه السلام فلوى عنه وجهه فأوحى الله تعالى إلى يحيى عليه السلام أن سله فإنه يصدقك فسأله عن مسائل منها أن قال له هل قدرت على قط قال نعم ليلة واحدة امتلأت بطنك من الطعام فنتمت عن وردك فقال يحيى إذا لا أشبع من طعام أبدا فقال إبليس نعوذ بالله منه وإذا لا أنصح أحدا أبدا وأنشد بعضهم :

وكم من أكلة منعت أخاها بأكلة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشيء وفيه هلاكه لو كان يدري

قلت ذكر بعض المصنفين هذين البيتين بعد هذه الحكاية وليس ذلك مناسباً لحال يحيى عليه السلام وإنما يناسب أكلاً يورث تخمة تحرم أكلات بعدها كما يتفق لكثير من الناس ولكنى أقول في هذا المعنى :

وكم من أكلة حرمت كثيراً من الخيرات في طاعات مولى
ولذات بخلوات تجلبنى بها المولى وقد ناجاه ليلاً

الحكاية الرابعة والتسعون بعد المائة

حكى عن يحيى بن زكريا عليه السلام أنه شبع مرة من خبز شعير فنام عن حظه تلك الليلة، فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى هل وجدت داراً خيراً لك من دارى أو جواراً خيراً لك من جوارى، وعزتى وجلالى لو اطلعت في الفردوس اطلاعة لذاب جسمك ولزهقت نفسك اشتياقاً إلى الفردوس، ولو اطلعت في جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وأنشدوا:

اقتنع بالقليل تحيا غنياً أن من يطلب الكثير فقير
إن خبز الشعير بالماء والمـلح لمن لم يطلب النجاة كثير

الحكاية الخامسة والتسعون بعد المائة

حكى عن الجنيد رضى الله عنه قال كنت في مسجد الجامع مرة فإذا برجل قد دخل إلينا وصلى ركعتين ثم امتد ناحية من المسجد وأشار إلى فلما جثته قال لى يا أبا القاسم إنه قد جان لقاء الله تعالى ولقاء الأحاب فإذا فرغت من أمرى فسيدخل عليك شاب مغن فادفع إليه مرقعتى وعصاى وركوتى فقلت إلى مغن وكيف يكون ذلك قال إنه قد بلغ رتبة القيام بخدمة الله تعالى في مقامى قال الجنيد فلما قضى الرجل نحبه وفرغنا من مواراته إذا نحن بشاب مصرى قد دخل علينا وسلم وقال أين الوديعة يا أبا القاسم فقلت وكيف ذاك أخبرنا بذلك قال كنت في مشربة بنى فلان فهتف بي هاتف أن قم إلى الجنيد وتسلم ما عنده وهو كيت وكيت فإنك قد جعلت مكان فلان الفلانى من الأبدال فقال الجنيد فدفعت إليه ذلك فترع ثيابه واغتسل ولبس المرقعة وخرج على وجهه نحو الشام رضى الله تعالى عنه.

الحكاية السادسة والتسعون بعد المائة

حكى أن شاباً من أهل الصلاح والخير أمر بمعروف ونهى عن منكر فشقق فيه على هارون الرشيد فأمر به فجعل في بيت وسد عليه بابه ومنافذه ليهلك فيه، فلما كان بعد خمسة أيام قال بعض الناس للرشيد رأيت الرجل الذي أمرت بسد الباب عليه يتفرج في البستان الفلانى فأمر هارون الرشيد بإحضاره فلما حضر قال من أخرجك من البيت قال الذى أدخلنى البستان قال ومن أدخلك البستان قال الذى

أخرجني من البيت فقال الرشيد هذا عجيب فقال الشاب وأى أمر ربك ليس بعجيب فبكى الرشيد وأمر بالإحسان إليه وإن يركب الفرس الخاص وأن ينادى بين يديه هذا عبد أعزه الله أراد هارون إهانتة فلم يقدر إلا على إكرامه واحترامه رضى الله عنه ونفعنا به وفي هذا المعنى قلت :

إذا أكرم الرحمن عبدا بعزه فلن يقدر المخلوق يوما يهينه
ومن كان مولاه العزيز أهانه فلا أحد بالعز يوما يعينه

الحكاية السابعة والتسعون بعد المائة

عن بعض أهل عبادان قال ملح الماء عندنا نيفا وستين سنة وكان عندنا رجل من أهل الساحل له فضل ولم يكن في الصهاريج شيء وحضرت صلاة المغرب فهبطت لأتوضأ للصلاة من النهر، وذلك في رمضان في حر شديد فإذا به يقول سيدى أرضيت عملى حتى أتمنى عليك، أرضيت طاعتى حتى أسألك، سيدى غسالة الحمام كثير لمن عصاك، سيدى لولا أنى أخاف غضبك لم أذق الماء ثم أخذ بكفه فشرب شرابا مالحا فتعجبت من صبره على ملوحته ثم أخذت من الموضع الذى أخذ منه فإذا هو مثل السكر فشربت حتى رويت، قال وأخبرنى أنه رأى في المنام كأن رجلا يقول له قد فرغنا من بناء دارك لو رأيتها قرت عينك وقد أمرنا بتنجيزها والفراغ منها إلى سبعة أيام واسمها دار السرور فأبشر بخير، قال فلما كان في اليوم السابع وهو يوم الجمعة بكر للوضوء فنزل في النهر فزلق فغرق فأخرجناه بعد الصلاة ودفناه فرأيت في المنام بعد ثلاثة وعليه حلل خضر فسألته عن حاله فقال أنزلنى الكريم في دار السرور فيما أعد لى فيها فقلت له صف لى فقال هيهات هيهات يعجز الواصفون عن وصف ما فيها فليت عيالى يعلمون أنه قد هبى لهم منازل معى، فيها كل ما اشتته أنفسهم نعم وإخوانى وأنت معهم إن شاء الله تعالى عنه ونفعنا به وأنشدت ريحانة رضى الله عنها:

إلهى لا تعذبنى فإننى أومل أن أفوز بخير دار
وأنت مجاور الأبرار فيها فيأطوبى لهم في ذا الجوار

الحكاية الثامنة والتسعون بعد المائة

عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه

قال أول ما رأيت من العجائب والكرامات أنى خرجت يوما إلى موضع خال فطاب لى المقام فيه فوجدت من قلبى قربا إلى الله تعالى وحضرت الصلاة وأردت الوضوء وكانت عادتى من صباى تجديد الوضوء لكل صلاة فكأنى اغتممت لفقد الماء فبينما أنا كذلك وإذا دب يمشى على رجليه كأنه إنسان معه جرة خضراء قد أمسك

بيديه عليها فلما رأيته من بعيد توهمت أنه آدمى حتى دنا منى وسلم على ووضع الجرة بين يدي فجاءنى اعتراض العلم فقلت هذه الجرة والماء من أين هو فنطق الذب وقال يا سهل إنا قوم من الوحوش قد انقطعنا إلى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا في مسألة، إذ نودينا ألا إن سهلا يريد ماء ليجدد الوضوء فوضعت هذه الجرة بيدي وإذا بجنبي ملكان فدنوت منهما فصبا فيها هذا الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء قال سهل فغشى علي فلما افقت إذا بالجرة موضوعة ولا علم لى بالذب أين ذهب وأنا متحسر إذ لم أكلمه فتوضأت فلما فرغت أردت أن أشرب منها فنوديت من الوادى يا سهل لم يأن لك شرب هذا الماء بعد فبقيت الجرة تضطرب وأنا أنظر إليها فلا أدرى أين ذهبت.

الحكاية التاسعة والتسعون بعد المائة

عن سهل أيضا رضى الله عنه

قال توضأت يوم جمعة ومضيت إلى الجامع في أيام البداية فوجدته قد امتلأ بالناس وهم بالخطيب أن يرقى المنبر فأسأت الأدب ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت إلى الصف الأول فجلست وإذا عن يميني شاب حسن المظهر طيب الرائحة عليه أظمار صوف فلما نظر إلى قال كيف تجردك يسهل قلت بخير أصلحك الله وبقيت متفكرا في معرفته لى وأنا لم أعرفه فبينما أنا كذلك إذ أخذنى حرقان بول فأكربني، فبقيت على وجل خوفا أن أتخطى رقاب الناس وإن جلست لم يكن لى صلاة فالتفت إلى وقال يا سهل أخذك حرقان بول قلت أجل فنزع حرامه عن منكبه فغشاني به ثم قال اقض حاجتك وأسرع تلحق الصلاة قال فغمى على وفتحت عيني وإذا بباب مفتوح وسمعت قائلا يقول لى ليج الباب يرحمك الله فولجت وإذا بقصر مشيد عال البناء شامخ الأركان وإذا بنخلة قائمة وإلى جنبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد ومنزل إراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك فحللت لباسى وأرقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة وتوضأت فسمعته ينادينى ويقول إن كنت قد قضيت إربك فقل نعم فقلت نعم فنزع الحرام عنى فإذا أنا جالس بمكانى ولم يشعر بى أحد فبقيت متفكرا في نفسى وأنا مكذب ومصدق نفسى فيما جرى فأقيمت الصلاة وصلى الناس فصليت معهم ولم يكن لى شغل إلا الفتى لأعرفه فلما فرغ تبعت أثره فإذا به قد دخل إلى درب والتفت إلى وقال يسهل كأنك ما أيقنت بما رأيت قلت كلا، قال ليج الباب يرحمك الله فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت النخلة والمطهرة والحال بعينه والمنشفة مبلولة، فقلت آمنت بالله، فقال يسهل من أطاع الله تعالى أطاعه كل شىء، يا سهل اطلبه تجده فتغرغرت عيناى بالدموع فمسحتها وفتحتها فلم أر الفتى

ولا القصر فبقيت متحسرا على ما فاتنى منه ثم أخذت في العبادة رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين .

الحكاية الماثقان

عن أحد أصحاب سهل بن عبدالله رضى الله عنهما

قال خدمت سهلا ثلاثين سنة، فما رأيته يضع جنبه على الفراش لا في ليل ولا في نهار وكان يصلى صلاة الصبح بوضوء العشاء فهرب من الناس إلى جزيرة بين عبادان والبصرة، وإنما فر من الناس لأن رجلا حج سنة من السنين فلما رجع قال لأخ له رأيت سهل بن عبدالله في الموقف بعرفة فقال له أخوه نحن كنا عنده يوم التروية في رباطه بباب بشر الحافى فحلف بالطلاق أنه رآه بالموقف فقال له أخوه قم بنا حتى نسأله فقاما ودخلا عليه وذكر له ما جرى بينهما من الاختلاف في هذا الحديث وسألاه عن حكم اليمين التى حلفها فقال سهل رضى الله عنه مالكم بهذا الكلام حاجة اشتغلوا بالله تعالى وقال للحجاج أمسك عليك زوجك ولا تخبر بهذا أحدا رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الواحدة بعد الماثتين

حكى عن أحد الصالحين أنه كان يتكلم مع الناس ويعظهم، فمر عليه في بعض الأيام يهودى وهو يخوفهم ويقرأ قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً﴾^(١) فقال اليهودى إن كان هذا الكلام حقاً فنحن وأنتم سواء فقال له الشيخ لا ما نحن سواء بل نحن نرد ونصدر وأنتم تردون ولا تصدرون ننجو نحن منها بالتقوى وتبقون أنتم فيها جثياً بالظلم ثم قرأ الآية الثانية: ﴿ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾^(٢) فقال له اليهودى نحن المتقون فقال له الشيخ كلا بل نحن وتلا قوله تعالى: ﴿ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾^(٣) الذين يتبعون الرسول النبى الأسمى فقال اليهودى هات برهانا على صدق هذا فقال الشيخ رضى الله عنه البرهان حاضر يراه كل ناظر وهو أن تطرح ثيابي وثيابك في النار فمن سلمت ثيابه فهو الناجى منها ومن احترقت ثيابه فهو الباقي فيها فترعا ثيابهما، وأخذ الشيخ ثياب اليهودى ولفها ولف عليها ثيابه ورمى بالجميع في النار ثم دخل النار فأخذ الثياب وخرج من الجانب الآخر ثم فتحت الثياب فإذا ثياب الشيخ المسلم سالمة بيضاء قد نظفتها النار وأزالت عنها الوسخ، وثياب اليهودى قد صارت حراقة مع أنها مستورة وثياب الشيخ المسلم ظاهرة للنار فلما رأى ذلك أسلم والحمد لله المنعم المنان الذى أظهر دين الإسلام على سائر

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٦ .

(١) سورة مريم : الآية ٧١ .

(٢) سورة مريم : الآية ٧٢ .

الأديان وهدانا للدين القويم وجعلنا من أمة النبي الكريم الذي أرسله رحمة للعالمين ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الحكاية الثانية بعد المائتين

عن أحدهم قال كنت عند الشيخ أبي محمد الجريري رحمة الله عليه فجاءه رجل فقال له كنت على بساط من الأنس ففتح على باب من البسط فنزلت زلة فحجبت عن مكاني فكيف السبيل إلى ما كنت عليه فبكى أبو محمد الجريري وقال الكل في قهر هذه الخلة لكنى أنشدك أبياتاً تجد فيها جوابك ثم أنشأ يقول :

قف بالديار فهذه آثارهم وإبك الأعبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا عن أهلها متحيرا أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى وعز الملتقى

الحكاية الثالثة بعد المائتين

عن أحدهم قال كنت مع الجنيد رضى الله عنه فسمع مغنيا يغنى :
منازل كنت تهواها وتألّفها أيام أنت على الأيام منصور
فبكى الجنيد رضى الله عنه وقال ما أطيب الألفة والمؤانسة وما أوحش مقامات
المخالفة والوحشة لا أزال أحن إلى بدو إرادتى وجدة سعبي وركوبى الأهوال وجعل
يقول :

خليلى هل بالشام عين حزينة تبكى على نجد فإنى أعينها
وأسلمها الواشون إلا حمامة مطوقة ورقاء أين قرينها

الحكاية الرابعة بعد المائتين عن أحد الصالحين

قال رأيت في سياحتى أعرايبة صغيرة السن فقلت لها أين تنزلون قالت بالبادية
قلت لها أما تستوحشون فقلت يابطال وهل يستوحش مع الله من أنس به فقلت من
أين تأكلون قالت الله أعلم من أين يرزق عباده يرزق من جحده فكيف لا يرزق من
وحده ، ثم قالت قلوب عاشت بمعرفته وطاشت بوحدانيته وتلاشت في محبته
غذاؤهم الأنس بالله تعالى والمشاهدة ربانيون روحانيون يسبحون الليل والنهار لا
يفترون .

الحكاية الخامسة بعد المائتين

حكى أنه قيل للحسن البصرى رضى الله عنه يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط
إلا جالسا وحده خلف سارية فمضى إليه الحسن وقال يا عبدالله أراك قد حببت إليك
العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس ، فقال أمرشغلنى عن الناس ، قال فما يمنعك أن
تأتى هذا الرجل الذي يقال له الحسن البصرى تجلس إليه فقال أمر شغلنى عن الناس

وعن الحسن البصرى فقال له الحسن ماذا الشغل يرحمك الله تعالى فقال إنى أصبحت بين نعمة وذنوب فرأيت أن أشغل نفسى بالشكر على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن يا عبدالله أنت أفقه من الحسن فالزم ما أنت عليه .

الحكاية السادسة بعد المائتين

حكى أنه كان رجل يشرب مع جمع من ندمائه فدفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري بها شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بمجلس منصور بن عمار الواعظ رضى الله عنه، وهو يسأل لفقيه عنده شيئا ويقول من يدفع إليه أربعة دراهم أدعو له أربع دعوات فدفع الغلام الدراهم إليه فقال منصور ما الذى تريد أن أدعو لك فقال لى سيد أريد أن أتخلص من مملكته فدعا له فقال الأخرى قال أن يخلف الله على دراهمى فدعا له ثم قال الأخرى قال أن يتوب الله على وعلى سيدى فدعا ثم قال الأخرى فقال أن يغفر الله تعالى لى ولسيدى ولك للقوم فدعا منصور فرجع الغلام إلى سيده فقال ما أبطأك فقص عليه القصة فقال له وبم دعا قال أن تعتقنى قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى قال وأيش الثانية قال أن يخلف الله تعالى على دراهمى فقال لك أربعة آلاف درهم من مالى قال وأيش الثالثة: قال أن يتوب الله تعالى عليك قال تبت إلى الله عز وجل فأيش الرابعة قال أن يغفر الله تعالى لى ولك وللمذكر والقوم فقال هذه ليست لى فلما جن الليل رأى فى المنام كأن قائلا يقول له أنت قد فعلت ما كان إليك أفترانى لا أفعل ما كان إلى قد غفرت لك وللغلام ولنصور بن عمار وللقوم الحاضرين وأنا أرحم الراحمين .

الحكاية السابعة بعد المائتين

حكى أن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام مر فى موكبه والطيور والدواب الوحوش والأنعام والجن والإنس وسائر الحيوانات من يمينه وشماله فمر بعابد من عباد بنى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما فسمع ذلك سليمان فقال لتسيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود يذهب والتسيحة تبقى وأنشد بعضهم :

إذا ما لم تكن ملكا مطاعا فكن عبدا لملكه مطيعا
وإن لم تملك الدنيا جميعا كما تختار فتركها جميعا
هما شيان من ملك ونسك ينيلان الفتى شرفا رفيعا
ومن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين يحيا بها وضيعا

الحكاية الثامنة بعد المائتين

روى أن أحد الملوك كان متنسكا ثم رجع ومال إلى الدنيا ورياسة الملك وبني

دارا وشيدها وأمر بها ففرشت ونجدت واتخذ مائدة ووضع عليها طعاما ودعا الناس فجعلوا يدخلون ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويتعجبون من ذلك ويدعون له وينصرفون فمكث بذلك أياما ثم جلس هو ونفر من خاصة أصحابه فقال قد ترون سرورى بدارى هذه وقد حدثت نفسى أن أتخذ لكل واحد من أولادى مثلها فأقيموا عندى أياما أستأنس بحدِيثكم وأشاوركم فيما أريد من هذا البناء فأقاموا عنده أياما يلهون ويلعبون ويشاورهم كيف يبنى وكيف يصنع ويرتب ذلك فينما هم ذات ليلة في لهوهم إذ سمعوا قائلا من أقصى الدار يقول :

أيها البانى الناسى منيته _____ لا تأمن فإن الموت مكتوب
على الخلائق إن سروا وإن حزنوا فالموت حتف لذى الآمال منصوب
لا تبين ديارا لست تسكنها _____ وراجع النسك كيما يغفر الحوب

ففرع لذلك وفرع أصحابه فرعا شديداً وراعهم، فقال هل سمعتم ما سمعت فقالوا نعم قال هل تجدون ما أجد قالوا ما تجد قال مسكة على فؤادى وما أراها إلا علة الموت، فقالوا كلا بل البقاء والعافية فبكى ثم أمر بالشراب فأهريق وبالملاهى فأخرجت أو قال كسرت وتاب إلى الله تبارك وتعالى ولم يزل يقول الموت الموت حتى خرجت نفسه رحمة الله تعالى عليه .

الحكاية التاسعة بعد المائتين

روى أن ملكا من ملوك كندة كان كثير المصاحبة للهو وللذات كثير العكوف على اللعب، فركب يوما للاصطياد أو غيره فانقطع عن أصحابه فإذا هو برجل جالس قد جمع عظاما من عظام الموتى وهى بين يديه يقبلها فقال ما قصتك أيها الرجل وما بلغ بك ما أرى من سوء الحال ويبس الجسم وتغير اللون والانفراد في هذه الفلاة، فقال أما ما ذكرت من ذلك فلأنى على جناح سفر بعيد وبى موكلان مزعجان يحدوان بى إلى منزل ضنك المحل مظلم القعر كرية المقر ثم يسلمانى إلى مصاحبة البلى بمجاورة الهلكى تحت أطباق الثرى فلو تركت بذلك المنزل مع ضيقه ووحشته وارتعاء خشاش الأرض من لحمى حتى أعود رفاتا وتصير أعظمى رماما لكان للبلاء انقضاء وللشقاق انتهاء ولكنى أدفع بعد ذلك إلى صيحة الحشر وأرد أهوال ومواقف الجزاء، ثم لا أدرى إلى أى الدارين يؤمر بى فأى حال يلتذ به من يكون إلى هذا الأمر مصيره، فلما سمع الملك كلامه ألقى عن فرسه وجلس بين يديه وقال أيها الرجل لقد كدر على مقالك صفو عيشى وملك قلبى فأعد على بعض قولك واشرح لى ذلك، فقال له أما ترى هذه التى بين يدى قال بلى قال هذه عظام ملوك غرتهم الدنيا بزخرفها واستحوذت على قلوبهم بغرورها فألهتهم عن التأهب لهذه المصارع

حتى فاجأتهم الآجال وخذلتهم الآمال وسلبهم بهاء النعمة وستنشر هذه العظام فتعود أجساما ثم تجازى بأعمالها، فيما إلى دار النعيم والقرار، وإما إلى دار العذاب والبوار، ثم غاب الرجل فلم ندر أين ذهب وتلاحق أصحاب الملك به وقد تغير لونه وتواصلت عبراته فلما جن عليه الليل نزع ما كان عليه من لباس الملك ولبس طمرين وخرج تحت الليل فكان آخر العهد به رحمه الله وأنشدوا :

أفنى الملوك التي كانت منعمة كر الليالي إقبالا وإدبارا
يا راقد الليل مسرورا بأوليه إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تأمن بليل طاب أوليه فرب آخر ليل أجج النارا

الحكاية العاشرة بعد المائتين

حكى أنه كان في الأمم الماضية ملك متمرد على ربه عز وجل فغزاه المسلمون وأخذوه أسيرا فقالوا بأي قتلة نقتله فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له قممما عظيما ويجعلوه فيه ويوقدوا تحته النار ولا يقتلوه حتى يذيقوه طعم العذاب ففعلوا ذلك به ، فجعل يدعو آلهته واحدا بعد واحد يا فلان بما كنت أعبدك أنقذني مما أنا فيه فلما رأى الآلهة لا تغنى عنه شيئا رفع رأسه إلى السماء وقال لا إله إلا الله ودعا مخلصا فصب الله عليه مبعث ماء من السماء فأطفأ تلك النار وجاءت ريح فاحتملت ذلك القممم وجعلت تدور به بين السماء والأرض وهو يقول لا إله إلا الله فقدفته إلى قوم لا يعبدون الله عز وجل وهو يقول لا إله إلا الله فاستخرجوه وقالوا ويحك مالك فقال أنا ملك بنى فلان كان من خبرى وأمري كيت وكيت وقص عليهم القصة فآمنوا رحمة الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

الحكاية الحادية عشرة بعد المائتين

حكى أن أحد ملوك الأمم السابقة بنى مدينة وتأنق فيها وتغالى فى حسنها وزينتها ثم صنع طعاما ودعا الناس وأجلس أناسا على أبوابها يسألون كل من خرج هل رأيتم عيبا فيقولون لا حتى جاء أناس فى آخر القوم عليهم أكسية فسألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا عيين اثنين فحبسوهم ودخلوا على الملك فأخبروه بما قالوا فقال ما كنت أرضى بعيب واحد اتونى بهم فأدخلوهم عليه فسألهم عن العيين ماهما فقالوا تخرب ويموت صاحبها قال أفتعلمون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها قالوا نعم فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقه إليها ، وذكروا النار وعذابها وخوفه منها ، ودعوه إلى عبادة الله عز وجل فاجابهم إلى ذلك وخرج من ملكه هاربا تائبا إلى الله سبحانه وتعالى رحمة الله عليه .

الحكاية الثانية عشرة بعد المائةين

روى أنه تحارب ملكان من ملوك اليمن فى قديم الزمان فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرّد أصحابه وهبث له السرر وزينت له دار الملك وتلقاه الناس ليدخل فيينما هو فى بعض السكك يقصد دار الملك إذ وقف له رجل ينسب إلى الجنون فأنشد :

تمتع من الأيام إن كنت حازماً فإنك فيها بين ناه وأمــــر
فكم ملك قد ركم التراب فوقه وعهدى به بالأمس فوق المنابر
إذا كنت فى الدنيا بصيراً فإنما بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

فقال له صدقت ونزل عن فرسه وفارق أصحابه ورقى الجبل وأقسم على أصحابه ألا يتبعه أحد فكان آخر العهد به ، وبقيت اليمن شاغرة أياما حتى اختير لها من عقد له رايه الملك عليها رحمه الله تعالى .

الحكاية الثالثة عشرة بعد المائةين عن أحدهم

قال مررت ببعض القرى فإذا بثلاثة قبور على قدر واحد وهى على نشز من الأرض وعليها مكتوب أبيات من الشعر على الأول مكتوب :

وكيف يلذ العيش من هو عالم بأن إله الخلق لا بد سائله
فياخذ منه ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذى هو فاعله
(وعلى القبر الثانى مكتوب)

وكيف يلذ العيش من كان موقنا بأن المنايا بغتة ستعاجله
فتسلبه ملكا عظيما وبهجة وتسكنه القبر الذى هو أهله
(وعلى القبر الثالث مكتوب)

وكيف يلذ العيش من كان صائرا إلى جدث يبلى الشباب منازلـه
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه سريعا ويبلى جسمه ومفاصلـه
فقلت لشيخ جلست إليه لقد رأيت فى قريتكم عجباً فقال وما هو فقصصت عليه قصة القبور قال وحديثهم أعجب مما رأيته على قبورهم فقلت حدثنى ، فقال كانوا ثلاثة أخوة أمير وتاجر وزاهد فحضرت الزاهد الوفاة فاجتمع إليه أخواه وعرضا عليه ما أحب من مالهما ليتصدق به فأبى أن يقبل ، وقال لاحاجة لى فى مالكما ولكن أعهد إليكما عهدا فلا تخالفا عهدى قالوا أعهد قال إذا مت فغسلانى وكفنانى

وصليا على وادفنانى على نشز من الأرض واكتبا على قبرى هذين البيتين
وكيف يلذ العيش من هو عالم بأن إله الخلق لا بد سائله
فياخذ منه ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذى هو فاعله

فإذا أنتمما فعلتما ذلك فأتينى فى كل يوم مرة لعلكما تتعظان ففعلا ذلك وكان أخوه الأمير يركب فى جنده حتى يقف على قبره فينزل ويقرأ ما عليه ويبكى فلما كان اليوم الثالث جاء كما كان يجىء مع الجند فنزل وقرأ وبكى كما كان يبكى فلما أراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه فانصرف مذعورا فزعا فلما كان الليل رأى أخاه فى منامه فقال يا أخى ما الذى سمعت فى قبرك قال تلك هذه المقمعة قيل لى رأيت مظلوما فلم تنصره فأصبح مهموما فزعا فدعا أخاه وخاصته وقال ما أرى أخى أراد بما أوصى أن يكتب على قبره غيرى . وإنى أشهدكم ألا أقيم بين أظهركم أبدا ، فترك الإمارة ولزم العبادة وكان يأوى إلى الجبال والبرارى حتى حضرته الوفاة مع بعض الرعاة فلما بلغ ذلك أخاه أتاه وقال له يا أخى ألا توصى ، قال بأى شىء أوصى يا أخى ليس لى مال فأوصى به ولكنى أعهد عهدا إذا أنا مت فادفنى إلى جنب أخى واكتب على قبرى هذين البيتين :

وكيف يلذ العيش من كان موقنا بأن المنايا بغتة ستعاجله
فتسلبه ملكا عظيما وبهجة وتسكنه القبر الذى هو أهله

ثم زرنى ثلاثة أيام بعد موتى فادع الله لى لعل الله يرحمنى ثم مات ففعل أخوه ما أمره به فلما كان اليوم الثالث أتاه وبكى عنده ودعا له فلما أراد أن ينصرف سمع رجة عظيمة داخل القبر كادت تذهب عقله فرجع قلقا ، فلما كان الليل رأى أخاه فى المنام قد أتاه فقال له يا أخى جئتنا زائرا فقال هيهات بعد المزار فلا مزار واطمأنت بنا الدار فقال له كيف أنت قال بخير ما أجمع التوبة لكل خير ، فقال كيف أخى قال مع الأئمة الأبرار قال فما تأمر قال من قدم شيئا وجده فاغتنم وجدك قبل عدمك فأصبح معتزلا للدنيا قد انخلع قلبه منها وفرق ماله وقسم رباعه وأقبل على طاعة الله عز وجل ونشأ له ولد كامل الشباب وجها وكمالا وجمالا فأقبل على التجارة حتى حضرت أباه الوفاة فقال الابن يا أبت ألا توصى قال والله يابنى مالأيك مال يوصى به ، ولكنى أعهد إليك عهدا إذا أنا مت فادفنى مع عمومك واكتب على قبرى هذين البيتين :

وكيف يلذ العيش من كان صائرا إلى جدث يبلى الشباب منازلـه
ويذهب ماء الوجه بعد بهائـه سريعا ويبلى جسمه ومفاصلـه

فإذا فعلت ذلك فتعاهدنى ثلاثا فادع الله لى لعل الله يرحمنى ففعل الفتى ذلك فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتا اقشعر له جلده وتغير لونه فرجع إلى أهله مهموما أو قال محموما ، فلما كان الليل أتاه أبوه فى المنام فقال يابنى أنت عندنا عن قريب والأمر بأخره والموت أقرب من ذلك ، فاستعد لسفرك وتأهب لرحيلك وحول

جهازك من المنزل الذى أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذى أنت فيه مقسيم ، ولا تغتر بما اغتر به البطالون قبلك من طول آمالهم فقصروا فى أمر معادهم فندموا عند الموت أشد الندامة وأسفوا على تضييع أعمارهم أشد الأسف فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف على التقصير أنقذهم من شر ما نالهم وشدة ماها لهم ، ثم قال يابنى بادر ثم بادر فأصبح الفتى وقال ما أظن هذا الأمر إلا قد أظلنى فأدى دينه ولم يزل يقسم ويعطى ويتصدق إلى أن كان اليوم الثالث من صبيحة الرؤيا فدعا أهله وولده فودعهم وسلم عليهم ثم استقبل القبلة وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله فكان الناس يزورون قبورهم ويتوسلون بهم إلى الله تعالى فى قضاء حوائجهم فتقضى رضى الله عنهم ونفعنا بهم أمين .

الحكاية الرابعة عشرة بعد المائتين عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال دخلت الكوفة فى بعض أسفارى فرأيت دارا لبعض الرؤساء وقد شف عليها النعيم وعلى بابها عبيد وغللمان وفى بعض رواشنها جارية تغنى وهى تقول :

ألا يادار لا يدخلك حزن ولا يعبت بساكنك الزمان
نعم الدار أنت لكل ضيف إذا ما الضيف أعوزه المكان

قال ثم مررت بها بعد مدة فإذا الباب مسود والجمع مبدد وقد ظهر عليها كآبة الذل والهوان وأنشد لسان الحال :

ذهبت محاسنها وبان شجونها والدهر لا يبقى مكانا سالما
فاستبدلت من أنسها بتوحش ومن السرور بها عزاء راغما

قال فسألت عن خبرها فقيل لى مات صاحبها قال أمرها إلى ما ترى ففرعت الباب الذى كان لا يقرع فكلمتنى جارية بكلام ضعيف فقلت لها يا جارية أين بهجة هذا المكان وأين أنواره وأين شموسه وأقماره وأين قصاده وأين زواره فبكت ، ثم قالت يا شيخ كانوا فيه على سبيل العارية ، ثم نقلتهم الأقدار الى دار القرار ، وهذه عادة الدنيا ترحل من سكن فيها وتسىء إلى من أحسن إليها فقلت لها يا جارية مررت بها فى بعض الأعوام وفى هذا الروشن جارية تغنى :

ألا يادار لا يدخلك حزن

فبكت وقالت أنا والله تلك الجارية ولم يبق من أهل هذه الدار أحد غيرى فالويل لمن غرته دنياه فقلت لها فكيف قربك القرار فى هذا الموضع الحرب فقلت لى ما أعظم جفاءك اما كان هذا منزل الأحباب ثم أنشدت :

قالوا ألفت وقوفا فى منازلهم ونفس مثلك لايفنى تحملها

فقلت والقلب قد ضجت أضالعه والروح تنزع والأشواق تبذلها
منازل الحب فى قلبى معظمة وإن خلا من نعيم الوصل منزلها
فكيف أتركها والقلب يتبعها حبا لمن كان قبل اليوم ينزلها

قال فتركتها ومضيت وقد وقع شعرها من قلبى موقعا وازداد قلبى تولعا ، قلت
إنما أعجب أبا القاسم الجنيد رضى الله عنه تعالى عند قولها لأنها ذكرت صفة الحب
والمحب والمحبوب وصدقت فى الوصف وصدقت فى التحقيق بالحب الذى ذكرته
وصبرت على ملازمة منزل الأحباب مع مافيه من شعث الحال وتجدد أحزان المصاب .
وقد حكى عن بعض اللصوص أنه قطع يده اليمنى فى السرقة ثم سرق
فقطعت رجله اليسرى ثم سرق فقطعت يده اليسرى ثم سرق فقطعت رجله اليمنى
كما هو حكم الشرع فى ذلك ، ثم سرق فعلق فى الهوء تعزيرا له إذ لم يبق بعد
قطع الأعضاء الأربعة إلا التعزير على حسب ما يليق بالحال فمن عليه بعض الشيوخ
الصوفية وهو معلق مقطوع يده ورجلاه فقال الشيخ لأصحابه الذين معه أنا عبد هذا
الشخص قالوا وكيف ذلك قال لأنه صبر على ما أصابه فى طلب محبوه ولم يردده
عنه كل ما أصابه من تعب وعقوبة قلت وقول الجارية فى أول الحكاية .

ألا يادار لايدخلك حزن

اغترار بسرور لم يشبه كدر فى أيام إقبال الدنيا الخادعة وهو بلعب يلهى عن
اكتساب الخيرات والسعى فى الطاعة أصمهم حب الدنيا عن سماع قول المولى سبحانه
وتعالى : ﴿أما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة﴾^(١) الآية . وقوله تعالى : ﴿ذرهم
يأكلون ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿أفرأيت إن
متعناهم سنين ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ما أغنى عنهم ماكانوا يمتعون﴾^(٣) وغير
ذلك من الآيات الكريمة ، وكذلك من الأحاديث النبويات مثل قوله ﷺ إن الدنيا
حلوة خضرة وقوله ﷺ نعمت المرصعة وبئست الفاطمة وغير ذلك مما يطول ذكره
وأیضا من ذلك قول القائل :

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيرا همومها
وقول الإمام الشافعى رضى الله عنه
ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها وسيق إلينا عذبتها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا كما لاح فى ظهر الفلاة سراها

(٣) سورة الشعراء : الآيات ٢٠٥ - ٢٠٧

(١) سورة الحديد : الآية ٢٠ .

(٢) سورة الحجر : الآية ٣ .

عليها كلاب همهن اجتذابها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وحلدا تحت أثواب حسان
عيوبا في هواها ذو افتتان
بجسم من محارمها ملان
من الأسنان ما غير اللسان
جميعا ذات مكر واختيان
سموما تلك منها مهلكان
يشيب الطفل من هول وممان
بهاجلد ولحم ناضجان

وما هي إلا جيفة مستحيلة
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها
(وقلت في بعض القصائد)

عجوز السوء سودا الجسم شوها
بها يغتر غر لم يشاهد
جميع الدهر يجرى ليس يدرى
إلى تقبيل ثغر ليس فيه
غرور حبها رأس الخطايا
ترى عيشا هنيا فيه دست
حساب طال في يوم عبوس
عقاب في جحيم رب سلم

(وقال) بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكان الخزف الباقي أولى بالرغبة أو الطلب من الذهب الفاني، فكيف والأمر بالعكس يعني أن الدنيا هي الخزف الفاني والآخرة هي الذهب الباقي، قلت بل الآخرة أجل وأفضل من الذهب المذكور فإنها مخلوقة من فاخر الجوار والنور ذات اللذات والنعيم والسرور والخور.

(وقال) بعض العارفين أيضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فيعجبا لمن يختار الذل في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى.
(قلت) ولما كتبت حكاية الجارية المذكورة خطر لي أبيات في معارضة قولها ألا يا دار لا يدخلك حزن حيث ذكرتها بوصف الدار الآخرة التي قال الله سبحانه وتعالى أخبارا عن أهلها ﴿وقالوا الحمد الذي أذهب عنا الحزن﴾^(١) ثم قال في آخر كلامهم ﴿لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها لغوب﴾^(٢) أى تعب وغير ذلك وهي هذه الأبيات :

نعيمك لا يغيره الزمان
خرابا ثم أعوزنا المكان
بك اللذات والخور الحسان
جوار الرب والنظر العيان
على حسن به تنسى الجنان

ألا يا دار خلد طبت دارا
إذا دار الفنا غرت وأضحت
فنعم الدار أنت لكل ثاو
وأخرى لا يساوى تلك فضل
محل زاد في الجنات حسنا

(٢) سورة فاطر : الآية ٣٥ .

(١) سورة فاطر : الآية ٣٤ .

وقولى فنعم الدار أنت لكل ثاو أى مقيم ولم أقل لكل ضيف كما قالت الجارية
لأن الدنيا دار ضيف لأن الضيف من ينزل عند قوم مدة يسيرة ثم يرحل وهكذا أهل
الدنيا كما قال القائل:

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

وأما الآخرة فهى دار الإقامة الأبدية وقد سماها صانعها سبحانه وتعالى دار
المقامة في قوله تعالى حاكيا عن أهل الجنة ﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن
إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب﴾^(١) أى تعب والمراد دار المقام والهاء للمبالغة مثل علامة وشبهه وخطر لى
أيضا مع الأبيات المذكورة هذه القصيدة المسماة اللآلىء الفاخرة في مدح الدار الآخرة:

جمعت الحسن مأمون الزوال
مداما غير مجدوذ النوال
مقيم ليس في دهر بيال
به أذن ولم يخطر ببيال
وغرفات مضيئات عوالى
منيرات مليحات غوالى
ورا سبعين ملبوس الجمال
فاراتا طيبا للشرب حالى
وأمسى النور للظلماء جالى
بوجه الزوج في زاهى الحجال
بأصوات رخيمات حوالى
كمثل البرق زاروا ذا الجلال
رأوا لما تجلى ذو الكمال
ورضوانا وبالك من نوال
وهذا الفخر لا فخر بمال
لدى الأخرى لمن فخر المعالى
فقيرا من صفات الخير خالى
لفيض الفضل يا مولى الموالى
على نعمائه في كل حال
صلاة مع صباح ثم آك

ألا يادار خلد طببت دارا
قصورا ثم حورا ثم خيرا
ولذات وعيشا ذا نعيم
بها ما لم ترى عين وتسمع
خيام الدر فيها باهيات
بها حور حسان فائقات
يرى مخ لساقىها عيانا
ولو تبصق يبصر عاد عذبا
ولو تبدو بدنيا عطرتها
تضىء الخلد في نور ابتسام
تغنى في الأرائك رافعات
على خيل ونجب من بهاء
فلا أحلى وأهنا من جمال
ونالوا في جنوار الرب ملكا
فهذا العيش لا عيش بدنيا
سيدرى كل ذى فخر بدنيا
إلهى لا تخيب يا فعيا
فمالى قربة إلا رجائى
ومسك الختم حمد الله ربي
وتغشى أحمدا مولى البرايا

(١) سورة فاطر : الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

الحكاية الخامسة عشرة بعد المائتين عن ذى النون المصري رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير في جبل لكام مررت على واد كثير الأشجار والنبات فبينما أنا واقف أتعجب من حسن زهرته ومن خضرة العشب في جنباته إذ سمعت صوتا أهطل مدامعى وهيج بلابل حزنى فاتبعت الصوت حتى أوقفنى بباب مغارة في سفح ذلك الوادى، فإذا الكلام يخرج من جوف المغارة، فاطلعت فيها فإذا برجل من أهل التعبد والاجتهاد فسمعتة يقول سبحان من نزه قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوى البصائر فهى لا تعتمد إلا عليه، سبحان من أورد حياض المودة نفوس آل المحبة فهى لا تحن إلا إليه، ثم أمسك فقلت السلام عليك يا حليف الأحزان وقرين الأشجان فقال وعليك السلام ما الذى أوصلك إلى من أفرده خوف المسألة عن الأنام واشتغل بحاسبة نفسه عن التنطع في الكلام فقلت أوصلنى إليك الرغبة في التصفح والاعتبار والتماس المواهب من قلوب المقربين والأبرار، فقال يا فتى إن لله تعالى عبادا قدح في قلوبهم زند الشغف ونار الومق فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح في رياض الملكوت وتنظر إلى ما ادخر لها في حجب الجبروت، قلت صفهم لى قال أولئك قوم أووا إلى كهف رحمته وشربوا كنوس راح محبته، ثم قال سيدى بهم فألحقنى ولأعمالهم فوفقتنى قلت ألا توصنى بوصية قال أحب الله تعالى شوقاً إلى لقائه فإن له يوماً يتجلى فيه لأولياته وأنشأ يقول :

قد كان لى دمع فأفنيته	وكان لى جفن فأدميته
وكان لى جسم فأبليته	وكان لى قلب فأضنيته
وكان لى ياسيدى ناظر	أرى به الحق فأعميته
عبدك أضحى - سيدى - موثقاً	لو شئت قبل اليوم أويته

رضى الله عنه ونفعنا به آمين وبجميع الصالحين.

الحكاية السادسة عشرة بعد المائتين عن ذى النون المصري أيضاً رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير على جبل لبنان في جوف الليل إذا أنا بعريش من ورق البلوط وإذا بشاب قد أخرج رأسه من العريش بوجه أحسن من القمر فقال شهد لك قلبى من النوارل بنهاية الصفات الكوامل وحيرت القلوب في كنه ذاتك وسكرها براح محبتك وكيف لا يشهد لك قلبى بذاك ولا يحسن قلبى أن يآلف غيرك هيهات هيهات.

لقد خاب لديك المقصرون عنك ثم أدخل رأسه في عريشه وفاتنى كلامه فلم أزل واقفاً إلى أن طلع الفجر ثم أخرج رأسه ونظر إلى القمر فقال أشرفت بنورك

السماوات والأرض وأنارت الظلمات وحجبت جلالك عن العيون ووصلت به معارف القلوب ثم قال بالتجائي إليك في حزني لتنظر إلى نظرة من ناديته فأجاب فوثبت إليه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يرحمك الله أسألك عن مسأله قال لا قلت ولم ذاك قال ما خرج روعك من قلبي قلت حببي وما الذي أفرعك مني قال بطالتك في يوم شغلك وتركك الزاد ليوم معادك ووقوفك على الظنون إذا النون قال فوقعت مغشيا على فما أفقت إلا بحر الشمس ثم رفعت رأسى فلم أره ولا العريش فقامت وسرت وفي قلبي منه حسرة رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية السابعة عشرة بعد المائتين

سئل إبراهيم بن شيان رضى الله عنه عن وصف العارف فقال: كنت على جبل الطور مع شيخى أبى عبد الله المغربى ومعنا نحو من سبعين رجلا فأتانا ذات يوم شاب عليه أثر الخشوع فكنا إذا صلينا قام يصلى معنا فإذا تجاوزنا العلم يستمع فينما نحن ذات يوم قعود تحت شجرة في مكان فيه عشب وكانت أيام الربيع فتكلم الشيخ علينا في علوم المعارف فرأيت الشاب تنفس فاحترق ما بين يديه من العشب ثم غاب فلم نره بعد ذلك فقال الشيخ هذا هو العارف وهذا وصفه رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية الثامنة عشرة بعد المائتين عن أحدهم

قال كنت في جبل لكام أطلب الزهاد والعباد فرأيت رجلا عليه مرقعة جالسا على حجر مطرقا إلى الأرض فقلت له ياشيخ ماتصنع ههنا فقال أنظر وأرعى فقلت ما أرى بين يديك إلا الحجارة فما الذى تنظر وترعى فتغير لونه ثم نظر إلى مغضبا وقال أنظر خواطر قلبى وأرعى أوامر ربي فبحق الذى أظهره على ألا ما رحلت عنى فقلت كلمنى بشيء أنتفع به حتى أمضى عنك فقال من لزم الباب أثبت من الخدم ومن أكثر ذكر الذنوب أعقبه كثرة الندم، ومن استغنى بالله تبارك وتعالى أمن من العدم ثم تركنى ومضى رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية التاسعة عشرة بعد المائتين عن أحدهم

قال خرجت من بيت المقدس أريد بعض القرى لحاجة فلقيت عجوزا عليها جبة صوف وخمار صوف فسلمت عليها فردت على السلام ثم قالت يا فتى أين تريد قلت

بعض القرى لحاجة قالت كم بينك وبين أهلك ومترك قلت ثمانية عشر ميلا قالت ثمانية عشر ميلا في طلب حاجة إن هذه حاجة مهمة قلت أجل قالت ألا سألت صاحب القرية أن يوجه إليك بحاجتك ولا تتعب قال ولم أدر ما الذى أرادت فقلت يا عجوز ليس بينى وبين صاحب القرية معرفة قالت وما الذى أوحش بينك وبين معرفته وقطع بينك وبين الاتصال به فعرفت الذى أرادت فبكيت فقالت أتحب الله قلت نعم قالت أصدقنى فقلت أى والله إنى لأحب الله عز وجل قالت فما الذى أفادك من طرائق حكمته إذا وصلك إلى محبته قال فبقيت لا أدرى ما أقول، فقالت لعلك ممن يحب أن يكتم المحبة فلم أدر ما أقول فقالت يا أبى الله تعالى أن يدنس طرائق حكمته وخفى معرفته ومكنون محبته بممارسة قلوب البطالين قلت يرحمك الله لو دعوت الله عز وجل أن يشغلنى بشيء من محبته فنفضت يدها في وجهى فأعدت القول فقالت امض لحاجتك ثم قالت لولا خوف السلب لبحت بالعجب أو اه من شوق لا يبرأ إلا بك ومن حين لا يسكن إلا إليك رضى الله عنها ونفعنا بها آمين.

الحكاية العشرون بعد المائتين

حكى أنه كان شابان يتعبدان بالشام يسميان الصبيح والمليح لحسن عبادتهما جاعا أياما فقال أحدهما لصاحبه اخرج بنا إلى الصحراء لعلنا نرى رجلا نعلمه بعض دينه لعل الله أن ينفعنا به فخرجا قالا فلما أصبحنا استقبلنا أسود على رأسه حزمة حطب فقلنا له يا هذا من ربك فرمى الحزمة عن رأسه وجلس عليها ثم قال لا تقولوا لى من ربك ولكن قولوا لى أين محل الإيمان من قلبك فنظر كل واحد منا إلى صاحبه ثم قال لنا أسألا أسألا فإن المرید لا تتقطع مسائله فلما رأنا لا نرد جوابا قال اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا كلما سألوك أعطيتهم فحول حزمتى هذه ذهابا فإذا هى قضبان ذهب تلمع ثم قال اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا الخمول أحب إليهم من الشهرة فردها حطبا فرجعت حطبا ثم حملها على رأسه ومضى فلم نجتري أن تتبعه رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الحادية والعشرون بعد المائتين عن أحدهم

قال صليت خلف ذى النون صلاة العصر فقال الله ثم بهت وبقي كأنه جسد ليس به روح من إجلاله لله تعالى ثم قال أكبر فظننت أن قلبى قد انقطع من هيبة تكبيره.

(وقال) ذو النون رضى الله عنه سمعت بعض المتعبدين بساحل الشام يقول إن

لله تبارك وتعالى عبادة عرفوه بيقين من معرفته فشمروا قصدا إليه، احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب، صحبوا الدنيا بالأشجان وتعمسوا فيها بطول الأحزان فما نظروا إليها بعين راغب وما تزودوا منها إلا كزاد الراكب، خافوا البيات فأسرعوا ورجوا النجاة فآزمعوا وبذلوا مهج نفوسهم في رضا سيدهم ونصبوا الآخرة نصب أعينهم وأصغروا إليها بأذان قلوبهم فلو رأيتهم لرأيت قوما ذبلا شفاهم خمصا بطونهم حزينة قلوبهم ناحلة أجسادهم باكية أعينهم لم يصحبوا التعليل والتسويق وقنعوا من الدنيا بقوت طفيف لبسوا من اللباس أطمارا بالية وسكنوا من البلاد قفرا خالية هربوا من الأوطان واستبدلوا الوحدة من الأخذان فلو رأيتهم لرأيت قوما قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر وقصل أعضائهم بخناجر التعب خمص البطون لطول السرى شعث الرؤوس لفقد الكرى قد وصلوا الكلال بالكلال وتأهبوا للنقلة والارتحال رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين قلت وفي مثل هؤلاء الرجال أحسن الذي قال :

أنت بالصدق قد خبرت رجالا	قد أطلوا البكا إذا الليل طالا
وملأت القلوب منهم بنور	من نفيس اليقين يا من تعالى
وتوليتهم فكنت دليلا	وكسوت الجميع منهم جمالا
فإذا ما الظلام جن عليهم	وصلوا بالكلال منهم كلالا
عرفوا بالتراب منهم وجوها	ذاك لله خشية وإبتهالا
هجرت للمنام منهم عيون	فاستطار المنام عنهم وزالا
إنما لذة البكا المرید	أسلم الأهل والديار وجالا
خاضعا باكيا حزينا ينادي	يا كريما إذا استقبل أقالا

الحكاية الثانية والعشرون بعد المائتين عن سعيد بن أبي عروبة

رضي الله عنه

قال حج الحجاج بن يوسف الثقفي فنزل في بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء وقال لحاجبه انظر إلى من يتغدي معي واساله عن بعض الأمر فنظر نحو الجبل فإذا هو بأعرابي بين شملتين نائم فضربه برجله وقال إيت الأمير فأتاه، فقال «الحجاج اغسل يدك وتغد معي فقال إنه قد دعاني من هو خير منك فأجبتة قال ومن هو قال الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصوم فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو أشد حرا من هذا اليوم قال فأفطر وصم غدا قال إن صممت لي البقاء إلى غد أفطرت، قال ليس ذلك إلى قال فكيف تسألني عاجلا بأجل لا تقدر عليه.

قال إنه طعام طيب قال لم تطيبه أنت ولا الطباخ ولكن طيبته العافية رضى الله عنه وفي هذا المعنى قلت :

وما طيب الطباخ عيشا وإثما بعافية طاب الطعام لطاعم
إذا كان بى سقم فلا شيء طيب وإن لم يكن طابت جميع المطاعم

الحكاية الثالثة والعشرون بعد الحاتين

روى أن الحجاج بن يوسف حج فسمع ملييا يلبي حول البيت رافعا صوته بالتلبية وكان إذ ذاك بمكة فقال على بالرجل فأتي به إليه فقال من الرجل فقال من المسلمين فقال ليس عن الإسلام سألتك قال فعم سألت قال سألتك البلد قال من أهل اليمن قال كيف تركت محمد بن يوسف يعنى أخاه قال تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا قال ليس عن هذا سألتك قال فعم سألت .

قال سألتك عن سيرته قال تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق . فقال له الحجاج ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانه منى فقال الرجل أترأه بمكانه منك أعز منى بمكانى من الله تبارك وتعالى وأنا وافد بيته ومصداق نبيه أو قال زائر بيته وقاضى دينه ومتبع دينه فسكت الحجاج ولم يحسن جوابا وانصرف الرجل من غير إذن فتعلق بأستار الكعبة وقال اللهم بك أعوذ وبك ألوذ اللهم فرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الرابعة والعشرون بعد الحاتين عن طاهر المقدسى

رحمه الله تعالى

قال خرجت من عسقلان أريد غزة في طلب البلاء فإذا أنا بفتى عليه أظمار رثة على ساحل البحر فكأنى لم أعبا به فالتفت إلى وقال :

لا تنب عنى بأن ترى خلقتى وإنما الدر داخل الصدف
عملى جديد وملبسى خلق ومنتهى اللبس منتهى الصلف

(وقال) الشيخ أبو عبد الله الدينورى رحمه الله تعالى دخل على يوما فقير عليه آثار الضر فطالبتنى نفسى أن آتية بشيء فهممت أن أرهن نعلى فمنعتنى نفسى وقالت كيف تتم لك طهارة مع الحفاء فقلت أرهن ركوتي فمنعتنى أيضا وقالت فبأي شيء تتوضأ فهممت أن أرهن منديلي فمنعتني أيضا وقالت تبقى مكشوف الرأس فقلت وما

في ذلك فجعلت أراجعها في ذلك فقام الفقير وشد وسطه وأخذ عصاه بيده ثم التفت إلى وقال يا خسيس الهمة احفظ منديلك فأنا خارج قال فعقدت مع الله تعالى ألا أكل خبزاً حتى ألقاه فقيل لى إنه أقام بعد ذلك ثلاثين سنة لم يأكل الخبز رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين .

الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائتين عن سري السقطي

رضى الله عنه

قال بلغني أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ناصيته بيدك يراني من حيث لا أراه وأنت تراه من حيث لا يراك اللهم إنك تقدر على أمره كله ولا يقدر على شيء من أمرك اللهم إن أرادني بشر فاردده وإن كادني فكده أعوذ بك من شره وأدرك بك في نحره ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها فقيل لها اتقى الله تعالى لئلا تذهب الأخرى فقالت إن كانت عيني من عيون أهل الجنة فسيبدلني الله تبارك وتعالى بها ما هو أحسن منها، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدها الله تعالى عنى رضى الله عنها ونفعنا بها آمين .

الحكاية السادسة والعشرون بعد المائتين عن أبي العباس بن مسروق

رضى الله عنه

قال كنت بالبصرة فرأيت صيادا يصطاد السمك على بعض السواحل وإلى جنبه ابنة له صغيرة فكان كلما اصطاد سمكة فتركها في دوخلة له ردت الصبية السمكة إلى الماء فالتفت الرجل فلم ير شيئاً فقال لابنته أى شيء عملت بالسمك فقالت يا أبت أليس سمعتك تروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله تبارك وتعالى فبكى الرجل ورمى بالسنارة رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما آمين .

(قلت) تعنى كل من كان غافلاً عن ذكر الله تعالى لا نريده لنقصه وعدم

بركته .

الحكاية السابعة والعشرون بعد المائتين

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعس المدينة فمشى حتى أعيا فاتكأ إلى جدار فإذا امرأة تقول لابنة لها صغيرة قومي إلى ذلك اللبن فامدقيه بالماء فقالت يا أماه أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم قالت وما كان من عزمته قالت إنه أمر مناديه فنادى ألا يشاب اللبن بالماء فقالت امدقيه فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر فقالت الصبية والله ما كنت لأطيعه في الملاء وأعصيه في الخلا رضى الله عنهما

(قلت) وهذه البنية المذكورة أعجب عمر رضى الله عنه حالها فزوجها أحد أولاده ومن ذريتها عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وسلفه وبجميع الأولياء والصالحين آمين .

الحكاية الثامنة والعشرون بعد المائتين

روى أنه اجتاز بعض الأمراء على باب الشيخ حاتم الأصم رضى الله عنه فاستسقى ماء فلما شرب رمى إليهم شيئا من المال ووافقته أصحابه ففرح أهل الدار سوى بنية صغيرة لحاتم فإنها بكت فقيل لها ما يبكيك قالت مخلوق نظر إلينا نظرة فاستغنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى رضى الله عنها ونفعنا بها آمين .
(وروى) أن بنية للشيخ يحيى بن معاذ الرازي رضى الله عنهما طلبت من أبيها شيئا تأكله فقال لها اطلبي من ربك فقالت والله إنى لأستحى منه أن أسأله شيئا للأكل رضى الله عنهما .

الحكاية التاسعة والعشرون بعد المائتين عن أبي عبد الله بن الجلاء رضى الله عنه

قال اشتهدت والدتي على والدى يوما من الأيام سمكة فمضى والدى إلى السوق وأنا معه فاشتري سمكة ووقف ينتظر من يحملها له فرأى صبيا وقف بحذائه وقال يا عم تريد من يحمل لك فقال نعم فحمل لنا ومشى معنا فسمعنا الأذان فقال الصبي أذن المؤذن وأنا أحتاج أن أتظهر وأصلى فإن رضيت وإلا فاحمل السمكة ووضع الصبي السمكة ومر فقال أبي فنحن أولى أن نتوكل في السمكة على الله تعالى فدخلنا المسجد وصلينا وصلّى الصبي فلما خرجنا إذا بالسمكة موضوعة في مكانها فحملها الصبي ومضى معنا إلى دارنا فذكر ذلك والدى لوالدتي فقالت قل له يقعد حتى يأكل معنا فقال له أنا صائم قال فتعود إلينا بالعشي فقال إذا حملت في اليوم مرة فلا أحمل ثانيا فأدخل المسجد إلى المساء ثم أدخل عليكم فمضى فلما أمسينا

دخل الصبي فأكلنا فلما فرغنا دللناه على موضع الطهارة ورأيناه يؤثر الخلوة فتركناه في بيت وكان بالقرب منا امرأة زمنة فلما كان في بعض الليل جاءت تمشى فسالناها عن حالها فقالت قلت يا رب بحرمة ضيفنا عافنى فمضيتا نطلب الصبي فإذا الأبواب مغلقة كما كانت ولم نجده رضى الله عنه .

(قلت) منهم الصغار ومنهم الكبار ومنهم العبيد ومنهم الأحرار ومنهم النساء ومنهم الرجال ومنهم المجانين ومنهم العقلاء ومن جملة الصغار صغير كان في بلاد اليمن من أولاد بعض المشايخ كان يلعب مع الصغار وأي شيء طلبوه منه من الشهوات يحضره لهم في الحال في الموضع الذي يلعبون فيه فلما علم بذلك الشيخ قال له يا ولدي أطعمني كذا وكذا فاطعمه فكل شيء طلبه منه أحضره في الحال فمسح عليه وقال بارك الله فيك أطعمني كذا وكذا فطلب الصغير أن يحصل ذلك كالعادة فلم يحصل شيء ومن ذلك الوقت أنسد عنه هذا الباب بنظر الشيخ إذ رأى ذلك أسلم له لأنه خاف عليه الشهرة والعجب وغير ذلك رضى الله عنهما .

الحكاية الثلاثون بعد المائتين عن ذي النون رضى الله عنه

قال خرجت من وادي كنعان في الليل فإذا بشخص قد أقبل إلي وهو يقرأ ﴿ويدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾^(١) فلما قرب الشخص مني إذا هي امرأة عليها جبة صوف وبرقع صوف وفي يدها ركوة وعكاز فقالت من أنت غير فزعة مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل تجد مع الله تعالى غربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء فبكيت فقالت ما بكاؤك فقلت وقع الدواء على الداء فقالت إن كنت صادقاً في قولك فلم بكيت فقلت يرحمك الله والصادق لا يبكي فقالت لا فقلت ولم ذلك قالت لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير وأما البكاء فهو عند الأولياء ضعف فبقيت متعجبا من كلامها فقالت مالك قلت متعجب من كلامك فقالت أنسيت الداء الذي ذكرته قلت يرحمك الله إن رأيت أن تفيدني شيئاً لعل الله تعالى ينفعني به قالت فما أفادك الحكيم من الإفادة ما تستغنى به عن طلب الزيادة. قلت يرحمك الله ما أنا بمستغن عن الزيادة من الأولياء السادة.

قالت صدقت يا مسكين اذكر مولاك واشتق إليه فإن له يوماً يتجلى فيه ببهاء

(١) سورة الزمر : الآية ٤٧ .

جماله لإظهار كرامته لأوليائه وأصفيائه وأهل مودته فيسقيهم عندما يتجلى لهم بجمال كمال صفاته غدا كأسا من راح الجمال وسلسبيل الوصال لا يظلمون بعدها أبدا ثم غلب عليها الوجد فنادت يا حبيب قلبي إلى كم تخلفني بدار لا أجد فيها صديقا صادقا ثم تركتني وانحدرت في الوادي وهى تقول إليك لا إلى النار إليك لا إلى النار حتى انقطع صوتها عنى رضي الله عنها ونفعنا بها آمين.

الحكاية الحادية والثلاثون بعد المائتين عن ذي النون رضي الله عنه

قال بينما أنا أمشي على شاطئ النيل إذ رأيت عقربا تدب فأخذت حجرا وأردت قتلها فهربت مسرعة فوقفت على شاطئ النيل فخرجت ضفدعة فوثبت العقرب على ظهرها فعامت بها حتى خرجت بها إلى الجانب الآخر فتبعتها فلما بلغت البر نزلت عن ظهرها وإذا برجل نائم وهو سكران وثمان قد قبل إليه ليلدغه فأسرعت العقرب إلى الثعبان فلدغته لدغة تقطع الثعبان منها قطعا فأيقظت ذلك الرجل من نومه فقام فزعا مرعوبا فلما رأى الثعبان ولى هاربا فقلت له لا تخف قد كفيت أمره فقصصت عليه القصة فأطرق برأسه ثم رفعه إلي السماء وقال يا رب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن أطاعك وعزتك وجلالك لا عصيتك بعدها أبدا ثم ولى باكيا وهو يقول:

يا راقدا والليل يحرسه من كل سوء يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك تأتيك منه كرائم النعم

الحكاية الثانية والثلاثون بعد المائتين

حكى أن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه مر بسكران مطروح على قارعة الطريق وقد طفح سكره من فمه فنظر إليه إبراهيم وقال أي لسان أصابته هذه الآفة وقد ذكر الله عز وجل به ثم دنا منه وغسل فمه فلما أفاق أخبر بما فعل إبراهيم به فحجج وتاب وحسنت توبته فرأى إبراهيم فيما يرى النائم كأن قائلا يقول له يا إبراهيم طهرت لأجلنا فمه فطهرنا لأجلك قلبه رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المائتين

حكى عن بشر بن الحرث رضي الله عنه أنه سئل ما كان بدء أمرك لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي قال هذا من فضل الله تعالى كنت رجلا عيارا صاحب عصبية فوجدت يوما قرطاسا في الطريق فرفعته فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم

فمسحته وجعلته في جيبي وكان عندي درهمان كنت لا أملك غيرهما فذهبت إلى العطار فاشتريت بهما غالية وطيبت بها القرطاس فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلًا يقول يا بشر طيبت اسمي لأطيين اسمك في الدنيا والآخرة رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

(وقيل) كان سبب توبة منصور بن عمار الواعظ رضى الله عنه أنه وجد رقعة في الطريق مكتوب عليها بسم الله الرحمن الرحيم فلم يجد لها موضعًا يضمها فيه فابتلعها فسمع في النوم قائلًا يقول له فتح الله عليك باب الحكمة باحترامك تلك الرقعة رضى الله عنه .

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المائتين

حكى أن بشرًا الحافي رضى الله عنه كان في زمن لهوه في دار وعنده ندماءه يشربون ويطربون فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدق الباب فخرجت إليه جارية فقال لها صاحب هذه الدار حر أو عبد قالت بل حر قال صدقت لو كان عبدًا لاستعمل آداب العبودية وترك اللهو والطرب فسمع بشر محاورته لها فسارع إلى الباب حافيا حاسرا وقد ولى الرجل فقال للجارية أين ذهب الرجل قالت انطلق فجد في أثره حتى لحق به قال، يا سيدي أنت الذي وقفت بالسباب ونخاطبت الجارية قال نعم قال أعد علي الكلام فأعاده عليه فمرغ بشر خديه على الأرض وقال بل عبد عبد عبد ثم هام على وجهه حافيا حاسرا حتى عرف بالحافي فقيل له لم لا تلبس نعلين قال لأنني ما صالحني مولاي إلا وأنا حاف فلا أزول عن هذه الحال حتى أموت رضى الله عنه .

(وقيل) قالت له يوما بعض البنات الصغار لو اشتريت نعلين بدانقين لذهب عنك اسم الحافي رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المائتين

عن الاستاذ ابي على الدقاق رضى الله عنه

قال مر بشر رضى الله عنه ببعض الناس فقالوا هذا الرجل لا ينام الليل ولا يفطر إلا في كل ثلاثة أيام مرة فبكى بشر وقال والله ما أذكر أني سهرت ليلة كاملة ولا صمت يوما إلا وأفطرت من ليلته ولكن الله سبحانه وتعالى يلقي في القلوب أكثر مما يفعله العبد لطفًا منه سبحانه وتعالى وإكرامًا وفي هذا المعنى أقول :

فسبحان من أبدى جميل جماله على عبده لطفًا وجود جـواد
وأخفى المساوي والعيوب تكرما وحلما تعالى سائر العباد

الحكاية السادسة والثلاثون بعد المائتين عن فاطمة بنت أحمد أخت الشيخ أبي علي الروذباري رضى الله عنهما

قالت كان ببغداد عشرة من الفتيان معهم عشرة أحداث فوجهوا واحدا من الأحداث في حاجة لهم فأبطأ فحردوا عليه فجاء وهو يضحك ويديه بطيخة فقالوا تبطئ وتجيء وأنت تضحك فقال جئتكم بأعجوبة قالوا وما هي قال وضع بشر رضى الله عنه يده على هذه البطيخة فاشتريتها بعشرين درهما فأخذ كل واحد منهم يقبلها ويضعها على عينيه فقال واحد منهم أى شئ بلغ بشر رضى الله عنه هذه المرتبة فقالوا التقوى فقال أنا أشهدكم أنى تائب إلى الله تعالى فقال القوم كلهم مثله ويقال إنهم خرجوا إلى طرطوس فاستشهدوا كلهم رحمهم الله تعالى .

الحكاية السابعة والثلاثون بعد المائتين عن أحد أهل العلم

قال كان عندنا ببغداد رجل من التجار كنت أسمعُه يقع في الصوفية كثيرا ثم رأته بعد ذلك صحبتهم وأنفق جميع ماله عليهم، فقلت له أليس كنت تبغضهم، فقال لي ليس الأمر على ما كنت أتوهم قلت له كيف قال صليت الجمعة يوما من الأيام وخرجت فرأيت بشرا الحافي رضى الله عنه خارجا من الجامع مسرعا فقلت في نفسي أنظر هذا الرجل الموصوف بالزهد ليس يستقر في المسجد فتركت حاجتى وقلت أنظر أين يذهب فتبعته فرأيته يقدم إلى الخبز فاشترى بدرهم خبزا ثم تقدم إلى الشواء فأعطاه درهما وأخذ شواء فزادنى غيظا ثم تقدم إلى الحلواني فاشترى فالودجا بدرهم فقلت في نفسي والله لأنغصن عليه حين يجلس يأكل فخرج إلى الصحراء وأنا أقول يريد الخضرة والماء فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه فدخل قرية ثم دخل مسجدا فيه مريض فجلس عند رأسه وجعل يلقمه فقممت لأنظر إلى القرية فغبت ساعة ثم رجعت فلم أجده فقلت للعليل أين بشر قال ذهب إلى بغداد قلت وكم بيننا وبين بغداد قال أربعون فرسخا يعنى مسيرة خمس مراحل فقلت إنسا لله وإنسا إليه راجعون ما هذا الذي عملت بنفسى وليس معى ما أكثرى به ولا أقدر على المشى قال اجلس حتى يرجع فجلست إلى الجمعة الأخرى فجاء بشر في ذلك الوقت ومعه شئ يأكله المريض فلما فرغ قال له يا أبا نصر هذا صحبتك من بغداد وبقي عندى منذ يوم الجمعة الأولى فرده قال فنظر إلى كالمغضب وقال لم صحبتني فقلت أخطأت قال قم فامش فمشيت إلى قرب المغرب فلما قربنا قال أين محلتك من بغداد قلت في موضع

كذا وكذا قال اذهب ولا تعد فتبت إلى الله تعالى وصحبتهم وأنا على ذلك إن شاء الله تعالى رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين .

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المائتين

حكى عن أحد الصالحين كلام معناه أنه قال دخلت الخلوة في أيام بدايتي وعاهدت الله تعالى ألا أكل شيئاً إلا بعد أربعين يوماً فمكثت نيفاً وعشرين يوماً واشتدت على الفاقة والضرورة فخرجت من الخلوة ولم أشعر بنفسى إلا وأنا في السوق وإذا بفقير يتمنى في السوق ويقول تمنيت على الله الكريم رطل خبز حواري ورطل شواء ورطل حلوى قال فكنت أستثقله وهو يطوف في السوق ويمر على ولا يكلمنى وأنا أقول في نفسى والله إن هذا ثقيل يتمنى هذه الشهوات العزيزة وأنا أطلب كسرة يابسة ما حصلت لى فلما كان بعد ساعة حصل له الذى تمنى فجاءني وأعطانيه وعصر بأذنى وقال من هو الثقيل الذى نقض العهد وخرج من الخلوة لأجل الشهوة أو الذى يطلب له من الطيبات النفاس ما يرد عليه القوة والحواس إن الذى يريد أن يطوى الأربعين يطويها بالتدرج ولا يطويها وثبة واحدة فيثور عليه كلب الجوع ويهيج ثم قال لا تعد إلى هذا المذهب وتركنى وذهب رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين .

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المائتين

روى عن أحد شيوخ اليمن رضى الله عنهم أنه خرج يوماً من زيد إلى نحو الساحل المعروف بالأهواب ومعه تلميذ له فمر بطريقه على قصب ذرة كبار فقال التلميذ خذ معك من هذا القصب ففعل التلميذ وتعجب في نفسه وقال ما أراد الشيخ بهذا ولم يقل له الشيخ شيئاً حتى بلغوا إلى محلة العبيد الذين يقال لهم السناكم يأكلون الميتات ويشربون المسكرات ولا يعرفون الصلوات وإذا بهم يشربون ويلعبون ويلهون ويظربون ويغنون ويضربون فقال الشيخ للتلميذ أتني بهذا الشيخ الطويل الذى يضرب الطبل فاتاه التلميذ فقال له أجب الشيخ فرمى بالطل من رقبته ومشى معه إلى الشيخ فلما وقفنا بين يديه قال الشيخ للتلميذ اضربه بالقصب فضربه حتى استوفى منه الحد ثم قال الشيخ امش أمامنا فمشى حتى بلغوا البحر فأمره الشيخ أن يغسل ثيابه ويغتسل وعلمه كيفية ذلك وكيفية الوضوء ففعل ثم علمه كيف يصلى وتقدم الشيخ فصلى بهما الظهر فلما فرغوا من الصلاة قام الشيخ ووضع سجاده على البحر وقال له تقدم فقام ووضع قدميه على السجادة ومشى على الماء حتى غاب عن العين فالتفت التلميذ إلى الشيخ وقال وامصبيته واحسرتاه لى معك كذا وكذا سنة ما حصل لى شيء

من هذا وهذا في ساعة واحدة حصل له هذا المقام وهذه الكرامات العظام فبكى الشيخ وقال يا ولدى وأيش كنت أنا هذا فعل الله تعالى قيل لي فلان من الأبدال توفي فأقم فلانا مقامه فامتثلت الأمر كما تمثل الخدام ووددت أنه حصل لي هذا المقام رضى الله عنه .

وهذا الشيخ الجليل الفاضل يقال له الشيخ على بن المرتضى من أصحاب الشيخ الكبير محمد بن أبى الباطل الذى أنشد فيه تلميذه وهو راحل وقال لله دره من قائل :

ليت شعرى أى أرض أجدبت فسقوها بك يا وجه الفرج
ساقك الله إليها رحمة فبجاهك ما عليهم من حرج
يعني ساقك الله في هذا السفر إلى مكان يريد إغاثة أهله بك ولست أدري الآن
أين ذلك المكان فلما وصل إلى عدن أقام بها مدة يسيرة وتوفى وقبره هناك مزور
ومشهور رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الأربعون بعد المائتين

روي أن الشيخ الكبير المشكور المسمى بجوهر المشهور الذي هو في عدن مقبور رضى الله عنه كان مملوكا فعتق وكان يبيع ويشترى في السوق ويحضر مجالس الفقراء ويعتقدهم وهو أمي فلما حضرت وفاة الشيخ الكبير الحداد المدفون بعدن رضى الله عنه قال له الفقراء من يكون الشيخ بعدك قال الذي يقع على رأسه طائر أخضر في اليوم الثالث من موتي عندما يجتمع الفقراء هو الشيخ فلما توفي اجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث وفرغوا من القراءة والذكر قعدوا ينتظرون ما وعدهم الشيخ فإذا بطير أخضر وقع قريبا منهم فبقى كل واحد من كبار الفقراء ينتظر ذلك ويتمناه فبينما هم كذلك ينتظرون الوعد الكريم وما يكون فيه من تقدير العزيز العليم وإذا بالطائر قد طار ووقع على رأس جوهر ولم يكن يخطر له ولا لأحد من الفقراء ذلك فقام إليه الفقراء ليزفوه إلى زاوية الشيخ وينزلوه منزلة المشيخة فبكى وقال كيف أصلح للمشيخة وأنا رجل سوقي وأمي لا أعرف طريق الفقراء وآدابهم وعلى تبعات ويني وبين الناس معاملات فقالوا له هذا أمر سماوي نزل ولا بد لك منه والله تعالى يتولى تعليمك ومعونتك وهو يتولى الصالحين فقال أمهلوني حتى أمضي إلى السوق وأبرأ من حقوق الخلق فأمهلوه فذهب إلى دكانه ووفى كل ذي حق حقه ثم ترك السوق ولزم الزاوية ولازمه الفقراء وصار جوهر كاسمه وله رضى الله عنه من الفضائل والكرامات ما يطول ذكره فسبحان المنان الكريم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

(قال) أحد العارفين رضي الله عنه من تولته رعاية الحق أجل ممن تؤدبه سياسة العلم ولقد أحسن في هذا المقال .

(وقال) آخر منهم يحتاج المسافر في سفره أو قال السالك في سلوكه إلى أربعة أشياء علم يسوسه وذكر يؤنسه وورع يحجزه ويقين يحمله قلت ومن حصل له ما قاله الأول من تولى رعاية الحق لا يحتاج إلى هذه الأربعة المذكورة لأنه حينئذ يكون معلما ومؤنسا ومحفوظا ومحمولا والله أعلم .

الحكاية الحادية والأربعون بعد المائتين

روي أن ابن السماك رضي الله عنه وعظ يوما فأعجبه وعظه فلما انصرف إلى منزله ونام سمع قائلا يقول:

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقامة والضنا	ومن الضنا والداء أنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا	صفة وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويفتدى	بالوعظ منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	غار عليك إذا فعلت عظيم

فلما استيقظ خلف ألا يعظ الناس شهراً .

(وقيل) إنه اجتمع فضيل بن عياض ومحمد بن السماك رضي الله عنهما فقال الفضيل العلم طيب الدين والمال داء الدين فإذا جر الطبيب الداء إلى نفسه فكيف يداوى غيره وفي هذا المعنى أنشدوا لبعض الفضلاء:

إن زاد مالك لم تزد به قنعا	أو زاد علمك لم تزد به وجعا
آثرت دنياك مسرورا بلذتها	وقد تركت التقى والزهد والورعا
وكيف ينفع علم منك سامعه	ولا يراك بذاك العلم منتفعا

الحكاية الثانية والأربعون بعد المائتين حكى عن الحسن البصرى رضى الله عنه

أنه أفتى في مسأله فقال له رجل إن الفقهاء خالفوك فيها فقال له الحسن ويحك وهل رأيت فقيها قط إنما الفقيه من زهد في الدنيا .

(وقال) رضى الله عنه الناس في هذه الدنيا على خمسة أصناف العلماء وهم ورثة الأنبياء والزهاد هم الأدلاء والغزاة هم أسياف الله تعالى والتجار هم أمناء الله عز وجل والملوك هم رعاة الخلق فإذا أصبح العالم طامعا وللمال جامعا فبمن يقتدى وإذا أصبح الزاهد راغبا فبمن يستدل ويهتدى وإذا أصبح الغازى مرائيا والمرائى لا عمل له فمن يظفر بالعدا وإذا كان التاجر خائنا فمن يؤتمن ويرتضى وإذا أصبح الملك ذئبا فمن يحفظ الغنم ويرعى والله ما أهلك الناس إلا العلماء المداهنون والزهاد الراغبون والغزاة المرءون والتجار الخائنون والملوك الظالمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأنشد الشيخ الصالح العالم العامل الإمام الفاضل عبدالعزيز الديرينى لنفسه رضى الله عنه :

إذا مات ذو علم وتقوى	فقد ثلمت من الإسلام ثلمه
وموت العابد المرضى نقص	ففي مرآه للأسرار نسمه
وموت العادل الملك المولى	بحكم الحق منقصه وقصمه
وموت الفارس الضرغام هدم	فكم شهدت له بالنصر عزمه
وموت فتى كثير الجود محل	فإن بقاءه خصب ونعمه
فحسبك خمسة يبكى عليهم	وموت الغير تخفيف ورحمه

الحكاية الثالثة والأربعون بعد المائتين قال المؤلف غفر الله له

أخبرني أحد أصحاب الشيخ عبد العزيز الديرينى المذكور رضى الله عنه قال كنت مع الشيخ عبد العزيز في بعض السياحات فانتبهينا إلى قبر في بعض البراري فجلس الشيخ عبد العزيز عند القبر يبكي فسألته عن ذلك فقال كان صاحب هذا القبر من أولياء الله سبحانه وتعالى اتفق لي معه حكاية عجيبة قال فقلت له وما هي قال عرضت لي حاجة في بعض البلاد مع بعض الناس فسافرت لتلك الحاجة وأدركتني صلاة المغرب في الطريق فعدلت إلى مسجد فوجدت فيه فقيرا يصلى بجماعة فصليت خلفه وإذا به يلحن في قراءته فتشوشت من ذلك وقلت في نفسي وأنا في الصلاة أقيم ههنا أعلم هذا الفقير كيف يقبراً في صلاته وأترك حاجتي فهذا أولى أو هذا

يتعين على فلما سلمنا من الصلاة التفت إلى وقال يا شيخ عبد العزيز الحق حاجتك التي جئت إليها فإن صاحبك الذي هي عنده يريد السفر فإذهب لحاجتك وما عليك من هذا اللحن الذي سمعته والتعليم الذي نويته قال فتعجبت من مكاشفته لي وخرجت في الحال بإشارته وأسرعت في السير فلما دخلت البلدة التي فيها حاجتي وجدت صاحبي قد ركب يريد سفرا فلما رأيته توقفت حتى قضى لي حاجتي ولو تأخرت قليلا لفاتني مطلوبى فازددت تعجبا من ذلك الفقير وحبا له ونويت ملازمته والتماس بركته وما لبثت إلا مدة يسيرة وتوفى وهذا قبره رضى الله عنه ونفعنا بهم .

الحكاية الرابعة والأربعون بعد المائتين عن أحد أهل العلم

قال كنت في المصيصة فإذا برجلين يتكلمان في الخلوة مع الله تعالى فلما أَرَادَا أن ينصرفا قال أحدهما للأخر تعال نجعل لهذا العلم ثمرة ولا يكون حجة علينا فقال له اعزم على ما شئت فقال عزم على ألا أكل لمخلوق فيه صنع قال فتبعتهما وقلت أنا معكما فقالا على الشرط قلت على أي شرط شرطما فصعدا جبل لكأ وذلاني على كهف وقالوا تعبد فيه فدخلت فيه وجعل كل واحد منهما يأتيني بما قسم الله تعالى لي وبقية مدة ثم قلت إلى متى أقيم ههنا أنا أسير إلى طرسوس وأكل من الحلال وأعلم الناس العلم وأقرأ القرآن فخرجت ودخلت طرسوس فأقامت بها سنة فإذا أنا برجل منهما وقد وقف على وقال يا فلان خنت في عهدك ونقضت الميثاق أما إنك لو صبرت كما صبرنا لوهب لك كما وهب لنا قلت ما الذي وهب لكما قال ثلاثة أشياء طى الأرض من المشرق إلى المغرب بقدم واحدة والمشى على الماء والحجبة إذا شئنا ثم احتجب عنى قلت بالذى وهب لك هذا الحال إلا ما ظهرت لى فقد شويت قلبى فظهر وقال سل فقلت هل لى إلى ذلك الحال عودة فقال هيهات لا يؤتمن الخائن وأنشد يقول:

من سارروه فأبدى السر مشتهرا	لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعده ولم يسعد بقربهم	وأبدلوه مكان الأتس إيحاشا
ومن أتاهم بهم لم يحجبوه به	حاشا ودادهم من ذلكم حاشا
فكن بهم ولهم في كل نائبة	إليهم ما بقيت الدهر هشاشا

الحكاية الخامسة والأربعون بعد المائتين

عن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى

قال بلغنى أن ذا النون رضى الله عنه تعلم اسم الله تعالى الأعظم فخرجت من مكة قاصدا إليه حتى وافيته في جزيرة مصر فأول ما بصر به رأتى طويل اللحية وفي

يدي ركوة كبيرة متزرا بمزرة وعلى كتفي مزر وفي رجلي تاسومة فاستبشع منظري فلما سلمت عليه كأنه اردراني وما رأيت منه تلك البشاشة فقلت في نفسي ترى مع من وقعت فجلست عنده فلما كان بعد يومين أو ثلاثة جاء رجل من المتكلمين فناظره في شيء من الكلام فاستظهر على ذي النون وغلبه فاغتمت لذلك فتقدمت وجلست بين أيديهما واستملت المتكلم إلي وناظرته حتى قطعته، ثم دقت حتى لم يفهم كلامي قال فعجب ذو النون من ذلك وكان شيخا وأنا أصغر منه فقام من مكانه وجلس بين يدي وقال اعذرني فإنني لم أعرف من مكانك من العلم وأنت أثر الناس عندي وما زال بعد ذلك يبجلني ويرفعني على جميع أصحابه حتى بقيت على ذلك سنة كاملة، فقلت له بعد السنة يا أستاذ أنا رجل غريب وقد اشتقت إلى أهلي ولى في خدمتك سنة ووجب حقي عليك وقيل لي إنك تعلم الاسم الأعظم وقد جربتني وعرفتني فإن كنت تعرفه فعلمي إياه، قال فسكت صني ولم يجبني بشيء وأوهمني أنه ربما علمني ثم سكت عنى ستة أشهر فلما كان بعد ذلك قال يا أبا يعقوب أليس تعرف فلانا صديقنا بالفسطاط الذى يأتينا وسمى رجلا فقلت له بلى قال فأخرج إلى طبقا فوقه مكبة مشدودة بمنديل فقال لي أوصل هذا إلى من سميت لك بالفسطاط فأخذت الطبق فإذا هو خفيف كأنه ليس فيه شيء فلما بلغت الجسر الذي بين الفسطاط والجيزة قلت في نفسي يوجه ذو النون بهدية إلى رجل في طبق ليس فيه شيء لأبصرن ما فيه فحللت المنديل ورفعت المكبة فإذا فأرة قد نفرت من الطبق فذهبت فاغتمت وقلت سخر بى ذو النون ولم يذهب وهى في الوقت إلى ما أراد فرجعت إليه مغضبا فلما رآنى تبسم وعرف القصة وقال يا مجنون أئتمنتك على فأرة فحنتني فكيف أئتمنتك على اسم الله الأعظم قم عني فارتحل ولا أراك بعد هذا فانصرفت عنه .

الحكاية السادسة والأربعون بعد المائتين عن عمر الباني رضى الله عنه

قال مررت براهب في مقبرة وفي كفه اليمنى حصى أبيض وفي كفه اليسرى حصى أسود فقلت يا راهب ما تصنع ههنا قال إذا فقدت قلبى أتيت المقابر فاعتبرت بمن فيها فقلت ما هذا الحصى الذي في كفك فقال أما الحصى الأبيض إذا عملت حسنة ألقيت منها واحدة في الأسود وإذا عملت سيئة ألقيت من هذا الأسود واحدة في الأبيض فإذا كان الليل نظرت فإن فضلت الحسنات على السيئات أفطرت وقيمت إلى وردى وإن فضلت السيئات على الحسنات لم أكل طعاما ولم أشرب شرابا في تلك الليلة هذه حالتي والسلام عليك .

الحكاية السابعة والأربعون بعد المائتين عن ذى النون رضي الله عنه

قال لقيت شيان المصاب فقلت له ادع لي فقال آنسك الله بقربه ثم شهق شهقة
وغشى عليه ولم يفق إلا بعد يومين فلما أفاق قال :

إن ذكر الحبيب هيج شوقي ثم حب الحبيب أذهل عقلي
وقال أيضا رضي الله عنه :

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلف العشاق أنهم قتلى من الحب يوم البين ما حنثوا
(وقيل) أتى رجل إلى العلاء بن زياد رضي الله عنه فقال له إن آتيا أتاني في
منامي فقال لي ائت العلاء بن زياد وقل له كم تبكى وقد غفر لك قال فبكى ثم قال
الآن يحق لى ألا أهدأ وأنشدوا :

وما في الأرض أشقي من محب وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين مخافة فرقة أو لاشتيقاق
فبيكي إن نأوا شوقا اليهم ويبكى إن دنوا خوف الفراق
(وحكى) عن الجنيد رضي الله عنه قال رأيت آدم عليه السلام في المنام وهو
يبكي فقلت له ما يبكيك أليس قد غفر الله تعالى لك ووعدك بالرجوع إلى الجنة
فناولني ورقة مكتوبة فاستيقظت من منامي ووجدتها في يدي وإذا فيها .

أحرقني بالنار نار من النوى ونار النوى أحمر من النار
شغفت بجار لا بدار سكتها على الجار أبكي لا على سكنة الدار
ولو لم يعدنى بالرجوع إلى المنى هلكت ولكن نلت بالوعد أوطارى

الحكاية الثامنة والأربعون بعد المائتين

حكى أن سالما الحداد رضي الله عنه كان من الأبدال وكان يتردد إلى فتح
الموصلي رضي الله عنه وكان إذا سمع الأذان يتغير لونه ويصفر ويضطرب ثم يثب
ويترك الحانوت مفتوحا وينشد :

إذا ما دعا داعيكم قمت مسرعا مجيبا لمولى جل ليس له مثل
أجيب إذا نادى بسمع وطاعة وبى نشوة لبىك يا من له الفضل
ويصفر لوني خيفة ومهابة ويرجع لى عن كل شغل به شغل
وحقكم ما لذلى غير ذكركم وذكر سواكم في فمي قط لا يحلو

متى تجمع الأيام بيني وبينكم ويفرح مشتاق إذا جمع الشمائل
فمن شاهدت عيناه نور جمالكم يموت اشتياقا نحوكم قط لا يسلو

الحكاية التاسعة والأربعون بعد المائتين

عن أحد أصحاب فتح الموصلية رضي الله عنه

قال دخلت يوما على فتح فوجدته يبكي وقد خالطت دموعه صفرة فقلت له بالله عليك يا سيدي فتح هل بكيت الدم، فقال والله لو أنك أقسمت بالله على ما أخبرتك بكيت الدمع وبكيت الدم، فقلت علام بكيت الدمع قال على تخلفي عن الله عز وجل، فقلت فعلام بكيت الدم قال على الدموع ألا تصح لي، قال فلما توفي رأيته في المنام فقلت له ما فعل الله تعالى بك قال غفر لي وقال يا فتح بكيت كل هذا البكاء على ماذا فقلت يا رب على تخلفي عن حقك قال والدم لم بكيته قلت يا رب على الدموع ألا تصح لي قال يا فتح بما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد إلى حافظك منذ أربعين سنة بصحيفتك وما فيها خطيئة.

(قلت) قوله ألا تصح لي معناه ألا تقبل مني والله أعلم.

الحكاية الخمسون بعد المائتين عن ذي النون رضي الله عنه

قال كنت في جبال بيت المقدس وإذا برجل قد اتزر بالخوف واتشح بالرجاء فتقدمت إليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت له من أين أقبلت يرحمك الله قال من حظيرة الأنس قلت وإلى أين تريد قال إلى راحة النفس ثم ولي وهو يقول:

فهو بالله طيب الخلوات
ليس نقض العهود فعل الثقات
فاسبلى الدمع واهجرى الترهات
وعروسا تواصل العبارات
مشرق وجهه من الحسنات
إنما رام عرسه الذي هو آت
خلع العزم مع جزيل الهبات

هجر الخلق كلهم وتخلي
قال للنفس ساعديني وجدى
ليس من يطلب الحبيب فتورا
هل رأيتم مدللا في عذاب
فقير جائع خير من ملك غنى
لم يرم عرسه الذي هو ماضٍ
فلعمري لتخلعن عليه

الحكاية الحادية والخمسون بعد المائتين عن أحدهم

قال خرجت في بعض حوائجي فينما أنا في فلاة من الأرض إذا برجل يدور بشجرة شوك ويأكل منها رطبا فسلمت عليه، فقال وعليك السلام تقدم وكل فنزلت

عن ناقتي وتقدمت إلى الشجرة فكلما أخذت منها رطبا عاد شوكا فتبسم الرجل وقال هيهات لو أطعمته في الخلوات أطعمك الرطب في الفلوات رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

(وقال) أحدهم كنت مع ذي النون رضي الله عنه في البادية فنزلنا تحت شجرة أم غيلان فقلنا ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب فتبسم ذو النون وقال تشتهون الرطب وحرك الشجرة وقال أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقك شجرة إلا ما نثرت علينا رطبا جنيا ثم حركها فنثرت رطبا جنيا فأكلنا وشبعنا ثم نمنا وانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكا .

(وقال) محمد بن المبارك الصوري رحمه الله كنت مع إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمانة فصلينا ركعات وسمعت صوتا من أصل تلك الرمانة يقول يا أبا إسحق أكرمنا بأن تأكل منها شيئا فطأطأ إبراهيم رضي الله عنه رأسه فقال ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا إليه ليتناول منا شيئا فقلت له يا أبا إسحق لقد سمعت فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة وناولني الأخرى فأكلتها وهي حامضة وكانت شجرة قصيرة فلما رجعنا من زيارتنا إذا هي شجرة عالية ورمانها حلو وهي تثمر في كل عام مرتين وسموها رمانة العابدين ويأوى إلى ظلها العابدون رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين .

الحكاية الثانية والخمسون بعد المائتين عن أحدهم

قال انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتى على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية فصاحت بي وقالت يقتلني العطش فقلت هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسي فإذا برجل في الهواء جالس ويده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر وقال هاك اشربا فأخذت الكوز وشربنا منه فإذا هو أبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب من المسك فقلت له من أنت يرحمك الله فقال أنا عبد لمولاك فقلت بيم وصلت إلى هذا فقال تركت الهوى لمرضاته فأجلسني على الهواء ثم غاب عني فلم أره رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

(وقال) أحدهم كنا بعسقلان وشاب يغشانا يتحدث معنا فإذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلي فودعني يوما وقال أريد الإسكندرية فخرجت معه وناولته دريهمات فأبى أن يأخذها فألححت عليه فألقى كفا من الرمل في ركوته واستقى من ماء البحر وقال كلمة فإذا هو سويق بسكر كثير فقال من كان حاله معه مثل هذا يحتاج إلى

دراهمك ثم أنشد يقول:

بحق الهوى يا أهل ودى تفهموا لسان وجود بالوجود غريب
حرام على قلب تعرض للهوى يكون لغير الحق فيه نصيب

الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائتين

عن أحد أصحاب الشيخ أبي تراب النخشي رضي الله عنه

قال كنا مع أبي تراب في طريق مكة فعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه يا سيدى أنا عطشان فضرب برجله الأرض فإذا عين ماء زلال فقال الفتى أحب أن أشربه في قدح فضرب بيده الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب وسقانا ومازال القدح معنا إلى مكة .

(وقال) الأستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه ظهرت علة بيعقوب بن الليث أغيت الأطباء فقالوا له في ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبدالله رضى الله عنه لو دعا لك لعل الله سبحانه يستجيب له فاستحضره، وقال له ادع الله تعالى لي فقال سهل كيف يستجيب دعائي فيك وفي حبسك مظلومون فأطلق كل من كان في حبسه فقال سهل اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرج عنه فعوفي فعرض مالا على سهل فأبى أن يقبله فقبل له لو قبلته ودفعته إلى الفقراء فنظر إلى الحصباء في الصحراء فإذا هي جواهر فقال من يعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث .

الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائتين

عن سعيد بن يحيى البصري رضى الله عنه

قال أتيت عبدالواحد بن زيد رضى الله عنه وهو جالس في ظل فقلت له لو سألت الله عز وجل أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل، فقال ربي أعلم بمصالح عباده ثم أخذ حصاة من الأرض وقال اللهم إن شئت أن تجعلها ذهباً فعلت فإذا هي والله في يده ذهب، فألقاها إلى وقال أنفقها أنت فلا خير في الدنيا إلا للآخرة .

(وقال) أبو زيد رضى الله عنه دخل علي أستاذي أبو على السندي ويده جراب فصبه فإذا هو جواهر فقلت له من أين لك ذلك قال أتيت واديا هناك فإذا هو يضىء كالسراج فحملت هذا منه .

(وقال) الشيخ أبو بكر الكتاني رضى الله عنه كنت في طريق مكة تائها يوما فإذا بهميان يلعب فإذا به دنائير فهممت أن أحمله وأفرقه على فقراء مكة فهتف بي هاتف إن أخذته سلينا عنك ففرك .

الحكاية الخامسة والخمسون بعد المائتين حكى أن حبيبا العجمي رضى الله تعالى عنه

كانت له زوجة سيئة الخلق فقالت له يوما إذا لم يفتح الله عليك بشيء فأجر نفسك واعمل في الفاعل، فخرج إلى الجبانة وصلى إلى العشاء ثم أتى بيته خجلا من توييخها مشغول القلب من شرها فقالت أين أجرتك فقال لها إن الذي استأجرني كريم استحيت من استعجاله، فمكث كذلك أياما يصلى في الجبانة إلى الليل وتقول له أين أجرتك كل يوم فيقول لها استأجرني كريم فخفت من استعجاله فلما طال عليها الحال قالت له اطلب أجرتك من هذا أو أجر نفسك من غيره فوعدها أنه يطلب الأجرة وخرج إلى عاداته فلما أمسى الليل عاد إلى منزله خائفا منها فرأى في بيته دخانا ومائدة منصوبة وزوجته مستبشرة فرحة فقالت له قد بعث لنا الذى أستأجرك ما يبعث الكرام وقال رسوله لي قولى لحبيب يجد في العمل وليعلم أنا لم نؤخر أجرته بخلا ولا عدما، فيقر عيننا ويطيب نفسا ثم أرته أكياسا مملوءة دنانير فبكى حبيب وقال لزوجته هذه الأجرة من كريم بيده خزائن السموات والأرض فلما سمعت ذلك تابت إلى الله تعالى وأقسمت أنها لا تعود إلى ما كانت عليه.

الحكاية السادسة والخمسون بعد المائتين

روى أن عطاء الأزرق رضى الله عنه دفعت إليه زوجته درهمين وقالت له اشتر لنا دقيقا بهما فخرج إلى السوق فرأى مملوكا يبكى فقال له لم تبكى فقال إن مولاي دفع إلى درهمين اشتري بهما شيئا فسقطا منى وأخاف أن يضربني فدفع إليه عطاء الدرهمين ومضى يصلي إلى وقت المساء وانتظر شيئا يفتح عليه فلم يفتح عليه بشيء فقعده على دكان صديق له نجار فقال له خذ من هذه النجارة لعلكم تحتاجون إليها تحمون بها التنور فليس لى شيء أواسيك به فأخذ ذلك في جرابه ورجع إلى بيته وفتح الباب وطرح الجراب في البيت ومضى إلى المسجد فصلى فيه العشاء وقعد حتى مضى شيء من الليل رجاء أن ينام أهله كي لا يخاصموه ثم جاء إلى البيت فوجدهم يخبزون الخبز فقال لهم من أين لكم الدقيق قالوا من الذي حملته في الجراب لا بقيت تشتري لنا الدقيق إلا من الذى اشتريت لنا هذا منه فقال أفعل هذا إن شاء الله تعالى.

الحكاية السابعة والخمسون بعد المائتين عن أحد الصالحين

(قال) خرج رجل من عباد البصرة يشتري حزمة حطب فسمع إقامة الصلاة في بعض المساجد فمال إليه وترك السوق فرأى صرة في طريقه مكتوبا عليها هذه الصرة فيها مائة دينار فتركها ولم يعرج عليها وأقبل على صلاته ثم رجع إلى السوق فاشترى حزمة حطب ودخل بها إلى بيته فلما حلها وجد الصرة فيها فرجع طرفه إلى السماء وقال اللهم كما لم تنس عبدك من رزقك فاجعله لا ينساك في أوقات طاعتك وخدمتك وجعل يقول لو أقبلت على خدمته ونهيت نفسك عن معصيته رأيت لطائف إحسانه ونعمته .

(وقال) أحد الفقراء دخلت على أبي الخير فناولني تفاحتين فجعلتهما في جيبى فقلت لا أتناولهما لكن أتبرك بهما لموضع الشيخ عندي فكانت تجرى على فاقات ولا أتناولهما حتى أجهدتني الفاقة مرة فأخرجت واحدة فأكلتها ثم أدخلت يدي لأخرج الأخرى وإذا بالتفاحتين مكانهما فمازلت أكل منهما حتى دخلت الموصل فجزت على خرابة وإذا بعليلى ينادى من الخرابة أشتهي تفاحة ولم يكن وقت التفاح فأخرجت التفاحتين وناولتهما إياه فأكلهما وخرجت روحه من وقته فعلمت أن الشيخ إنما أعطانيهما من أجل ذلك العليل .

الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائتين عن ذي النون المصري رضي الله عنه

قال كان عندنا فتى من أهل خراسان بقى عندنا في المسجد سبعة أيام لم يطعم الطعام وكنت أعرض عليه فيأبى فدخل ذات يوم إنسان يطلب شيئا فقال له الخراساني لو قصدت الله عز وجل دون خلقه أذاك فقال السائل مالى إلى هذا المكان فقال الخراساني أي شيء تريد قال ماسد فاقتي وستر عورتى ، فقام الخراساني إلى المحراب وصلى ركعتين ثم أتى بثوب جديد وطبق فيه فاكهة فأعطاه السائل قال ذو النون رضى الله عنه فقلت له يا عبد الله ألك هذا الجاه عند الله عز وجل وأنت منذ سبعة أيام لم تطعم شيئا فجثا على ركبته وقال ، يا أبا الفيض كيف تنبسط الألسن بالمسألة والقلوب ممتلئة بأنوار الرضا عنه فقلت له والراضون لا يسألون شيئا فقال منهم من يسأل من باب الإدلال ومنهم من يسأل عناية ومنهم من يسأل عطا على غيره ثم أقيمت الصلاة فصلى معنا وأخذ ركوته وخرج من المسجد كأنه يريد الطهارة فلم أره بعد ذلك رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائتين عن أحدهم

قال كنا مع إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه على ساحل البحر فأنتهينا إلى غيضة فيها حطب كثير يابس فقلنا لإبراهيم لو أقمنا الليلة ههنا وأوقدنا من هذا الحطب فقال افعلوا فأوقدنا وكان معنا خبز فأكلنا فقال واحد منا ما أحسن هذا الجمر لو كان لنا لحم نشويه، فقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه إن الله عز وجل قادر على أن يطعمكموه قال فبينما نحن كذلك إذا بأسد يطرد أَيْلاً فلما قرب منا وقع فاندق عنقه فقام إبراهيم وقال اذبحوه فقد أطعمكم الله تعالى فشوينا من لحمه والأسد واقف ينظر إلينا.

(وقال) إبراهيم الخراساني رضي الله عنه احتجت يوماً إلى الوضوء فإذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة ألين من الخز فاستكت وتوضأت وتركتهما وانصرفت قال وبقيت في بعض سياحاتي أياماً لم أر فيها أحداً من الناس ولا طيراً ولا ذا روح وإذا بشخص لا أدري من أين خرج فقال لى قل لهذه الشجرة تحمل دنائير فقلت احملى دنائير فلم تحمل ثم قال لها احملى وإذا بشماريخ الشجرة دنائير معلقة فاشتغلت أنظر إليها ثم التفت فلم أر الشخص وذهبت الدنائير من الشجرة رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الستون بعد المائتين عن أحدهم

قال كنت أنا وصاحب لي نتعبد في بعض الجبال وكان صاحبي يأكل من نبات الأرض وأما أنا فكانت ظبية تأتيني كل يوم وتدنو مني وتفتح رجليها فأشرب لبنها ثم تذهب عني، ودمنا على هذه الحالة مدة وكان صاحبي بعيداً فجاءني يوماً وقال قد نزل بقرنا نفر من البدو فتعال بنا نمش لعله يحصل لنا منهم شيء من لبن أو غيره فامتنعت فلم يزل يلح على حتى وافقته فذهبتنا إليهم فأطعمونا من طعامهم ورجعنا وعاد كل واحد منا إلى مكانه الذي كان فيه ثم إنني انتظرت الظبية في الوقت الذي كانت تأتيني فيه فلم تأتني ثم انتظرتها بعد ذلك فلم تأتني وانقطعت عني فعلمت أن ذلك بشؤم ذنبي الذي أحدثته بعد أن كنت مستغنياً بلبنها قلت الظاهر والله أعلم أن الذنب الذي ذكر ثلاثة أشياء، أحدها خروجه عن التوكل الذي قد كان دخل فيه، والثاني طمعه وعدم قناعته بالرزق الذي قد كان مستغنياً به، والثالث أكله طعاماً خبيثاً ليس بطيب فحرمه رزقاً طيباً حلالاً محضاً أخرجته القدرة الإلهية من باب خرق العادة فأدخلته في باب الإيجاد بمحض الجود والكرم آتياً من طريق باب خرق العادة كرامة

لولي من أوليائه أولى السعادة كان وعاؤه طيبا يصلح للطيبات كهذه التحف المحبوبة فنجسته ينجاسة لا يطهرها إلا ماء عين التوكل بعد أن يغتسل بماء عين التوبة مع صابون الصدق في مغسلة الاستغفار على شاطئ فرات الأسحار ثم يصفى بماء عين الصفا ويرش عليها ماء ورد الوفا ويقرأ عليها آية وحديثا فيسمعها بأذن قلب موقن إيقانا ومن يتوكل على الله فهو حسبه لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا .

ثم ينشد عنده وأذنا قلبه سامعتان هذين البيتين :

حقيقة العبد عندي في توكله سكون إحساسه عن كل مطلوب
وإن تراه لكل الخلق مطرحا يصون أسراره عن كل محبوب
فإن لم يقدر على جميع ما وصفنا بل هو عاجز مثلنا فليعترف بما اعترفت به
من نحسى وينشد ما قلته في ذم نفسي :

إلهي أنا العاصي خلياً من الإحسان حاو للمساوى
فلا فعلي لأقوالي مناسب ولا قولتي لأفعالي مساوى
كذوبا خائنا لم أوف عهدا ولم أصدق بضمون الدعوى
فسامح مذنباً وارحم ضعيفاً وأنس موحشاً في القبر ثاوى
فقد عودتنا السراء فضلاً وعنا أنت للضراء زاوى
لنا معروفك المعروف بحر به العطشان للغفران راوى

الحكاية الحادية والستون بعد المائتين عن ذي النون المصري رضي الله عنه

قال خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق وانتهت وفتحت عيني فإذا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة فانشقت الأرض فخرج منها سكرجان إحداهما من ذهب والأخرى من فضة في إحداهما سمس وفي الأخرى ماء ورد أو قال ماء فأكلت من هذه وشربت من هذه فقلت حسبي ولزمت الباب إلى أن قبلني .

وقيل خرج إنسان من أهل الخير لطلب الرزق في وقت حصاد الزرع فأصابه المطر فأوى إلى كهف فوجد فيه عقاباً أعمى فبقى متفكراً من أين يأكل ذلك العقاب وإذا بحمامة قد دخلت تستكن في الكهف من المطر فوقع فوق العقاب فأمسكها العقاب فأكلها فرجع ذلك الإنسان إلى مكانه وتوكل على الله عز وجل .

الحكاية الثانية والستون بعد المائتين عن أحد الأكراد ممن كان يقطع الطريق وينهب الأموال

قال بينما أنا وجماعة من أصحابي جلوس وقد خرجنا لقطع الطريق وانتهينا إلى مكان فيه ثلاث نخلات واحدة منهن ليس فيها ثمرة وإذا بعصفور يحمل رطبة من نخلة مثمرة إلى رأس النخلة التي ليس فيها ثمر حتى تكرر منه ذلك عشر مرات، وأنا أنظر فخطر بقلبي أن أقوم فأنظر فصعدت النخلة فإذا في رأسها حية عمياء فاتحة فاهها والعصفور يضع الرطب فيه فيكيت وقلت سيدي هذه حية قد أمر نبيك صلى الله عليه وسلم بقتلها فلما أعميتها أقمت لها عصفورا يقوم لها بالكفاية وأنا عبدك أقر بأنك إله واحد أقمتني لقطع الطريق وإخافة السبيل فوقع بقلبي يا فلان بابي مفتوح للتوبة فكسرت سيفي ووضعت التراب على رأسي وصحت الإقالة الإقالة فإذا بهاتف يقول قد أفلناك قد أفلناك فأتيت رفقائي فقالوا مالك قد أزعجتنا فقلت كنت مهجورا وقد صولحت، وحكيت لهم القصة فقالوا ونحن نصالح أيضا فرمينا ثيابنا وسلاحنا وأحرمتنا وقصدنا مكة وأقمنا عشي ثلاثة أيام في البرية ثم دخلنا قرية فإذا نحن بعجوز عمياء مررنا عليها فسألتنا أفیکم فلان الكردي قال فأخرجت ثيابا وقالت مات ولدى وخلف هذه الثياب فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث ليال يقول لي أعطى هذه الثياب فلانا الكردي قال فأخذتها واكتسيت بها أنا وأصحابي ثم مضينا إلى أن أتينا مكة.

الحكاية الثالثة والستون بعد المائتين

روى أن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه كان يجلس إليه أناس من قريش فأتوه يوما وقالوا إنا نخاف من الضيعة فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إني أسألك باسمك المرتفع الذي تكرم به من شئت من أوليائه وتلهمه الصفى من أحبابك أن ترزقنا برزق من لدنك الساعة تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا فإنك أنت الحنان المنان القديم الإحسان اللهم الساعة الساعة فسمعوا قعقة السقف ثم تناثرت عليهم دنائير ودراهم فقال عبد الواحد استغنوا بالله عز وجل عن غيره فأخذوا ذلك ولم يأخذ عبد الواحد منه شيئا رحمه الله تعالى ونفع به آمين.

الحكاية الرابعة والستون بعد المائتين بركة بر الوالدين

حكى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سليمان بن داود عليهما السلام أن اخرج إلى ساحل البحر تبصر عجباً، فخرج سليمان ومن معه من الجن والإنس فلما وصل الساحل التفت يمينا وشمالا فلم ير شيئا فقال لعفريت غص في هذا البحر ثم ائتني بعلم ما تجد فيه فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال يا نبي الله إنى غصت في هذا البحر مسيرة كذا وكذا فلم أصل إلى قعره ولا وجدت فيه شيئا، فقال لعفريت آخر غص في هذا البحر وائتني بعلم ما تجد فيه فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال مثل قول الأول إلا أنه غاص مثل الأول مرتين فقال لأصف بن برخيا وهو وزيره الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله قال الذي عنده علم من الكتاب ائتني بعلم ما في هذا البحر فجاءه بقية من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب باب من در وباب من ياقوت وباب من جوهر وباب من زبرجد أخضر والأبواب كلها مفتحة ولا يدخلها قطرة من الماء وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل مسيرة ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام وإذا في وسطها شاب حسن الهيئة نقي الثياب وهو قائم يصلى فدخل سليمان القبة وسلم على ذلك الشاب وقال له ما أنزلك في قعر هذا البحر قال يانبي الله إنه كان أبي رجلا مقعدا وكانت أمي عمياء فأقمت في خدمتهما سبعين سنة، فلما حضرت وفاة أمي قالت اللهم أطل حياة ابني في طاعتك ولما حضرت وفاة أبي قال اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل، فخرجت إلى هذا الساحل بعد ما دفتهما فنظرت هذه القبة موضوعة فدخلتها لأنظر حسنها فجاء ملك من الملائكة فاحتمل القبة وأنا فيها وأنزلني في قاع البحر قال سليمان ففي أى زمان كنت أتيت هذا الساحل قال في زمان إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فنظر سليمان عليه السلام في التاريخ فإذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لا شيب فيه قال فما كان طعامك وشرابك داخل هذا البحر قال يا نبي الله يأتيني كل يوم طير أخضر في منقارة شيء أصفر مثل رأس الإنسان فأكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا فيذهب عنى الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة فقال سليمان أتجب أن تقعد معنا أو نردك إلى موضعك فقال ردني يا نبي الله فقال رده يا أصف فرده ثم التفت فقال انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين فأحذركم عقوق الوالدين يرحمكم الله اللهم ألهمني برهما.

الحكاية الخامسة والستون بعد المائتين

عن ذي النون رضي الله عنه

قال أوحى الله سبحانه إلى موسى صلى الله عليه وسلم يا موسى كن كالطير الوحواني يأكل من رءوس الأشجار ويشرب من الماء القراح أو قال من الأنهار إذا جنّه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استثناسا بي واستيحاشا بمن عصاني يا موسى إنني آليت على نفسي ألا أتم لمدع عملا ولأقطعن أمل من أمل غيري ولأقصمن ظهر من استند إلى سواي ولأطيلن وحشة من أنس بغيري ولأعرضن عن أحب حبيبا سواي، يا موسى إن لي عبادا إن ناجوني أصغيت إليهم وإن نادوني أقبلت عليهم وإن أقبلوا على أدنيتهم مني وإن دنوا مني قربتهم إلي وإن تقربوا مني واصلتهم وكفيتهم وإن والوني واليتهم وإن صافوني صافيتهم وإن عملوا إلي جازيتهم فأنا مدبر أمرهم وسائس قلوبهم ومتولى أحوالهم لم أجعل قلوبهم راحة في شيء إلا في ذكرى فهؤلاء سقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء لا يستأنسون إلا بي ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي ولا يستقر بهم قرار في الإيواء إلا إلى الله أحقنا بهم يا رب العالمين.

الحكاية السادسة والستون بعد المائتين

حكى أن رجلا جاء إلى الفضيل رضي الله عنه وهو جالس في المسجد فسلم عليه ثم جلس عنده فقال له الفضيل لم جئت قال للأنس بك يا أبا على فقال الفضيل ما هي والله إلا الوحشة إما أن تقوم عني وإلا قمت عنك فقام الرجل .
وعن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه قال إن أدمت النظر في مرآة التوبة بان لك قبح المعصية وقال أقلوا معرفتكم من الناس ولا تتعرفوا إلى من لم تعرفوا وأنكروا من تعرفون واهربوا منهم كهربكم من السبع الضاري ولا تتخلفوا عن الجمعة والجماعة .
وقال بعضهم أنتم تتعرفون بالمناكير ونحن ننكر المعاريف وأنشد أحدهم :

أخا ثقة عند ارتكاب الشدائد
وناديت في الأحياء هل من مساعد
ولم أر فيما سرني غير حاسد

ولمابلوت الناس أطلب صاحباً
تفكرت في الدنيا رخاء وشدة
فلم أر فيما ساءني غير شامت

(قلت) وهذا المذكور عن إبراهيم بن أدهم وغيره هو أحد مذهبين للسلف رضى الله عنهم منهم من لا يرى اتخاذ الإخوان والتعرف بالناس لأنه أقرب إلى السلامة من الآفات وأبعد من تحمل الحقوق فى المخالطات وأفرغ للاشتغال بالطاعات ومنهم من يرى ذلك لظاهر أحاديث وردت فى الترغيب فى صحبة الإخوان المتقين الأخيار الذين تبقى صداقتهم فى الأخرى كما قال تعالى ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾^(١) اللهم اجعلنا منهم .

وقال أحمد بن أبى الحواري رضى الله عنه لما سئل عن طريق النجاة قال هيهات إن بيننا وبين الطريق عقبات وتلك العقبات لا تقطع إلا بالسير الحثيث وتصحيح المعاملة وحذف العلائق الشاغلة .

الحكاية السابعة والستون بعد المائتين

قال أحدهم كنا مع إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه فأتاه الناس فقالوا يا أبا إسحق وقف الأسد على طريقنا فأتى إبراهيم إلى الأسد فقال له يا أبا الحرث إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإن لم تؤمر بشيء فتنح عن طريقنا فأدبر الأسد وهو يهمهم ، فقال إبراهيم وما على أحدكم أن يقول إذا أصبح وأمسى اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واحفظنا بركنك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا .

وقال إبراهيم الخواص رضى الله عنه . كنت فى البادية مرة فسرت فى وسط النهار فإذا أنا بسبع عظيم أقبل على وقد نزلت تحت شجرة فاستسلمت فلما قرب منى إذا هو يعرج فهمهم وبرك بين يدي ووضع يده فى حجرى فنظرت فإذا يد منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبة وشققته الموضع الذى فيه القيح والدم وشدت على يده خرقة ومضى فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان يبصبسان فحملا إلى رغيفين .

وقال الخواص أيضا كنت فى طريق مكة فدخلت إلى خرابة بالليل فإذا فيها سبع عظيم فهتف بى هاتف أثبت فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك .

الحكاية الثامنة والستون بعد المائتين

عن سفيان الثورى رضى الله عنه

قال خرجت حاجا أنا وشييان الراعى فلما صرنا ببعض الطريق إذا نحن بأسد قد عارضنا فقلت لشييان ، أما ترى هذا الكلب قد عرض لنا فقال لاتخف ياسفيان

(١) سورة الزخرف الآية : ٦٧ .

فما هو إلا أن سمع الأسد كلام شيبان فبصص وحرك ذنبه مثل الكلب فالتفت إليه شيبان وعرك أذنه فقلت له ما هذه الشهرة فقال وأي شهرة هذه يثورى لولا كراهة ما حملت زادى إلى مكة إلا على ظهره .
وحكى أن بعضهم كان فى بعض الجبال وكان إذا أصابه المطر والبرد يأتيه بعض الأسود ويبرك عليه ويدفئه .

الحكاية التاسعة والستون بعد المائتين

قال المؤلف غفر الله له أخبرنى بعض الإخوان الصالحين قال غضبت على نفسى يوما فقلت لها أرميك فى المهالك وكنت فى موضع قريب من الأسود فجئت فاضطجعت بين شبليين صغيرين ثم أقبل أبوهما بعد ساعة وهو حامل فى فمه لحما فلما رأتى وضعه من فيه وجلس بعيدا منى ثم أقبلت أمهما وهى حاملة لحما أيضا فلما رأتنى رمت باللحم وصاحت وحملت على فتلقاها الأسد بيده ومنعها فجلست ولم يتحركا فمكثا ساعة ثم جاء الأسد يمشى قليلا قليلا فأخذهما بلطف ورماهما إلى أمهما واحدا بعد واحد قلت وهذا من عجيب لطف الله بأوليائه رضى الله عنه وعن سائر الصالحين .

الحكاية السبعون بعد المائتين

روى أن بعض المشايخ غضب عليه بعض الولاة فأمر بإلقائه بين يدى الأسد فأخذ الأسد يشمه ولايضره ، أو قال يبصص قيل للشيخ كيف وجدت قلبك فى ذلك الوقت فقال كنت أتفكر فى سؤر السباع ولعابها يعنى فى طهارته وكلام العلماء فى ذلك رضى الله عنه .
وقيل قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض الشيوخ فلما أتوه صلوا خلفه فسمعوه يلحن فى قراءته فتغير اعتقادهم إليه فلما ناموا أجنبوا كلهم تلك الليلة فخرجوا فى السحر يغتسلون ووضعوا ثيابهم عند بركة ماء هناك ونزلوا فى الماء فجاء الأسد وجلس على ثيابهم فلاقوا شدة من شدة البرد ، فجاء الشيخ وأخذ بأذن الأسد وقال ما قلت لك لا تتعرض لضيفانى ثم قال لهم أنتم اشتغلتم بإصلاح الظاهر فحفتم الأسد ونحن اشتغلنا بإصلاح الباطن فخافنا الأسد رضى الله عنه .
(قلت) سألت بعض الإخوان الصالحين المنقطعين فى البرارى فقلت له كيف كان من حالك مع الأسود فقال ألبست هيبة الله فكنت أسد الأسود وكانت إذا رأتنى

هربت رضى الله عنهم وفيهم قلت :

هم الأسود حقا والأسود تهابهم
وما الرمي بالنشاب ما الطعن بالقنا
من الله خافوا لاسواه فخافهم
لهم همم للقاطعات قواطع
لهم كلى شىء طائع ومسخر
بترك الهوى أمسوا يطيرون فى الهوا
لقد شمروا فى نيل كل عزيمة
إلى أن جنوا ثمر الهوى بعد ما جنى
وحتى استحال المرفى الحال حاليا
عليهم من الرحمن أذكى تحمية
مدى الدهر مفتوحا لإكرام وافد
ولا زال ذاك القرب والأنس والصفاء

الحكاية الحادية والسبعون بعد المائتين

عن أحدهم قال سمعت سمنون يتكلم فى المحبة وهو جالس فى المسجد إذ جاء طير صغير فقرب منه فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره على الأرض حتى سال منه الدم ثم مات ، وتكلم يوما فى المحبة فتكسرت قناديل المساجد كلها .

وقال الشيخ أبو الربيع المالقي رضى الله عنه كنت فى بعض سياحاتى منفردا فقيض الله طيرا إذا كان الليل ينزل قريبا منى بييت يسامرنى فكنت أسمعها فى الليل ينطق يا قدوس يا قدوس فإذا أصبح صفق بجناحيه وقال سبحان الرزاق .

وقال السرى رضى الله عنه كنت ليلة فى قرية من قرى الشام وإذا بصوت يصيح أسأت فلا أعود فلما أصبحت سألت عن الصوت فقيل لى إنه طائر فقلت ما يقال له فقيل فاقد إلفه ثم سمعت فى الوقت صوتا ولم أر شخصا وهو ينشد ويقول :

طير نحيل بأرض الشام أقلقه
يقول أخطأت حتى الصبح يسعده
صوت شجى ويكى وقت أسحار
وروى أن أبا مسلم الخولانى رضى الله عنه كان مع المسلمين فى غزاة بأرض الروم فبعث الوالى سرية إلى موضع وجعل الميعاد بينه وبينها يوما معلوما فجاء الميعاد، ولم تقدم السرية فحزن الوالى والمسلمون فبينما هم فى الحزن وأبو مسلم

يصلى إلى رمحه المركوز فى الأرض جاء طير وجلس على رأس الرمح وقال إن السرية قد سلمت وغنمت وسترى عليكم يوم كذا وقت كذا قال أبو مسلم من أنت يرحمك الله فقال الطير أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين فجاءت السرية كما ذكر .

الحكاية الثانية والسبعون بعد المائتين

عن خير النساج رضى الله عنه

قال كنا فى المسجد فجاء الشبلى رضى الله عنه فى حال سكره أى فى حال ورد عليه فنظر إلينا ولم يكلمنا وتهجم على الجنيد رضى الله عنه وهو جالس فى بيته وعنده زوجته فأرادت أن تستتر فقال لها الجنيد لا بأس عليك هو غائب لا علم له بك فصفق الشبلى رأس الجنيد وأنشأ يقول :

عودونى الوصال والوصل عذب ورمونى بالصد والصد صعب
زعموا حين عاتبوا أن جرمى فرط حبى لهم وما ذاك ذنب
لا وحسن الخضوع عند التلاقى ما جزا من يحب إلا يحسب
فاهتز الجنيد وقال هو ذاك يا أبا بكر فخر مغشيا عليه ثم بعد ساعة بكى الشبلى، فقال الجنيد لامرأته استترى عنه فقد أفاق رضى الله عنه ونفعنا به .

وقال بعضهم دخلت على الشبلى وهو ينتف اللحم من حاجبه بمنقاش فقلت له ياسيدى إنك تفعل هذا بنفسك ويعود ألمه إليك فقال ويحك لى ظهرت الحقيقة ولست أطيعها فأنا أدخل على نفسى الألم لعلى أحس به فيستتر ذلك عنى فلا وجدت الألم ولا ستر ذلك عنى ولا لى به طاقة .

وقال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه كنت أسمع السرى رضى الله عنه يقول قد يبلغ البعد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به قال وكان فى قلبى ذلك شىء حتى بان لى الأمر كذلك .

(قلت) ومما يشهد لصحة ذلك قوله تعالى : ﴿فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن﴾^(١) جاء فى التفسير أنهم لم يشعروا بتقطع أيديهن وهذا فى محبة مخلوق فكيف فى محبة الخالق وما ينكر ذلك إلا من لم يذوق ذلك ولم يصدق أحوال القوم وكذلك يشهد له ما اشتهر عنه أحدهم أنه ظهرت برجله الأكلة فدخل عليه الحكماء ، وقالوا إن لم تقطع رجله مات فقالت أمه دعوه حتى يدخل فى الصلاة فإنه لا يحس بشىء إذا دخل فيها فتركوه حتى دخل فيها ثم قطعوا رجله ولم يشعر بذلك رضى الله عنه ونفعنا به .

(١) سورة يوسف : الآية ٣١ .

وكذلك يشهد له ما اشتهر أن الشيخ أبا حفص النيسابورى الحداد رضى الله عنه سمع قارئاً يقرأ آية من القرآن فورد على قلبه وارد غاب عن إحساسه فأدخل يده فى النار وأخرج الحديدة المحماة بيده فرأى تلميذ له ذلك فصاح يا أستاذ ما هذا فنظر أبو حفص إلى ما ظهر عليه فترك الحرفة وقام من حانوته رضى الله عنه ونفعا به . قال الشيوخ العارفون رضى الله عنهم الغيبة معناها غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغاله بما ورد عليه ثم قد يغيب الشخص عن إحساسه بنفسه وغيره .

قال أبو سعيد الخراز رضى الله عنه تهت فى البادية فكنت أقول :

أتية فلا أدرى من التيه من أنا سوى ما يقول الناس فى وفى جنسى
أتية على جن البلاد وإنسها فإن لم أجد شخصا أتية على نفسى
فسمعت هاتفها يهتف بى ويقول :

أنا من يرى الأسباب أعلى وجوده ويفرح بالتيه الدنىء وبالأنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة لغبت عن الأكوان والعرش والكرسى
وكنت بلا حال مع الله واقفا تصان عن التذكار للجن والإنس

قال الشيوخ رضى الله عنهم الصحو رجوع من الغيبة إلى الإحساس والسكر بوارد قوى والفرق بين السكر والغيبة تكون بوارد من ذكر عقاب أو ثواب ينشأ من شدة الخوف أو قوة الرجاء وأما السكر فلا يكون إلا لأصحاب المواجيد فإذا كوشف العبد بنعوت الجمال حصل له السكر وطرب الروح وهام القلب وأنشدوا :

فصحوك من لفظى هو الوصل كله وسكرك من لحظى يبيح لك الشربا
فما مل ساقىها وما مل شارب عقار لحظ كأسه يسكر القلب
قالوا وإذا كوشف بأوصاف الجلال ظهرت من سلطان الحقيقة صفة القهر وأنشدوا :

إذا طلع الصباح كنجـم راح تساوى فيه سكران وصـحاح
قال الله عز وجل : ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً﴾^(١)

الحكاية الثالثة والسبعون بعد المائتين

روى أنه كان شاب يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر زعق فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لن تصحبنى فكان إذا سمع يتغير ويضبط نفسه

(١) سورة الاعراف : الآية ١٤٣ .

حتى يقطر من كل شعره قطرة دم من بدنه فلما كان بعض الأيام صاح صيحة تلفت فيها نفسه رضى الله عنه .

وقال الشيخ أبو على الروذبارى رضى الله عنه جرت يوما بقصر فرأيت شابا حسن الوجه مطروحا وحوله ناس مجتمعون فسألت عنه فقالوا إنه جاز بهذا القصر فسمع جارية تغنى وتقول :

كبرت همة عبــــــــــــــــد طمعت فى أن تراكــــــــــــــــا
أو ما حسب لــــــــــــــــين أن ترى من قد رآكــــــــــــــــا
فشهق ومات رحمه الله .

الحكاية الرابعة والسبعون بعد المائتين

قال أحدهم قال دخل عمرو بن عثمان المكي رضى الله عنه أصبهان وكان فى صحبته شاب من أهلها وكان والده يمنعه من صحبة الصوفية فمرض الشاب ودخل عليه الشيخ عمرو بن عثمان ومعه قوال فنظر الشاب إلى الشيخ وقال ياسيدى قل له يقول شيئا فقال القوال :

مالى مرضت فلم يعدنى عائــــــــد منكم ويمرض عبدكم فأعــــــــود
فتمطى الشاب على فراشة وجلس وقال للقوال زدنى فقال :
وأشد من مرضى على صدودكم وصدود عبدكم على شديــــــــد
فزاد به البرء إلى أن قام وخرج مع الجميع فسئل عمرو بن عثمان رضى الله عنه عن ذلك فقال إن الإشارة إذا كانت قبل السماع كانت من فوق فالعليل منها يشفى وإذا كانت بعد السماع كانت من تحت فالعليل منها يهلك قال بعضهم أراد إشارة المنادمة إذا وردت قبل السماع شفت وإذا وردت بعده أهلكت لفقد القوة كالمريض ينتكس مرضه بأدنى شىء ، وإذا انتكس كان أشد عليه من ابتداء المرض لفقد قوته وكثيرا ما يهلك بالانتكاس .

الحكاية الخامسة والسبعون بعد المائتين

قال أحد السلف دخلت البادية مع خمسة نفر من الفقراء وكان فيهم قوال ينشد شيئا وكان فى القوم فقير صاحب وجد وكان دائما يقول للقوال قل ثم يتواجد فزجرته يوما وقلت له كم هذا الوجد فسكت عنى ولم يجبنى ورجع إلى حاله فلما كان بعد مدة نظرت إلى خلفى فإذا بذلك الفقير يرقص فى الهواء فرجعت إليه لأستحل منه مما زجرته فغاب عنى وبقيت حسرة فقدته فى قلبى ، وسئل أبو القاسم

الجنيد رضى الله عنه ما بال الإنسان يكون هاديا فإذا سمع السماع اضطرب ، فقال إن الله سبحانه وتعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول في قوله تعالى ﴿أأست بربكم قالوا بلى﴾^(١) استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح فإذا سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك .

وسئل أبو إسحق الخواص رضى الله عنه ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ويجد ما لا يجد في سماع القرآن فقال إن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته ، وسماع القول ترويح فيتحرك فيه .

وسئل ذو النون رضى الله عنه عن السماع فقال وارد حتى يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بفسق تزندق .
وقال أبو القاسم النصراباذى السماع على قدر قوة القلب وصفائه وكشفه من الله عجائب القرب والغيب .

وقال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه الرحمة تنزل على الفقراء في ثلاثة مواطن عند السماع لأنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقومون إلا عن وجد وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند مجارة العلم فإنهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء .

الحكاية السادسة والسبعون بعد المائتين

روى أنه صاح الشبلى رضى الله عنه يوما في السماع فقيل له في ذلك فقال :

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسج—ودا

وسمع أيضا يوما منشدا يقول :

أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها أين تنزل

فصاح وقال والله ما في الدارين عنه مخبر .

وسمع أبو الحسن النووى رضى الله عنه منشدا يقول :

مازلت أنزل من وداك منزلا تتحير الأبواب دون نزول—ه

فتواجد وهام في الصجرَاء ووقع في أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل

السيوف فكان يمشى عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه ثم وقع مثل السكران فورمت قدماه ومات رحمة الله عليه .

(١) سورة الاعراف : الآية ١٧٢ .

الحكاية السابعة والسبعون بعد المائتين عن أبي القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال كنت مع جماعة فى جبل طور سيناء فنزلنا على عين ماء تحت دير النصرارى وكان معنا قوال فقال شيئا فظهر وجد الأصحاب فقاموا ورقصوا وصاحب الدير ينظر إلينا من فوق الدير وينادى ويقول بالله عليكم وبحق الدين الحنيف ألا جئتمونى فلم يلتفت إليه منا أحد من طيب الوقت فلما سكت الجميع وقعدوا ، قال من منكم الأستاذ فأشاروا إلى فقال يا أستاذ هذا الذى كنتم فيه من السماع والحركات والرقص خصوص فى دينكم أو عموم فقلت لا بل خصوص بشرط الزهد فى الدنيا، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ هكذا وجدت فى إنجيل عيسى عليه السلام أن الخواص من أمة محمد ﷺ يتحركون عند السماع بشرط الزهد فى الدنيا ويكون لباسهم الصوف والملونات يرضون من الدنيا بالبلغه هكذا نقل عنه رضى الله عنه .

الحكاية الثامنة والسبعون بعد المائتين

حكى أن الجنيد رضى الله عنه حضر ليلة فى جمع من الأصحاب فى دار دعى إليها فلما دخل الدار رأى شخصا أجنبيا بين الجماعة فدعاه الجنيد وأعطاه برده وقال له امض بها إلى السوق وارهنها على منوين من السكر للفقراء ، فلما خرج الرجل من بينهم أغلق الباب دونه وناداه يا فلان خذ البردة ، ولا ترجع إلى ههنا فقيل له فى ذلك فقال اشتريت ببردتى لكم صفاء الوقت فى هذه الليلة بإخراج من ليس منكم من بينكم .

وقال رضى الله عنه السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء : الزمان والمكان والإخوان وروى عن بعضهم قال كنت ليلة مع الأصحاب وهم مجتمعون للسماع فلما قال القوال سمعوا وقاموا ورقصوا ورأيت فانكرت عليهم بقلبي فرأيت تلك الليلة فى منامى كان القيامة قد قامت ورأيت الصوفية يجوزون الصراط راقصين والخلق قد انقطعوا عنهم فانتبهت ونذرت لله تعالى نذرا ألا أعود أنكر عليهم أبدا .

الحكاية التاسعة والسبعون بعد المائتين

روى عن الشيخ الجليل بحر الحقائق وموضح الدقائق أبى النيش بن حميل اليمنى قدس الله روحه ونور ضريحه ونفعنا به أنه كان ينكر السماع ويقاتل من يتعاطاه فى أول أمره ثم رجع عن ذلك فى الآخر وسببه أنه قدم عليه بعض المشايخ

ومنهم عبد الله بن جعفر الطيار ومعروف الكرخي والسري السقطي وذو النون المصري وأبو الحسن النوري وأبو القاسم الجنيد والشبلي رضى الله عنهم وقال بعض الشيوخ الكبار إنا أنكرنا السماع على سبعين صديقا .

وقال بعض الفقهاء لبعضهم ألم تسمع الجلاجل التي فى الدف فقال والله ما أسمع جلاجل وإنما أسمعها تقول الله الله .

وروى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه سمع صوت ناقوس فقال أندرون ما يقول فقالوا لا فقال إنه يقول سبحان الله حقا إن المولى صمد يبقى وكذلك كان بعض الفقهاء ينكر على الصوفية سماعهم فدخل عليه بعضهم يوما فوجده يدور فى بيته فقال له يا فقيه أراك تدور فقال كانت مسألة أشكلت على فاطلت عليها الآن فملتت بذلك فرحا ولم أتمالك من الطرب ففقت ودرت كما رأيت فقال له يا فقيه هذا فرحك بمسأله فكيف تنكر على من فرح بالله تعالى .

قلت كم بين الفرح بالاطلاع على حكم من أحكام الله والفرح بالاطلاع على تجلى جمال جلال الله تعالى وكمال صفاته وامتلاء القلب بمحبته والشوق إلى لقاء ذاته والطرب بذكره الحالى العذب الزلال والغيبة بواردات الأحوال والمنازلة فى المقامات العوالى والشرب من راح المحبة التى فيها قائلهم قال :

هنيئا لأهل الدير كم سكرُوا بها وما شربوا منها ولكنهم هموا على نفسه فليكن من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم
وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت يا رسول الله ما يقول فى السماعات التى نحضرها فى الليالى وربما تبدو منا الحركات فيها فقال ﷺ : « ما من ليلة إلا وأحضر معكم ولكن ابدءوا بالقرآن واختموا بالقرآن » .

(قلت) لا يغتر جاهل بما ذكر عن الشيخ فى السماع فيحسب أنه يجوز لكل أحد هيهات إنما هو لمن حدا به حادى الشوق إلى مواطن القرب فى الحضرة القدسية خال عن هوى النفس والصفات الدنية متصفا بما أنشده أهل الأحوال السنية :

ولما حضرنا للسرور بملجس وأضاءت لنا من عالم الغيب أنوار
وظافت علينا للعوارف حمرة يطوف بها فى حضرة القدس خمار
تخامر أرياب العقول بلطفها فتبدو لنا عند المسرة أسرار

فلما شربناها بأفواه كشفنا
رفعنا حجاب الأنس بالأنس عنوة
أضاءت لنا منها شمس وأقمار
وغبنا بها عنا وولنا مرادنا
وجاءت إلينا بالبشائر أخبار
وخاطبنا فى سكرنا عند محونا
ولم يبق منا بعد ذلك آثار
وكاشفنا حتى رأيناه جهرة
كريم قدير فائض الجود جبار
بأبصار فهم لا تواريه أستار

(قلت) هذا هو السماع الحقيقى وقد يجوز على غير هذا الوجه بشروط مذكرة فى تصانيف المشايخ السالكين العارفين ومن أحسنها تصنيفا وترتبا وأتقنها تحقيقا وتهذيبا كتاب عوارف المعارف للشيخ الجليل العالم الربانى شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه وما أحسن ما قاله الشيخ العارف أبو عثمان الحيرى رضى الله عنه السماع على ثلاثة أوجه فوجه منها للمريدين المتقدمين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ويخشى عليهم الفتنة والمراءاة والثانى للصادقين يطلبون الزيادة فى أحوالهم ويستمعون فى ذلك ما يوافق أوقاتهم والثالث لأهل الاستقامة من العارفين فهؤلاء لا يختارون على الله فيما يرد عليهم من الحركة والسكون يعنى لا يختارون لأنفسهم شيئا بل واقفون مع اختيار الله لهم رضى الله عنهم .

وهذا القسم الثالث هو الذى أشار إليه بعضهم حيث قال إنما يصح السماع لمن عالج نفسه بأنواع الرياضات وتزكية الصفات وطم النفس عن المحظورات ونزه سرائره وقلبه عن السموم والآفات وتحققت له المعرفة بالأسماء والصفات وعند ذلك يحتمل أن يصح له أخذ السماع من المشاهدات .

(قلت) وكذلك لا يتغير أحد رجلين أحدهما يتوهم أن لى مشربا من مورد هؤلاء الذين ذكرت فوالله إنى فقير إلى ورود مشربهم والله والله إنى لمحتاج إلى واحد منهم يقع على منه نظرة يكون فيها نفحة من نفحات الله تعالى والثانى يعرف فقرى من ذلك الحال ويتوهم أنى أدعيه بهذا الكلام الذى ذكرته عن هؤلاء الأقسام فليعلم أنى لا أدعى ذلك بل أعترف بالإفلاس والعدم وفى ذلك قلت فيما تقدم حين أمدح جواهر نفوس أهل العطاء والوصول وأدم فلوس إفلاس نفسى وأنادى عليها وأقول :

ولى وصف حكى وصف الفلوس
نصيب مثل ما شطة العروس
بتسليم قضا بارى النفوس
رجعتى منه بالمال النفيس
عطايا ليس تحصى فى الطروس
وقد عافاك من مدح النحوس
عليكى فاشكرى ساقى الكئوس
كرام سادة غرر رؤوس
لسادات فلا أقدم بوسى
حميا حبهم والفرش دوسى
لساداتى ولا معهم جلوسى
يرد القاصد الراجى ببوس
يغيث الخلق فى يوم عبوس

وكم من جوهر أحكى نفيس
وكم أجلو على حسنا ومالى
رضا يا نفس تستوفى نصيبا
فلو بالمدح قابلتى أميرا
فكيف الظن بالرحمن معط
حباكى مدح سادات البرايا
ففى هذا له حمد عظيم
لأ حباب حباهم واصطفاهم
إذا ما اليافعى أمسى عبيدا
عسى يوما يقول الفضل ذوقى
إلهى لا تخيب سعى مدحى
فحاشى جود رحمن كريم
وصلى الله مولانا على من

(قلت) وإذ قد أشرت إلى نفى وهم هذين الرجلين المذكورين فهأنا أشير إلى
إثبات تحقيق الحال وهو أن ذكرى لهم وحديثى عنهم بأخبارهم تلذذ بحكاياتهم
وأشعارهم كما أنشد بعض أخبارهم :

إيه أحاديث نعمان وساكنه
أستنشق الريح عنكم كلما نفحت
إن الحديث عن الأجباب أسمار
من نحو أرضكم نكباء معطار
ويحصل إن شاء الله المقصود المعظم بمقاله رحمته أعنى حديث الصحيحين
المنتخب قوله رحمته «المرء مع من أحب».

الحكاية الثمانون بعد المائتين

عن أحمد بن مقاتل العكى رحمه الله

قال لما دخل ذو النون المصرى بغداد اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوال فاستأذنه
بأن يقول بين أيديهم شيئا فأذن فابتدأ يقول :

صغير هـواك عذبنى
وأنت جمعت فى قلبى
فكف به إذا احتنكا
هوى قد كان مشتركا
إذا ضحك الخلى بكى
أما ترثىى لمكتئب

قال فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر منه ولا يسقط على الأرض ثم قام رجل من القوم يتواجد فقال له ذو النون الذى يراك حين تقوم وتقلبك فجلس الرجل قال الأستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه كان ذو النون رضى الله عنه صاحب إشراف على ذلك الرجل حيث نهه أن ذلك ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف حيث قبل ذلك منه فرجع وقعد.

وروى أن الإمام الشافعى رضى الله عنه سمع جارية تغنى وتقول :

خليلى ما بال المطايا كأنها تراها على الأعقاب بالقوم تنكص
فقال لابن عليه وكان معه كيف تسمع أيطربك فقال لا فقال الشافعى مالك
حسن .

وحكى أن أحدهم قام ليلة إلى الصباح يقوم ويسقط على هذا البيت والناس
قيام ييكون :

بالله ردوا فؤاد مكتتب ليس له من حبيبه خلـف

وقد تقدمت حكاية الفقير الذى مات لما سمع جارية تقول :

فى سبيل الله ود كان منى لك يـنـذل

كل يوم تتلون غير هذا بك أجـمل

الحكاية الحادية والثمانون بعد المائتين

عن أبى عبد الله بن الجلاء رضى الله عنه

قال كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة يقال لأحدهما جيلة والآخر
زريق فزار زريق يوما جيلة فى أصحابه فقراً رجل من أصحاب زريق شيئا فصاح
واحد من أصحاب جيلة ومات فلما أصبحوا قال جيلة لزريق أين الذى قرأ بالأمس
فليقرأ آية فقراً فصاح جيلة صيحة فمات القارئ فقال جيلة واحد بواحد والبادى أظلم
رضى الله عنهم أجمعين .

قلت وتشبه هذه الحكاية الآتية بعدها إن شاء الله تعالى .

الحكاية الثانية والثمانون بعد المائتين

قال المؤلف رحمه الله كان فى بلاد اليمن شيخان أحدهما الشيخ الكبير العارف
بالله تعالى أحمد بن الجعد والآخر الشيخ الكبير العارف بالله تعالى سعيد المكنى أبا
عيسى وكان لكل واحد منهما أصحاب وتلامذة فورد الشيخ أحمد المذكور فى جمع
من أصحابه على الشيخ سعيد فى وقت جاء إلى زيارة بعض القبور الشريفة فوافقه

الشيخ سعيد وأصحابه على الزيارة ومشوا فلما بلغوا بعض الطريق بدا للشيخ سعيد أن يرجع في هذا الوقت ويزور في وقت آخر فرجع هو وأصحابه إلى موضعه وذلك في حضر موت واستمر الشيخ أحمد على عزمه حتى انتهى إلى مقصده ، فزار ورجع والشيخ سعيد مكث أياما ثم خرج هو وأصحابه للزيارة المذكورة ، فالتقى الشيخان وأصحابهما في الطريق فقال الشيخ أحمد للشيخ سعيد توجه عليك حق الفقراء في رجوعك فقال لا ما توجه على حق فقال له الشيخ أحمد بلى قم فأنصف .

فقال الشيخ سعيد من أقامنا أقعدناه فقال الشيخ أحمد ومن أقعدنا ابتليناه فأصاب كل واحد منهما ما قاله صاحبه فصار الشيخ أحمد مقعدا إلى أن لقي الله وصار الشيخ سعيد مبتلى في جسمه بلاء قطع جسمه حتى لقي الله رضى الله عنهما وهذه لعمري أحوال تكمل في جنب قطعها السيوف القاطعة وإنما يقطع الحلال معا إذا كان صاحبهما متكافئين أو قريبين من التكافؤ فإن لم يكونا كذلك قطع القوى منهما دون الضعيف وقد يقطع السابق دون المسبوق هذا الظاهر والله أعلم .

الحكاية الثالثة والثمانون بعد المائتين عن أحدهم

قال احتبس على أهلى خروج الولد فذهبت إلى الشيخ أبى الحسن الدينورى رضى الله عنه بجام أتبرك بخطه فيه فلما كتب بسم الله الرحمن الرحيم انطلق الجام وسقط الشيخ مغشيا عليه فأتيته بجام آخر فكان منه ما كان من الأول ثم جئته بثالث ورابع وخامس فقال يا هذا اذهب إلى غيرى فلو جئتنى بما أمكن أن تجيء به لم يكن إلا ما رأيت فينى عبد إذا ذكرت مولاي ذكرته بهيبة وحضور .

الحكاية الرابعة والثمانون بعد المائتين

حكى أن أبا تراب النخشبى رضى الله عنه كان معجبا ببعض المريدين فكان يخدمه ويقوم بمصالحة والمريد مشغول بعبادته فقال أبو تراب له يوما لو رأيت أبا يزيد فقال أنا عنه مشغول فلما أكثر عليه فى قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك وما أصنع بأبى يزيد فقد رأيت الله عز وجل فأغنى بى عن أبى يزيد قال أبو تراب فهاج طبعى فلم أملك نفسى فقلت ويلك تغتر بالله تعالى لو رأيت أبا يزيد مرة كان خيرا لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة قال فبهت الفتى من قولى وأنكره وقال كيف ذلك فقلت له إنك إنما ترى الله عز وجل عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله فيظهر لك على مقداره قلت يعنى يظهر لك من تجلى صفات الجلال والجمال وغيرهما على مقدار حال أبى يزيد قال فعرف ما قلت فقال احملنى إليه فذكر قصته قال فى آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليتحرك إلينا من الغيضة وكان

يأوى إلى غيضة فيها سباع قال فمر بنا أبو يزيد وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر إليه فنظر الفتى إليه فصعق فحركناه فإذا هو ميت فقلت لأبى يزيد يا سيدى قتلت صاحبنا أو قال قلت نظره إليك قتله فقال لا ولكن صاحبك كان صادقاً وأسكن في قلبه سر لم ينكشف له وصفه فلما رأنا انكشف له سر قلبه فضايق عن حمله لأنه كان فى مقام الضعفاء المريرين فقتله ذلك رضى الله عنه ونفع به آمين .

الحكاية الخامسة والثمانون بعد المائتين

عن يحيى بن معاذ رضى الله عنه

قال رأيت أبا يزيد فى بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزاً على صدور قدميه رافعاً أخصصيهما على عقبه عن الأرض ضارباً بدقنه على صدره شاخصاً بعينه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم إن قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى فى الهواء وطى الأرض وانقلاب الأعين حتى عدد نيفاً وعشرين نوعاً من كرامات الأولياء فرضوا بذلك وإنى أعوذ بك من ذلك ثم التفت فرأى فقال يحيى قلت نعم يا سيدى قال منذ متى أنت ههنا قلت من حين فسكت فقلت يا سيدى حدثنى بشيء فقال أحدثك بما يصلح لك أدخلنى الحق فى الفلك السفلى وأرانى الأرض وما تحتها إلى الثرى ثم أدخلنى فى الفلك العلوى وطوف بى فى السموات وأرانى ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال سلنى أى شىء رأيت حتى أهبه لك فقلت ما رأيت شيئاً أستحسنه فأسألكه فقال أنت عبدى حقا تعبدنى لأجلى صدقاً لأفعلن ولأفعلن فذكر أشياء قال يحيى فهالنى ذلك وعجبت منه فقلت له يا سيدى لم تسأله المعرفة وقد قال لك ملك الملوك سلنى ما شئت قال فصاح بى صيحة وقال اسكت وبلك غرت عليه منى لأنى لا أحب أن يعرفه سواه وأنشد أحدهم :

ولا تذكر لى العامرية إننى أغار عليها من فم المتكلم

الحكاية السادسة والثمانون بعد المائتين

قال أحدهم سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال لو أدخلت يدك فى فم التين حتى بلغ الرسغ لا تخاف مع الله غيره قال فخرجت إلى أبى يزيد لأسأله عن التوكل فدققت الباب فقال أليس لك فى قول عبد الرحمن كفاية فقلت افتح لى الباب فقال إنك ما جئتى زائراً وقد أتاك الجواب من وراء الباب ولم يفتح لى فمضيت ولبثت سنة ثم قصدته فقال مرحباً جئتى الآن زائراً فبقيت عنده شهراً فكان لا يخطر بقلبى شىء إلا أخبرنى به .

الحكاية السابعة والثمانون بعد المائتين

روى أن يحيى بن معاذ الرازي كتب إلى أبي يزيد رضى الله عنهما أنى سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب إليه أبو يزيد غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد ولسانه خارج وهو يقول هل من مزيد وأنشدوا فى المعنى :

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل أسى فأذكر ما نسيت
شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفذ الشراب ولا رويت
وروى أن شقيقا البلخى وأبا تراب النخشى قدما على أبي يزيد رضى الله
عنهما فقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد فقال له البلخى كل معنا يا بنى أو قال يا
فتى فقال إنى صائم فقال أبو تراب كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال له شقيق كل
ولك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله تعالى فأخذ ذلك
الشاب فى السرقة بعد سنة فقطعت يده نعوذ بالله من سخط الله .

الحكاية الثامنة والثمانون بعد المائتين عن زيتونة خادمة

أبى الحسن النورى وخادمة أبى القاسم الجنيد رضى الله عنهم

قالت كان يوم بارد فقلت للنورى أحمل إليك شيئا فقال نعم فقلت أى شىء
تريد فقال خبزا ولبنا فحملته إليه وكان بين يديه فحم يقلبه بيده وقد اشتعلت النار
فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يده وعليها سواد الفحم فقلت فى نفسى سبحانك
ما أقدر أولياءك يا رب ما فيهم أحد نظيف قالت فخرجت من عنده فتعلقت بى امرأة
قالت سرقت لى رزمة ثياب وجرونى إلى الشرطى فأخبر النورى بذلك فخرج وقال
للشرطى لا تتعرض لها فإنها ولىة من أولياء الله تعالى فقال الشرطى كيف أصنع
والمرأة تدعى قالت فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة فاسترد النورى المرأة وقال لها
أتقولين بعد هذا ما أقدر أولياءك يا رب قالت فقلت قد تبت .

الحكاية التاسعة والثمانون بعد المائتين عن أحدهم

قال رأيت ذا النون رضى الله عنه وقد تقاتل اثنان أحدهما من أولياء السلطان
والآخر من الرعية فعدا الذى من الرعية على الجندى فكسر ثنيته فتعلق الجندى وقال
ببنى وبينك الأمير فجازوا بذى النون فقال لهم أناس اصعدوا إلى الشيخ فصعدوا إليه
وعرفوه بما جرى فأخذ الثنية وبلها بريقه وردها إلى فم الرجل فى الموضع الذى كانت

فيه فحرك شفتيه فتعلقت بإذن الله عز وجل فبقى الرجل يفتش فمه فلم يجد الأسنان إلا سواء .

(قلت) ويشبه هذه الحكاية الحكاية الآتية بعدها إن شاء الله تعالى .

الحكاية التسعون بعد المائتين

قال المؤلف غفر الله له كان إنسان في بلاد اليمن في يده سلعة دار بها على جمع من الصالحين ليدعوا بذهابها عنه فلم تذهب فجاء إلى ابن عجيل المتقدم ذكره رضى الله عنه فقال له ادع الله لى أن يذهب عنى هذه السلعة وإلا ما بقيت أحسن ظنى بأحد من الصالحين فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هات يدك ومسح عليها ولفها بخرقه وقال له لا تفتحها إلى أن تصل إلى منزلك فمشى من عنده هو ورفقاؤه ومروا فى طريقهم ببعض القرى فدخلوها واشتروا منها غداءهم خبزاً ولبناً وفتوه فتا تسميه أهل اليمن ثرافة بالثاء المثلثة المضمومة ثم بالراء والألف والهاء وكانت سلعته المذكورة فى كفه اليمنى ففسحها وفتح الخرقه وأكل فلما فرغ من الأكل لم يجد لها أثراً ولم يتميز موضعها من سائر الكف وهذا معنى الحكاية وإن لم يكن لفظها بعينه وأكل الثرافة المذكور يشبع هو بخلاف السنة وفيه بشاعة وقبح ولا سيما أكل كثير من الجهال فإنهم يتغالون فى ذلك ويفتخرون من يغلب صاحبه بالأكل بأن يحمل فى كفه أكثر من الآخر حتى يحكى أن الواحد منهم يحمل بكفه ثلاث مرات نحو المد الشرعى أكلاً يهول ويفجع وليست هكذا السنة بل السنة أن يأكل بصنعة وظرافة بحيث لا يلطخ شفتيه ولا غيرهما باللبن ومثل هذا الأكل منه ما يكون مكروهاً ومنه ما يكون حراماً فالحرام إذا ظلم غيره بأكل شىء من نصيبه بشركة أو نحوها ولم يرض ذلك الغير بذلك الأكل والمكروه إذا لم يظلم أحداً وهذه الخصلة وإن كانت فى أهل اليمن قبيحة فلهم لعمرى كثير من المحاسن المليحة منها ما شهدت به الأحاديث الصحيحة بنصوص صريحة وذكر هذه الخصلة المذكورة لا يحسن ههنا إلا على جهة التنبية والنصيحة .

الحكاية الحادية والتسعون بعد المائتين

قال المؤلف غفر الله له أخبرنى أحد الإخوان الصالحين أنه جاء إنسان إلى الفقيه الإمام الكبير العارف بالله محمد بن حسين الخبير البجلي رضى الله عنه وقال سرق لى ثور فقال له تريد ثورك قال نعم قال اذهب إلى المكان الفلانى تجد فيه شيخنا يحرث لا تفكه إلا بثورك يعنى بذلك الشيخ شيخه المشهور كبير شيوخ اليمن محمد

ابن أبي بكر الحكيم المتقدم ذكره رضى الله تعالى عنه فجاء إليه ، وقال له رد لى ثورى ولازمه ملازمة يبدو منها أنه هو السارق إذ كان لا يعرف الشيخ المذكور فقال له الشيخ من أمرك بهذا فقال محمد بن الحسين ثم قال خلصنى بثورى وخلصنى من هذا الكلام قال أخبرنى كيف صفة ثورك قال تسرق ثورى وتزعم أنك لا تعرف صفته فتبسم الشيخ رضى الله عنه وقال اذهب إلى المكان الفلانى تجد فيه ثورك مربوطا بشجرة فحلّه وخذه فذهب إلى ذلك المكان فوجده فيه كما ذكر الشيخ فأخذه ورجع فرحا مسرورا وجاء السارق ليأخذ الثور فلم يجده فرجع محروما مخذولا بل مأثوما مأزورا ورجع الشيخ مبرورا مأجورا .

الحكاية الثانية والتسعون بعد المائتين عن واحد من السلف

قال كان لرجل على رجل مائة دينار بوثيقة إلى أجل فلما جاءه الأجل طلب الوثيقة فلم يجدها فجاء إلى بنان الحمال فسأله الدعاء فقال له أنا قد كبرت وأنا أحب الحلوى اذهب فاشتر لى رطل حلوى معقودا وجئنى به حتى أدعو لك فذهب فاشترى له ما قال ثم جاء به فقال له بنان افتح القرطاس ففتحته فإذا بالوثيقة فيه فقال له بنان خذ وثيقتك وخذ المعقود أطعمه صبيانك فأخذهما ومضى ولم يأخذ بنان منه شيئا رضى الله عنه ونفعنا به .

وقال بنان رضى الله عنه دخلت البرية وحدى فاستوحشت فإذا بهاتف يهتف بى يا بنان نقضت العهد لم تستوحش؟ أليس حبيبك معك .

الحكاية الثالثة والتسعون بعد المائتين عن بكير

صاحب الشبلى رضى الله عنه

قال وجد الشبلى رضى الله عنه فى يوم جمعة خفة من وجع كان فيه فنهض إلى الجامع واتكأ على يدي حتى انتهينا إلى الوراقين فتلقانا رجل جاء من الرصافة فقال الشبلى سيكون لى غدا مع هذا الشيخ شأن قال فلما كان الليل مات الشبلى رحمه الله ، وقيل لى فى درب السقاين شيخ صالح يغسل الموتى فدلونى عليه فنقرت الباب نقرا خفيفا وقلت سلام عليكم فقال مات الشبلى فقلت نعم فخرج إلى وإذا به الشيخ الذى أشار إليه الشبلى فقلت له لا إله إلا الله تعجبا فقال لا إله إلا الله من ماذا قلت قال لى الشبلى أمس لما لقيناك سيكون لى غدا مع هذا الشيخ شأن فبحق معبودك من أين لك أن الشبلى قد مات قال يا أبله فمن أين للشبلى أنه يكون له معى شأن اليوم رضى الله عنهما ولما حضرت الشبلى الوفاة قال على درهم مظلمة وقد تصدقت عنه بألوف فما على قلبى شىء أعظم منه .

الحكاية الرابعة والتسعون بعد المائتين

حكى أن امرأة إسرائيلية كان لها دار بجوار قصر الملك وكانت تشين القصر وكلما رام الملك منها أن تبيع منه الدار أبت أن تبيع منه فخرجت المرأة فى سفر فأمر الملك بهدمها فلما جاءت المرأة من السفر قالت من هدم دارى قيل لها الملك فرفعت طرفها إلى السماء وقالت إلهى وسيدى ومولاي غبت أنا وأنت حاضر وأنت للضعيف معين وللمظلوم ناصر وجلست فخرج الملك فى موكبه فلما نظر إليها قال ما تنظرين قالت أنتظر خراب قصرك فهزأ بقولها وضحك منها فلما جن عليه الليل خسف به وبقصره ووجد على بعض حيطان القصر مكتوبا هذه الأبيات :

أتهزأ بالدعاء وتزدرية وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطى ولكن لها أمد وللأمد انقضاء
وقد شاء الإله بما تراه فما للملك عندكم بقاء

وروى عن رجاء بن كثير رحمه الله قال كنا قعودا عند شيخنا فى الكوفة نكتب الحديث عنه فمرت بنا امرأة عليها قميص صوف وكساء صوف فقالت السلام عليكم ثم أشارت بيدها إلى قبة الملك ، وقالت فرحوا بقصورهم واغبتوا بسروزم وندموا على ما قدموا فى قبورهم فلا تغتر وإنما نحن نزرع والموت حصادنا والقبر بيدنا والقيامه موعدنا ، فمن زرع خيرا حصد سرورا ومن زرع شرا حصد ندامة فصبر يسير فيه غنم كثير فى أيام قليلة تعقب راحة طويلة رضى الله عنها .

الحكاية الخامسة والتسعون بعد المائتين

عن عمرو بن دينار رحمه الله

قال كان رجل من بنى إسرائيل على ساحل البحر فرأى رجلا وهو ينادى بأعلى صوته ألا من رأتى فلا يظلمن أحدا قال فدنا منه وقال يا عبد الله ما خبرك فقال اعلم أنى كنت رجلا شرطيا فجئت يوما إلى هذا الساحل فرأيت صيادا قد صاد سمكة فسألته أن يهبها لى فأبى فسألته أن يبيعها منى فأبى فضربت رأسه بسوطى وأخذت السمكة منه فذهبت بها فى يدي معلقة فبينما أنا ذاهب إلى منزلى قبضت السمكة على إبهامى فرمت أن أخلص إبهامى منها فلم أقدر فجئت إلى عيالى فعاالجوا أن يخلصوا إبهامى منها فلم يقدروا إلا بعد تعب ، وقيل إنما تعلقت بإبهامة عندما قدمت إليه ليأكلها قال فأصبح إبهامى قد ورم ، ثم انتفخ وانتفخت فيه عيون من آثار

السمكة، فذهبت إلى طيب محسن فلما نظر إبهامى قال هذه أكلة بلا شك وإن لم تقطع إبهامك هلكت فقطعته ، فوقع الداء فى كفى فجئت إليه فقال إن لم تقطع كفك هلكت فقطعتها فوقع الداء فى عضدى فلما رأيت ذلك خرجت من منزلى هاربا فبينما أنا أسير فى البلاد وأصيح كالهائم إذ رفعت لى شجرة عظيمة فأويت إلى ظلها فنعست عند أصلها فأتانى آت فى منامى وقال لى كم تقطعت أعضاؤك وترمى بها إربا إربا اردد الحق عند أهله فإنك تنجو قال فانتبهت وعلمت الحق وإن ذلك من قبل الله عز وجل ، فأتيت الصياد فوجدته قد طرح شبكته فانتظرت حتى أخرجها فإذا فيها سمك كثير فقلت يا عبد الله أنا مملوك لك قال ومن أنت يا ابن أخى قلت أنا الشرطى الذى ضربت رأسك بالسوط وأخذت السمكة منك وأريته يدى فلما رآها استعاذ من بلاء الله وسخطه وقال لى أنت فى حل فتناثر الدود من عضده فلما هممت أن أنصرف قال قف ما كان منى هذا عدلا دعوت عليك فى سمكة لا خطر لها فاستجيب لى فأخذ بيدي وذهب بى إلى منزله ، فدعا ابنا له فقال احضر ههنا فى هذه الزاوية فحفر فأخرج منها جرة فيها ثلاثون ألف درهم فأمر ابنه فعد لى منها عشرة آلاف درهم وقال استعن بها على زمانك واجبر بها بعض مصائبك ثم أمره فعد لى عشرة آلاف أخرى وقال اجعلها فى فقراء جيرانك وقرابتك فلما أردت أن أنصرف قلت سألتك بالله أخبرنى كيف دعوت على قال لما ضربت رأسى وأخذت السمكة منى ونظرت إلى السماء وبكيت وقلت يا رب خلقتنى وخلقتة وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا ثم سلطته على فلا أنا منعته من ظلمى ولا أنت جعلتنى قويا أمتنع من ظلمه أسألك بالقدرة التى بها خلقتة وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا أن تجعله عبرة لخلقك رحمهما الله تعالى .

الحكاية السادسة والتسعون بعد المائتين

عن على بن حرب رحمه الله

قال خرجت يوما أنا وبعض شباب الموصل إلى الشط فركبنا فى زورق فلما بعدنا من البلد وتوسطنا الشط إذا بسمكة كبيرة ظهرت من الشط إلى وسط الزورق فقام الشباب ونزلوا إلى حافة الشط ليجمعوا حطبا برسم السمكة فنزلت معهم فبينما نحن نمشى على جانب الشط إذا بالقرب منا خرابة فذهبنا إليها نبصر آثارها وإذا فيها شاب مكتوف وآخر مذبوح إلى جانبه وبغل واقف عليه قماش فقلنا للشباب ما قصتك وما هذا المذبوح فقال إنى كنت مكتريا مع هذا المكارى صاحب هذا البغل

فعدل بى إلى هذا المكان وكتفنى كما ترون ثم قال لا بد من قتلك فعاهدته بالله تعالى لا يظلمنى ولا يربح إثمى ولا يعدمنى روحى بل يأخذ القماش وهو فى حل منه وحلفت له بالله تعالى إنى لا أغمز عليه أحدا وما زلت أناشده الله تعالى وهو لا يفعل فمد يده إلى سكين كانت فى وسطه ليجذبها فتعسر عليه أن تخرج من غلافها فما زال يجذبها حتى خرجت بصعوبة فما أخطأت حلقه فذبحته فهو كما ترون وأنا على حالتى هذه قال فحللنا كتافه وأعطيناه البغل والقماش وراح وعدنا إلى الزورق فلما صعدا قفزت السمكة إلى الشط فذلك أعجب ما رأيت وسمعت فسبحان اللطيف الخبير .

الحكاية السابعة والتسعون بعد المائةين عن أحد الصالحين

قال بينما أنا أطوف بالكعبة إذا بجارية على كتفها طفل صغير وهى تنادى (يا كريم يا كريم عهدك القديم) قال فقلت لها ما هذا العهد الذى بينك وبينه قالت ركبت فى سفينة ومعنا قوم من التجار فعصفت بنا ريح فغرقت السفينة وجميع من فيها ولم ينج أحد منهم غيرى وهذا الطفل فى حجرى على لوح ورجل أسود على لوح آخر فلما أضاء الصبح نظر الأسود إلى وجعل يدفع الماء بيديه حتى لصق بى واستوى معنا على اللوح وجعل يراودنى عن نفسى فقلت يا عبد الله أما تخاف الله تعالى نحن فى بلية لا نرجو الخلاص منها بطاعته فكيف بمعصيته فقال دعى عنى هذا فوالله لا بد لى من الأمر قالت وكان هذا الطفل نائما فى حجرى فقرصته قرصة فاستيقظ وبكى فقلت له يا عبد الله دعنى أنوم هذا ويكون من الأمر ما قدره الله علينا فمد الأسود يده إلى الطفل ورمى به فى البحر فرمقت السماء بطرفى وقلت (يا من يحول بين المرء وقلبه حل بينى وبين هذا الأسود بحولك وقوتك إنك على كل شىء قدير) فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دواب البحر ففتحت فاهها والتقمت الأسود وغاصت به فى البحر وعصمنى الله عنه بحوله وقوته وهو القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى قالت وما زالت الأمواج تدفعنى حتى رمستنى إلى جزيرة من جزائر البحر فقلت فى نفسى أكل من بقلها وأشرب من مائها حتى يأتى الله بأمره فلا فرج لى إلا منه فمكثت أربعة أيام فلما كان فى اليوم الخامس لاحت لى سفينة فى البحر على بعد خطوات فعلوت على تل وأشرت إليهم بثوب كان على فخرج إلى منهم ثلاثة نفر فى زورق فركبت معهم فلما دخلت السفينة الكبرى إذا بالطفل الذى رمى

به الأسود فى البحر عند رجل منهم فلم أتمالك أن أرتيت عليه وقبلت بين عينيه وقلت والله ولدى وقطعة من كبدى فقال لى أهل السفينة مجنونة أنت أم اختل عقلك فقلت والله ما أنا مجنونة ولا اختل عقلى ولكن جرى لى من الأمر ما هو كذا وكذا وذكرت لهم القصة إلى آخرها ، فلما سمعوها منى أترقوا رءوسهم وقالوا يا جارية قد أخبرتنا بأمر تعجبنا منه ونحن أيضا نخبرك بأمر تعجبين منه بينما نحن نحجرى بريح طيبة إذا بدابة قد اعترضتنا ووقفت أمامنا وهذا الطفل على ظهرها وإذا مناد ينادى إن لم تأخذوا هذا الطفل من ظهرها وإلا هلكتم فصعد واحد منا على ظهرها وأخذ الطفل فلما دخل به فى السفينة غاصت الدابة فى البحر وقد تعجبنا من هذا وما أخبرتنا به وقد عاهدنا الله تعالى ألا يرانا على معصية بعد هذا اليوم قالت فتابوا عن آخرهم فسبحان الله اللطيف الخبير جميل العوائد سبحانه مدرك الملهوف عند الشدائد وفى هذا المعنى أقول :

عند الشدائد للملهوف ذى الحرج
فى قعر بحر وجوف الحوت فى اللجج
على جميل يدى معروفك البهج
وكم بغوثك بعد البؤس مبتهج
والشر لسنا نراه غير منفرج
هديتنا دين حق غير ذى عوج
بدر الدجى مع نجوم بعده سرج

يا مدركا بسريع اللطف والفرج
كلمحة الطرف بل أذنى تغيث ولو
عوائد منك يا رحمن جارية
عودتناها وكم عودت من نعم
فالخير منك نراه غير منقطع
لك المحامد يا محمود أجمعها
بأحمد المجتبى صلى الإله على

الحكاية الثامنة والتسعون بعد المائتين

روى أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ومن المدينة إلى بلاد الشام ولا يصحب القوافل توكلأ على الله عز وجل فبينما هو قد جاء من الشام يريد المدينة إذ عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر فوقف له التاجر وقال شأنك بمالى وخل سبيلى فقال له اللص المالى وإنما أريد نفسك فقال له التاجر ما تريد بنفسى شأنك المالى وخل سبيلى فرد عليه اللص مثل المقال الأول فقال له التاجر أنظرنى حتى أتوضأ وأصلى وأدعوربى عز وجل قال افعل ما بدالك قال فقام التاجر وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم رفع يديه إلى السماء :

فكان من دعائه أن قال يا ودود يا ودود إذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثنى ثلاث مرات .

فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب وعليه ثياب خضر ويده حربة من نور فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومر نحو الفارس فلما دنا منه شد الفارس على اللص فطعنه طعنة أرداه عن فرسه ثم جاء إلى التاجر فقال له قم فاقتله ، فقال له التاجر من أنت فما قتلت أحدا قط ولا تطيب نفسى بقتله قال فرجع الفارس إلى اللص فقتله ثم رجع إلى التاجر وقال اعلم أنى ملك من ملائكة السماء الثالثة حين دعوت المرة الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقة فقلنا أمر حدث ثم دعوت الثانية ، ففتحت أبواب السماء ولها شرر عظيم كشرر النار ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام وعلى سائر الملائكة الكرام وهو ينادى من لهذا المكروب فدعوت ربي أن يولبنى قتله ، واعلم يا عبد الله أن من دعا بدعائك هذا فى كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرج الله عنه وأغاثة قال فجاء التاجر غائما سالما حتى دخل المدينة وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد لقتك الله أسماء الحسنى التى إذا دُعى بها أجاب وإذا سئل بها أعطى قلت هذا الحديث ذكره جماعة من الأئمة العلماء فى تصانيفهم رضى الله عنهم .

الحكاية التاسعة والتسعون بعد المائتين

روى أنه كان فى الكوفة رجل مكارى تتق به التجار ويأمنونه على أموالهم فسافر وحده فى وقت فلما خرج من العمران لقيه فى الطريق رجل فقال له أين تريد فقال المكارى أريد بلد كذا وكذا فقال له الرجل لولا قلة قدرتى على المشى لكنت رفيقك إليها لكن إن شئت أعطيتك دينارا على أن تحملنى إليها على دابتك فقال له المكارى أفعل فأخرج له دينارا فأخذه وحمله على دابته فلما صار فى بعض الطريق عرض لهما طريقان فقال الراكب لصاحب الدابة أى الطريق تأخذ قال ألزم الجادة فقال له الراكب أليس هذا الطريق أقصد وأخصب لدابتك قال صاحب الدابة ما سلكته قط قال له أنا سلكته مرارا كثيرة قال فسر حيث شئت فسارا ساعة من النهار حتى دقت تلك الطريق ورمتهم إلى واد موحش فيه جيف القتلى كثيرة فقال صاحب الدابة أرى

هذا الطريق قد انقطع فنزل الرجل عن الدابة وأخرج سكيناً وقصد المكارى ليقتله فقال له لا تفعل ودونك البغل وما عليه قال لا والله لا آخذ البغل حتى أقتلك فقال له سألتك بالله العظيم إلا ما تركتني وأخذت البغل بما عليه فقال لا بد من قتلك إلا أن يسبقني ملك الموت قال فدعني أختم عملي بركعتين ولا تعجل علي ، فضحك من كلامه وقال قم فافعل فإنه فعل مثل ذلك كل من ترى من الجيف في هذا الوادي فما نفعتهم صلاتهم ولا خلصتهم مني فعجل صلاتك فقام يصلي فكبر ثم قرأ فاتحة الكتاب ثم تلجج ولم يدر ما يقول فنهزه وقال عجل لا أم لك فألهمه الله أن يقول ﴿أَمِنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(١) فرفع صوته وهو يبكي فإذا بفارس قد خرج من بطن الوادي ويده رمح وفي رأسه سنان كأنه كوكب مضى فجاء وقصد الرجل أسرع من اللحظة فطعنه طعنة من ورائه خر بها على وجهه ثم التهبت في مكانه الذي وقع فيه النار فلما رأى ذلك صاحب الدابة خر ساجدا لله تعالى ما شاء الله ثم رفع رأسه ومضى إلى الفارس وقال له سألتك بالله الذي رحمني بك في هذا المكان من أنت فقال الفارس أنا عبد ﴿أَمِنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ اذهب حيث شئت فلا بأس عليك وأنشد بعضهم :

وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
ومن عليه لكشف الضر أعتمد
مالي على حملها صبر ولا جلد
إليك يا خير من مدت إليه يد
فبحر جودك يروى كل من يرد
محمد المصطفى مأمثله أحد

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقلت يا أملى في كل نائبة
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها
وقد مددت يدي بالذل مبتهلاً
فلا تردنها يا رب خائبة
ثم الصلاة على المختار من مضر

الحكاية الثلاثمائة

روى أنه كان شاب من بني إسرائيل لم ير في زمانه أحسن منه وكان يبيع القفاف ، فبينما هو ذات يوم يطوف بقفاهه إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل فلما رآته رجعت مبادرة ، فقالت لابنة الملك إنى رأيت شابا بالبواب يبيع القفاف لم أر شاباً قط أحسن منه فقالت لها أدخله فخرجت إليه وقالت يا فتى ادخل نشتر منك فدخل فأغلقت الباب دونه ثم دخل باباً آخر فكدلك حتى أغلقت ثلاثة أبواب ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها فقال اشتروا حاجتكم فقالت

(١) سورة النمل : الآية ٦٢ .

إنما لم ندعك لهذا إنما دعوناك لكذا وكذا يعني تراوده عن نفسه فقال لها اتقى الله قالت إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت على تراودني عن نفسي فروعها فأبت فقال ضعوا لى وضوءاً فقلت أعلى تتعلل يا جارية ضعى له وضوءاً فوق الجوسق مكانا لا يستطيع أن يفر منه قال وكان من فوق الجوسق إلى الأرض أربعون ذراعاً فلما صار فى أعلى الجوسق قال اللهم إنى دعيت إلى معصيتك وإنى أختار أن أرمى بنفسى من أعلى الجوسق فأهبط الله تعالى إليه ملكاً من الملائكة فأخذ بضبعيه فوقع قائماً على رجله فلما صار فى الأرض قال اللهم إن شئت رزقتنى رزقا تغيننى به عن بيع هذه القفاف فأرسل الله تعالى إليه جراباً من ذهب فأخذ منه حتى ملاً ثوبه قال اللهم إن كان هذا رزقا رزقتنيه فى الدنيا فبارك لى فيه وإن كان ينقصنى مما لى عندك فى الآخرة فلا حاجة لى فيه قال فنودى إن هذا الذى أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءاً من أجر صبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوسق فقال اللهم لا حاجة لى فيما ينقصنى مما لى عندك فى الآخرة فرجع ذلك عنه .

وقيل للشيطان لعنة الله تعالى هلا أغويته يعنى بارتكاب الفاحشة فقال كيف أقدر أن أغوى من بذل نفسه لله عز وجل رضى الله عنه ونفعنا به آمين ولله در القائل :

وسائل عنهم ماذا تقدمهم فقلت فضل به عن غيرهم بانوا
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتدلوا منهن فى طرف العلياء ما صانوا

الحكاية الأولى بعد الثلاثمائة

حكى أن بعض الأخيار الأمناء استودعه بعض الملوك جوهرة نفيسة فوضعها ذلك الأمين فى موضع فى بيته فظفر بها ابن له صغير فضربها بحجر فانكسرت أربع فلق فدخل على ذلك الرجل من الغم والخوف من الملك ما لا يطيق فعزم على الهرب فلقى شخص فقال له أراك محزوناً فذكر له قصته وما أصابه من الضيق والخوف فعلمه هذه الأبيات الأربعة :

وكم لله من لطف خفى يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر وفرج كربة للقلب الشجى
وكم أمر تساء به صباحاً وتأتىك المسرة بالعشى
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الفرد العلى
وقال له قلها وكررها فالفرج يأتىك من الله تبارك وتعالى ، ففعل ما أمره به

فبينما هو كذلك إذا برسول الملك قد جاء وقال له إن سرية الملك حدث فيها وجع ، وقال الحكماء تكسر جوهرة أربع فلق وتطرح فى ماء وتشربه ، والمملك يقول لك انظر لنا صائغا عارفا يكسر لنا الجوهرة التى عندك أربع فلق لا تزيد ولا تنقص وأكد عليه فى ذلك فقال السمع والطاعة ، وانفرج عنه الكرب والغم وذهب عنه الخوف والههم وحمد الله وشكره على ما أولاه فى ذلك من النعم باللطف الخفى والكرم ثم حمل تلك الفلق الأربع إلى المملك فرأى المملك له صنيعا فى ذلك ، وإحسانا فأنعم عليه وأحسن إليه فعاد بالجائزة مسرورا آمنا مما كان محذورا فسبحان اللطيف الكريم الرحمن الرحيم الذى يكشف الأحزان والشورور ويخلفها بالإحسان والسورور سبحانه ما أقرب فرجه من المضطرين ورحمته من المحسنين تبارك الله رب العالمين .

الحكاية الثانية بعد الثلاثائة

حكى ان بعض الملوك غضب على بعض الفقراء فبنى له قبة وجعله فيها وسد بابها ولا يترك لها منفذا ومنعه من الطعام والشراب فلما كان بعد ثلاثة أيام وجد ذلك الفقير خارجا فى عافية طيبا مسرورا فأخبر المملك بذلك فقال هاتوه فلما حضر بين يديه قال له المملك بالذى نجاك من هذه الشدة وفرج عنك هذه الكربة وأنقذك مما كنت فيه قل لى سبب خلاصك .

فقال له الفقير دعاء دعوت به قال وما هو ؟

قال قلت اللهم إنى أسألك يا لطيف يا من وسع لطفه أهل السموات والأرضين أسألك اللهم أن تلطف بى من خفى خفى لطفك الخفى الخفى الخفى الذى إذا لطفت به لأحد من عبادك كفى فإنك قلت وقولك الحق الميين الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز رضى الله عنه .

الحكاية الثالثة بعد الثلاثائة عن سرى السقطى

رضى الله عنه

قال كان يسكن فى جوارى رجل من أهل القرآن صالح ورع وكان فقيرا ذا عيلة فاشتدت به الفاقة والضيقة فى بعض أيامه فوقع فى نفسه أن يكتب حاله فى ورقة ويرفعها إلى الله عز وجل فكتبها فلما أدركه الليل انتصب فى محرابه يصلى ويدعو ويشير بالورقة إلى السماء فلم يزل كذلك أكثر ليله فمسه السهر وأعياه القيام فجلس يصلى قاعدا إلى أن بقى من الليل قليل فغلب عليه النوم فرأى فى منامه رجلا حسن الوجه يقول له يا أبا البشرما هذه الغفلة التى لحقتك ، ترفع إلى ربك عز وجل

سوادا فى بياض قال فكيف أصنع قال إذا أردت ذلك فاستمد بيد الشكر من بحر الذكر بقلم الصبر واكتب على قلبك بياض الفكر على أرباب الطلب قال قلت فماذا أكتب؟ قال قل يا من أفضله أفضل من أفضل المفضلين وإنعامه أنعم من إنعام المنعمين يا من عجز عن شكره شكر الشاكرين قد جرت غيرك من المأمولين بغيرى من السائلين فإذا كل قاصد إلى غيرك مردود وكل طريق إلى سواك مسدود وكل خير عندك موجود وعند سواك معدوم ومفقود، قال فقلت يا سيدى ما أحسن هذا قال فإن بقى فى بياض بصيرتك وصرح عزيمتك من بقية فاكتب يا من إليه توسلت وعليه فى السراء والضراء عولت حاجاتى مصروفة إليك وآمالى موقوفة لديك كل ما وفقتنى له من خير أعمله وأطيعه فأنت دليلى عليه وطريقه قال فقلت يا سيدى وهذا أحسن قال فإن بقى فى بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية فاكتب يا قديرا لا تتوده المطالب ويا ملكا يرغب إليه كل راغب ما زلت مصحوبا منك بالنعمة جاريا على عادات الإحسان والكرم يا من بكرمه يبلغ الكرم ومن حمده يزيد النعم ، قال فقلت يا سيدى وهذا أحسن قال فإن بقى فى بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية ، فاكتب يا من جعل الصبر عونا على بلائه وجعل الشكر مادا لنعمائه أسألك صبورا جميلا على المحن وتوفيقا للشكر على المنزلة فقد عظمت محتتك عن صبرى وجلت نعمتك عن شكرى فتفضل على إقرارى بعفو أنت أوسع له وأقدر عليه فإن لم يكن لذنبى عذر تقبله فاجعله ذنبا يغفر ثم قال يا أبا البشر قم فى مقام التبتل وقف موقف التنصل متعرضا للتفضل بخشوع التذلل وللقبول بلسان التوسل إلى العزيز المتفضل قال قلت يا سيدى ما أحسن هذا قال هو من دعاء خاصة الملك أفهمت قلت نعم إن شاء الله ثم مسح بيده على بطنى وصدرى فاتبتهت وأنا ذاكر لما خاطبني به وما ذهب عني منه حرف .

قال السرى حدثنا أبو البشر عند صلاة الفجر بهذا الحديث فاستحسنه وكتبناه رضى الله عنه .

الحكاية الرابعة بعد الثلاثمائة عن أحد أهل العراق

قال كنت أقرأ عند أبى بكر بن مجاهد المقرئ رضى الله عنه فدخل عليه شيخ عليه ثياب رثة فسأله أبو بكر عن حال أولاده ، فقال يا أبا بكر جاءتنى البارحة ابنة ثالثة وطلب منى أهلى دانقا يشترى به سمنا وعسلا يحكونها به فلم أقدر عليه فبت مهموما مغموما محزونا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا فلان لا تغتم ولا تحزن إذا كان غد ادخل على بن عيسى وزير الخليفة فأقرته منى السلام

وقل له بعلامة أنك صليت على عند قبرى أربعة آلاف مرة يدفع لك مائة دينار عينا قال الراوى فقال لى أبو بكر يا عبد الله فى هذا فائدة وقطع على القراءة وأخذ بيد الشيخ ودخل به على الوزير فرأى الوزير مع ابن مجاهد شيخا لم يعرفه فقال له من أين هذا يا أبا بكر فقال يذنيه للوزير ويسمع كلامه قال فأدناه وقال ما خطبك أيها الشيخ فقال إن أبا بكر يعلم أن لى ابنتين وجاءتنى ابنة الثالثة البارحة فطلب منى أهلى دانقا يشترى به سمنا وعسلا يحنكونها به فلم أقدر عليه فبت مهموما فرأيت النبى ﷺ فى المنام وهو يقول لى كذا وكذا وذكر ما تقدم قال فاغرورقت عينا على بن عيسى بالدموع وقال صدق الله ورسوله وصدقت أنت رجل صالح هذا شىء ما كان يعلم به إلا الله ورسوله يا غلام هات الكيس فأحضره بين يديه فأخرج منه ثلثمائة دينار وقال هذه المائة التى قال لك رسول الله ﷺ وهذه مائة أخرى بشارة وهذه مائة أخرى هدية لك فخرج الرجل ومعه ثلثمائة دينار وقد زال عنه همه وغمه وحزنه .

قلت وكما حصل لهذا الرجل من الخير برحمة الله تعالى وبركة رسول الله ﷺ حصل ذلك الخير لوزير الخليفة على بن عيسى المذكور إذ ترك الوزارة وعلو الرياسة وظلم السلطنة وعظمة الجبابرة وذهب إلى مكة وجاور بها فما ذكره رسول الله ﷺ وخصه بذلك إلا لما علم الله ورسوله ما يثول إليه أمره من الخير وذلك أنه روى أن على بن عيسى ركب فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امرأة قائمة على الطريق إلى كم تقولون من هذا من هذا، هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون فسمع على بن عيسى ذلك فرجع إلى منزله فاستعفى عن الوزارة وذهب إلى مكة وجاور بها رحمه الله .

الحكاية الخامسة بعد الثلثمائة عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى

رضى الله عنه

قال رأيت النبى ﷺ فى ليلة القدر وكانت ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ليلة جمعة قال لى يا على طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس .
قال فقلت أى رسول الله وما ثيابى قال اعلم أن الله قد خلع عليك خمس خلع خلعة المحبة وخلعة المعرفة وخلعة التوحيد وخلعة الإيمان وخلعة الإسلام فمن

أحب الله هان عليه كل شيء ومن عرف الله صغر في عينيه كل شيء ، ومن وحد الله لم يشرك به شيئا ومن آمن بالله من كل شيء ومن أسلم لله لم يعصه وإن عصاه اعتذر إليه وإن اعتذر إليه قبل عذره قال ففهمت عند ذلك تفسير قوله تعالى : ﴿وَيُثَابِكُمْ فَطَهَّرَكُمْ﴾ (١) انتهى كلامه .

قلت إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله هان عليه كل شيء لأن المحب يذل نفسه لمحبوبه فكلما أصابه من تعب وشدة هان عليه في رضا محبوبه ولأنه لا يرى في الوجود إلا فعل المحبوب ذى الفضل والكرم والجود ، وكل ما يفعل المحبوب محبوب .

وإنما قال ﷺ ومن عرف الله صغر في عينيه كل شيء لأن العارف بالله شهد من جلال الله وعظمته وكبريائه وقدرته ما صغر في عينيه سواه من جميع بريته ومع هذا يعظم ويكرم ويشرف ويحترم من اصطفاه الله وعظمه وشرفه وكرمه من الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام وسائر المصطفين من الأنام تعظيما لائقا بمخلوق مخصوص بالاصطفاء والمحبة ليس بينه وبين تعظيم الخالق نسبة وإنما قال ﷺ ومن وحد الله لم يشرك به شيئا لأن التوحيد ينافيه الشرك والمراد بهذا الشرك الشرك الخفى الذى يعرفه العارفون بالله تعالى ويحترزون منه لئلا يقدح فى توحيدهم الحقيقى الخاص وأما الشرك الجلى فيعرفه أهل التوحيد الخاص والعام ويقدح فى التوحيدين معا ومما يقدح فى التوحيد الخاص دون العام محبة غير الله تعالى لغير الله كمحجوبات النفس وشهواتها المباحات إذا لم يقصد بها الاستعانة على طاعة الله تعالى ما محبة غير الله تعالى لسه عز وجل فلا يقدح فى التوحيدين معا وللنفس أغراض وحظوظ دقيقة خفية فى بعض الأعمال لا يفتن لها ولا يحترز منها إلا الرجال أهل المقامات والأحوال هى عندهم من الشرك الخفى من ذلك ما قال بعضهم من عبد الله طمعا فى جنته أو خوفا من ناره فقد أشرك به ، ولكن يعبده لكونه أهلا لأن يعبد ولو لم يخلق جنة ولا نارا تبارك وتعالى كذلك حب المنزلة عند الخلق وخوف الخلق واعتقاد نفعهم وضرهم والرجوع فى الشدائد إليهم ، وغير ذلك مما يطول فيه الكلام وقد تكون حظوظ النفس المذكورة مع كونها مباحة مندوبا إليها فى ظاهر الشرع إذا استعملها العارفون بغير نية صالحة نزلوا عن مقامهم العالى بسببها .

(١) سورة المدثر : الآية ٤ .

كما روينا عن الشيخ أبي الغيث رضى الله عنه أنه رآه بعض الفقراء فى المنام فوق جبل عال ثم رآه بعد ذلك أسفل الجبل فسأله عن ذلك فقال له الشيخ اصبر حتى ترى رؤيا ثالثة وتعال أعبر لك الجميع فمكث سنة ثم رأى الشيخ برأس الجبل فى مكانه الأول فأخبر الشيخ بذلك فقال الشيخ نعم كان لى منزلة عند الله تعالى ومقام فدنوت ذات ليلة إلى أم الفقراء يعنى زوجته فقبلتها قبله بشهوة نفس لم يكن لله تعالى فيها نية منى فنزلت عن ذلك المقام كما رأيت ثم لم أزل أكد وأجتهد سنة حتى رجعت إلى مقامى كما رأيت رضى الله عنه وعن سائر الأولياء ونفعنا بهم .

وإنما قال ﷺ ومن آمن بالله من من كل شىء يعنى من آمن بالله بالإيمان الكامل لأن من حصل له الإيمان الكامل حصل له التوكل الكامل ، واستولى على قلبه خوف الله تعالى وهيبته وجلاله وعظمته وكبرياؤه وقدرته وقهره وسطوته فلم ير فى الوجود معطيا ولا مانعا ولا ضارا ولا نافعا ولا خافضا ولا رافعا ولا مفرقا ولا جامعا إلا الله الواحد الرب الماجد ذا الأسماء الحسنى والصفات العلا سبحانه وتعالى فلم يخف سواه ولم يرج إلا إياه إذ كل الوجود فى قبضته لا يتحرك متحرك إلا بإرادته وكل خير وشر ونفع وضرر بقضاء وقدر فالحرركات والسكنات والإرادات والخطوات مع جميع المخلوقات فى جميع الأمكنة والأوقات بقضاء رب الأرض والسماوات علم ذلك علماء الظاهر بقواطع الأدلة المعقولات والمنقولات وعلمه علماء الباطن بقواطع الأدلة اليقينية الحاصلة بالمكاشفات والمشاهدات فلما شاهدوا الكل منه لم يخافوا سواه ولم يرجوا إلا إياه وإنما قال ﷺ من أسلم لله لم يعصه وإن عصاه اعتذر إليه وإن اعتذر إليه قبل عذره لأن من أسلم إسلاما صحيحا حقيقيا فقد استسلم لله وسلم نفسه له وانقاد لطاعته فلا يعصيه لأن العصيان ينافى الانقياد والإذعان فإن أزله الشيطان فى معصية سبق بها القدر تاب إلى المولى وتاب عليه برحمته وكرمه وجاد عليه بالمغفرة اللهم يا ذا الجود والفضل العظيم يا معروفا بالمعروف والإحسان القديم صل وسلم أفضل الصلاة والتسليم على رسولك سيدنا محمد النبى الكريم واجعلنا متصفين بالأفعال كما جعلتنا واصفين بالأقوال ووفقنا لمحاسن الآداب وصالح الأعمال ، وجد علينا بالمغفرة الشاملة والتوبة الكاملة والعطية السنية الفاضلة فإنك أنت التواب الرحيم ذو الجلال والإكرام والفضل الواسع العميم برحمتك يا أرحم الراحمين .

الحكاية السادسة بعد الثلاثمائة عن أبي الحسن الشاذلي أيضا رضى الله عنه

قال وقع لى تردد فى بدايتى بين الانقطاع إلى الله فى البرارى والقفار وبين الرجوع إلى العمران والديار وصحبة العلماء والأخيار فوصف لى ولى من أولياء الله تعالى فى رأس جبل فقصدته فوصلت إليه بعد ما أمسيت فقلت ما أدخل عليه فى هذه الليلة إلى الصبح فبت على باب المغارة فسمعتة يقول من داخل المغارة ، اللهم إن أناسا من عبادك سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرتهم لهم فرضوا منك بذلك ، وأنا أسألك أن تعوج على خلقك حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك يا رب العالمين فقلت يا نفس اسمعى من أى بحر يغترف هذا الشيخ فلما أصبحت دخلت عليه فسلمت عليه وملئت منه رعبا وقلت له يا سيدى كيف حالك فقال أشكو إلى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقلت له يا سيدى أما حر التدبير والاختيار فأنا أعرفه وأنا فيه الآن فما برد الرضا والتسليم ولم تشكو ذلك؟ فقال أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عنه فقلت له يا سيدى سمعتك تقول اللهم إن أناسا من عبادك سألوك وذكرت ما تقدم فتبسم وقال يا بنى عوض ما تقول سخر لى قل كنى لى أترى من كان له يحتاج إلى شىء آخر فما هذه الجناية؟ رضى الله عنه .

قال المؤلف كان الله له وقد سمعت بعض المشايخ الأجلة الملاح الجامعين بين العلم والصلاح إذا سأل منه إنسان الدعاء يقول له كان الله لك وهذه الكلمة لعمرى وإن صغر لفظها فقد كبر قدرها إذ هى مع وجازتها جامعة لكل المطلوبات فإن من كان الله له أعطاه المحبوبات وكفاه المرهوبات ولكن من كان لله كان الله له كما أن من آثر الله آثره الله ومن رضى عن الله رضى الله عنه وكذلك سائر الصفات المحمودات التى لا يقدر على الانتصاف بها إلا من اصطفاه الله لحضرة قدسه وصفاه من كدورات نفسه ونحن نستغفر الله من أقوال بلا أفعال ونسأله التوفيق وصلاح الحال وحسن الخاتمة فى المآل إنه المنان الجواد المفضل .

الحكاية السابعة بعد الثلاثمائة عن أحدهم

قال كنت أنا والشيخ نصر الخرائطى ليلة فى موضع فتذاكرنا شيئا من العلم فقال الخرائطى الذاكر لله سبحانه فائدته فى أول ذكره أن يعلم أن الله تعالى ذكره فبذكر الله له ذكر الله قال فخالفته فى ذلك فقال لو كان الخضر عليه السلام ههنا لشهد بصحة هذا فلما تلفظ بهذا اللفظ إذا نحن بشخص يجىء بين السماء والأرض حتى

وصل إلينا وقال صدق الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله سبحانه له ذكره قال فعلمنا أنه الخضر عليه السلام.

(قلت) وذكر السلام على الخضر مما اختلف فيه وكذلك سائر الذين اختلف في نبوتهم فبعض العلماء قال يجوز السلام عليهم وبعضهم قال لا يجوز ذلك ، بل هو مخصوص بالأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام ، وأما غيرهم فيقتصر فيهم على الترضى والقائل الأول كأنه يقول المختلف في نبوتهم وإن نزلوا عن درجة الأنبياء فقد ارتفعوا عن درجة غيرهم فلهم منزلة بين منزلتين فكذلك لهم دعاء بين دعاءين أعنى بدعاء الأنبياء والملائكة بالصلاة والصحابة وسائر الأولياء والعلماء بالترضى ولهؤلاء المذكورين بما بينهما وهو السلام وهذا القول لا بأس به إن شاء الله بل هو حسن وإن كان قول الأكثرين على خلافه والخلاف في مذهب الشافعي رضى الله عنه في هذا معروف عند من يعرف المذهب والله أعلم.

الحكاية الثامنة بعد الثلاثمائة عن الشيخ أحمد بن عطاء

رضى الله عنه

قال كلمنى جمل فى مسيرى إلى مكة وذلك أنى رأيت الجمال المحملة عليها المحامل والأثقال وقد مدت أعناقها إلى السماء فقلت سبحان من يحمل عنها ما هى فيه فالتفت إلى جمل منها وقال قل جل الله فقلت جل الله .
وقال الشبلبى رضى الله عنه اعتقدت وقتا أنى لا أكل إلا من الحلال فكنت أدور فى البرارى فرأيت شجرة تين فمددت يدى إليها لآكل فنادتنى الشجرة احفظ عليك عقدك لا تأكل منى فإنى ليهودى .

الحكاية التاسعة بعد الثلاثمائة عن أحد السلف

رضى الله عنه

قال غاب ابنى محمد فوجدنا عليه وجدا شديدا فأتيت معروفا الكرخى رضى الله عنه فقلت له يا أبا محفوظ إنه قد غاب عنى ابنى وأمه واجدة عليه فقال ما تشاء فقلت ادع الله أن يرده ، فقال اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك ، ائت بمحمد قال أبوه فأتيت باب الشام فإذا هو واقف فقلت يا محمد فقال يا أبت كنت الساعة بالأنبار .

قلت كان معروف رضى الله عنه معروفا بإجابته الدعوة وقد ذكر أن الدعاء مستجاب عند قبره وأهل بغداد يسمونه الترياق المجرب رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية العاشرة بعد الثلاثمائة

روى ن امره جاءت إلى بعض المشايخ وقالت إن ابني قد أسره أهل الروم ولا أقدر على مال أكثر من دويرة ولا أقدر على بيعها فلو أشرت إلى من يفديه بشيء فإنه ليس لي ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار ، فقال نعم انصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء الله وأطرق الشيخ ساعة إلى الأرض وحرك شفثيه حتى جاءت المرأة بعد مدة ومعها ابنها وأخذت تدعو للشيخ وتقول قد رجعت سالما وله حديث عجيب يحدثك به فقال الشاب كنت بين يدي ملك الروم مع جماعة من الأسرى وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم يخرجنا إلى الصحراء للخدمة ثم يردنا وعلينا قيودنا فبينما نحن راجعون من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذي كان يحفظنا انفتح القيد من رجلى ووقع على الأرض ووصف اليوم والساعة فوافق الوقت الذي جاءت فيه المرأة إلى الشيخ ودعا فيه لها قال فنهض إلى الذي كان يحفظني وصاح على وقال كسرت القيد فقلت لا بل سقط من رجلى فتحير وأخبر صاحبه وأحضر الحداد وقيدونى فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلى ثانيا فتحيروا فى أمرى فدعوا رهبانهم فقالوا لى ألك والدة قلت نعم فقالوا وافق دعاؤها الإجابة وقالوا أطلقك الله فلا يمكننا تقييدك فردونى وأصبحونى إلى ناحية المسلمين .

الحكاية الحادية عشرة بعد الثلاثمائة

حكى أنه كان فى طبرستان أمير ظالم يفتض الأبقار سفاحا فلما كان فى بعض الأيام جاءت عجوز باكية إلى الشيخ أبى سعيد القصاب فقالت له يا شيخ أغثنى فلى بنت عاتق جميلة وقد أرسل إلى هذا الظالم ، لأصلح حالها ليأتى منزلى ويفتضها وقد جئتك عسى أن تدعو دعوة تكف شره عنا فأطرق الشيخ ثم رفع رأسه وقال يا عجوز إن الأحياء لم يبق فيهم من يستجاب له دعوة فاذهبى إلى مقابر المسلمين فإنك ستجدين هناك من يقضى حاجتك فذهبت إلى مقابر المسلمين فلقبها شاب حسن الصورة جميل الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد عليها السلام وقال لها ما حالك فأخبرته بما جرى فقال ارجعى إلى الشيخ أبى سعيد فقولى له يدعوك فإنه يستجاب له فقالت الأحياء يدلوننى على الأموات والموتى يدلوننى على الأحياء وليس أحد يغيثنى فإلى من أذهب فقال انصرفى إليه وقد قضيت حاجتك بدعائه فرجعت إليه فأخبرته بالحال فأطرق مفكرا حتى عرق فصاح صيحة وسقط على وجهه وإذا الصوت قد وقع فى المدينة أن الأمير قد ركب يتوجه إلى دار العجوز لافتضااض ابنتها فانكبت

به فرسه فعثر واندقت عنقه وفرج الله عنها وعن الناس بدعوة الشيخ فلما أفاق الشيخ أبو سعيد قيل له لماذا أحلتها على المقابر ولم تقض حاجتها في أول مرة فقال كرهت أن يسفك دمه بدعوتي فأحلتها على أخی الخضر عليه السلام فردها إلى يعرفني جواز الدعاء عليه وأنشدوا :

أما والله إن الظلم شـمـؤم وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

الحكاية الثانية عشرة بعد الثلاثمائة

قال المؤلف كان الله له أخبرني بعض الأخيار في بعض البلدان قال حبس المطر عنا وقل الماء وتعب الناس فخرج إنسان منا يشتري ماء فاشتره غاليا فلقى فقيرا لا يعرفه فقال للفقير أما تنظر هذا الحال الذي نحن فيه فادع الله لنا قال فقال الفقير وبأى شيء أدعو لكم قال قلت بالغيث قال فاحمر وجهه وسكت ساعة ثم صاح صيحة عظيمة ثم خلاني وذهب فما بلغت منزلي ولا أفرغت الماء الذي اشتريته إلا وقد جاء المطر وجرى السيل رضى الله عنه ونفعنا به .

قلت وقد تقدم الكلام في مقدمة الكتاب أن كرامات الأولياء من هذه الأمة من آثار معجزات النبي ﷺ ومن تتماتها وهي لعمرى عيون تجرى في سائر الأقطار من بحره الزاخر التيار وفي هذه الوجاهة في استسقاء الغمام الساكب قال فيه ﷺ عمه أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ﷺ وشرف وكرم وعظم

الحكاية الثالثة عشرة بعد الثلاثمائة عن أحدهم

قال كنا نمشي مع الشيخ أبي سعيد الخراز رضى الله عنه على ساحل بحر صيدا فرأى أبو سعيد شخصا من بعيد فقال اجلسوا لا يخلو هذا من أن يكون وليا من أولياء الله تعالى قال فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه ويده ركوة ومعه محبرة وعليه مرقعة فالتفت إليه أبو سعيد منكرا عليه لحمله المحبرة مع الركوة فقال له يا فتى كيف الطريق إلى الله عز وجل .

فقال يا أبا سعيد أعرف إلى الله طريقين خصوصا وطريقا عاما ، فأما الطريق العام فالذى أنت عليه وأصحابك ، وأما الطريق الخاص فهلم ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا فبقى أبو سعيد حيران ممرأى من كرامة الله عز وجل للشباب رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين .

الحكاية الرابعة عشرة بعد الثلاثمائة عن أحد المشايخ

قال مررت يوما على شاطئ الفرات فعرضت لنفسي شهوة السمك الطرى فإذا الماء قذف بسمكة نحوى وإذا رجل يعدو ويقول أشويها لك ، فقلت نعم فشواها ففعدت وأكلتها .

وقال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه جئت مسجد الشونيزية فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون فى الآيات يعنى فى الكرامات فقال فقير منهم أعرف رجلا لو قال لهذه الأسطوانة كونى ذهباً نصفك وفضة نصفك كانت قال الجنيد فنظرت فإذا الأسطوانة نصفها فضة ونصفها ذهب .

وقال بعضهم كنت عند ذى النون المصرى رضى الله عنه فتذاكرنا طاعة الأشياء للأولياء فقال ذو النون من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا البيت ثم يرجع إلى مكانه فيفعل قال فسار السرير فى أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه ، وهناك شاب قاعد فأخذ يبكى حتى مات فى الوقت رضى الله عنه .

وكان الفضيل بن عياض رضى الله عنه على جبل من جبال منى فقال لو أن وليا من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يمد لما د فتتحرك الجبل فقال اسكن فلم أردك بهذا إنما ضربت مثلا فسكن ، رضى الله عنه .

الحكاية الخامسة عشرة بعد الثلاثمائة

عن أبى عمرو الزجاجى رحمه الله قال دخلت على الجنيد رضى الله عنه وكنت أريد الحج فأعطانى درهما صحيحا فشددته على متزرى فلم أدخل منزلا إلا وجدت فيه رفقا ولم أحتج إلى الدرهم فلما حججت ورجعت دخلت على الجنيد فمد يده وقال هات فناولته الدرهم فقال كيف كان الختم فقلت كان الختم نافذا .

وقال أبو نصر السراج رحمه الله دخلنا تستر فرأينا فى قصر سهل بن عبد الله رضى الله عنه بيتا كان الناس يسمونه بيت السباع فسألنا الناس عن ذلك فقالوا كانت السباع تجيء إلى سهل وكان يدخلها هذا البيت ويضيفها ويطعمها اللحم قال أبو نصر ورأيت أهل تستر كلهم متفقين على هذا لا ينكرونه وهم الجمل الغفير .

وروى أن أكثر أهل الرحبة ينكرون كرامات الأولياء فركب الشيخ جابر الرحبي رضى الله عنه أسدا يوما ودخل الرحبة وقال أين الذين يكذبون أولياء الله تعالى قال فكفوا بعد ذلك .

قلت وروى أنه خرج الشيخ أبو الغيث اليمنى رضى الله عنه فى بدايته يوما يحتطب فجاء الأسد فافترس حماره فقال أكلت حمارى فعلى أى شىء أحمل حطبي وعزة المعبود ما أحمله إلا على ظهره فحمل الحطب على ظهره وساقه إلى باب البلد ثم حط الحطب عنه وقال له اذهب .

الحكاية السادسة عشرة بعد الثلاثمائة

قال المؤلف كان الله له

من المشهور أن الفقراء قالوا يوما للشيخ أبى الغيث رضى الله عنه نشتهى اللحم فقال اصبروا إلى اليوم الفلانى وكان يوم سوق تأتيه القوافل فلما جاء ذلك اليوم جاء الخبر أن قطاع الطريق أخذوا القافلة ثم جاء بعض القطاع الحرامية بحب وجاء آخر بثور فقال الشيخ للفقراء تصرفوا فيه فتصرفوا وأحضروا العيش فتنحى الفقهاء فدعاهم الفقراء للأكل فامتنعوا فقال الشيخ للفقراء كلوا فإن الفقهاء ما يأكلون الحرام فلما فرغوا من الأكل جاء إنسان إلى الشيخ وقال يا سيدى إنى نذرت للفقراء كذا وكذا من الحب فأخذه الحرامية وجاء آخر إليه وقال نذرت للفقراء ثورا فنهب فقال لهما الشيخ قد وصل إلى الفقراء متاعهم فبقى الفقهاء يضربون يدا عل يد متندمين على ترك موافقة الفقراء .

وكان رضى الله عنه صباغا أعنى صباغا للقلوب يصبغ الناس وينقلهم من الصفات الدنية إلى الصفات السنية .

وروى أنه وقعت بين يديه مغنية فغشى عليها ووقعت فلما أفاقت طلبت التوبة وصحبت الفقراء وكانت من المترفات فقال لها الشيخ إنا نذبحك أتصبرين على الذبح فقالت نعم فأمرها أن تسقى الماء للفقراء فمكثت ستة أشهر تحمل الماء على ظهرها ورآها الشيخ قد تبدلت عن حالها الأول ثم قالت للشيخ إنى اشتقت إلى ربي فقال لها الشيخ يوم الخميس تلقين ربك فماتت يوم الخميس رحمها الله تعالى .

وفى الشيخ أبى الغيث رضى الله عنه قلت :

لنا سيدكم ساد بالفضل سيذا بكل مكان ثم كل زمان
إذا أهل أرض فاخروا بشيوخهم أبو الغيث فينا فخر كل يمانى

الحكاية السابعة عشرة بعد الثلاثمائة

قال المؤلف كان الله له ومن المشهور أيضا ما سمعناه ورواه الكبار من الشيوخ عن الشيخ الكبير العارف الربانى الربى عيسى المعروف بالهتار اليمنى رضى الله عنه

ونفعنا به أنه مر يوماً على امرأة بغى فقال لها بعد العشاء آتيك ففرحت بذلك وتزينت وتعجب من سمع منه ذلك فلما كان بعد العشاء دخل عليها فصلى ركعتين في البيت ثم خرج .

فقال له أراك خرجت فقال حصل المقصود فتمزقت عن حالها وخرجت بعد الشيخ تائبة وخرجت عن كل ما تملكه فزوجها الشيخ ببعض الفقراء وقال اعملوا الوليمة عسيده ولا تشتروا لها إداما ففعلوا ذلك وأحضره إلى الشيخ فذهب إنسان إلى أمير رفيق لتلك المرأة فقال له إن فلانة تابت قال أيش تقول قال إى والله تابت وقد تزوجها بعض الفقراء وأولموا بعسيده وقد أحضروها ، وما معهم إدام فأخرج له قارورتين فيهما خمر وقال اذهب بهما إلى الشيخ وسلم عليه وقل له سرني ما سمعت وبلغني أن ما عندكم إدام للوليمة فخذوا هذا فتأدموا به وأراد يستهزئ بالفقراء ويفضحهم فلما دنا رسول الأمير من الشيخ قال له أبطأت ثم تناول إحدى القارورتين منه وخضها ثم صبها على العيش ثم فعل بالأخرى كذلك ثم قال للرسول اجلس فكل قال الرسول قطعمت سمنا لم أر أطيب منه ثم رجع إلى الأمير وأخبره بالقصة فجاء الأمير فرأى شيئاً حيره فتاب أيضاً على يد الشيخ المذكور نفع الله به وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الحكاية الثامنة عشرة بعد الثلاثمائة

حكى أن رجلاً من بني إسرائيل عبد الله عشرين سنة ما عصاه فيها طرفة عين ثم عصاه عشرين سنة ما أطاعه فيها طرفة عين فلما كان بعض الأيام نظر في المرأة فرأى شيئاً في لحيته فقال آه آه أشيب وعيب وعزتك لا عدت إلى معصيتك وقام من وقته وتطهر للتوبة فلما جنه الليل قال إلهي أعطتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فياليت شعري إن رجعت إليك هل تقبلني فسمع صوتاً من جانب البيت يسمع الصوت ولا يرى الشخص وهو يقول أحببتنا فأحببناك وأطعناك فأطعناك وعصيتنا فأملهناك وإن رجعت إلينا قبلناك وأنشد :

أخلفت وجهي المعاصي	عند غلام الغيوب
سیدی شوم المعاصی	أبعدت منك نصيبي
سیدی قسوة قلبی	حيرت كل طيب
يا طيباً للأطربا	أنت عوني وطيبني
اشفني هب لي إلهي	توبة تحو ذنوبي

الحكاية التاسعة عشرة بعد الثلاثمائة عن عبد الله بن الفضيل رضى الله عنه

قال حضرت عند السرى السقطى رضى الله عنه وهو وجود بنفسه فلحظنى بعينه فرأى أبكى فقال لى مالك تبكى يا أبا محمد ، فقلت مما أرى بك فقال لا تبكى فإني قد حسبت حسابى مع الله عز وجل كنت أطلبه عشرين سنة حتى وجدته فلما وجدته استخدمنى فخدمته عشرين سنة ثم أبكاني فبكيته عليه عشرين سنة ثم شوقنى فاشتقت إليه عشرين سنة ثم أفناني ففنيته به عشرين سنة ، وأنا الآن أومل أن أراه فأبقى له وبه ومعهم فينبغى يا أبا محمد أن تهتئنى .

وقال أحدهم دخلت على السرى رضى الله عنه فرأيته يكس بيته بخرقه ويتمثل بهذين البيتين :

وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليل
وأغمضت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيل

(وقال الفضيل بن عياض) رضى الله عنه من عرف الله من طريق المحبة بغير خوف هلك فى البسط والإدلال ، ومن عرفه من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عرفه من طريق المحبة والخوف معا أحبه الله وأكرمه وقربه وفهمه ومكنه وعلمه .

قلت يشهد لصحة قول الفضيل ما اشتهر عن المشايخ الكبار المحبين العارفين أنهم لم يزلوا وجلين خائفين رضى الله عنهم ونفعا بهم .

الحكاية العشرون بعد الثلاثمائة

قال أحد السلف بينما عيسى ابن مريم عليه السلام يسبح فى بعض بلاد الشام اشتد به المطر والرعد والبرق فجعل يطلب شيئا يلج إليه فرفعت له خيمة من بعيد فأتاها فإذا هو بامرأة فحاد عنها فإذا هو بكهف فى جبل فأتاه فإذا فى الكهف سبع فوضع يده عليه ثم قال إلهى جعلت لكل شيئا مأوى ولم تجعل لى مأوى فأجابه الجليل تعالى مأواك عندى فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء ، خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام كل يوم منها كعمر الدنيا ولأمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا احضروا عرس عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وقال عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه مررت براهب فى صومعة فقلت لأصحابى قفوا فكلتمته وقلت له يا راهب فكشف سترا على باب صومعته فقلت له ما علم اليقين فقال يا عبد الواحد إن أحببت أن تعلم علم اليقين فاجعل بينك وبين شهوات الدنيا حائطا من حديد وأرخى الستر .

الحكاية الحادية والعشرون بعد الثلاثمائة عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه

قال مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبنى فناديته ثانية فلم يجبنى فناديته ثالثة فأشرف على وقال يا هذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله عز وجل فى سمائه وعظمه فى كبرياته وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لهيبته وفكر فى حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومساءلة الجبار فذلك هو الراهب ، وأما أنا فكلب عقور حبست نفسى بهذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم بلسانى فقلت يا راهب ما الذى قطع الخلق عن الله عز وجل بعد أن عرفوه قال يا أخى لم يقطع الخلق عن الله تعالى إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل الذنوب والمعاصى والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه .

الحكاية الثانية والعشرون بعد الثلاثمائة

روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام صحبه رجل وقال يا نبى الله أكون معك فانطلقا فانتھيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب منه ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف قال لا أدرى فانطلق ومع الرجل فرأى ظبية ومعها ولدان لها فدعا واحدا فأتاه فذبحه واشتوى منه هو وذلك الرجل ثم قال له بعد ما ذبحه وأكلا منه قم بإذن الله عز وجل فقام فقال الرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لا أدرى فانطلقا حتى انتهيا إلى مفازة فجمع عيسى ﷺ ترابا وكثيبا ثم قال له كن ذهبا بإذن الله عز وجل فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أقسام فقال ثلث لى وثلث لك وثلث للذى أخذ الرغيف .

فقال أنا الذى أخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتھى إليه رجلان فى المفازة ومعهم الذهب فأراد ان يأخذهما منه ويقتلاه فقال هو بيننا ثلاثا فقبلا ذلك فقال يذهب واحد إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما فذهب واحد واشترى طعاما وقال فى نفسه لأى شىء أقاسمهما فى هذا المال أنا أجعل فى هذا الطعام سما فأقتلهما وأخذ المال جميعه فجعل فيه السم وقالا هما فيما بينهما لأى شىء نجعل له الثلث إذا رجع إلينا قتلناه واقتسمنا المال نصفين فلما رجع إليهما قتلاه ثم أكلا الطعام

فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة قتلى عنده فمر عليهم عيسى عليه السلام وهم على تلك الحال فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها .

وروى أن عيسى عليه السلام كشفت له الدنيا فى صورة عجوز شمطاء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال فكلهم ماتوا عنك و كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت ، فقال عيسى عليه السلام بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد فلا يكونون منك على حذر .

قال الفضيل رضى الله عنه بلغني أن رجلا عرج بروحه فى المنام فرأى امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلوى والثياب الفاخرة وإذا بها لا يمر بها أحد إلا جرحته ، فإذا هى أدبرت كانت أحسن شىء رآه الناس وإن أقبلت كانت أقبح شىء رآه الناس عجوزا زرقاء شمطاء عمشاء ، قال فقلت لها أعوذ بالله منك فقالت لا والله لا يعيذك الله منى حتى تبغض الدرهم قلت من أنت قالت أنا الدنيا نعوذ بالله منها .

الحكاية الثالثة والعشرون بعد الثلثائة

عن إبراهيم بن بشار رضى الله عنه

قال كنت مع إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه فى سفر وليس معنا شىء نفطر عليه ولا بنا حيلة ، قال فرأى الشيخ مغتما يعنى ابن أدهم فقال لى يا ابن بشار ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة فى الدنيا والآخرة لا يسألهم الله يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة وإنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين يعنى الأغنياء ثم قال إن الأغنياء فى الدنيا فقراء فى الآخرة أعزة فى الدنيا أذلة يوم القيامة ولا تغتم ولا تحزن فرزق الله مضمون سيأتيك نحن والله الملوك الأغنياء تعجلنا الراحة فى الدنيا والآخرة لا نغتم ولا نحزن ولا نبالى على أى حال أصبحنا وأمسينا إذا أطعنا الله تعالى ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتى فما لبثنا إلا ساعة وإذا نحن برجل قد جاءنا بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا وقال كلوا رحمكم الله فسلم إبراهيم من صلاته وقال كل يا مغموم يا حزين فمر بنا سائل فقال أطعمونى شيئا لوجه الله تعالى فأعطاه إبراهيم ثلاثة أرغفة وتمر وأعطانى ثلاثة أرغفة وتمر وأكل هو رغيفين وقال المواساة من أخلاق المؤمنين ثم أنشأ يقول :

أخى نحن والله الملوك حقيقة لنا الملك فى الدارين والعز والغنى

نولى ونعزل والملوك جميعهم لنا خدام والذل يجزون والعنا

الحكاية الرابعة والعشرون بعد الثلاثمائة

عن الشبلي رضى الله عنه

قال خرجت ذات يوم أريد البادية فرأيت شابا صغير السن نحيل الجسم أشعث أغبر عليه ثياب رثة وهو جالس في الجبانة يمرغ خديه بين القبور وجعل يرمق السماء تارة بعد تارة ويحرك شفثيه والدموع تسيل من عينيه وهو مستغرق في الدعاء والذكر والاستغفار ولا يشغله شاغل عن التسييح والتقديس والتحميد والتمجيد والتعظيم فلما رأيت الشاب على تلك الحالة مالت نفسى إليه وطابت على لقائه فتركت الطريق التى أروح عليها وقصدت نحوه فلما رآنى أقبلت إليه انتفض فى مكانه وقام يمشى هاربا منى فنهضت نفسى فى اتباعه لعلى ألحقه فلم أقدر على إدراكه فقلت له رفقا يا ولى الله فقال والله فقلت بحقه إلا ما صبرت فأشار بأصبعه لا أفعل وقال الله فقلت له إن كان حقا ما تقول أرنى صدقك مع الله تعالى فنادى بصوت عال الله الله الله، ووقع على الأرض مغشيا عليه فدنوت منه وحركته فإذا هو ميت من ساعته فتوهمت من ذلك وتعجبت من حاله وصدقه مع الله وقلت يختص برحمته من يشاء وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم تركته فى موضعه وسرت إلى حى من أحياء العرب لآخذ فى جهازه وإصلاح شأنه فلما رجعت إليه حجب عنى فطلبتة فى المكان فلم أجد له أثرا ولا سمعت له خبرا فبقيت متحيرا وقلت حجب عنى هذا الشاب ومن سبقنى إليه فسمعت قائلًا يقول يا شبلي قد كفيت أمر الفتى وما تولاه إلا الملائكة فعليك أنت بعبادة ربك وأكثر الصدقة من مالك ، فما بلغ الفتى ما بلغ إلا بصدقته يوما فى الدهر فقلت سألتك بالله إلا ما أخبرتنى ما هى تلك الصدقة فقال لى يا شبلى إن هذا الفتى كان فى أول عمره عاصيا مذنبا فاسقا زانيا فعرض الله عليه رؤية أفزعته وأقلقتة وهى أنه رأى فى المنام أن إحليله قد رجع ثعبانا ودار بفيه ثم أطلق من فيه لهيب النار فأحرقه حتى عاد كالفحمة السوداء فانتهبه فزعا مرعوبا وخرج فارا بنفسه مشتغلا بعبادة ربه وله اليوم منذ رجع إلى طاعة ربه اثنا عشرة سنة ، وهو على حالة التضرع والبكاء والخشوع والخوف فلما كان بالأمس وقف له سائل سأله قوت يومه فخلع ثيابه وسلمها إليه ففرح السائل بذلك وبسط كفيه ودعا له بالمغفرة فأجاب الله تعالى دعاءه ببركة الصدقة التى أفرحه بها كما جاء فى الحديث اغتنموا

دعوة السائل عند فرحه قلبه بالصدقة :

الحكاية الخامسة والعشرون بعد الثلاثمائة عن أبي جعفر بن الخطاب رضى الله عنه

وكان يقال إنه من الأبدال قال وقف على بابى سائل فقلت لزوجتى هل معك شىء قالت أربع بيضات فقلت ادفعيهن إلى السائل ففعلت فلما انصرف السائل أهدى إلى بعض الإخوان مخللة فيها بيض فقلت لزوجتى كم فيها من بيض فقالت ثلاثون بيضة فقلت لها ويحك أعطيت السائل أربع بيضات فجاءك ثلاثون أين حساب هذا فقالت هن أربعون إلا إن عسرا مكسورات .

وقيل فى هذه الحكاية كان ثلاث من البيض التى أعطت السائل صحيحات وواحدة مكسورة فجاء بكل واحدة منهن عشرة على صفتها .

(وحكى) أن امرأة تصدقت برغيف على سائل ثم خرجت تحمل غداء زوجها وكان يحصد زرعه فمرت بروضة ومعها ابن لها وإذا سبع قد التقم ابنها فإذا يد قد لظمت السبع فقذف الطفل من فيه وإذا بمناد تسمع صوته ولا ترى شخصه يقول خذى ولدك فقد جازيناك لقمة بلقمة .

الحكاية السادسة والعشرون بعد الثلاثمائة

حكى عن الجنيد رضى الله عنه أنه قال خرجت يوما فى بعض الغزوات وكان قد أرسل إلى أمير الجيش شيئا من النفقة فكرهت ذلك ففرقه على محاويج الغزاة فلما كان فى بعض الأيام صليت الظهر وجلست متفكرا فى ذلك نادما على قبوله وتفريقى إياه فغلبنى النعاس فرأيت قصورا تبني مزخرفة ونعما طائلة فسألت عنها فقيل لى هذه لأصحاب المال الذى فرقته فى الغزاة فقلت فمالى معهم شىء فقيل ذلك القصر وأشاروا إلى قصر عظيم من أحسن القصور وأعظمها فقلت فكيف فضلت عنهم فقيل أولئك أخرجوا المال وهم يتوقعون الثواب عليه فكان هذا جزاءهم وأنت فرقت ذلك المال خائفا وجلا محاسبا نفسك نادما فضعف الله تعالى لك ذلك على ثواب سعيك وأنشد أحدهم :

إذا كانت الدنيا تعد نفيسة
وإن كانت الأرزاق قسما مقدرًا
وإن كانت الأجساد للموت أنشئت
وإن كانت الأموال للترك جمعها
فـمدار ثواب أغلى وأنبل
فقلة سعى المرء فى الرزق أجمل
فقتل امرئ فى الله بالسيف أفضل
فما بال متروك به المرء يبخل

الحكاية السابعة والعشرون بعد الثلاثمائة

حكى أنه كان بالرى قاض غنى فجاءه فقير يوم عاشوراء فقال له أعز الله القاضى أنا رجل فقير ذو عيال وقد جئتك مستشفعا بحرمة هذا اليوم لتعطينى عشرة أمان خبزاً وخمسة أمان لحماً ودرهمين فوعده القاضى بذلك إلى وقت الظهر فدافعه إلى العصر فلما جاءه العصر لم يعطه شيئاً فذهب الفقير منكسراً فمر بنصرانى جالس بباب داره فقال له بحق هذا وحرمة أعطنى شيئاً فقال النصرانى وما هذا اليوم فذكر له الفقير شيئاً من صفاته وحرمة فقال له النصرانى اذكر حاجتك فقد أقسمت بعظيم الحرمة فذكر له الخبز واللحم والدرهمين فأعطاه من الخبز عشرة أقفزة حنطة ومن اللحم مائة من ومن الدراهم عشرين درهماً وقال هذا لك ولعيالك مادمت حياً فى كل شهر كرامة لهذا اليوم فذهب الفقير إلى منزله فلما كان الليل ونام القاضى سمع هاتفاً يقول له ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى قصرًا مبنيًا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة وقصرًا آخر من ياقوته حمراء يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره فقال إلهي ما هذان القصران فقيل له هذان كانا لك لو قضيت حاجة الفقير فلما رددته صارا لفلان النصرانى قال فانتبه القاضى مرعوباً ينادي بالويل والثبور فغدا إلى النصرانى فقال له ماذا فعلت البارحة من الخير فقال له وكيف ذلك فذكر الرؤيا ثم قال له بعنى الجميل الذى عملته مع الفقير بمائة ألف فقال له النصرانى إنى لا أبيع ذلك بملء الأرض كلها ما أحسن المعاملة مع هذا الرب الكريم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأن دينه هو الحق وأنشدوا فى معنى ذلك :

لا يلحقنك ضجرة من سائل
لا تصرفن بالرد وجه مؤمل
واعلم بأنك عن قليل صائر
تلقى الكريم فتستدل ببشره
فدوام عزك أن ترى مسئولا
فلخير يومك أن ترى مأمولا
خبرا فكن خبيرا يروق جميلا
وترى العبوس على اللثيم دليلا

وأنشدوا أيضاً :

يا طالب العفو هذا يوم عاشورا
ما إن دعا ربه داع لحاجته
ولا أتى الله فيه مذنب خجل
فتب إلى الله وابغ رحمته
وأنت في فرق مضمن وفي عرق
فأسأل إلهك فيه فضل رحمته
يوم غدا فضله في الناس مشهورا
إلا وعاد بما يهواه مسرورا
إلا وأصبح ذاك الذنب مغفورا
من قبل توقف يوم العرض مذعورا
تقرا كتابك بين الخلق منشورا
وقف على بابہ خجلان مكسورا

الحكاية الثامنة والعشرون بعد الثلاثمائة

يروى عن حبيب العجمي رضى الله عنه أنه اشترى نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألف درهم أخرج عشرة آلاف وقال يا رب اشترت منك نفسى بهذه ثم أخرج عشرة آلاف أخرى فقال يا رب إن كنت قبلت تلك فهذه شكر لها ، ثم أخرج عشرة آلاف ثالثة وقال إلهى إن لم تقبل الأولى والثانية فاقبل هذه ثم أخرج عشرة آلاف رابعة وقال إلهى إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكر لها وروى أنه أصاب الناس مجاعة فاشترى حبيب رضى الله عنه طعاما وفرقه على المساكين ثم خاط أكيسة فجعلها تحت رأسه ثم دعا الله تبارك وتعالى فجاءه أصحاب الطعام يتقاضونه فأخرج تلك الأكيسة فإذا هى مملوءة دراهم فوزنها فإذا هى قدر حقوقهم فدفعها إليهم .

(وروى) أنه أتاه سائل وقد عجنت امرأته عجينا وذهبت تجئ بنار لتخبزه فقال للسائل خذ العجين فأخذه فجاءت امرأته وقالت أين العجين فقال لها ذهبوا به يخبزونه فلما أكثرت عليه أخبرها فقالت سبحان الله إنه لا بد لنا من شىء نأكله فإذا برجل قد جاء بحفنة عظيمة مملوءة خبزًا ولحما فقالت ما أسرع ما ردوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحما رضى الله عنه ونفعنا به .

(قلت) وسنذكر فى الحكاية الآتية ما يشبه هذا إن شاء الله تعالى .

الحكاية التاسعة والعشرون بعد الثلاثمائة

قال المؤلف - كان الله تعالى له - كنا جماعة فى بعض الأسفار جمعت بيننا فى الطريق الأقدار فمررنا فى بعض الأيام بقرية فنزلنا فيها وأرسل الجماعة حين دخلوها واحدا منهم فاستعار برمة فعصدوا فيها عصيدة وأكلوها إلا واحدا منهم فإنه غاب ولم ينادوه يأكل معهم ومعه قليل من الدقيق فلم يجد من يصنعه له من صاحب معروف أو صديق فخرج يدور بدقيقه بين البيوت لعل أحدا يصنع له ذلك القوت فلم يجد فبينما هو كذلك يدور إذا بشخص ضعيف مضرور جمعت القدرة بينهما بواسطة اللطف الخفي من غير وعد ونادى لسان حال الحكمة الإلهية هذا رزق هذا الضعيف

ورزقك يأتي فيما بعد فدفع إليه رزقه ورجع إلى رفقته بلا غداء فيبينما هو غائب عن علم الغيب وإذا باللطف قد بدا قيض الله له إنسانا دعاه من بين الجماعة فاطعمه ثريدا ولحما سمينا في تلك الساعة حتى شبع وقوى على المشى الكثير فسحان الكريم اللطيف الخبير ، أيتها النفس الهلوعة الضعيفة اليقين أما تصديقين ويحك بوعد الحق المبين أما تثقين ويلك بضمنان خير ضمين أما توقنين بقول أصدق القائلين ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾^(١) ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾^(٢) ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾^(٣) ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾^(٤) ثم أتبع ذلك بقسم عظيم أقسم به العظيم رب العالمين مع أن قوله حق ووعد صدق لا يحتاج إلى يمين فقال عز من قائل ﴿فأورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾^(٥) أما تعلمين أن وعده الوفي ولطفه الخفي قد ضمنا للعباد في جميع البلاد بسط أيادي الجود في جميع الوجود وساق مطايا الأرزاق من خزائن رحمة الرزاق القادر السابق في القدم بسوط القدرة وقادها بزمام اللطف والكرم حتى دخلت في باب الإيجاد بعد ما خرجت من باب العدم وسارت في الوجود إلى أن وصلت إلى من له بالقسمة السابقة حصلت وقطعت قلاص مواهب الخواص فيافي قفار عالم التقليل والتكوين حتى وصلت إلى سرادات عالم التقريب والتمكين فبركت في مبارك البركات بالمواهب الجليلة فحط عنها تحف الفوائد وطرف العوائد الجميلة ثم حمل تلك التحف والطرف خدام القدرة ودخلوا بها إلى حضرة أهل الحضرة فنالوا بتلك المواهب أعز المطالب من المقامات العالية والمعارف الغالية خصهم بها إلى المولى الكريم ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^(٦) وأنشد لسان الحال في الحال :

تبارك من عـم الوجود بجوده
ومن خص أهل القرب صفوة خلقه
مجد وخلعات الكرامات تزهر
بفضل عظيم وصفه ليس يقدر
فلقوم أعـلام الولايات أعلمت

الحكاية الثلاثون بعد الثمائة عن أحد الصالحين

قال دخلت مسجدا من المساجد أصلى فيه ركعتين فإذا فيه رجل عابد ورجل من التجار جالس فسمعت العابد يقول يا سيدي ومولاي أشتهى عليك اليوم أن تشبني

(١) سورة الزاريات : الآية ٥٨ .

(٢) سورة هود : الآية ٦ .

(٣) سورة سبأ : الآية ٣٩ .

(٤) سورة الزاريات : الآية ٢٢ .

(٥) سورة الزاريات : الآية ٢٣ .

(٦) سورة الحديد : الآية ٢١ .

من لون كذا وكذا من الطعام ولون كذا وكذا من الحلوى فقال التاجر والله لو سألتني لأعطيته ولكن هذا يحتال على ويرائيني حتى أعطيه والله لا أعطيه شيئا قال فلما فرغ من دعائه نام في ناحية المسجد وإذا برجل قد دخل المسجد ومعه قعبة مغطاة فنظر في المسجد يمينا وشمالا فرأى العابد نائما في ناحية المسجد فأتى إليه فأيقظه وترك القعبة بين يديه والتاجر ينظر إليه فوجد اللون الذي اشتهاه من الطعام والحلوى فأكل منه قدر ما اشتهى وغطاه وردده فقال التاجر للذي جاء بالقعبة سألتك بالله هل تعرف هذا الرجل قبل هذا اليوم قال لا والله ما أعرفه وإنما أنا رجل حمال وكانت قد اشتهدت على زوجتى وابنتى هذا اللون منذ سنة فما طالت يدى إليه فلما كان اليوم حملت لرجل وأعطاني مثقالا من الذهب فاشتريت به لحما وغيره وأتيت به إلى منزلى فصنعت زوجتى فغلبتني عيناي فنمت فرأيت النبي ﷺ فقال لى قد قدم عليكم ولى من أولياء الله تعالى وها هو فى المسجد وقد اشتهدى مما عملته لأهلك فاحمله إليه يأكل منه شهوته ويجعل الله تعالى لك البركة فيما بقى وأنا الكفيل لك بالجنة فانتبهت وجئت به كما ترى فقال التاجر قد سمعته يسأل الله تعالى ذلك ثم قال له كم أنفقت على هذا الطعام قال مثقالا فقال التاجر خذ منى عشرة مثاقيل واجعل لى فى أجرى قيراطا قال لا قال خذ عشرين مثقالا قال لا قال خذ خمسين مثقالا ، قال لا قال خذ مائة مثقال ، قال لا والله لا بعت شيئا مما ضمنه لى رسول الله ﷺ وتكلفه ولو أعطيت الدنيا جميعا فلو كان لك نصيب من أجر شهوة هذا الولى لكنت سبقتنى أنت إليه ولكن الله يختص برحمته من يشاء .

قال فندم التاجر حيث لا ينفعه الندم وخرج من المسجد كالواله على ما فاته .

الحكاية الحادية والثلاثون بعد الثلاثمائة

عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال كنت فى مسجد فرأيت فقيرا ساكتا ثلاثة أيام لم يتحرك ولم يطعم ولم يشرب وكنت أرقبه وأصبر معه فعجزت عنه فتقدمت إليه وقلت له ما تشتهى قال خبزا حارا ومصليا فخرجت وتكلفت طول نهارى حتى أحصل ما قال فلم يتفق لى فعدت إلى المسجد وأغلقت الباب فلما كان بعد حين من الليل دق علينا الباب ففتحتة فإذا بإنسان معه خبز حار ومصلية فسألته عن السبب فقال اشتهدى على صبيانى هذا فتخاصمنا وحلفنا ألا يأكل هذا إلا أهل المسجد قال إبراهيم فقلت إلهى إذا كنت تريد أن تطعمه فلم أتعبتني طول النهار رضى الله عنهما .

الحكاية الثانية والثلاثون بعد الثمائة

حكى أن عابدا اعتكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الإمام لو اكتسبت لكان خيرا لك وأفضل فلم يجبه حتى أعاد إليه القول ثلاثا فقال له في الرابعة بجوار المسجد رجل يهودى قد ضمن لى كل يوم رغيقين ، فقال له إن كان صادقا في ضمانه فقعودك في المسجد خير لك فقال لو لم تكن إماما تقف بين يدي الله تعالى وبين عبادته مع هذا النقص في التوحيد لكان خيرا لك تفضل ضمان يهودى على ضمان الله عز وجل وأنشدوا في هذا المعنى لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه :
أتطلب رزق الله من عند غيره . وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضى بصراف وإن كان مشركا . ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد الثمائة عن أحد الصالحين

قال إن الله تعالى لما أظهر الخلق فى القدم أظهر لهم الصنائع كلها ثم خيرهم فيها فاختار كل إنسان صنعته فلما أبداهم إلى الوجود أجرى على لسان كل واحد ما اختار لنفسه قال وانفردت طائفة فلم تختر شيئا ، فقال لها اختارى ، فقالت ما أعجبنا شيء رأينا فنختاره ، فأظهر لهم مقامات العبادة فقالت قد اخترنا خدمتك يا مولانا ، فقال وعزتى وجلالى لأسخرنهم لكم ولأجعلنهم لكم خدما وعزتى وجلالى لأشفعنكم غدا فيمن عرفكم وخدمكم وفيهم قال القائل :

تشاغل قوم بدنياهم	وقوم تخلوا لمولاهم
فألزمهم باب مرضاته	وعن سائر الخلق أغناهم
يصفون بالليل أقدامهم	وعين المهيمن ترعاهم
فما يعرفون سوى حبه	وطاعته طول محياهم
فطوبى لهم ثم طوبى لهم	وطوباهم ثم طوباهم

(وقيل) دخل جماعة على أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه فقالوا له نطلب أرزاقنا فقال إن علمتم أين هى فاطلبوها ، فقالوا نسأل الله تعالى ذلك فقال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل بيوتنا ونتوكل فقال التجربة مع الله تبارك وتعالى شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة .

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد الثمائة

حكى أنه خرج أحد المريدين فى طلب الرزق فسعى حتى تعب فوجد خرابة فجلس ليستريح فبينما هو يتصفح الجدران إذ نظر فى بعضها لوحا من رخام أخضر مكتوب فيه بخط أبيض هذه الأبيات :

أيقنت أنك للهموم قرين
أبدا وما هو كائن سيكون
وأخو الجهالة متعب محزون
ولعل ما ترجوه سوف يكون
حظا ويحظى عاجز ومهين
إن كان عندك للقضاء يقين
فأخو التوكل شأنه التهوين
لما تيقن أنه مضمون

لما رأيتك جالسا مستقبلا
مالا يكون فلا يكون بحيلة
سيكون ما هو كائن في وقته
فلعل ما تخشاه ليس بكائن
يسعى الحريص فلا ينال بحرصه
فأرفض لها وتعزّ من أثوابها
هون عليك وكن بربك واثقا
طرح الأذى عن نفسه في رزقه

قال فقراها ورجع إلى منزله ولم يهتم في الرزق بعدها رضى الله عنه .
(وقيل) إن أبا يزيد رضى الله عنه صلى خلف إمام في بعض المساجد فلما سلم
الإمام قال يا أبا يزيد من أين تأكل ، فقال أبو يزيد اصبر حتى أعيد الصلاة التي
صليتها خلفك حيث شككت في أرايق المخلوقين فإنه لا تجوز الصلاة خلف من لا
يعرف الملك الرزاق تبارك وتعالى .

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الثلاثمائة

عن أبي القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال بت ليلة عند السرى رضى الله عنه فلما كان في بعض الليل قال لى يا
جنيد أنت نائم قلت لا ، قال الساعة أوقفنى الحق عز وجل بين يديه وقال يا سرى
خلقت الخلق كلهم فادعوا محبتي فخلقت الدنيا فاشتغل بها من كل عشرة آلاف تسعة
آلاف عنى بالدنيا وبقي ألف وخلقت الجنة فاشتغل بالجنة عنى من الألف تسعمائة
وبقى مائة فسلطت عليهم شيئا من البلاء فاشتغل عنى من المائة تسعون بالبلاء وبقي
عشرة فقلت لهم أنتم لا الدنيا أردتم ولا فى الآخرة رغبتم ولا من البلاء هربتم ،
فماذا تريدون قالوا إنك لتعلم ما نريد فقلت إنى سأنزل عليكم من البلاء مالا تطيقون
ولا تحمله الجبال الرواسى فتثبتون لذلك ، قالوا أليس أنت الفاعل بنا قد رضينا بك
نحمل وفيك نحمل ولك نحمل مالا تطيقه الجبال ، فقلت لهم أنتم عبيدى حقا
رضي الله عنهم ونفعنا بهم .

وفى رواية أخرى قال لى يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي فخلقت
الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقي معى العشر ، فخلقت الجنة فهرب منى تسعة
أعشار العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر وبقي
معى عشر عشر العشر فقلت للباقيين معى لا الدنيا أردتم ثم ذكر نحو ما فى الرواية
الأولى .

(وقال الجنيد) رضى الله عنه نظرت يوماً إلى جسد السرى رضى الله عنه كأنه جسد سقيم دنف مضنى فقال لو شئت لقلت هذا من محبته ثم غشى عليه وإذا وجهه كأنه قمر مشرق بعد أن كان وجهه أصفر ثم اعتل فدخلت عليه أعوده فقلت له كيف تجدك فقال :

كيف أشكو إلى طبيبي ما بى والذى بى أصابنى من طبيبي
قال فأخذت المروحة أروحه فقال لى كيف يجد روح المروحة من جوفه محترق
من داخل ثم أنشأ يقول :

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان لى شىء به فرج فامن على به ما دام بى رموق
(وحكى) أنه لما توفى السرى رضى الله عنه روى فى المنام فقيل له ما فعل الله
تعالى بك قال غفر لى ولمن حضر جنازتى وصلى علىّ ، فقال الرائي فإنى ممن حضر
جنازتك وصلى عليك قال فأخرج درجا ونظر فيه فلم يدر لى فيه اسما قال ألم تحضر
جنازتى قلت بلى قد حضرت فنظر فإذا اسما فى الحاشية رضى الله عنهم ونفعنا بهم
آمين .

الحكاية السادسة والثلاثون بعد الثمائة

روي أن يونس عليه السلام قال لجبريل صلى الله عليهما وسلم دلنى على أعبد
أهل الأرض فأتى به إلى رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وهو يقول متعتنى بهما
حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأيقنت لى فيك الأمل يا بار يا وصول فقال
يونس عليه السلام يا جبريل سألتك أن ترينى صواما قواما فقال قد كان قبل البلاء
هكذا وقد أمرت أن أسلبه عينيه فأشار إليهما فسلتا فقال متعتنى بهما حيث شئت
وسلبتهما حيث شئت وأبقيت لى فيك الأمل يا بار يا وصول فقال جبريل عليه
الصلاة والسلام هل تدعو وندعو معك ليرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك وتعود
على العبادة التى كنت عليها فقال ما أحب ذلك ، قال ولم قال إذا كانت محبته فى
هذا فمحبته أحب إلى فقال يونس عليه الصلاة والسلام ما رأيت أحداً أعبد من هذا
فقال جبريل عليه الصلاة والسلام هذه طريق لا يوصل إلى رضا الله تعالى بشىء
أفضل منها وأنشدوا :

قالت لطيف خيال زارها ومضى بالله صفة ولا تنقص ولا تزد
فقال خليلته لو مات من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا فى الحب عادته يا برد ذاك الذى قالت على كبدى

الحكاية السابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة عن شقيق البلخي رضى الله عنه

قال طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس طلبنا بركة القوت فوجدناها فى صلاة الضحى ، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه فى صلاة الليل ، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءه القرآن ، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه فى الصوم والصدقة وطلبنا ظل العرش فوجدناه فى الخلوة ، رضى الله عنه ونفعنا به .

وقال بعض العلماء قلت فى آخر مجلس اللهم اغفر لأقسانا قلبا وأجمدنا عينا وأقربنا بالمعصية عهدا وكان عندنا رجل مذب فوقف وقال أعد هذا الدعاء ثانيا أنا أقسامك قلبا وأجمدكم عينا وأقربكم بالمعصية عهدا فادع الله تعالى كى يتوب على قال فرأيت فى الليلة الثانية كأتى واقف بين يدى الله سبحانه وتعالى وهو يقول لى سرنى حيث أوقعت الصلح بينى وبين عبدى قد غفرت لك وله ولأهل مجلسك أجمعين .
(وحكى) عن بعض الصالحين أنه روى بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال أعطانى كتابى بيمينى فمررت بزلة فاستحييت إن أقرأها فقلت إلهى لا تفضحنى فقال حين عملتها ولم تستحى منى لم أفضحك فأفضحك وأنت تستحى منى قد غفرت زلتك وأدخلتلك الجنة برحمتى وكرمى سبحانه الستار الحليم الجواد الكريم .

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد الثلاثمائة

عن أبى عبد الله بن شجاع الصوفى رحمه الله

قال كنت بمصر أيام سياحتى فتأقت نفسى إلى النساء فذكرت ذلك لبعض إخوانى فقال لي هنا امرأة صوفية لها ابنة جميلة قد ناهزت البلوغ قال فخطبتها وتزوجت بها فلما دخلت إليها وجدتها مستقبلة القبلة تصلى فاستحييت أن تكون صبية فى مثل سنها تصلى وأنا لا أصلى فاستقبلت القبلة فصليت ما قدر لى حتى غلبتنى عينى فتمت فى مصلاى ونامت فى مصلاها فلما كان فى اليوم الثانى كان مثل ذلك أيضا فلما طال على ذلك قلت يا هذه هل لاجتماعنا هذا معنى قالت أنا فى خدمة مولاي ومن له حق لا أمنعه قال فاستحييت من كلامها ، وتماديت على أمرى نحوا من شهر ثم بدا لى فى السفر فقلت يا هذه قالت لبيك قلت إنى قد أردت السفر قالت مصاحبا بالعافية والسلامة من كل ما تكره وأعطاك كل ما تحب فقمت فلما صرت عند الباب قامت فقالت يا سيدى كان بيننا فى الدنيا عهد لم يفض بتمامه عسى فى الجنة إن شاء الله تعالى فقلت إن شاء الله .

ثم قالت استودعتك الله تعالى خير مستودع فودعتها وخرجت وسألت عنها بعد سنتين فقيل لي هي على أفضل مما تركتها عليه من العبادة والاجتهاد رضى الله عنهما .

(وقال) بعض الفقهاء كانت لى امرأة من أولياء الله تعالى وكان إذا ورد عليها الحال لا أقدر أمد يدى إليها ولا أستطيع أن أتمكن من حاجتي منها لقوة حالها وشدة هيبتها فتقول لى عند ذلك من هو الرجل منا ومن المرأة فإذا ذهب عنها الحال تمكنت ونلت منها ما شئت رضى الله عنها وعن جميع الأولياء .

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد الثلاثمائة

عن ذى النون رضى الله عنه

قال اجتمعت فى جبل لبنان بامرأة متعبدة وهى كالشن البالى كأنها تخبر عن أهل المقابر ذات اجتهاد وعبادة لم أر قط مثلها فى العباد ، فسألته أين وطنك فقالت ما لى وطن إلا النار أو يعفو العزيز الغفار ، فقلت يرحمك الله تعالى هل من وصية أو فائدة قالت اجعل كتاب الله تعالى لك مائدة وجالس وعده ووعيده وشم عن ساق الجد بالعزائم الحميدة ودع ما يتعلق به البطالون من الأمل الكاذب الذى لا تحقيق لهم فيه ولا يدرون كيف العواقب فوالله لا يرد هذا المنزل إلا المضمرون ولا يفوز بالسبق إلا المشمرون فخذ يا أخى لنفسك ما أمكن الأخذ لها فليس المطلوب غيرك وكن من أولى النهى فقلت ادعى لى بدعوة فحمدت الله تعالى بمحامد لم أسمع مثلها قط ، وصلت على رسول الله ﷺ بصلاة لم أسمع مثلها قط ، ودعت دعاء حسناً رضى الله عنها .

الحكاية الأربعون بعد الثلاثمائة

عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت لها من أين أقبلت فقالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت أين تريدن قالت إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لى فأنشأت تقول :

قوم همومهم بالله قد علقت
فما لهم همم تسمو إلى أحد
قمطلب القوم مولاهم وسيدهم
يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن ينازعهم دنيا ولا شرف
من المطاعم واللذات والولد
ولا لباس لثوب فائق أنق
ولا لروح سرور حل فى بلد

فهم رهائن غـدران وأودية وفى الشوامخ تلقاهم مع العدد
رضى الله عنها .

الحكاية الحادية والأربعون بعد الثلاثمائة عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا مار على شاطئ البحر إذ بجارية مكشوفة الرأس مصفرة الوجه بلا
خمار فقلت لها يا جارية استرى وجهك بخمار فقالت وما يصنع الخمار بوجه قد
علاه الصفار ، ثم قالت إليك عنى يا بطل فإنى شربت البارحة بكأس المحبة فبت
مسرورة فأصبحت اليوم من حب مولاي مخمورة فقلت يا جارية أوصينى قالت يا ذا
النون عليك بالسكون ولزوم البيوت والرضا بالقوت إلى أن تموت رضى الله عنها .

الحكاية الثانية والأربعون بعد الثلاثمائة عن أحد السلف

قال رأيت شابا فى سفح جبل عليه آثار القلق ودموعه تجرى فقلت من أنت قال
عبد أبى من مولاه قلت فتعود وتعتذر قال العذر يحتاج إلى إقامة حجة ، فكيف
يعتذر المقصر قلت تتعلق بمن يشفع لك قال كل أهل الشفاعة يخافون منه ، قلت من
هو قال مولى ربانى صغيرا فعصيته كبيرا فواحيائى من حسن صنعه إلى وقبح فعلى ثم
صاح صيحة وخر ميتا ، فخرجت عجوز فقالت من أعان على قتل البائس الحيران
رحمه الله فقلت أقيم عندك أعينك على تجهيزه قالت خله ذليلا بين يدي قاتله عساه
يراه بغير معين فيرحمه ويقبله بكرمه وجوده .

الحكاية الثالثة والأربعون بعد الثلاثمائة

روى أن سليمان بن عبد الملك رحمه الله تعالى قال لأبى حازم رضى الله عنه
يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فأنتم تكروهون
النقلة من العمران إلى الخراب قال صدقت يا أبا حازم ليت شعرى مالنا عند الله غدا
قال اعرض عملك على كتاب الله عز وجل قال وأين أجده من كتاب الله تعالى قال
من قوله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^(١) .

قال سليمان وأين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال سليمان ليت شعري
كيف العرض على الله تعالى قال أبو حازم أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله فرحا
مسرورا وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه خائفا محسورا فبكى سليمان .

(١) سورة الانفطار : الآيات ١٣ ، ١٤ .

وسئل أبو حازم رضى الله عنه كيف تصلى قال إذا قرب وقت الصلاة أسبغت الوضوء بتمام فروضه وسننه ثم أستقبل القبلة وأمثل البيت الحرام بين حاجبى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى والصراط تحت قدمى والله تعالى مطلع على وأظن أن صلاتى تلك لا أصلى بعدها ، وأكبر بتعظيم وأقرأ بتفكير وأركع بتذلل وأسجد بتواضع وأسلم على التمام وأقوم على الوجل ثم لا أدرى أنتقبل منى أم يضرب بها وجهى قال له السائل منذ كم تصلى هذه الصلاة قال منذ أربعين سنة قال وددت لو صليت فى عمري كله صلاة واحدة من هذه الصلاة فأكون من الفائزين .

الحكاية الرابعة والأربعون بعد الثلاثمائة

عن صالح المري رضى الله عنه

قال رأيت فى محراب داود عليه الصلاة والسلام عجوزا عليها مدرعة شعر وقد كف بصرها وهى تصلى وتبكى قال فتركت صلاتى ووقفت أنظر إليها فلما فرغت من صلاتها رفعت وجهها إلى السماء وجعلت تنشد :

أنت سؤلى وعصمتى فى حياتى أنت ذخرى وعمدتى فى مماتى
ياعليمًا بما أكن وأخفى وبما فى بواطن الخطرات
ليس لى مالك سسواك فأرجو ه لدفع العظام الموقبات

قال فسلمت عليها وقلت لها ما الذى أوجب ذهاب عينيك قالت بكائى على ما فرطت فى مخالفته ومعصيته وما كان من تقصيرى من ذكره فى خدمته فإن عفا عنى عوضنى فى الآخرة خيرا منهما وإن لم يعف عنى فما حاجتى بعين تحترق فى النار قال فبكيت رحمة لها فقالت يا صالح أيخف عليك أن تقرأ على شيئا من كتاب مولاى فقد طال وعزته شوقى إليه قال فقرأت ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾^(١) فقالت يا صالح من خدمه حق خدمته ثم صرخت صرخة يتصدع قلب من سمعها وسقطت على وجهها وإذا بها قد فارقت الدنيا قال ثم إنى رأيتها بعد ذلك فى المنام وهى فى حالة حسنة فسألتها عن أمرها كيف كان ، فقالت لما قبضت أوقفنى بين يديه وقال أهلا بمن قتلها الأسف على تقصيرها فى خدمتى ثم ولت وهى تقول :

جاد لى بالذى أوئل منــه وحبــانى بكل ما أرتجيه
فى نعيمــ ولذة وسرور أبدا عنــده أخلد فيه
رضى الله عنها .

(١) سورة الأنعام : الآية ٩١ .

الحكاية الخامسة والأربعون بعد الثلاثمائة

قال المؤلف كان الله تعالى له وغفر له أخبرني الشيخ على التكرورى المدفون فى القرافة رضى الله عنه ونفعنا به وبركته ، أنه حضر فى وقت ميعاد السماع فورد عليه وارد ولبث مدة يرى أنهارا من خمر يسقاها ولا يروى ليست من خمر الدنيا أى ذلك فى اليقظة ثم صار بعد ذلك يرى نورا وكان حين يسقى يجد قوة وأحوالا ، لولا أنه كان يمسكه عند ذلك سبعة من الرجال الأقوياء لهام ورمى نفسه فى المهالك وحين رأى النور وجد ضعفا وسألنى أى الحالين أفضل فقلت هذا شىء لم يبلغه حالى فكيف أتكلم فى شىء لا أعرفه وأنشد بعضهم :

سقونى وقالوا لا تغسن ولو سقوا جبال حين ما سقونى لغنت

(قلت) والظاهر والله أعلم أن رؤية النور المذكور من قبيل المعرفة وشرب الخمر المذكور من قبيل المحبة ، والمعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين من شيوخ الطرق أهل التحقيق .

وقال سمنون المحب المحبة أفضل ، وقال ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لقوله ﷺ المرء مع من أحب قال العارفون المحبة استهلاك فى لذة والمعرفة شهود فى حيرة وفناء فى هيبة .

(وقال) الشبلى رضى الله عنه المحب إن سكت هلك والعارف إن لم يسكت

هلك .

وقال أبو يزيد رضى الله عنه العارف طيار والزاهد سيار .

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن

أحببت فلا يبقى لك منك شىء .

الحكاية السادسة والأربعون بعد الثلاثمائة

قال الشيخ أبو الربيع المالمقى رضى الله عنه كنت ليلة فى المسجد مع الشيخ أبى محمد سيد بن على الفخار رضى الله عنه وكان من أدبى معه ألا أقوم لوردى حتى يقوم فقام ليلة وتوضأ وأنا مستيقظ فى مضجعى ثم استقبل القبلة وقال : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم أخذ فى ورده يتلو القرآن فرأيت الحائط قد انشق وخرج منه شخص بيده زبدية بيضاء فيها شهد أبيض ، فكلما فتح فمه لقمه ذلك الشخص الشهد فتعجبت مما رأيت فاشتغلت به عن وردى فلما أصبحت قلت يا سيدى رأيت كذا وكذا فذرفت عيناه بالدموع وقال لى ذاك طيب القرآن يا أبا سليمان .

الحكاية السابعة والأربعون بعد الثلاثمائة

عن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

قال أتيت بعض البلاد فنزلت في مسجد فلما كان العشاء الأخير وصلينا أتى إمام المسجد بعد انصراف الناس فقال قم فاخرج حتى أغلق الباب فقلت أنا رجل غريب أبيت ههنا فقال الغرباء يسرقون القناديل والحصر فلا تترك أحدا يبيت فيه قلت له أنا إبراهيم بن أدهم وكانت ليلة شاتية فقال كفى ما أنت فيه حتى تكذب ثم قال أكثرت وعدا على رجلى فجرتنى على وجهى حتى رمانى على باب أتون حام ومضى فقمتم فرأيت الوقاد الذى يوقد فى المستوقد فقلت أبيت عنده فنزلت فوجدت رجلا عليه قطعنا خيش فسلمت عليه فلم يرد السلام بل أشار أن أجلس فجلست وهو خائف وجل ينظر تارة عن يمينه وتارة عن شماله فداخلني الخوف منه فلما فرغ من وقوده التفت إلى وقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقلت عجباً لا تسلم على حين سلمت عليك فقال يا هذا كنت أجير قوم فخفت أن أسلم فأشتغل بالسلام فأثم وأخون فقلت له فرأيتك تنظر عن يمينك وشمالك أتخاف قال نعم قلت مم قال من الموت لا أدري من أين يأتى أمن يمينى أم من شمالى ، قلت فيكم تعمل كل يوم قال بدرهم ودانق قلت فما تصنع قال أتقوت بالدانق أنا وأهلى وأنفق الدرهم على أولاد أخ لى قلت أمن أمك وأبيك قال بل أحببته فى الله عز وجل ومات فأنا أقوم بأهله وأولاده ، فقلت له هل دعوت الله عز وجل فى حاجه فأجابك قال لى حاجة أنا منذ عشرين سنة أدعو الله عز وجل فيها وما قضاها قلت وما هى قال بلغنى أن فى العرب رجلا تميز عن الزاهدين وفاق العابدين يقال له إبراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه دعوت الله عز وجل فى رؤيته وأموت بين يديه فقلت أبشر يا أخى فقد قضى الله تعالى حاجتك وقبل دعوتك وما رضى لى أن أتيك إلا سحبا على وجهى قال فوثب من مكانه وعانقنى وسمعته يقول اللهم إنك قد قضيت حاجتى وأجبت دعوتى اللهم اقبضنى إليك فأجاب الله تعالى دعوته الثانية فى الحال وسقط ميتا رضى الله عنهما ونفعنا بهما أمين .

الحكاية الثامنة والأربعون بعد الثلاثمائة

عن الشيخ أبى يزيد القرطبي رضى الله عنه

قال سمعت فى بعض الآثار أن من قال (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك على رجاء بركة الوعد فعملت منها لأهلى وعملت منها أعمالا ادخرتها لنفسى وكان إذ ذاك فى بيت معنا شاب يقال إنه يكشف فى بعض الأوقات بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبى منه

شئ ، فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان إلى منزله فبينما نحن نتناول الطعام والشراب وهو معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول يا عم هذه أمة في النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت في نفسي اليوم أجرب صدقه فألهمني الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى فقلت في نفسي الأثر حق والذين روه لنا صادقون اللهم إن السبعين ألف فداء هذه المرأة أم هذا الشاب من النار فما استتمت الخاطر في نفسي حتى قال لي يا عم ها هي خرجت الحمد لله رب العالمين فحصلت لي الفائدتان إيماني بصدق الأثر وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه رضى الله عنهما ونفعنا بهما وأنشد الشيخ أبو العباس بن العريف رضى الله عنه لنفسه :

سلوا عن الشوق من أهوى فإنهم أدنى إلى النفس من وهمى ومن نفسى
مازلت مذ سكنوا قلبي أصون لهم لحظى وسمعى ونطقى إذ هم أنسى
فمن رسولى إلى قلبى ليسألهم عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
لأنهضن إلى حشرى بحبهم ولا أكون من قد خانهم ونسى
(قلت) قد غيرت بعد ألفاظ النصف الأخير من البيت الرابع فإنه قال فيه لا
بارك الله فيمن خانهم ونسى فكرهت هذا الدعاء لأنى وعموم الخلق ما عدا الخواص
لم نزل خائفين ناسين وإنما قوله يناسب حاله وحال غيره من الصديقين والصادقين وقد
حذفت أيضا من أبياته بيتا قبل البيت الأخير لمصلحة رأيتها وهى خوف أن يتطرق إلى
الإنكار من ليس له فهم معانى أهل الأسرار رضى الله تعالى عنهم وجعلنا منهم
ونفعنا بهم .

الحكاية التاسعة والأربعون بعد الثلاثمائة

عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال أرقت ليلة فقممت إلى وردى فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة فأردت أن
أنام فلم أرقد فقعدت فلم أطق القعود ففتحت الباب وخرجت وإذا رجل ملتف بعباءة
مطروح على الطريق ، فلما أحس بى رفع رأسه وقال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت
يا سيدى من غير موعد فقال بلى سألت محرك القلوب أن يحرك إلى قلبك قلت قد
فعل فما حاجتك ، قال متى يصير داء الناس دواءها فقلت إذا خالفت النفس هواها
صار دأؤها دواءها ، فأقبل على نفسه فقال لها اسمعى فقد أجبك بهذا الجواب سبع
مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد فقد سمعت فانصرف عنى ولم أعرفه ولم أقف
عليه رضى الله عنهما .

(وقال) الشيخ خير النساج رضى الله عنه كنت جالسا فى بيتى فوق لى أن الجنيد بالباب فنفت ذلك عن قلبى فوقع ثانيا فخرجت ، فإذا بالجنيد فقال لم لم تخرج مع الخاطر الأول رضى الله عنهما.

الحكاية الخمسون بعد الثمائة

روى أنه كان كرز الجرجانى رضى الله عنه يجتهد فى العبادة فقيل له فى ذلك فقال كم بلغكم مقدار يوم القيامة قالوا مقدار خمسين ألف سنة قال فكم بلغكم عمر الدنيا قالوا سبعة آلاف سنة قال أفيعجز أحد أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم . (قلت) هذا بالنسبة إلى عمر الدنيا المذكور وأما بالنسبة إلى عمر الواحد إذا عمّر مائة سنة مثلا فإنه يكون جميع عمره بالنسبة إلى يوم القيامة خمس عشر العشر .

(وقال) أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه دخلت على أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه فوجدته يبكى فقلت له ما يبكيك فقال يا أحمد ولم لا أبكى وإذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافتترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وقطرت فى محاريبهم ، أشرف الجليل سبحانه فنادى جبريل عليه السلام بعينى من تلذذ بكلامى ثم يناديهم ما هذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه أم كيف يحمل بى أن أعذب أقواما إذا جنهم الليل تملقوا إلى فوعزتى إذا وردوا على يوم القيامة لأكشفن لهم عن وجهى حتى ينظروا إلى وأنظر إليهم رضى الله عنهم ونفعنا بهم .

(وقيل) كان أحدهم يسأل ربه تبارك وتعالى أن يكرمه ويستره فقام ليلة إلى الصباح يصلى ويبتهل إلى الله تعالى فنظر إليه بعض أصحابه فرأى فوق رأسه قنديلا معلقا من النور يتشعشع لناظره فقيل له فى ذلك فقال :

يا صاحب السر إن السر قد ظهرا
ولا أريد حياة بعد ما اشتهرا
ثم سجد فقبضه الله فى سجوده رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الحادية والخمسون بعد الثمائة

عن إبراهيم بن شبيب رضى الله عنه

قال كنا نتجالس فى يوم الجمعة بعد صلاتها فإذا رجل عليه ثوب واحد متلحف به فجلس إلينا وألقى مسألة فما زلنا نتكلم فى الفقه حتى انصرفنا ثم جاءنا فى الجمعة المقبلة فأحبيناه وسألناه عن منزله فأخبرنا به وسألناه عن كنيته فقال أبو عبد الله فرغبنا فى مجلسه فمكثنا كذلك زمانا ثم انقطع عنا فاجتمعنا إليه وأتينا قريته وسألنا عنه

فقالوا ذلك أبو عبد الله الصياد ذهب يصطاد والآن يأتي فقعدنا ننتظره فإذا هو قد أقبل متزرا بخرقة وعلى كتفه خرقة ومعه أطيار مذبوحة وأطيار أحياء فلما رأنا تبسم إلينا فقلنا قد كنت عمرت مجلسنا فما غيبتك عنا قال إذا أصدقكم كان لى جار كنت أستعير منه ذلك الثوب الذى كنت آتيكم به وقد سافر ثم قال هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا من رزق الله قال فدخلنا وقعدنا فدخل إلى امرأته وسلم إليها الأطيار المذبوحة وأخذ الأطيار الأحياء فباعها فى السوق واشترى خبزاً وجاء وقد صنعت امرأته ذلك وهياته فقدم إلينا خبزاً ولحماً وملحاً فأكلنا وخرجنا فقال الجماعة بعضهم لبعض ألا تنظرون إلى حال هذا الرجل وما هو فيه من الفقر مع فضله وصلاحه وأنتم قادرون على أن تجمعوا له ما يقوم بحاله قال فاتفقوا على أن يجمعوا له ما يقوم بحاله وما يستعين به وانصرفنا راجعين على عزم أن نأتيه بالذى وعدوا به وهو خمسة آلاف درهم فلما مررنا بالمريد إذا بأمرير البصرة محمد بن سليمان قاعد فى منظره له فقال يا غلام اتنى بإبراهيم بن شبيب قال فأتيته فسألنى عن قصتنا ومن أين أقبلنا فصدقته الحديث فقال أنا أسبقكم إلى برة ثم استدعى بعشرة آلاف درهم ودفعا إلى غلام له فراش وأمره أن يمشى بها معى إليه ففرحت بذلك وقمت مسرعا فلما أتيت الباب سلمت فأجابنى أبو عبد الله ثم خرج إلى فلما رأى الفراش والبدره على عنقه تغير وجهه وقال مالى ولك يا هذا أتريد أن تفتنى فقلت يا أبا عبد الله اقعد حتى أخبرك إن القصة كيت وكيت وإنه كما تعلم أحد الجبارين يعنى الأمير فالله الله فى نفسك قال فازداد على غيظاً وقام ودخل وأغلق الباب فى وجهى ورجعت إلى الأمير ولم أجد بدا من الصدق فأخبرته فقال حرورى والله يا غلام على بالسيف ثم قال له اذهب مع هذا الغلام إلى هذا الرجل فاضرب عنقه واتنى برأسه فقلت له أصلح الله الأمير الله الله فى هذا الرجل فوالله لقد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج ، ولكنى أذهب فأتىك به قال ومقصودى بذلك الاقتداء منه فاطمأن لذلك فمضيت حتى أتيت الباب فسلمت فإذا المرأة تبكى فقالت ما شأنكم وشأن أبى عبد الله فقلت وما حاله قالت دخل فنزع ما عليه وتوضأ ثم صلى وسمعته يقول اللهم اقبضنى إليك ولا تفتنى ثم تمدد وهو يقول ذلك فلحقته وقد قضى نحبه وهاهو ميت فقلت لها يا هذه إن لنا قصة عظيمة فلا تحدثوا فيه شيئاً فجئت الأمير فأخبرته الخبر فقال أنا أركب فأصلى على هذا وشاع خبره بالبصرة فشهده الأمير وعامة أهل البصرة رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين .

الحكاية الثانية والخمسون بعد الثلاثمائة عن محمد بن السماك رضى الله عنه

قال كان لى جبار بالكوفة له ولد يصوم النهار ويقوم الليل وكان إذا جنه الليل

يبكى وينشد ويقول :

لما رأيت الليل أقبل خاشعا بادرت نحو مؤانسي بنحسيبي
أبكى فتقلقنى إليه صبابتي فأبيت مسرورا بقرب حبسيبي
فإذا كان آخر الليل يبكى ويقول :

فدرت فى الليل إذ لاحت معالمه ما كان أنسى به فيه لمولاي
ضمنت فى القلب حبا قد كلفت به والله يعلم ما مكنون أحشاي

وقال محمد بن السماك وكان أبوه شيخا كبيرا فسألنى يوما أن أكلم ولده يرفق بنفسه فبينما أنا ذات يوم جالس على باب دارى ومعى جماعة من أصحابى إذ مر الغلام فناديته يا فتى أقبل إلينا فأقبل فتأملته فإذا هو قد صار كالشن البالى لو هبت الريح لرمت به من شدة الضعف فسلم وجلس فقلت حبسيبي إن الله تعالى قد افترض عليك طاعة أبيك كما افترض عليك طاعته ونهاك عن معصية أبيك كما نهاك عن معصيته وإن أباك قد أمرنا بأمر فتأذن لنا فى الكلام فقال يا عم لعلك تريد أن تأمرنى بتقصير فى العمل وبترك المبادرة إلى الله عز وجل فقلت له لا والله بدون هذا تدرك هذا الشأن الذى تطلب إن شاء الله تعالى فقال هيهات يا عم إنى بايعت على هذا الشأن فنية من الحى على السباق إلى الله عز وجل ، جدوا واجتهدوا ودعوا فأجابوا ولم يبق غيرى وإنما عملى يعرض عليهم فى كل يوم مرتين فما يقولون إذا رأوا فيه خللا أو تقصيرا ثم قال يا عم إنى بايعت على هذا الشأن فنية جعلوا الليل لهم مطية فقطعوا بها عرض الفاوز وسموا بها ذرى الشواحق فإذا أصبحوا نظرت إليهم قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر وفصلت أعضاؤهم بخناجر التعب خمص البطون من السرى لا يقربهم القرار ولا يجاورون الأشرار دعوا فأجابوا الملك الجبار قال ابن السماك فتركنا والله فى حيرة ومضى فما كان إلا ثلاثة أيام حتى قيل قد مات الفتى رضى الله عنه ونفعنا به وفى أمثاله قال القائل :

نحيل الجسم من طول الصيام نجوع للإله لكى يراه
أضر بجسمه طول القيام وقام لربه فى الليل حتى
نواعم قاصرات فى الخيام سيجزى فى جنان الخلد حورا
جوار الله فى دار السلام ويلهو مع حسان ناعمات

الحكاية الثالثة والخمسون بعد الثلاثمائة

عن أحد السلف أن قوما أمروا امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم رضى الله عنه لعلها تفتنه وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب والحلى وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه من الطيب ، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده فنظر إليها فراعه أمرها فأقبلت عليه وهى سافرة ، فقال لها الربيع كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ، أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين ، أم كيف بك لو قد سألك منكر ونكير فصرخت صرخة ووقعت مغشيا عليها قال فوالله لقد أفاقنا وبلغت من عبادة ربها ما إنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق .

الحكاية الرابعة والخمسون بعد الثلاثمائة

عن الحسن رضى الله عنه قال كانت امرأة بغى فى زمن بنى إسرائيل لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار وأنه أبصرها عابدا فأعجبته فذهب يعمل بيده ويعالج فجمع مائة دينار ثم جاء إليها وقال إنك أعجبتنى فانطلقت فعملت بيدي وعالجت حتى جمعت لك مائة دينار فقالت له ادخل فدخل وكان لها سرير من ذهب فجلست على سريرها ثم قالت له هلم فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذكر مقامه بين يدي الله تعالى فأخذته رعدة فقال لها اتركىنى أخرج ولك مائة دينار قالت ما بدا لك ، وقد زعمت أنى أعجبتك فلما قدرت على فعلت الذى فعلت قال خوفا من الله ومن مقامى بين يديه وقد بغضك إلى فأنت أبغض الناس إلى ، فقالت إن كنت صادقا فمالى زوج غيرك فقال دعينى أخرج فقلت لا إلا أن تجعل لى أنك تتزوج بى ، قال عسى أن يكون ذلك فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده ، فارتحلت بعده نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلته عليه وكانت تعرف بالملكة فقيل له إن الملكة قد جاءتك فلما رآها شهق شهقة فمات رحمه الله ، قال فسقط فى يدها فقالت أما هذا فقد فاتنى فهل له من قريب قالوا أخوه رجل فقير فقالت أنا أتزوج به حبا لأخيه فتزوجته فيسر الله منها سبعة أبناء كلهم صالحون .

الحكاية الخامسة والخمسون بعد الثلاثمائة

عن رجاء بن عمرو النخعى

قال كان فى الكوفة فتى جميل الوجه شديد التعب والاجتهاد وكان أحد الزهاد فنزل فى جوار قوم من النخع فنظر إلى جاريتهم جميلة فهويها وهام

بها عقله ونزل بها مثل الذى به فأرسل يخطبها من أبيها فأخبر أبوها أنها مسمأة لابن عم لها فاشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى فأرسلت إليه أنه قد بلغنى شدة محبتك لى وقد اشتد بلائى بك فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلى فقال للرسول لا واحدة من هاتين الخصلتين إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، أخاف نارا لا يخبو سعيها ولا يخمد لهيبها فلما انصرف الرسول إليها وأبلغها ما قال قالت وأراه مع ذلك زاهدا يخاف الله والله ما أجد أحق بهذا الأمر من أحد وإن العباد فيه لمشركون ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها ولبست المسوح وجعلت تتعبد وهى مع ذلك تذوب وتنحل حبا للفتى وأسفا عليه حتى ماتت فكان الفتى يأتى إلى قبرها فرآها فى منامه وكأنها فى أحسن منظر فقال لها كيف أنت وما لقيت فقالت :

نعم المحبة يا حبيبى محبتكا
فقال على أثر ذلك لإلام صرت فقالت :

إلى نعيم وعيش لا زوال له فى جنة الخلد ملك ليس بالفانى
فقال لها اذكرينى هناك فإنى لست أنساك فقالت ولا أنا والله ولقد سألت ربي مولاي ومولاك فأعنى على ذلك بالاجتهاد ثم ولت مديرة فقال لها متى أراك قالت ستأتينا عن قريب فلم يعش الفتى بعد تلك الرؤيا إلا سبع ليال رحمة الله عليهما .

الحكاية السادسة والخمسون بعد الثمائة

عن كعب الأبحار رحمه الله أن رجلا من بنى إسرائيل أتى فاحشة فدخل نهرا يغتسل فيه فناده الماء يا فلان أما تستحيى ألم تتب من هذا الذنب وقلت إنك لا تعود إليه فخرج من الماء فرعا وهو يقول ما بقيت أعصى الله أبدا فأتى جبلا فيه اثنا عشر رجلا يعبدون الله عز وجل فلم يزل معهم حتى قحط موضعهم فنزلوا يطلبون الكلال فمروا على ذلك النهر فقال لهم ذلك الرجل أما أنا فلست بذاهب معكم قالوا ولم قال لأن من اطلع منى على خطيئة فأنا أستحيى منه أن يرانى فتركوه ومضوا فناداهم النهر ألا أيها العباد ما فعل صاحبكم قالوا زعم أن ههنا من قد اطلع منه على خطيئته فهو يستحيى منه أن يراه قال سبحان الله العظيم إن أحدكم يغضب على ولده أو على بعض أقربائه فإذا تاب ورجع إلى ما يحب أحب فأتوه وأخبروه ، واعبدوا الله على شاطئ فأخبروه فجاء معهم فأقاموا يعبدون الله زمانا ثم إن صاحب الفاحشة توفى فناداهم النهر ، يا أيها العباد والعبيد

الزهاد غسلوه من مائى وادفنوه على شاطئى حتى يبعث يوم القيامة من قبرى ففعلوا ذلك به وقالوا نبئت ليلتنا هذه على قبره ، فإذا أصبحنا سرنا فباتوا على قبره فلما جاء وقت السحر غشيهم النعاس فأصبحوا وقد أنبت الله عز وجل على قبره عشرة من نبات السرو وكان أول سرو أنبته الله علي وجه الأرض قالوا ما أنبت الله عز وجل هذا السرو فى هذا المكان إلا وقد أحب الله عبادتنا فيه فأقاموا يعبدون الله عز وجل عند قبره كلما مات واحد منهم دفنوه إلى جانبه إلى أن ماتوا كلهم .

قال كعب الأحبار فكان بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم رضى الله عنهم .

الحكاية السابعة والخمسون بعد الثلاثائة

عن كعب الأحبار أيضا رضى الله عنه

قال انطلق رجلان من بنى إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم فدخل أحدهما وجلس الآخر خارجا فجعل يقول ليس مثلى يدخل بيت الله وقد عصيت الله فكتب صديقا .

(قال) وأصاب رجل من بنى إسرائيل ذنبا فحزن عليه وجعل يجيء ويذهب

ويقول بم أرضى ربي بم أرضى ربي فكتب صديقا .

(وحكى) عن الشبلى رضى الله عنه أنه قال كنت فى قافلة بالشام فخرج

الأعراب فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم فخرج جراب فيه سكر ولوز فأكلوا منه ولم يأكل الأمير فقلت له لم لا تأكل فقال أنا صائم فقلت تقطع الطريق وتأخذ الأموال وتقتل النفس وأنت صائم فقال يا شيخ أترك للصلح موضعا فلما كان بعد حين رأته يطوف حول البيت وهو محرم وقد أنحلته العبادة حتى صار كالشن البالى فقلت له أنت ذا الرجل فقال نعم ذلك الصيام أوقع الصلح بينى وبينه رحمة الله عليه .

الحكاية الثامنة والخمسون بعد الثلاثائة

عن الأصمعى رحمه الله

قال أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة فبينما أنا فى بعض سككها إذ طلع أعرابى جلف جاف على قعود له متقلدا بسيفه ويده قوس ، فدنا وسلم على وقال لى عن الرجل قلت من بنى الأصمعى قال أنت الأصمعى قلت نعم قال ومن أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال وللرحمن كلام يقوله آدميون قلت نعم قال اتل على شيئا منه فقلت له انزل عن قعودك فتزل فابتدأت بسورة

الذاريات حتى انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾^(١) قال يا أصمعى هذا كلام الرحمن عز وجل قلت إى والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق إنه لكلامه الذى أنزله على نبيه محمد ﷺ فقال لى حسبك ثم قام إلى راحلته فحرها وقطعها بجملدها وقال أعنى على تفريقها ففرقتها على من أقبل وأدبر ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرمل وولى مدبرا نحو البادية وهو يقول : ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾ .

فأقبلت على نفسى باللوم وقلت لم لم تنتبهى لما انتبه له هذا الأعرابى فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة المشرفة فبينما أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بى هاتف بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابى نحىلا مصفراً فسلم على وأخذ بيدي فأجلسنى من وراء المقام وقال لى اتل على كلام الرحمن فأخذت فى سورة الذاريات فلما انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾ صاح الأعرابى إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، ثم قال وهل غير هذا قلت نعم يقول الله عز وجل : ﴿فأورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾^(٢) فصاح الأعرابى صيحة وقال سبحان الله من أغضب الجليل حتى حلف ألم يصدقوه حتى أجتوه إلى اليمين قالها ثلاثا فخرجت فيها نفسه رحمة الله عليه .

الحكاية التاسعة والخمسون بعد الثلاثمائة

حكى أنه خرج عطاء الأزرق إلى الجبانة يصلى بالليل فعرض له لص فقال اللهم اكفنيه كيف شئت فيست يده ورجلاه فجعل يبكى ويصيح والله لا أعود أبدا ، فانطلق فاتبعه وقال أسألك بالله من أنت قال أنا عطاء فلما أصبح جعل يسأل أتعرفون رجلا صالحا يخرج بالليل إلى الجبانة يصلى قالوا نعم عطاء السلمى فذهب إلى عطاء السلمى فدخل عليه ، وقال إنى جئتك تائبا من قضية كذا وكذا فادع الله لى فرفع عطاء يديه إلى السماء وجعل يبكى ويقول ويحك ليس أنا إنما ذلك عطاء الأزرق رضى الله عنهما وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم أجمعين آمين .

(وروى) أنه دخل الشيخ أبو الحسن النورى رضى الله عنه فى الماء ليغتسل فجاء اللص وأخذ ثيابه ومشى ثم بعد ساعة رجع اللص بالثياب وقد بيست يده فلبس النورى ثيابه وقال إلهى رددت على ثيابى فاردد عليه يده فعوفى ومشى من ساعته رضى الله عنه .

(٢) سورة الذاريات : الآية ٢٣ .

(١) سورة الذاريات : الآية ٢٢ .

الحكاية الستون بعد الثلاثمائة عن كعب الأخبار رحمة الله عليه

قال قحط بنو إسرائيل على عهد موسى ﷺ فسألوه أن يستقي لهم، فقال اخرجوا معي إلى الجبل فخرجوا فلما صعدوا الجبل، قال موسى لا يتبعني رجل أصاب ذنبا فانصرفوا جميعا إلا رجلا أعور يقال له برخ العابد فقال له موسى ألم تسمع ما قلت قال بلى قال فلم تصب ذنبا قال ما أعلمه إلا شيئا أذكره لك فإن كان ذنبا رجعت قال ما هو ، قال مررت في طريق فإذا باب حجرة مفتوح فلمحت بعيني هذه الذاهبة شخصا لا أعلم ما هو رجل أم امرأة فقلت لعيني أنت من بين بدني سارعت إلى الخطيئة لا تصحيني بعدها أبدا فأدخلت أصبعي فقلعتها فإن كان هذا ذنبا رجعت قال موسى ليس هذا ذنبا ثم قال له استسق يا برخ فقال قدوس قدوس ما عندك لا ينفد وخزائنك لا تفتنى وأنت بالبخل لا ترمى فما هذا الذي لا تعرف به اسقنا الغيث الساعة الساعة قال ، فانصرفا يخوضان في الوحل برحمة الله عز وجل .

الحكاية الحادية والستون بعد الثلاثمائة

حكى أنه لحق بنو إسرائيل قحط أيضا على عهد موسى ﷺ فاجتمع الناس إليه فقالوا يا نبي الله ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث فقام معهم فخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفا أو يزيدون فقال موسى عليه السلام إلهي اسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك وارحمنا بالأطفال الرضع والبهائم الرتع والشيوخ الركع فما زادت السماء إلا صحوا ولا الشمس إلا حرا فقال موسى إلهي إن كان قد خلقت جاهي عندك فأنا أسألك بجاه النبي الأُمى محمد ﷺ الذي تبعته آخر الزمان اسقنا فأوحى الله عز وجل إليه ما خلق جاهك عندي وإنك عندي وجيه ، ولكن فيكم عبد يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة فناد بالناس حتى يخرج من بين أظهركم فبه منعتمكم الغيث ، فقال موسى إلهي وسيدى أنا عبد ضعيف وصوتى ضعيف فأين يبلغ إليهم وهم سبعون ألفا أو يزيدون أو ينقصون فأوحى الله عز وجل إليه منك النداء وعلى البلاغ فقام مناديا وقال يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله عز وجل منذ أربعين سنة بالمعاصي اخرج من بين أظهرنا فبك منعنا المطر فقام العبد العاصي فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحدا يخرج فعلم أنه المطلوب فقال في نفسه ، إن أنا خرجت من بين هؤلاء الخلق افتضحت على رءوس بنو إسرائيل وإن قعدت معهم منع الماء لأجلي ، فأدخل رأسه في ثيابه نادما على فعاله وقال إلهي وسيدى عصيتك أربعين سنة وأمهلتنى وقد أتيتك

طائعا فاقبلنى فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القرب فقال موسى إلهى وسيدى بماذا سقيتنا ولم يخرج من بين أظهرنا أحد فقال يا موسى سقيتكم بالذى به منعتكم فقال موسى إلهى أرنى هذا العبد الطائع فقال يا موسى إنى لم أفضحهُ وهو يعصينى أفأفضحه وهو يطيعنى يا موسى إنى أبغض النمامين أفأكون نماما .

الحكاية الثانية والستون بعد الثلاثمائة

حكى أن ثلاثة نفر خرجوا يستسقون فى زمن داود عليه السلام فقال أحدهم اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا وفى هذا المعنى قلت :

تعاليت ربى أنت ذا قد أمرتنا ————— بعفو وصفح عن مسيء لنا ظلم
وها نحن ربى قد ظلمنا نفوسنا ————— وأنت الذى بالعفو أولى وبالكرم

وقال الثانى اللهم إنك أمرتنا ان نعتق عبيدنا إذا شابوا فى خدمتنا وقد شبنا فى خدمتك فتفضل علينا بعفتنا وأنشدوا فى هذا المعنى :

إن الملوك إذا شـابـت عبيدهم ————— فى رقهـم عتقـوهـم عتق أبرار
فأنت أولى بذا يا سيـدى كرما ————— قد شبت فى الرق أعتقنى من النار

وقال الثالث اللهم إنك أمرتنا ألا نرد المساكين إذا وقفوا ببابنا وها نحن مساكين قد وقفنا ببابك فجد علينا بفضلك وإحسانك وعظيم امتنانك وأنشدوا :

أتيناك فى ركب المطامع والرجا ————— وقد كاد جيش اليأس يذهب بالأمل
فإن جدت بالعفو الذى أنت أهله ————— هزمتنا سرايا عسكر الخوف والوجل

(وأنشدوا أيضا)

أتيناك نرجو الفضل فامنن تفضلا ————— علينا وجد يا ذا المكارم والعلا
فأنت الذى يرجى ويكثر فضله ————— إذا انسدت الأبواب وانقطع الرجا

(وأنشد بعضهم)

قدمت عليك يا رب البرايا ————— فآمن روعتى يوم القـدم
فكيف لا أخاف ولي ذنوب ————— قدمت بها على الملك العظـيم
وما قدمت بين يـدى زادا ————— ولكنى قدمت على كـريم

الحكاية الثالثة والستون بعد الثلاثمائة

حكى أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافة قال رعاء الشاء فى رأس الجبال من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس ، فقيل لهم ما أعلمكم بذلك قالوا إنه إذا قام خليفة صالح كف الذئب والأسد عن شياها .
وقال العمري رضى الله عنه لهارون الرشيد رحمه الله وهو يسعى وقد صعد الصفا يا هارون قال له ليبيك يا عم قال ارم بطرفك إلى التراب قال قد فعلت قال انظر إليهم كم هم قال ومن يحصيههم قال فكم فى الناس مثلهم قال خلق لا يحصيههم إلا الله ، قال اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هارون .
ثم قال العمري وأخرى أقولها قال قل يا عم قال والله إن الرجل ليسرف فى ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرف فى مال المسلمين ثم مضى وهارون يبكى .
وقال أيضا رضى الله عنه من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مخالفة المخلوقين نزعته منه هيبة الله فلو أمر ولده أو بعض مواليه لم يطعه .
وقال أيضا رضى الله عنه من غفلت عن نفسك إعراضك عن الله بأن ترى ما يسخطه فتتجاوزه ولا تأمر ولا تنهى خوفا ممن لا يملك لك ضرا ولا نفعا .

الحكاية الرابعة والستون بعد الثلاثمائة

حكى عن أحد المشايخ أنه كانت عنده دنيا واسعة ينفقها فى وجوه الخير فقال له بعض أصحابه يوما يا سيدى أخرج هذه الدنيا كلها عنك وتجرد عنها فذلك أليق بك كما هو عادة المشتغلين بالله المعرضين عما سواه فقال له الشيخ دونك أنفق جميع ما ترى عندى ولا تدع شيئا فأخرج الفقير جميع ذلك وأنفق كله فى يومه فلما كان اليوم الثانى أقبلت الدنيا من كل مكان إلى الشيخ واجتمع عنده أكثر مما كان فقال الشيخ للفقير: إذا كان الله تعالى: يريد شيئا فلا تقدر أن تخرج عن إرادته .
وقال بعضهم إذا كان حب الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تراحمها وإذا سكن حب الدنيا فى القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لثيمة .
وقال السيد الجليل الإمام النبيل الولي المقرب سعيد بن المسيب رضى الله عنه إن الدنيا ندلة وهى إلى كل نذل أميل وأندل منها من أخذها بغير حقها وطلبها بغير وجهها ، ووضعها فى غير سبيلها وقال إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل

إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله .

الحكاية الخامسة والستون بعد الثلاثمائة عن أحد السلف

قال كان لقمان عبدا حبشيا لرجل جاء به إلى السوق ليبيعه فكان لقمان كلما جاء إنسان يشتريه قال له ما تصنع بي فإذا قال له أصنع بك كذا وكذا قال حاجتي إليك ألا تشتريني حتى جاء رجل فقال له لقمان ما تصنع بي قال أصيرك بوابا على بابي ، قال اشتريني فاشتراه وجاء به إلى داره وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين في القرية وأراد أن يخرج إلى ضيعة له فقال له إني قد أدخلت إليهن طعامهن وشرابهن وما يحتجن إليه فإذا خرجت فأغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أجيء فلما خرج فعل ما أمره به مولاه فقال له البنات افتح الباب فأبى عليهن فشججنه ورجعن فغسل الدم وجلس فلما قدم سيده لم يخبره ثم أراد سيده الخروج أيضا وقلن له افتح الباب فأبى فشججنه ثانية ورجعن فجلس فلما أتى مولاه لم يخبره بشيء فقالت الكبيرة منهن ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله عز وجل منى والله لأتوبن فتابت ، فقالت الصغرى ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى أولى بطاعة الله عز وجل منى والله لأتوبن فتابت ، فقالت الوسطى ما بال هذا العبد الحبشي وهاتين الأختين أولى بطاعة الله عز وجل منى والله لأتوبن ، فتابت فقال غواة القرية ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله تعالى منا والله لتتوبن فتاب الجميع إلى الله سبحانه وتعالى ، وصاروا عباد القرية رحمهم الله .

الحكاية السادسة والستون بعد الثلاثمائة عن الشبلي رضي الله عنه

أنه كان يقول ليت شعري ما اسمي عندك يا علام الغيوب وما أنت صانع بي يا غفار الذنوب وبم تختم عملي يا مقلب القلوب ثم أشد :

ليت شعري كيف ذكرى عند من يعلم سرى
أجميــــــــــــل أم قبيــــــــــــح أم بخــــــــــــير أم بشر
ليت شعري كيف حــــــــــــالى يوم إحضــــــــــــارى وحشــــــــــــرى

ليت شعري كيف موتى يبقين أم بكفرف
أترى يقبل قولى أم ترى يشرح صدرى
ليت شعري أين أمضى لنعيم أم لجمر
فدعوا مدحى ووصفى فأنا أعرف قـدرى
وقال بعضهم رأيت الشبلى قائما يتواجد وقد خرق ثوبه وهو يقول :
شفتت جيبى عليك شقا وما لجيبى عليك حقا
أردت قلبى فصادفتـه يداى بالجيب إذا تـوقى
لو كان قلب مكان جيبى لكان للشق مستحقا

الحكاية السابعة والستون بعد الثلاثمائة

عن حاتم الأصم رضى الله عنه

قال من دخل فى مذهبنا فليجعل على نفسه أربع خصال من الموت ، موتا أبيض وهو الجوع ، وموتا أسود وهو احتمال الأذى من الخلق ، وموتا أحمر وهو العمل ومخالفة الهوى ، وموتا أخضر وهو طرح الرقاق بعضها على بعض .
وحكى عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه قال رأيت راهبا وعليه مدرعة شعر سوداء فقلت له ما الذى حملك على لبس السواد قال هو لباس المحزونين وأنا من أكبرهم فقلت له ومن أى شىء أنت محزون قال لأنى أصبت فى نفسى وذلك أنى قتلتها فى معركة الذنوب فانا حزين عليها ثم سال دمه فقلت له ما الذى أبكاك الآن قال ذكرت يوما مضى من أجلى لم يحسن فيه عملي فبكائى لقلة الزاد وبعد المفازة وعقبة لا بد لى من صعودها ثم لا أدرى أين يهبط بى إلى الجنة أم إلى النار ثم أنشد:
يا راكبا يطـوى مسافة عمره بالله هل تدرى مكان نزولكـا
شمر وقم من قبل حطك الثرى فى حفرة تبلى بطول حلولكـا

الحكاية الثامنة والستون بعد الثلاثمائة

عن سفيان الثورى رضى الله عنه

قال قال لي محمد بن واسع رضى الله عنه يوما هل توافقنى فى زيارة رجل من أولياء الله عز وجل قلت له نعم فدخل الدار وخرج ومعه كسرة خبز وخرجنا من البصرة ثم انتهينا إلى منزله وهو بعيد عن العمران ووقفنا ببابه فسمعنا بنات له يخاصمنه فى شأنهن وما هن فيه من رثاة الحال .

فقال لهن إن الذى خلقتكن وشق أفواهكن وخلق لكن أضراسا ويطونا أرحم بكن منكن لأنفسكن ، قال فاستأذنا عليه فقال من هنا فقلنا محمد وسفيان فخرج إلينا وقال ما الذى جاء بكما فقال محمد بن واسع كسرة أتيت بها لتلك البنات فقال له هاتهما جئت بها فى وقتها فدخلنا وجلسنا معه حتى سمعنا استئذان رجل فقال من هذا قال مالك بن دينار فخرج إليه وقال ما الذى جاء بك ، فقال أتيت بدرهمين لتلك البنات فقال سبقك بها محمد بن واسع جاءهن بما يكفيهن اليوم قال فخذهما واخباهما لهن إلى غد فقال أتخوفنى يا مالك والله لا تدخل إلى ، قال سفيان فقال لى محمد ترى مقام هذا الرجل وما هو فيه من رثاءة الحال فقلت هذا من الفضلاء قال أجل قلت من الزهاد قال أجل قلت من العباد قال أجل فلم أزل أذكر له المقامات وهو يقول أجل أجل حتى قال هذا من الفقراء الصابرين رضى الله عنهم ونفعنا بهم .

الحكاية التاسعة والستون بعد الثلاثمائة عن أحد الصالحين

قال رأيت شابا عليه عباءة ويده ركوة ، فقال لى إنى إنسان أقصد الورع فلا أكل إلا ما ألقاه الناس فربما أجد قشرة شىء قد سبقنى إليها النمل فألقيه وأتناول تلك القشرة فهل علي فى ذلك شىء ، قال فقلت فى نفسى ما بقى على وجه الأرض من يتورع بمثل هذا الورع فنظرت فإذا الرجل واقف على أرض من فضة بيضاء وقال لى الغيبة حرام وغاب عن بصرى قيل معنى الحكاية أنه لما ترك ما حجب الخلق عن الله أكرمه الله بنور الإشراق أو قال بنور الإشراف حتى نطق عما خطر بقلبه من الإنكار ثم أخفاه الله تعالى عنه بشؤم الاعتراض وهكذا سنة الله فى أوليائه أن يسترهم عن لا يبلغ رتبتهم ، ولا يصل إلى منزلتهم ، وقال الشيخ أبو الخير الأقطع رضى الله عنه ما بلغ أحد إلى حالة شريفة ومرتبة عالية إلا بملازمة الموافقة ومعاناة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء الصادقين رضى الله عنهم ونفع بهم أجمعين .

الحكاية السبعون بعد الثلاثمائة عن أحدهم

قال اجتمع جماعة من الفقراء فذهبوا يزورون رجلا أسود كان ناطورا يقال له مقبل فمضيت معهم فدخلنا إلى مكان فيه باذنجان كثير وفيه أسود قائم يصلى فسلمنا عليه وجلسنا إلى أن سلم فأخرج كيسا فيه كسر خبز يابسة وملح جريش وقال كلوا فأكلنا وأخذ الجماعة يذكرون كرامات الأولياء ، وهو ساكت فقال له بعض الجماعة يا مقبل قد زرتك فما تحدثنا بشىء فقال أى شىء أنا وأى شىء عندى أخبركم به ، أنا

أعرف رجلا لو سأل الله أن يجعل هذا الباذنجان ذهباً لفعل قال فوالله ما استتم كلامه حتى رأينا الباذنجان يتقد ذهباً فقال له بعضهم يا مقبل لا سبيل لأحد أن يأخذ من هذا الباذنجان أصلاً واحداً فقال له خذ فأخذ أصلاً فقلعه بعروقه وجميع ما فيه من ذهب فوقعت من الأصل باذنجاناً صغيرة وشيء من الورق فأخذته وبقاياها معي إلى يومى هذا ، ثم صلى مقبل ركعتين وسأل الله تعالى أن يعيده كما كان ففعل وعاد مكان ذلك الأصل المقطوع أصل آخر باذنجان رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية الحادية والسبعون بعد الثلاثمائة

روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه قيل لما حضرته الوفاة تركت أولادك فقراء لا شيء لهم فقال أولادى أحد رجلين إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا وهو يتولى الصالحين .

وإما رجل مكب على المعاصى فلا أقوى به على معاصى الله عز وجل .
وكان رضى الله عنه يؤتى بالحلة وهو فى الخلافة بألف درهم فيقول ما أحسنها لولا خشونة فيها ويؤتى بالحلة وهو فى الخلافة بأربعة دراهم أو بستة فيقول ما أحسنها لولا نعومة فيها فقيل له فى ذلك فقال إن لى نفسا تواقة ذواقة إذا تآقت إلى شيء وذاقته تآقت إلى ما فوقه فلم تزل تتوق وتدوق إلى أن ذآقت الخلافة فتآقت إلى ما فوقها فلم تجد شيئا فوقها إلا ما عند الله فى الدار الآخرة ، فتآقت إليه ولا يمكن الوصول إليه إلا بترك الدنيا رضى الله عنه ونفعنا به .

وسئل حاتم الأصم رضى الله عنه ونفعنا به فيم أفيت عمرك فقال فى أربعة أشياء علمت أنى لا أخلو من نظر الله تعالى طرفة عين فاستحييت أن أعصيه ، وعلمت أن لى رزقا لا يجاوزنى وقد ضمنه لى فوثقت به وقعدت عن طلبه وعلمت أن على فرضا لا يؤديه غيرى فاشتغلت به ، وعلمت أن لى أجلا يبادرنى فبادرته واستعددت للدار الآخرة فأنا مشغول بمألفاه من كرم الله وثوابه وعقابه .

الحكاية الثانية والسبعون بعد الثلاثمائة

عن إبراهيم بن الأشعث رحمه الله

قال سمعت الفضيل بن عياض رضى الله عنه ليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكى ويردد هذه الآية الكريمة ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾^(١) وجعل يقول وتبلوا أخبارنا ويردد وتبلوا أخبارنا ويقول إن بلوت أخبارنا فضحنتا وهتكت أستاذنا أن بلوت أخبارنا فضحنتا وهتكت أستاذنا ، إن بلوت

(١) سورة محمد : الآية ٣١ .

أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ، وسمعته يقول تزينت للناس يا فضيل وتصنعت للناس وتهيات لهم ولم تزل ترائي حتى عرفوك فقالوا رجل صالح فقضوا لك الحوائج ووسعوا لك في المجالس وعظموك وبجلوك بخلاف غيرك خيبة لك ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك وفعالك ، وسمعته يقول إن قدرت ألا تعرف فافعل وما عليك ألا تعرف وما عليك إن لم يثن عليك عند الناس وما عليك أن تكون مذموما عندهم إذا كنت عند الله محمودا وما تدرى ما أنت غدا ملاق خيبة أو سرورا أما تذكر فعالك أما تقصر آمالك أما تترك أشغالك وأثقالك فلست تدرى ما يكون حالك بخ بخ لك إن قيل نجوت وآه آه إن قيل شقوت اللهم تب علينا وسامحنا بلطفك يا عظيم عظيم جرمننا في عظيم عفوك وكرمك يا أرحم الراحمين .

الحكاية الثالثة والسبعون بعد الثلاثمائة

عن محمد بن واسع رضي الله عنه

قال أقمت أشتهى كبدا مشويا أربعين سنة فقلت يوما أخرج إلى الجهاد ففعل أن يقع في سهمى شاة فأكل منها شهوتي فخرجت مع الناس إلى الجهاد فقاتلنا في المشركين وغنمنا وأخذت في سهمى شاة فسألت بعض أصحابي أن يشوى لى كبدها فأخذتني هجعة فنمت فرأيت ملائكة نزلوا من السماء فكتبوا فلان خرج مجاهدا ليقال شجاع ، وهذا خرج لغنيمة وهذا خرج للمفاخرة قال ثم وقفوا علي وقالوا شهواني مسكين اشتهى كبدا مشويا فقلت بالله لا تفعلوا فأنا تائب إلى الله عز وجل ثم قلت يا رب لا أعود يا رب لا أعود ثلاثة أنا تائب إليك من سائر الشهوات رضى الله عنه .

الحكاية الرابعة والسبعون بعد الثلاثمائة

قال أبو تراب النخشبى رضى الله عنه ما تمت نفسى شيئا من الشهوات إلا مرة واحدة تمت نفسى خبزا وبيضا وأنا فى سفر فعدلت إلى قرية فقام واحد وتعلق بى وقال هذا كان مع اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفنى رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبى فاعتذروا إلي وحملنى رجل إلى منزله وقدم لى خبزا وبيضا فقلت لنفسى كلى بعد سبعين درة وأنشدوا :

إذا طالبتك النفس يوما بشهوة

كان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما

هواها عدو والخلاف صديق

(وقال بعض الصالحين) عرضت على الدنيا بزيتها وزخارفها وشهواتها

فأعرضت عنها ، ثم عرضت على الآخرة بحورها وقصورها وزيتها فأعرضت عنها

فقليل لى لو أقبلت على الدنيا حجبناك عن الآخرة ولو أقبلت على الآخرة حجبناك
عنا فيها نحن لك وقسمتك من الدارين تأتيك .

وقال أبو يزيد البسطامي رضى الله عنه رأيت ربي فى المنام فقلت كيف أجذك
فقال فارق نفسك وتعال .

وقال أحمد بن خضرويه رأيت رب العزة فى المنام فقال لى يا أحمد كل الناس
يطلبون منى إلا أبا يزيد فإنه يطلبنى .

قال إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه رأيت جبريل عليه السلام فى المنام ويده
قرطاس فقلت ما تصنع به قال أكتب أسماء المحبين فقلت اكتب تحتهم محب المحبين
إبراهيم بن أدهم فنودى يا جبريل اكتبه أولهم رضى الله عنه .

الحكاية الخامسة والسبعون بعد الثلاثمائة

قال المؤلف كان الله له رأيت قبراً فى بعض البلاد يزار فزرتة وسألت عنه أهل
البلد فقالوا كان فى هذا البلد رجل غريب فقير فمرض ثم مات فكفنه إنسان من أهل
البلد يعرفه فلما كان الليل رآه ذلك الإنسان الذى كفنه فى المنام وقد خرج من قبره
وجاء بحلة من حرير ، وقال خذ هذه الحلة عوض الثوب الذى كفتنى فيه ثم
استيقظ من منامه والحلة عنده وهذه الحكاية مشهورة فى ذلك البلد مستفيضة عندهم .
قال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه الناس فى محبة الله عز وجل عام وخاص
فالعوام أحبوه لكثرة نعمه ودوام إحسانه إلا أن محبتهم تقل وتكثر وأما الخواص فأحبوه
لما عرفوا من صفاته وأسمائه الحسنى واستحق المحبة عندهم لأنه أهل لها ولو أزال
عنهم جميع النعم .

وقال أبو تراب النخشبى رضى الله عنه فى علامات المحبة هذه الأبيات :

لا تخد عن فللمحب دلائل	ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه	وسروره حقاً بما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة	والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن يرى من عزمه	طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى مبتسماً	والقلب فيه من الحبيب بلا بل
ومن الدلائل أن يرى متفهماً	لكلام من يحظى لديه السائل

الحكاية السادسة والسبعون بعد الثلاثمائة عن أحد الصالحين

قال كان لى صديق ابتلاه الله بالجذام حتى ذهب يده ورجلاه وعيناه فأتيت به المجذومين وجعلته معهم وكنت أتعهده فغفلت عنه أياما ثم ذكرته فأتيته وقلت إنى غفلت عنك فقال إن لى من لا يغفل عنى فقلت والله ما ذكرتك فقال إن لى من يذكرنى ثم قال إليك عنى فقد شغلتنى عن ذكر الله فما لبث غير أيام يسيرة وتوفى فأخرجت كفننا فيه طول فقطعت ما فضل عنه وكفنته ودفنته ، فبينما أنا فى منامى إذا برجل قد وقف على لم أر أحسن منه وجها ولا صورة وقال بخلت علينا بكفن طويل دونك كفنك فقد رددناه عليك وقد كفنناه فى السندس والإستبرق قال فاستيقظت من منامى وإذا أنا بالكفن عند رأسى رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين آمين .

الحكاية السابعة والسبعون بعد الثلاثمائة

حكى أن شابا كان يحضر مجلس بعض علماء السلف الوعاظ وكان الشاب إذا سمع الواعظ يقول يا ستار يهتز كما تهتز السعفة فقيل له فى ذلك فقال الشاب اعلموا أنى كنت أخرج فى زى النساء وأحضر كل موضع فيه وليمة أو عرس تجتمع فيه النساء فحضرت يوما عرسا لبنت بعض الملوك فسرق عقد لبنت الملك فصاحوا أن أغلقوا الباب وفتشوا النساء ففتشوهن واحدة واحدة حتى لم يبق إلا امرأة واحدة وأنا فدعوت الله عز وجل وأخلصت النية والتوبة، وقلت إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا أبدا فوجدوا العقد مع المرأة التى بقيت فقالوا أطلقوا المرأة الأخرى يعنونى فأطلقونى وحالى مستور ، فمن حينئذ إذا سمعت ذكر الستار أذكر ستره على ويأخذنى ما رأيت من الاهتزاز ، اللهم يا ستار العيوب ويا غفار الذنوب ويا مقلب القلوب ويا كاشف الكروب استر عيوبنا واغفر ذنوبنا وأصلح قلوبنا واكشف كروبنا وهمومنا وغمومنا وارزقنا حسن الخاتمة يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين .

الحكاية الثامنة والسبعون بعد الثلاثمائة

عن ذي النون المصرى رضى الله عنه

قال رأيت امرأة تسيح على طريق التوكل وعليها مدرعة من شعر ومقنعة من صوف فقلت لها يرحمك الله ليس السياحة للنساء فقالت إليك عنى يا مغرور أأست تقرأ كتاب الله تعالى قلت بلى قالت اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ألم تكن أرض

الله واسعه فتهاجروا فيها^(١) فعلمت أنها مليئة بالعلم فقلت لها بأى شيء عرفت الله قالت عرفت الله بالله ، وعرفت مادون الله بنور الله ، فقلت لها ما هو اسم الله الأعظم قالت : هو اسم الله الأعظم رضى الله عنها ونفعنا بها .

وقال السرى رضى الله عنه اشتريت جارية للخدمة فكانت تخدمنى دهرا طويلا وهى تكتم أمرها ولها محراب تصلى فيه فلما كان فى بعض الليالى وجدتها وهى تصلى تارة وتناجى ربها تارة فسمعتها تقول بحبك لى إلا فعلت لى كذا وكذا فناديتها عند ذلك يا هذه لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبى إياك فقالت يا سيدى لولا حبه إياى ما أقعدك وأقامنى فلما أصبحت دعوت بها وقلت إنك لا تصلحين لخدمتى بل تصلحين لخدمة مولاك الأكبر اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى ثم وصلتها بشيء وسرحتها وندمت على مفارقتها رضى الله عنها ونفعنا بها .

الحكاية التاسعة والسبعون بعد الثلاثمائة

عن أبى عامر الواعظ رحمه الله تعالى

قال رأيت جارية ينادى عليها بثمان لا قدر له فنظرت إليها فإذا بها قد لصقت بطنها بظهرها وتلبد شعرها وأصفر لونها فاشتريتها رحمة لها فقلت لها اذهبى بنا إلى السوق لنأخذ حوائج رمضان فقالت الحمد لله الذى جعل الأشهر عندى شهرا واحدا ولم يجعل لى شغلا بالدنيا قال فكانت تصوم النهار وتقوم الليل فلما قرب العيد قلت لها إذا كان الصباح فبكرى بنا إلى السوق لنأخذ حوائج العيد فقالت يا مولاي ما أعظم شغلك بالدنيا ثم دخلت وأقبلت على صلاتها ولم تزل تتلو آية بعد آية حتى بلغت قوله تعالى : ﴿ويسقى من ماء صديد﴾^(٢) الآية فلم تزل تكررهما حتى صاحت صيحة فارقت فيها الدنيا رضى الله عنها ونفعنا بها .

الحكاية الثمانون بعد الثلاثمائة

قال أحد الصالحين خرجت إلى السوق ومعى جارية حبشية فأجلستها فى مكان منها وقلت لها لا تبرحى حتى أعود إليك فذهبت ثم عدت إلى المكان فلم أجدها فيه فانصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها فجاءتنى وقالت لى يا مولاي لا تعجل على فإنك أجلستنى بين قوم لا يذكرون الله فخشيت أن ينزل بهم خسف وأنا معهم فقلت لها هذه الأمة قد رفع عنها الخسف إكراما لنبينا محمد ﷺ فقالت إن رفع عنها

(٢) سورة إبراهيم : الآية ١٦ .

(١) سورة النساء : الآية ٩٧ .

خسف المكان فما رفع عنها خسف القلوب ، يا من خسف بمعرفته وقلبه وهو في
غفلة من بلائه وكربه بادر إلى حميتك ودوائك قبل موتك ثم أنشدت :
هلموا بنا نذرى الدموع تأسفا بلاء المعاصى فوق كل بلاء
لعل إلهى أن يمن بجمعنا فقد طال فى سجن الفراق عنائى
فيامهجتى لا تتركى الحزن ساعة ويا مقلتى هـذا أوان بكائى

الحكاية الحادية والثمانون بعد الثلاثمائة

عن أبى الحسن الديلمى رحمه الله تعالى

قال وصف لى إنسان أسود بأنطاكية يتكلم عن القلوب فقصدته فلما رأته
أبصرت معه شيئا من المباحات يريد أن يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر إلى
ثم قال اقعد حتى أبيع هذا وأعطيك شيئا من ثمنه فإنك جائع منذ يومين قال وكنت
جائعا منذ يومين فتغافلت كأنى لم أسمع ما قال وذهبت عنه وساومت غيره ثم عدت
إليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر إلى وقال اقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا
نعطيك من ثمنه شيئا قال فوقع فى قلبى منه هية فلما باع ذلك أعطاني منه شيئا
ومضى ومضيت خلفه لعلى أستفيد منه شيئا بقوله فالتفت إلى وقال إذا عرضت لك
حاجة فأنزلها بالله ، إلا أن يكون لنفسك فيها حظ فتحجب عن الله ، ومن علم أن
الله كافي لا يستوحش من إعراض الخلق عنه ولا يستأنس بإقبال الخلق عليه ثقة بأن
الذى قسم له لا يفوته ، وإن أعرضوا عنه والذى لم يقسم له لا يصل إليه وإن أقبلوا
عليه .

الحكاية الثانية والثمانون بعد الثلاثمائة

حكى عن أحدهم أنه دخل على بعض الفقراء فلم يجد فى بيته شيئا من المتاع
فقال له أما عندكم شىء من المتاع قال بلى لنا داران إحداهما دار أمن والأخرى دار
خوف فما يكون لنا من الأموال ندخره فى دار الأمن يعنى نقدمه للدار الآخرة فقال له
إنه لا بد لهذا المنزل من متاع فقال إن صاحب هذا المنزل لا يدعنا فيه .
وقيل الدنيا عارية أو وديعة ولا بد للمعير أن يرجع فى عاريتها وللمودع أن يأخذ
وديعته وأنشدوا :

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوما أن ترد الودائع

الحكاية الثالثة والثمانون بعد الثلاثمائة عن أحد الصالحين

قال كان بالبصرة رجل يقال له ذكوان وكان سيدا فى زمانه فلما حضرته الوفاة لم يبصر أحد بالبصرة إلا شهد جنازته قال فلما انصرف الناس من دفنه نمت عند بعض القبور وإذا ملك قد نزل من السماء وهو يقول يا أهل القبور قوموا لأخذ أجوركم فانشقت القبور عن أهلها وخرج كل من كان فيها فغابوا ساعة ثم جاءوا وذكوان فى جملتهم وعليه حلتان من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وبين يديه غلمان يسبقونه إلى قبره وإذا ملك ينادى هذا عبد كان من أهل التقوى فبنظرة واحدة وصلت إليه المحن والبلوى فامثلوا فيه أمر المولى فقرب من جهنم فخرج إليه منها لسان أو قال ثعبان فلدغ بعض وجهه فاسود ذلك الموضع ونادى يا ذكوان لم يخف عن المولى من أمرك شىء هذه النفخة بتلك النظرة ولو زدت لزدناك فبينما أنا كذلك وإذا برجل قد أطلع رأسه من قبره فقال يا هؤلاء ما أردتم فوالله لقد مت منذ تسعين سنة فما ذهبت مرارة الموت منى حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت قال وبين عينيه أثر السجود وأنشدوا :

أفلمست تدري أن يومك قد دنا أو لست تدري أن عمرك ينفد
فعلام تضحك والمنية قد دنت وعلام ترقد والثرى لك مرقد

الحكاية الرابعة والثمانون بعد الثلاثمائة عن أحد الصالحين

قال خطر لى أن أزور رابعة العدوية رضى الله عنها وأنظر أصادقة هى فى دعاها أم كاذبة فبينما أنا كذلك وإذا بفقراء قد أقبلوا ووجوههم كالأقمار وروائحهم كالمسك فسلموا على وسلمت عليهم وقلت من أين أقبلتم فقالوا يا سيدى حديثنا عجيب فقلت لهم وما هو فقالوا نحن من أبناء التجار المتمولين فكنا عند رابعة العدوية رضى الله عنها فى مصر فقلت وما وداكم إليها قالوا كنا ملتئين بالأكل والشرب فى بلدنا فنقل لناحسن رابعة العدوية وحسن صوتها وقلنا لا بد أن نروح إليها ونسمع غناءها ، وننظر فى حسنها فخرجنا من بلدنا إلى أن وصلنا إلى بلدها ووصفوا لنا بيتها وذكروا لنا أنها قد تابت فقال أحدها إن كان قد فاتنا حسن صوتها فما يفوتنا نظرها وحسنها فغيرنا حليتنا ولبسنا لبس الفقراء وأتينا إلى بابها فطرقنا الباب فلم نشعر إلا وقد خرجت وتمرغت بين أقدامنا وقالت لقد سعدت بزيارتكم لى فقلنا لها كيف ذلك قالت عندنا امرأة عمياء منذ أربعين سنة فلما طرقتم الباب قالت إلهى

وسيدى بحرمة هؤلاء الأقسام الذين طرقتوا إلا ما رددت علي بصري فرد الله عليها
بصرها فى الوقت قال فعند ذلك نظر بعضنا إلى بعض وقلنا ترون إلى لطف الله بنا
لم يفضح سريرتنا فقال الذى أشار علينا بلبس الفقراء والله لا عدت أقلع هذا اللباس
عنى وأنا تائب إلى الله عز وجل على يدي رابعة ، فقلنا له نحن وافقتناك على
المعصية ونحن أيضا نوافقك على الطاعة والتوبة فتبنا كلنا على يديها وخرجنا عن
أموالنا جميعها وصرنا فقراء كما ترى رضى الله عنهم .

الحكاية الخامسة والثمانون بعد الثلاثمائة

عن بشر بن الحرث رضى الله عنه

قال رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى يا بشر أتدرى لم رفعك الله من بين
أقرانك قلت لا يا رسول الله قال باتباعك لستى وخدمتك للصلحين ونصحك
لإخوانك ومحبتك لأصحابى وأهل بيتى هو الذى بلغك منازل الأبرار .
(وقيل) تعلق رجل بامرأة فى بغداد فتعرض لها فأبت أن تمكته من نفسها وكل
من جاء ليخلصها منه طعنه بسكين معه وكان رجلا شديدا فبينما الناس حوله والمرأة
تصيح فى يده إذ مر بشر بن الحرث رضى الله عنه فدنا منه وحك كتفه بكتفه فوق
الرجل إلى الأرض وهربت المرأة ومضى بشر فدنا الناس من الرجل فإذا هو يرشح
عرقا كثيرا فسألوه عن حاله فقال ما أدرى ولكن حك كتفى شيخ وقال إن الله ناظر
إليك وإلى ما تعمل فصعقت لقوله وهبت هيبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل
ف قيل له ذاك بشر بن الحرث فقال واسواتاه كيف ينظر إلى بعد اليوم وحم الرجل من
يومه ومات يوم السابع رحمه الله تعالى .

الحكاية السادسة والثمانون بعد الثلاثمائة

حكى أنه خرج أبو الحسين النورى رضى الله عنه من بيته ليلة فوجد حارسا قد
تعلق برجل وامرأة خلف الدرب وهو يقول لهما لا بد أن أرفعكما إلى الوالى فدنا
منهم أبو الحسين وقال للحارس خل عنهما واسترهما فأبى الحارس فضمن له شيئا
يدفعه إليه فأخرج من كفه منديلا فيه دراهم ونزع رداءه ودفع الجميع إليه قال
خل عنهما وخذ هذا كله وأنا أجيء معك تسلمنى الوالى كما شئت فقال له الحارس
على أنك لا تنكر ما أقول فيك قال نعم فأخذ ذلك وخلى سبيلهما وجعل الحارس
ثوبا فى عنق الشيخ وجعل يقوده حتى وقف على صاحب الشرطة فقال إنى وجدت
هذا مع امرأة خلف الدرب فقال الوالى لأبى الحسين ما تقول قال نعم كنت أنا وهو

وامرأة معنا فقال ليس وجهك وجه من يفعل هذا ثم قال للحارس أصدقني وإلا عاقبتك فحدثه بالحديث فتاب الوالى والحارس ومضى الشيخ أبو الحسين رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية السابعة والثمانون بعد الثلاثمائة

عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه

قال صعدت جبل قاف فرأيت سفينة نوح مطروحة فوقه .
وقيل لأبى يزيد رضى الله عنه هل بلغت جبل قاف فقال جبل قاف أمره قريب بل جبل كاف وجبل صاد وجبل عين وهى جبال محيطة بالأرض حول كل أرض جبل بمنزلة حائطها وجبل قاف بهذه الأرض وهى أصغر الأرضين وهو أيضا أصغر الجبال وهو جبل من زمردة خضراء وقيل إن خضرة السماء من خضرته .
(وروى) أن الدنيا كلها خطوة للولى ، وحكى أن وليا من أولياء الله تعالى احتاج إلى النار فرفع يده إلى القمر فاقتبس منه جذوة فى خرقة كانت معه .

الحكاية الثامنة والثمانون بعد الثلاثمائة

حكى أن أحد السلف نام فى وقت متوسدا فأتاه آت فى منامه فقال له قل ما أقول قال قل :

يا حر إنك إن توسد لينا وسدت بعد الموت صم الجندل
فاعمل لنفسك فى حياتك صالحا فلتندمن غدا إذا لم تفعل
وقال ابن المبارك رضى الله عنه إن الصالحين فيما مضى كانت نفوسهم تواتيهم على الخير عفوا وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره فينبغى لنا أن نكرها .
(قلت) يعنى بقوله عفوا مطاوعة من غير جهد وعقوبة .

(وقال) بعض السلف يا ابن آدم إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا عن نشاط فإن النفس إلى السامة والفتور والملل أقرب ولكن المؤمن هو المشدد والمؤمن هو المتوقى والمؤمن هو العجاج إلى الله بالليل والنهار والله ما زال المؤمنون يقولون ربنا ربنا ربنا فى السر والعلانية حتى استجاب لهم .

(وقال) الشيخ أبو الربيع المالقى رضى الله عنه سيروا إلى الله عرجا ومكاسير ولا تنظروا الصحة فإن انتظار الصحة بطالة .

الحكاية التاسعة والثمانون بعد الثلاثمائة عن صالح المري رضى الله عنه

قال خرجت يوما أريد زيارة أبي جهير الضرير وكان قد خرج من البلد وبنى له مسجدا يتعبد فيه فبينما أنا فى بعض الطريق إذا أنا بمحمد بن واسع فقال لى إلى أين ، فقلت أريد أبا جهير قال وأنا أريده فمضينا وإذا نحن بحبيب العجمي ، فقال أين تريدان قلنا أبا جهير ، قال وأنا أريده فمضينا وإذا نحن بمالك بن دينار رضى الله عنه فقال أين تريدون فقلنا أبا جهير فقال وأنا أريده وإذا بشابت البناني رضى الله عنه فقال: مثلما قالوا وأجاب بمثل ما أجابوا وقال الحمد لله الذى جمعنا قال فمضينا من غير ميعاد فلما انتهينا إلى موضع حسن قال لنا البناني تعالوا نصل ههنا ركعتين حتى يشهد لنا يوم القيامة عند ربنا عز وجل ثم أتينا منزل أبي جهير رضى الله عنه فجلسنا وكرهنا أن نستأذن عليه حتى إذا كان وقت الظهر خرج فأذن وأقام الصلاة وصلى فصلينا معه وقام إليه محمد بن واسع فقال من أنت قال أنا أخوك محمد بن واسع قال أنت الذى يقال إنك أفضل أهل البصرة صلاة فسكت ثم قام إليه ثابت البناني فقال من أنت قال ثابت البناني قال أنت الذى يقال إنك أكثر أهل البصرة صلاة فسكت ثم قام إليه مالك بن دينار ، فقال من أنت قال مالك بن دينار قال يخ يخ أنت الذى يقال إنك أزهد أهل البصرة فسكت ثم قام إليه حبيب العجمي فقال من أنت قال حبيب العجمي قال أنت الذى يقال إنك مستجاب الدعاء فسكت ، قال صالح المري ثم قمت إليه فقال من أنت قلت صالح المري قال أنت الذى يقال إنك أحسن أهل البصرة صوتا ثم قال إني كنت إلى صوتك مشتاقا هات اقرأ على خمس آيات من كتاب الله عز وجل قال صالح فاستفتحت فقرأت : ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ فلما انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿هباء منشورا﴾^(١) شهق شهقة وغشى عليه فلما أفاق قال أعد علىّ قراءتك فأعدت عليه فشهق شهقة أخرى فارق الدنيا رحمة الله عليه فخرجت زوجته وقالت من أنتم فأخبرناها فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون مات أبو جهير قلنا نعم أجرك الله فيه فمن أين علمت قالت من كثرة ما سمعت منه يقول فى دعائه اللهم أحضر موتى أولياءك فعلمت أنكم لم تجتمعوا إلا لموته فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه رضى الله عنه وعنهم .

(١) سورة الفرقان : الآيات ٢٢ ، ٢٣ .

الحكاية التسعون بعد الثلاثمائة عن أبي سليمان المغربي رضي الله عنه

قال كنت أحمل الحطب من الجبل وأتقوت من ثمنه وكان طريقى فيه التوقى والتحرى فرأيت فى المنام جماعة من البصريين منهم الحسن البصرى وفرقد السنجى ومالك بن دينار رضى الله عنهم فسألتهم عن علم حالى فقلت أنتم أئمة المسلمين دلونى على الحلال الذى ليس لله تعالى فيه تبعة ولا للخلق فيه منة فأخذوا بيدي وأخرجونى من طرسوس إلى مرج فيه خبازى فقالوا لى هذا الحلال الذى ليس لله عز وجل فيه تبعة ولا لمخلوق فيه منه ، فمكثت أكل منه ثلاثة أشهر شواء ومطبوخا فى دار السبيل فظهر لى حديث فقلت هذه فتنة فخرجت من دار السبيل ومكثت أكله ثلاثة أشهر أخرى فأوجد لى الله قلبا طيبا حتى قلت إن كان أهل الجنة فى هذا القلب فهم والله العظيم فى شىء طيب وما كنت آتس بكلام الخلق فخرجت يوما إلى بعض الصهاريج فجلست عنده وإذا أنا بفتى قد أقبل من ناحية لأمس يريد طرسوس وقد بقى معى قطيعات من ثمن الحطب الذى كنت أجيء به من الجبل فقلت أنا قد قنعت بالخبازى أعط هذه القطيعات لهذا الفقير إذا دخل طرسوس يشتري بها شيئا يأكله فلما دنا منى أدخلت يدي إلى جيبى حتى أخرج الخزقة فإذا بالفقير قد حرك شفتيه وإذا كل ماحولى من الأرض ذهب يتقد يكاد يخطف بصرى ولبسنى منه هبة عظيمة فجاز فلم أقدر أن أسلم عليه من هيبتة ثم رأيت بعد ذلك فى بعض الأيام خارج طرسوس جالسا تحت برج من الأبرجة وبين يديه ركوة فيها ماء فسلمت عليه ثم استدعيت منه موعظة فمد رجله وقلب الماء ثم قال إن كثرة الكلام تنشف الحسنات كما نشفت الأرض هذا الماء قم يكفك هذا رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية الحادية والتسعون بعد الثلاثمائة عن أحد السائحين فى جبال بيت المقدس

قال نزلت على رجل فقال امض بنا نعزي جارا لنا مات أخوه فذهبت معه إليه فإذا برجل جزع لا يقبل العزاء فقلنا له يا هذا اتق الله عز وجل واعلم ان الموت سبيل لا بد لنا منه وهو آت على الخلق أجمعين . قال قد علمت أن الأمر على ما تقولون ولكنى أجزع على ما يمسى أخى فيه ويصبح فقلنا له يا سبحان الله هل أطلعك الله على الغيب ، قال لا ولكنى لما دفنته وسويت عليه التراب إذا بصوت من القبر يقول أوه فقلت أخى والله أخى فكشفت التراب فقل لى يا عبد الله لا تكشفه فرددت

عليه التراب فلما ذهبت أقوم قال أوه قلت أخى والله أخى ثم كشفت التراب فقيل لى لا تفعل فرددت عليه التراب كما كان فلما ذهبت أقوم إذ إنه يقول أوه فقلت والله لا تركت نبشه فنبشته فإذا هو مطوق فى وسطه بطوق من نار وقد التمع عليه القبر نارا فطمعت أن أقطع ذلك الطوق فضربته بيدي لأقطعه فذهبت أصابعى قال ثم أظهر لنا يده فإذا أصابعه الأربع قد ذهبت قال فأتيت الأوزاعى رضى الله عنه فحدثته وقلت له يا أبا عمرو يموت اليهودى والنصرانى وغيرهم من الكفار فلا يرى فيهم مثل هذا ويموت هذا على التوحيد والإسلام ويرى هذا فيه قال نعم أولئك لا شك أنهم من أهل النار وإنما يريكم الله عز وجل هذا فى أهل التوحيد لتعتبروا اللهم سامحنا واعف عنا والطف بنا يا لطيف .

الحكاية الثانية والتسعون بعد الثلاثمائة

عن أبى جعفر الفرغانى رضى الله عنه

قال كنت عند بعض إخواننا من الصوفية بالدينور فجاءه قوم من الأكراد ليشتري لهم متاعا ثم قالوا لو علمت لمن يشتري هذا المتاع لسارعت إلى شرائه فقال لهم حدثونى قالوا نعم فأومئوا إلى رئيس لهم كانوا معه فقالوا هذا سيد الحى وكانت له زوجة فولدت له عدة من البنات فقال لها وهى حامل إن ولدت بنتا فأنت طالق وقضينا رحلتنا رحلة الشتاء نريد نحو المراغة ونواحيها فبينما نحن نسير ذات يوم ضرب المرأة الطلق فأخذت ماء كأنها تتوضأ فولدت جارية فأخذتها ولقتها فى خرقة وتركتها عند كهف جبل وجاءت وأظهرت أن ذلك الحمل إنما كان ريحا وقد انفض ثم غبنا عن ذلك الموضع ستة أشهر ثم رجعنا فنزلت بذلك المكان فأخذت المرأة ماء ومضت نحو الكهف الذى تركت الصبية فيه فلما قربت منه إذا غزالة قائمة عند الصبية وهى ترضع فلما أبصرتها الغزالة استوحشت وذهبت وجاءت الأم إلى الصبية فأخذتها فبكت الصبية وشهقت فوضعتها وتنحت ناحية فرجعت الغزالة فلم تزل ترضع وهى ساكنة فجاءت المرأة إلى الحى فأخبرتهم بذلك وسمع زوجها فمضى أهل الحى بأجمعهم إلى الكهف فرأوا الغزالة ترضع الصبية فلما أحست بهم تنحت فبكت الصبية فأخذها النساء ولم يزلن يرفقن بها حتى سكنت وأنست وجاءوا بها إلى الحى وبقيت الغزالة تنظر من بعيد حتى رحلنا وهذا المتاع الذى نريد نشتره جهاز لها وقد زوجها أبوها من رجل صالح سبحانه اللطيف الخبير المنعم القدير .

الحكاية الثالثة والتسعون بعد الثلاثمائة

عن الشيخ أبي بكر بن إسماعيل الفرغانى رضى الله عنه

قال كنت أدفع إلى شدة الفاقة أياما كثيرة وربما كنت أسقط مغشيا على وكنت حينئذ قليل الدراية كنت أنظر إلى أظافر أصابعى كمدة من الجوع فقلت ذات يوم يا رب لو علمتنى اسمك الأعظم سألتك به إذا حلت بى فاقة متلفة ، فبينما أنا فى بعض الأيام بدمشق على باب البريد جالس فرأيت رجلين قد دخلا المسجد فوقع فى نفسى أنهما ملكان فوقفا بحدائى فقال أحدهما للآخر تريد أعلمك اسم الله الأعظم فقال له الآخر نعم فأصغيت إليهما فقال هو أن تقول يا الله فقلت قد تعلمت ورجعت كما كنت فقال أحدهما ليس كما تقول أنت ولكن بصدق اللجأ .

قال الشيخ أبو بكر صدق اللجأ أن يكون مثل الغريق فى لجة البحر لم يبق له شىء يتعلق به ولا له ملجأ إلا الله عز وجل .

(وحكى) أنه جاء بعض الفقراء إلى بعض الشيوخ الذين يعرفون الاسم الأعظم فقال له علمنى الاسم الأعظم قال وهل فىك أهلية لذلك قال نعم قال اذهب إلى باب البلد واجلس هناك فما جرى من شىء هناك أعلمنى به فخرج إلى حيث أمره وإذا بشيخ حطاب قد أقبل ومعه حمار عليه حطب فتعرض له جندى فأخذ حطبه وضربه فرجع الفقير إلى الشيخ وهو جزين فأخبره بالقصة فقال لو كنت تعرف الاسم الأعظم ماذا كنت تصنع بالجندي قال كنت أدعو عليه بالهلاك قال فذلك الشيخ الحطاب هو الذى علمنى الاسم الأعظم .

(قلت) يعنى أنه لا يصلح الاسم الأعظم إلا لمن هو متصف بهذه الصفة أعنى الصبر والحلم والرحمة للخلق وسائر الصفات المحمودة التى تخلق بها أهل الاصطفاء رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين .

الحكاية الرابعة والتسعون بعد الثلاثمائة

عن الشيخ يوسف بن حمدان رضى الله عنه

قال خرجت إلى مكة على طريق البصرة ومعى جماعة من الفقراء وفيهم شاب كنت أغار عليه من حسن صحبته ومراعاة حاله واشتغاله بذكر ربه عز وجل ودوام مناجاته فلما وصلنا المدينة اعتل الشاب علة شديدة وانفرد عنا فسرت إليه مع جماعة من أصحابى نتعرف خبره فلما رأيناه وشدة ما به قال بعض الجماعة لو أحضرنا له طبيبا ينظر إليه ويصف علته فلعله يكون عنده دواؤه فسمع الشاب مقالته فتبسم من ذلك ، وقال يا مشايخى وأحبابى ما أقبح المخالفة بعد الموافقة من أراد الله تعالى له

حالا وأراد هو حالا غيره أليس قد خالف الله عز وجل في إرادته قال فحججنا من كلامه فنظر إلينا وقال لو عرفتم داء القتيل من ذى سلوان لطلبتم لداء القتيل دواء إن الأمراض والأسقام فيها تطهير وتكفير وتذكير وداء القتيل مشاهدة النفس وموافقة الهوى ثم أنشأ يقول :

بيد الله دوائى وبعلم الله دائى
إنما أظلم نفسى باتباعى لهوائى
كلما داويت دائى غلب الداء دوائى
رضى الله عنه ونفعنا به أمين .

الحكاية الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة

عن أحدهم

قال أدركتني ضائقة وخوف شديد فخرجت هائما فسلكت طريق مكة بلا زاد ولا راحلة فمشيت ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع اشتد بي العطش والحر وخفت على نفسي التلف ولم أجد في البرية شجرة أستظل بها فوكلت أمرى إلى الله وجلست مستقبلا للقبلة فغلبني النوم فنمت وأنا جالس فرأيت شخصا فى المنام قد مد يده إلى وقال أعطني يدك فمددت يدي إليه فصافحنى وقال أبشر أنت تسلم وتصل إلى بيت الله الحرام وتزور قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فقلت له من أنت يرحمك الله فقال لى أنا الخضر فقلت له ادع لى فقال : (قل يا لطيفا بخلقه يا عليما بخلقه يا خبيرا بخلقه الطف بى يا لطيف يا عليم يا خبير ثلاث مرات) فقلت ذلك فقال هذه تحفة بها غنى الأبد فإذا لحقك ضائقة أو نزل بك نازلة تقولها تكفى وتشفى ثم غاب عني وأنا أسمع شخصا ينادى يا شيخ يا شيخ فانتبهت فإذا برجل راكب على راحلته فقال لى يا هذا رأيت لى شابا صفته كذا وكذا فقلت له ما رأيت أحدا فقال لى خرج شاب من أهلنا منذ سبعة أيام وأخبرنا أنه توجه إلى الحج ثم قال لى أين تقصد فقلت له حيثما شاء الله تعالى فأناخ راحلته ونزل عنها ومد يده إلى جراب فأخرج منه قرصين من الخبز السميد بينهما حلوى ونزل بسطوحه مملوءة ماء وقال اشرب فشربت وأكلت قرصا واحدا اكتفيت به ثم قال لى اركب فركبت وركب أمامى وسرنا ليلتين ويوما فالتحقنا بالقافلة فسأل عن الشاب فأخبر أنه فى القافلة فتركتنى ومضى ، ثم أتانى بعد ساعة والشاب معه قال يا ولدى هون الله على الاجتماع بك باجتماعى بهذا الرجل ثم ودعتهما وانصرفت فلحقتنى الرجل بكاغدة فناولنى إياها وقبل يدي

وانصرف فوجدت فيها خمسة دنائير مضروبة فاكتريت منها إلى مكة وتزودت ببقيتها وحججت تلك السنة وزرت النبي ﷺ ورجعت إلى كلام الخضر عليه السلام وكلما أدركتني ضائقة أو نازلة أذكر تلك الكلمات التي علمني الخضر عليه السلام وأعترف بفضلته وامتته وأشكر الله على نعمته .

الحكاية السادسة والتسعون بعد الثلاثمائة

(حكى) عن أحد الفقراء قال خرجت يوما أقصد البرية على نية السياحة والخلوة مع الله عز وجل فسرت ثلاثة أيام ، فلما كان في اليوم الرابع أدركتني في باطني قلق وزيادة حركة في ظاهري فبينما أنا كذلك لم أشعر إلا ورجلين كهلين حسنين فسلمنا على فرددت عليهما السلام فقالا لى ما اسمك فقلت عبد الله فقال أحدهما ونحن عبيد الله نقصد الله فمشينا جميعا فلما كان وقت صلاة الظهر نظر إلى أحدهما وقال هو الوقت قلت نعم قال تصلى بنا فقلت تحملا عنى ذلك ويصلى أحدكما فصلى بنا أحدهما وانصرف وتركع كل واحد منا فلما فرغ الذى أم بنا من التركع قدم إلينا طبقا عليه قطف عنب وتين لم أر أحسن منه وقال باسم الله فأكلنا حاجتنا ومشينا فلما كان اليوم الثانى حان وقت صلاة الظهر فنظر إلى وقال هو الوقت قلت نعم قال تصلى بنا قلت تحملا ذلك عنى فقال لصاحبه صل فصلى الآخر وانصرف وتركع كل منا فلما فرغ الإمام من الركوع قدم طبقا فيه عنب وتين وقال باسم الله فأكلنا ثم تركنا الباقي وانصرفنا فلما كان اليوم الثالث وقع لى أنهما يقولان تصلى بنا ويجب على موافقتهم وما فعلاه فرفعت طرفى إلى السماء وقلت اللهم إنك ولى النعم من غير استحقاق وأنا عبدك ضعيف غير مستحق للنعم وقد رجعت إليك فيما أقصده إنك على كل شىء قدير فلما حان الوقت نظر إلى أحدهما وقال هو الوقت قلت نعم قال تصلى بنا قلت إن شاء الله فأقام أحدهما الصلاة فتقدمت وصليت بهما وانصرفت وصليت ركعتين ونظرت عن يمينى فرأيت الطبق بعينه وعليه قطف عنب وتين ورمان فحملته إليهما فأكلتا وأكلت معهما ثم تركنا باقيه وانصرفنا فشكرت الله تعالى على ما أولى من نعمه من غير استحقاق ثم أقمنا بعد ذلك أربعين يوما كل منا متوجه إلى مقصوده نجتمع فى أوقات الصلوات وكل منا يتقدم يصلى يوما فإذا سلم قدم طبقا فيه ما ذكرت وكنت معهما على ذلك أتى بالطبق فيه العنب والتين والرمان لما كان بعد الأربعين قال لى الخليفة عليك الله فقلت وعيلكما وانصرف كل منا ولم يسأل أحد منا صاحبه عن شىء ثم بقيت بعدهما مدة على ذلك الحال تتجدد نعمة الله على فى كل يوم ظاهرا وباطنا وكل وقت أشكر الله فيه تزيد نعمه على وإحسانه .

الحكاية السابعة والتسعون بعد الثلاثمائة

حكى عن أحد المشايخ بمكة قال كنت منفردا فى بعض الجبال فى مغارة وربما كنت أقيم الشهر أو أقل أو أكثر لا أرى فى ذلك الجبل أحدا من الإنس وكان قوتى من المباح إذا أخذنى الجوع أخرج من المغارة إلى ظاهر الجبل أتناول حاجتى وأرجع فلما كان فى بعض الأيام خرجت وإذا بى أنظر فارسا قد أقبل وحده من صدر البرية فلما رأيته دخلت المغارة وتركته فلما كان بعد ساعة إذا هو بالبواب ينادى باسمى فقامت وخرجت إليه فسلم على فقلت له من الإنس أنت قال نعم فقلت من أين أنت ومن عرفك باسمى فقال أنا من أبناء الملوك خرجت للصيد منذ ثلاثة أيام فانقطعت عن أصحابى وتتهت فى البرية ولحقنى العطش وأشرفت على الهلاك فلم أشعر إلا ورجل عليه أظمار قد أتانى ويده ركوة فسقانى منها ، وناولنى قبضة من حشيش فأكلتها فوجدتها ألد ما يكون من البقوليات فلما فرغت قال لى يا محمد هل تبت قبل هذا اليوم قلت يا سيدى الساعة أتوب على يدك ، فقبلت يديه وتبت على يده وقمت على قدمى وقلت يا سيدى اسأل الله أن يقبلنى ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : (يا رب محمد بحرمة نبيك محمد ﷺ ارحم محمدا وتب على محمد واقبل محمدا) ودمعت عيناه فرأيت حلاوة دعائه فى قلبى وعقدت مع الله تعالى ألا أرجع إلى ما خرجت منه حتى أموت وقال لى اركب فأبيت فحلف لابد أن أركب فركبت ومشى أمامى حتى أرانى مكانك وعرفنى باسمك ، وقال اجلس عنده فإنه يرشدك إلى الخير ، قال الشيخ فقلت له فما تصنع بالفرس فقال لا حاجة لى به فأطلقت الفرس ودخلت به المغارة وقدمت إليه من المباح الذى أتناول منه فأكل وجلسنا إلى الليل فقلت له يا بنى ليس العبادة بالشركة وكان بالقرب منا مغارة فأشرت له بالجلوس فيها فجلس وكنت أجتمع معه فى كل ثلاثة أيام وكلما جاع خرج إلى الجبل يتناول حاجته من المباح ويرجع وكان بالقرب منا عين ماء وكان الفرس يرعى ويرجع إلينا فى كل ليلة فلما كان يوم من الأيام وإذا بالشاب قد دخل علي وهو مذهول فقلت ما شأنك فقال رأيت الساعة فى المنام أبى وأمى وهما يجريان ورائى من مكان إلى مكان وبأيديهما شعلتان موقدتان وكلما قربا منى يخرج عليهما شخص ويده جوهرة كبيرة ويقول لهما سألتكما بالله أن ترضيا عن ولدكما وتتركاه لله فإنه قد فر إلى الله تعالى وخذا منى هذه الجوهرة ، ولم يزل معهما كذلك حتى قالوا له نحن عنه راضيان والجوهرة بشارة لك فانتبهت وأنا على هذه الحال ، فقلت له يا بنى هذا ثمرة توبتك قد أراكها الله تعالى فسر بما قلت له ولم يزل كذلك إلى ليلة من الليالى فرأيت

النبي ﷺ في المنام وقد دخل على المكان الذي أنا فيه وقال لى اخرج أنت والشاب فقال يا سيدى رأيت البارحة فى المنام كأن فى يدى اليمنى حبلا ورجل حسن الصورة إلى جانبى يحله عنى وقال لى اسمع ما أمرت به فقلت له يا بنى الحمد لله على هذا فنزلت والشاب معى حتى دخلنا إلى مدينة من ديار بكر والفرس يتبعنا فدخلنا إلى رباط فى تلك المدينة قد مات الشيخ الذى قد كان فيه من يومين فلما وقع بصرهم على قالوا هذا هو الرجل فسكت فقالوا يا شيخ أنت تكون فى هذا المكان ثم أقبل شيخ حسن الصورة وسلم على وقال يا سيدى تقيم عندنا لله تعالى فقلت على خيرة الله فأعطينا الفرس فقيرا قدم علينا فى ذلك اليوم وأخبرناه بقصته وأقمت معهم أنا والشاب فى الرباط عشرين سنة لم يعلم أحد كيف قصة الشاب ولا من أين هو حتى مات رحمه الله فخرجت من الرباط إلى الحج ونيتى المجاورة بمكة قال الراوى أقام الشيخ بها ثلاث سنين ومات ودفن بالبطحاء رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الأولياء والصالحين .

الحكاية الثامنة والتسعون بعد الثلاثمائة عن أحد الفقراء

قال كنت فى بدو إرادتى صحبت بعض المشايخ فكان يأمرنى بالخدمة وكنت متلذذا بأمره فأرسلنى يوما إلى القصاب لأحمل لحما للفقراء فابتعت منه حاجتى وحملتها والتفت إلى جانبى ، فرأيت رجلا يسوق دابة محملة فوكزنى فسقطت على مسمار فى حانوت القصاب فأصاب جنبى فحملنى عنه صاحب الحانوت ووجدت منه ألما كثيرا فبينما نحن مشغولون بربط الجرح وإذا بصاحب الدابة قد وقف علينا ومعه ثلاثة رجال من العوام وقال سقطت منى صرة فيها عشرة دنائير كانت فى رأسى فحمل القصاب وحملنى وحمل رجلين آخرين إلى صاحب المدينة ، وقال هؤلاء الذين أخذوا الصرة فضرب كلا من أصحابى ضربا شديدا ثم ضربت من جملتهم فكان الضرب يقع على الجرح ثم نظر أحد العوام إلى الإناء الذى فيه اللحم فوجد الصرة فيه فقالوا هذا السارق فقال صاحب المدينة تقطع يده فأمر بالزيت فأعلى واجتمعت على الخلائق بالضرب والسب وأنا بين يدى أربعة رجال ونادى مناد أحضروا السارق قد طاب الزيت وأنا مسلم أمرى لمن بيده ملكوت كل شىء ولطمنى أحد الرجال لكمة حتى غبت عن الحس وأنا موقن أن ذلك البلاء راجع إلى الله تعالى

فى ذلك الأمر ، وقال يا لص يا سارق ثم جذبنى حتى سقطت على وجهى فخررت ساجدا فشاهدت النبى ﷺ ينظر إلى وهو يتسم فما استويت قائما إلا وقد زال عني ماكنت فيه ثم فى الوقت نادى مناد الذى أمسكتموه خادم الشيخ فنظروا إلى وقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم خر الرجال الذين كنت معهم على رجلى وأتى صاحب البلدة مسرعا وقبل رجلى وقال يا سيدى سألتك بالله العظيم إلا ما غفرت لنا ثم أتى صاحب الصرة وتضرع وبكى وقال يا سيدى عنى ترضى فقلت لهم يغفر الله لى ولكم هذه سابقة أظهرت سريرة كامنة فى وقتها ثم انكشفت الصرة وظهر أن العشرة الدنانير وحمل الدابة التي كان يسوقها الرجل الذى سقطت منه الدنانير رسالة إلى الشيخ واتفق أن الشيخ وجماعة الفقراء فى ذلك الوقت الذى كنت فيه كانوا فى الاستنفار لقضية وقعت بين الفقراء ولم يخرج أحد من الجماعة حتى وقفت بالباب واللحم معى والصرة فسلمتها للشيخ وأخبرته بالقصة فقال الشيخ من صبر تحمل وتكمل ثم قال يا بنى كنت مع الفقراء مرتقبا حالتك هذه لأن علمها تقد ، ثم قال لى يا محمد كانت هذه الحالة سببا لإكمالك فى طريقك فسافر الآن حيث شئت رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية التاسعة والتسعون بعد الثلاثائة عن أحدهم

قال دخلت البادية على نية السياحة فأقمت فيها أياما لم أطعم فيها طعاما ولا شرابا فعطشت واشتد بى العطش فعدلت إلى قصر وقع بصرى عليه فى جانب البرية فلما قريت إذا بوحش خرج منه فدخلت إلى القصر وإذا برجل ملقى على ظهره متوجها إلى القبلة فحركته فوجدته ميتا وقد هم الوحش أن يأكل منه فاشتغلت بتجهيزه وخرجت لأحفر له وأنا لا أستطيع من كثرة العطش فبينما أنا كذلك وإذا برجل قد أقبل من صدر البرية فسلم على وقال لى جهزت الفقير قلت لا يا سيدى قال باسم الله تمضي معى إلى رأس الجبل فإن فيه عين ماء فمضيت معه حتى وصلنا إلى العين فوجدنا على الماء قرية مطروحة وكنت على تلك الحالة من العطش فشربت حتى رويت وكان مع الرجل ركوة فملأنا القرية والركوة ورجعنا إلى الفقير فغلسناه وكفناه فى مرقعة كانت عليه وصلينا عليه ودفناه فلما فرغنا من دفنه نظر إلى الرجل وقال لى هذا الفقير وأشار بيده إلى الفقير كان من الرجال الأكابر وهو لا يعرف لأنه كان يتقى مولاه فأخفاه ثم غاب عني كأنه قد اختطف من جانبى فوقفت على القبر

وقرأت شيئا من القرآن وأهديته إلى الفقير وسألت الله تعالى بحرمته فأجابني ووجدت بركته زمانا طويلا رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين .

الحكاية الأربعة قال المؤلف كان الله له

أخبرني بعض السادات أنه كان منعزلا في بعض السواحل مدة طويلة يعبد الله عز وجل فلما حضر يوم عيد الفطر خرج إلى بعض القرى ليحضر صلاة العيد مع المسلمين قال فلما صليت معهم صلاة العيد رجعت إلى مكاني فوجدت فيه إنسانا يصلى ولم أجد له أثرا في الرمل على باب الخلوة ، فتعجبت من أين دخل ثم إنه بكى بكاء طويلا وبقيت أفكر أى شيء أقدم له لكونه يوم عيد وهو وارد على أيضا ، فلم أجد شيئا فالتفت إلى وقال يا فلان لا تتفكر في هذا ، ففى الغيب ما لم يعلم ولكن إن كان عندك ماء فقربه فقمتم لآتيه بإبريق فوجدت عند الإبريق رغيفين كبيرين حارين كأنهما الساعة خرجا من الفرن ولوزا كثيرا فحملت كل ذلك إليه فكسر الخبز وصب اللوز بين يدي وقال كل وأخذ يناولني من اللوز وأنا أكل ولم يأكل هو معي شيئا سوى لوزة أو لوزتين قال فتعجبت فى نفسى واستغربت وجود ذلك الطعام فقال لى لا تستغرب هذا فإن لله عبادا أينما كانوا وجدوا ما أرادوا فازددت منه تعجبا ونويت فى نفسى أن أطلب منه المؤاخاة ، فقال لى لا تعجل بطلب المؤاخاة فأنا لا بد أن أعود إليك إن شاء الله تعالى قال ثم غاب عنى فى الوقت ولم أدر أين ذهب فازددت عجبا على عجب فلما كانت الليلة السابعة من شوال أتانى وواخانى رضى الله عنهما .

(قال المؤلف) كان الله له وأخبرني أيضا السيد المذكور قال كنت فى خلوة فرأيت فى بعض الليالى وأنا قاعد مستيقظ بعد صلاة العشاء رجلين معى فى الخلوة وكان الباب مغلقا من داخل ولم أدر من أين دخلا قال فتحدثا معى ساعة وتذاكرنا أحوال الفقراء وكان ذلك فى بعض بلاد الشام فذكرا لى إنسانا فى الشام وأثنيا عليه وقالوا نعم الرجل لو كان يعرف من أين يأكل ثم قال لى سلم لنا على صاحبك فلان وسميا له بعض الناس قال فقلت ومن أين تعرفانه وهو فى الحجاز فقالا ما يخفى علينا قال ثم تقدا إلى المحراب فحسبتهما يريدان أن يصليا فخرجا من الحائط رضى

الله عنهم ونفعنا بهم وبجميع الصالحين وتفضل علينا بفضله وجاد علينا بلطفه وكرمه وجوده إنه جواد كريم .

(قال المؤلف) كان الله له وأخبرني أيضا السيد المذكور أنه دخل عليه شيخان في الخلوة في بعض سواحل الشام في شهر رجب سنة اثنين وأربعين وسبعمئة بعد صلاة العصر ولم يدر من أين دخلا عليه ولا من أى البلاد أتياه قال فداخلى منهما شيء فلما سلما على وصحبانى استأنست بهما وذهب ما كنت وجدت منهما ، فقلت لهما من أين جئتما فقالا لى سبحان الله ومثلك يسأل عن هذا ثم قدمت لهما كسيرات يابسة من خبز شعير فقالا لى ما جئناك لهذا قال فقلت لأى شيء جئتما قالا جئنا نوصيك بتبليغ السلام إلى فلان وسميا لى الشخص الذى أوصيت بتبليغ السلام إليه قبل هذا قال وقال لى قل له أبشر فقلت وأنتما تعرفانه وهل اجتمعتما به فقالا نعم اجتمعنا به ولم يجتمع بنا قال فقلت لهذه البشارة إذن لكما فيها فقالا نعم وذكرنا أنهما أتيا من عند إخوان لهما فى المشرق قال ثم غابا عنى فى الوقت فلم أرهما رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم .

(قلت) وهذه البشارة تؤيد ما رآه الشيخ المبشر المذكور رأى فى النوم فيما تقدم اثنين من الصالحين يقولان له لا تبلعك الأرض أو قال لا تبلعنا الأرض حتى نجرك إلينا ، ورآه له أيضا بعض المشايخ الأخيار من أولاد المشايخ الكبار ، قال رأيت رجلا فى الحجر ورأسه مع رأس الكعبة فقال سلم لى على فلان وقل له يصبر حتى نأته كلنا قال فقلت له ومن أنت قال الخضر رضوان الله عليه ونفعنا والمسلمين ببركته .

وكذلك قال أحد الصالحين قيل لى فى منامى قل لفلان أبشر بفوق ما تطلب فما أحرنا ذلك عنك إلا تمحيصا ، ثم قال ما كان فى آخر العمر كان خيرا وأسلم عاقبة اللهم عاملنا بما أنت له أهل ولا تعاملنا بما نحن له أهل .

قال المؤلف كان الله له وأخبرني أيضا السيد المذكور قال رأيت فى بعض سواحل الشام شابا قريبا منى فمكثنا ثلاثة أيام لم يأتنى ولم آته ثم خطر لى أنى آتية وأتحدث معه فذهبت إليه وسلمت عليه وأحرمت بركعتين وأنا أنظر إليه بجنبى فينما أنا فى الصلاة حجب عنى فلم أر شيئا سوى سجادته ونعليه قال وكذلك كنت أرى منهم فى بعض البرارى كثيرا فمنهم من يحتج فى الحال عنى بالحال ومنهم من يظهر لى ويكلمنى رضى الله عنه وعنهم ونفعنا بالجميع أمين قلت وهذا السيد المذكور صلى

بوضوء واحد اثنى عشر يوماً وله إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب خمس عشرة سنة لم يضع جنبه على الأرض ويمكث أياماً عديدة لا يأكل فيها شيئاً وإذا أكل أكل شيئاً يسيراً خشناً يابساً وما أكل معى قطعة لحم فى منى إلا بعد شدة موافقة ، وذكر لى أن له عدة سنين يحج بغير اختياره لما يرى من المنكرات والآفات ولكن يؤمر بالحج فما يجد منه بدا رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية الأولى بعد الأربعمائة عن أحدهم

قال سافرت إلى العراق على قصد السياحة ورؤية المشايخ فرأيت مدينة فمشيت نحوها وقصدت مكاناً أوى إليه فأويت إلى خربة فى طرف المدينة فيها آثار دائرة فجلست قليلاً ثم نامت عيناي فهتف بى هاتف فى المنام وقال لى قم إلى جانبك فى الحائط خبيثة فخذها فليس لها وارث وهى ملكك فاستيقظت ونظرت إلى جانبي فرأيت عصاً فحفرت بها فى المكان قليلاً فوجدت خرقة ففتحتها فوجدت فيها خمسمائة دينار فصررتها فى طرف ثوبى وخرجت من ذلك المكان ففكرت فيما أفعل فيها فقلت أنفق منها على الفقراء ، ثم قلت أشتري بها حوانيت وأوقفها على الفقراء ، وخطر لى غير ذلك فتمت تلك الليلة فرأيت النبى ﷺ فى المنام فسلم على وقال يا فقير إرادة وطلب زيادة من الدنيا لا يكونان معاً ثم جمع أصبعيه السبابة والتى تليها ثم قال لى امض بما معك إلى الشيخ أبى العباس من أهل الجزيرة الخضراء فى بغداد فى مسجد كذا وكذا ، وسلمها إليه قال فانتبهت من منامى وجددت وضوئى ثم صليت وخرجت من ساعتى إلى بغداد فوصلت إلى الشيخ فى المكان الذى هو فيه فاجتمعت به وسلمتها إليه وأخبرته بالقصة فقال منذ كم قيل لك هذا قلت سبعة أيام فقال لى يا بنى رأيت النبى ﷺ منذ سبع ليال وقال لى إذا وصل إليك فقير ومعه رسالة فاقبلها منه وتصرف فيها ثم قال يا بنى اعلم أن لنا سبعة أيام ولم يكن عندنا مانقات به ولإنسان علينا دين قد ألح علينا فى طلبه وقد سد الله هذه الفاقة على يدك ثم قال لى سألتك بالله أن تقيم عندنا وإحدى بناتى هدية إليك فقلت يا سيدى فكيف لى بذلك وأنا مشغول بما شغلنى الله تعالى به وقد أخبرتك بما أخبرنى النبى ﷺ فقال لى الضيافة ثلاثة أيام فقلت نعم فأقامت عنده ثلاثة أيام لم يفارقنى إلا فى وقت يتصرف فيه ثم ودعته وانصرفت رضى الله عنهما .

الحكاية الثانية بعد الاربعمائة عن أحد الفقراء

قال دخلت مدينة من مدائن خراسان فمشيت فى السوق فلقينى شاب حسن الصورة فسلم على واتبعنى حتى خرجت من السوق فقال لى تكون ضيفى لوجه الله تعالى فمشيت عه فأدخلنى دارا حسنة وفيها آثار خير ثم غاب عنى قليلا وأتى معه شيخ كبير فقال لى هذا والدى ادع له ، فسلمت على الشيخ ثم جلست فأتى بطعام فأكلنا ثم غسلنا أيدينا ، ثم هممت بالخروج فقال الشاب أنت ضيفى ثلاثة أيام فأقمت عنده ثلاثة أيام فى كل يوم يزداد فى إكرامى فلما كان اليوم الرابع قصدت وداعهما وأخرج فقال الشيخ يا بنى أنت ضيفى هذا النهار فأقمت عند الشيخ ذلك اليوم فلما كان فى غد قلت للخليفة عليكما الله فتبعنى الشاب حتى خرجت إلى ظاهر المدينة فودعنى وناولنى صرة وخبزا وحلوى وقال يا سيدى هذه زوادة فاقبلها لله تعالى ، فحملتها ومشيت يومين ثم دخلت مدينة أخرى وقصدت الفقراء بالذى معى أوصله إليهم فبينما أنا كذلك وإذا بشيخ حسن الصورة ، قد استقبلنى فى الطريق فسلمت عليه وقلت هذا ولى الله وكان وقت الصلاة فدخلت المسجد فصليت وجلست فأدركتنى ستة فمتم فهتف بى هاتف وقال لى الصرة التى معك أعطها للشيخ الصالح الذى مر عليك فهو من عباد الله الصالحين ، فانتبهت من منامى وخرجت فى الوقت لطلبه وقلت اللهم بحرمته عليك اجمع بينى وبينه فما استتمت كلامى إلا وقد استقبلنى فى الطريق ويده إبريق ماء قد حمله من النهر ففتحت الصرة فوجدت فيها خمسة دنائير وخمسة دراهم فجمعتها وقبلت يده ودفعتها إليه فأخذها من يدي ، وقال يا بنى من رأى غير الله لم ينل من الله شيئا فقلت يا سيدى ادع الله لى فقال يحفظك الله ويحفظ عليك ويحفظ بك ، فقلت أوصنى فقال عليك بالإخلاص وحفظ العهد فيما بينك وبين الله تعالى ثم تركنى وانصرف رضى الله عنه .

الحكاية الثالثة بعد الاربعمائة

حكى أن رجلا باع نفسه للفقراء فى حق الفقراء فقيل له لم فعلت هذا وكيف تباع نفسك فقال يا قوم ما فعلت ذلك إلا لأمر أطلعنى الله عليه كنت نائما فرأيت فى المنام ملكين قد وقفا بين يدي فسألنى أحدهما فقال ما تقول فى قول الله تعالى ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾^(١) قلت الله أعلم قال لا بد أن تقول قلت من كان عبدا لله لم يكن لعدو عليه سلطان فقال ما صفات العبد قلت الله أعلم قال لا بد أن تقول قلت ، صفات العبد امتثال أوامر سيده ، مجتنباً لنواهيه فى كل حال ثم

(١) سورة الحجر: الآية ٤٢ .

غابا عنى فلما أصبحت فكرت فى حالى فلم أر نفسى أهلا للعبودية ولا للمراقبة ولم أر أحدا جمع الصفات المحموده إلا هذه الطائفة فقلت أبيع نفسى لهم فأكون من عبيد العبيد فبعبتها لهم وهأنا عبد من عبيد عبيدهم ، ثم بكى وقال وحقه ما رأيت نفسى أهلا لمجالسته ولا لمراقبته ولا ممن يصلح لخدمته رحمة الله عليه .

(وحكى) أيضا عن بعض الفقراء قال كنت يوما متفكرا فى نفقة العيال فاشتغل قلبى ساعة فنمت لأستريح فرأيت فى منامى كأنى فى جزيرة فى وسط بحر فقلت من أين يصلبنى ما أكل وما أشرب فى هذا المكان فهتف بى هاتف وقال لي يا هذا لو كان رزقك خلف سبعة أبحر لأناك ، فانتبهت مسرورا وزال عنى ما كنت أجد ثم بعد ذلك جاءتنى رسالة على يد بعض الأصحاب من رجل لم يخطر ببالى فقال صدق الله تعالى فى قوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾^(١) رحمه الله .

الحكاية الرابعة بعد الأربعمئة

حكى عن أحد المشايخ أنه قال كانت لى زوجة وكنت مشغوبا بها فبينما أنا عندها فى بعض الأيام فى البيت نائم أدركتنى حالة فى المنام فسمعت ما نطقت به وعابنت حالتى وكانت حالة عظيمة فلما أفقت قالت ما شأنك ياسيدى فقلت ما رأيت قالت خيرا فسكت عنها ثم خرجت وخليتها فقالت لخدم لنا ناد لى أمى وأختى قال فناداهما فاجتمعت بهما وقالت جرى لزوجى كذا وكذا وأخبرتاهما بالصورة وقالت والله لابقيت له زوجة أبدا فهو مجنون ولا أقيم معه فى الدار فعزلها أهلها على ذلك وقصدوا ردها فأبت فقالوا تقيمى فى الدار حتى نلتجى به فلما علمت بذلك أتيت إليها وقلت لها ما مقصودك قالت الفراق وإلا قتلت نفسى وأنت السبب فى ذلك ، فقلت لها أمهلينى سبعة أيام فقالت نعم ثم إنى وجدت مشقة كبيرة فى فراقها فقصدت رضاها بشيء كثير من الدنيا فأرسلت جماعة من الأهل إليها فأبت فلما تيقنت عزمها على ما ذكرت لحقنى وكه وتغيرت أحوالى وتشوش خاطرى ولم أجد من يحمل عنى ذلك فلما بقى من الأجل ليلة واحدة وقد اشتد بى الحال وضائق بى الأرض رجعت إلى الله تعالى وفوضت أمرى إليه وعزمت على أن مايفعل الله تعالى أَرْضى به ثم دعوت بهذه الكلمات : (اللهم يا عالم الخفيات ويا سامع الأصوات يا من بيده ملكوت الأرض والسموات ويا مجيب الدعوات استغثت بك واستجرت بك يا مجير) ثلاث مرات ، ثم جلست حتى كان النصف الأخير من الليل وأنا مستقبل القبلة وإذا بها قد دخلت مسرعة وقبلت رجلى وقالت سألتك بالله العظيم ارض عنى

فقد تبنت مما كنت أطلبه منك وقد رجعت إلى الله تعالى فاسأله أن يقبل توبتي ، فقلت لا أرضى عنك حتى تخبريني بسبب هذا فقالت كنت البارحة مصررة على ذلك العزم فأتاني رجل في المنام ويده اليمنى سوط وفي الأخرى سكين وقال لي إن رجعت عن هذا الأمر وإلا قتلتك بهذه السكين ثم جلدني ثلاث جلادات فانتبهت مرعوبة وحرارة ذلك الضرب في قلبي فقعدت ساعة ثم نمت فرأيت الرجل بعينه قد أتاني ويده السوط والسكين وقال لي أما حذرتك ووعظتك وأمرتك ثم رفع يده علي فانتبهت مرعوبة وأتيت إليك مسرعة لتقبل توبتي وترضى عني وتسال الله لي ، ثم كشفت عن جسدها فرأيت أثر ثلاث ضربات فقلت لها الله يتوب عليك وعلى ، وقد رضيت عنك في الدنيا وفي الآخرة فقالت صدأقي هبة لك شكرا لله عز وجل وعندى عشرون دينارا من حقى هي وثيابى للفقراء شكرا لله فلا أصبحت فعلت ذلك ثم نظرت أنا فعل الله بى ولطفه وعلمت أن ذلك ثمرة الرضا بحكم ما يفعل وتيقنت أن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى ثم أقمت معها بعد ذلك سبع سنين وأنا فى أكمل مسرة حامدا راضيا بما يفعل الله ثم ماتت رحمة الله عليها ، فرأيتها بعد موتها فى المنام فى أجمل صورة وعليها من الحلى والحلل مالا أطيق وصفه فقلت لها ما فعل الله بك وماذا لقيت من ربك قالت كما ترى وأنا منتظرة لقاءك رضى الله عنك كما رضيت عني .

(وحكى) أيضا عن أحد الفقراء قال كانت لى جارية وكنت إذا أمرتها بأمر تمثله فقلت لها يوما يا جارية هل لك أن تنشدى شيئا من الشعر قالت نعم يا سيدى فقلت لها قولى فأنشدت :

فلولاك يا ليلى ولولاك يا نعمى ولولاك ما طابنا ولا طابت الدنيا

فقلت أحسنت يا جارية فما تقولين جائزة هذا البيت يكون عتقك عوضا عنها وأعطيك شيئا من الدنيا فقالت يا سيدى أنت مقصودى وعتقى نعمة علي فلست أشغل بالنعمة عن المنعم فقلت لها أنت حرة لوجه الله وكل ما فى المنزل فهو ملك لك ثم ملأنى كلامها فخرجت إلى السياحة من وقتى وتركتها فغبت عنها سنة كاملة وكلامها كلما مر بخاطرى يقع فى باطنى كالحديد وعانيت فى تلك الحركة مالا يحد ولا يوصف ثم رجعت إلى المكان الذى كنا فيه فوجدتها على حالة مرضية تواصل سبعة أيام وتآكل فى الشهر أربعة أيام فتزوجت بها وأقامت عندي سنة تراقب أحوالى وتلازم خدمتى ثم ماتت فى السنة الثانية رحمة الله عليها .

الحكاية الخامسة بعد الأربعمئة عن أبي الحرث الألوسى رضى الله عنه

قال شهدت الفداء فى الأسرى فكنت أرى كل أسير إذا خرج من مركب أخذ من مال السلطان فقلت بالله تعالى ما فى هؤلاء القوم رجل يتقى هذا المال فلما كان بعد أيام نزل شيخ فعرضوا عليه دنائير وخلعا وطعاما فلم يأخذ منها شيئا فقلت فى نفسى الله أكبر واتبعته حتى لحقته فعرضت عليه دراهم معى من جهة طيبة ، وقلت الحمد لله الذى لم يخل الأرض من ولى له فلم يقبل الدراهم وضرب بيده إلى حصى فى الساحل فإذا هو ياقوت أحمر وأصفر فقال لى من كان حاله مع مولاه مثل حالى لا يحتاج إلى دراهم ، فقلت له يا حبيبى أى شىء كنت تعمل فى بلد الروم وهذا حالك معه ، قال نعم أقول لك أسأت فيما بينى وبينه وتركت الأدب فعاقبنى بالأسر فتبت إليه فرجع إلى فاستحييت منه أن أخرج من بلد الروم وأترك فيه المسلمين فتأخرت لخروجهم رضى الله عنهم .

الحكاية السادسة بعد الأربعمئة

عن أحدهم

قال كنت بمكة فجاءنى رجل من أهل اليمن فقال لى جئتكم بهدية ثم قال لرجل كان معه حادثه ما كان منك فقال خرجت من صنعاء حاجا فشيئني جماعة وقال لى رجل منهم إذا زرت النبى ﷺ فاقرا عليه منى السلام وعلى صاحبيه رضى الله عنهما وعن سائر الصحابة ، قال فدخلت المدينة ونسيت ما استودعنى الرجل من السلام فخرجنا إلى ذى الحليفة لنحرم فلما أردنا الإحرام ذكرت أمانتى فقلت لأصحابى احتفظوا براحتى حتى أرجع إلى المدينة فى حاجة فقالوا الساعة ترحل القافلة ونخشى أنك لا تلحق قلت فخذوا معكم راحتى ، فدخلت المدينة فسلمت على النبى ﷺ وعلى صاحبيه رضى الله عنهما عن الرجل فأدركنى الليل واستقبلنى إنسان فسألته عن الرفقة فقال قد رحلت فرجعت إلى المسجد وقلت أقيم إلى أن تجيء رفقة أخرى ونمت فلما كان آخر الليل رأيت النبى ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما فقال أبو بكر يا رسول الله هذا الرجل فالتفت ﷺ إلى وقال أبو الوفاء فقلت يا رسول الله كنىتى أبو العباس فقال لى أنت أبو الوفاء وأخذ بيدي فوضعنى فى المسجد الحرام فأقمت بمكة ثمانية أيام حتى وردت الرفقة رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين .

الحكاية السابعة بعد الأربعمئة عن أحد الصالحين

قال صعدت جبل لبنان مع نفر نلتمس رجلا من العباد الزهاد المقيمين فيه فسرنا ثلاثة أيام فضربت على رجلى فجلست على جبل شامخ ومضى أصحابى يدورون فى الجبل على أنهم يرجعون إلى فلم يعودوا وبقيت وحدى إلى غد ذلك اليوم وطلبت ماء لأتطهر به للصلاة فوجدت أسفل الجبل عينا فتوضأت منها وقمت أصلى فسمعت صوت قارئ فلما فرغت من الصلاة اتبعت الصوت فوجدت كهفا فدخلته فإذا فيه رجل ضرير جالس فسلمت عليه فرد على السلام وقال لى أجنى أنت أم إنسى .

فقلت بل إنسى فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ما رأيت ههنا إنسا منذ ثلاثين سنة غيرك، ثم قال لى لعلك تعبت اطرح نفسك فدخلت داخل الكهف فرأيت ثلاثة قبور صفا فنمت عندها فلما كان وقت صلاة الظهر صاح بى الصلاة يرحمك الله، ولم أر رجلا أعرف بأوقات الصلاة منه فصليت معه، ثم قام يصلى فلم يزل يصلى إلى العصر فلما صلى العصر نهض قائما يدعو فسمعتة يقول فى دعائه:

(اللهم أصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد ﷺ) فلما صلينا المغرب قلت له من أين لك هذا الدعاء قال من دعا به كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من البداء، فقلت من علمك هذا فقال لا يحتمل إيمانك ذلك.

قال المؤلف كان الله له وقال الشيخ الإمام العارف بالله تعالى عالى المقام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وغيره من الكبار العارفين من قال كل يوم (اللهم اغفر لأمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم استر أمة محمد اللهم اجبر أمة محمد) كتب من الأبرار رضى الله عنهم.

قالوا وهو دعاء الخضر عليه السلام رجعنا إلى تمام الحكاية قال فلما صلينا العشاء قال لى تأكل فقلت نعم ، قال ادخل داخل الكهف فكل ما تجد فدخلت فوجدت صخرة عليها جوز وزبيب وخرنوب وتفاح وتين وحب الخضراء كل واحد من ذلك فى ناحية فأكلت منه ما أردت فلما كان وقت السجر أوتر وذلك أنه لم ينم فى ليلته ثم أكل مما كان هناك وجلس حتى صلينا الفجر فنام وهو جالس إلى أن طلعت الشمس وارتفعت نحو رمحين ثم قام فتوضأ ودخل الكهف فقلت له من أين هذه الفاكهة فما رأيت أطيب منها ، قال فسترى ذلك معاينة فدخل طائر جناحاه أبيضان وصدرة أحمر ورقبته خضراء وفى منقارة حبة زبيب وبين رجلية جوزة فوضع الزببية على الزبيب والجوزة على الجوز، فلما أحس بجناحيه قال لى رأيته قلت نعم قال هذا الطائر بأتينى بهذه الفاكهة منذ ثلاثين سنة قلت كم يتردد إليك فى اليوم قال سبع

مرات فعددت فإذا به تردد في اليوم خمس عشرة مرة فعرفته بذلك فقال قد زادك مرة اجعلنا في حل ورأيت عليه من اللباس من لحاء شجر يشبه الموز فقلت له من أين لك هذا فقال يأتيني هذا الطائر في كل عاشوراء بعشر قطع من هذا اللحاء ، فأصنع منه قميصا ومئزرا وكانت عنده مسلة يخيط بها اللحاء ورأيت تحته مما قد خلق من ذلك مفروشا ورأيت عنده حجرا يصب عليه الماء ثم يأخذ الماء الذي ينزل منه فيمسح به الشعر الذي ينبت عليه فيحلقه وكنت عنده جالسا فدخل عليه سبعة نفر أعينهم مشقوقة بالطول حمر وكانت ثيابهم شعورهم فقال لى بالفارسية لا تجزع منهم فإنهم من مسلمي الجن ، فقرأ عليه أحدهم سورة طه وآخر سورة الفرقان وآخر تلقن من سورة الرحمن آيات ثم خرجوا وسمعتة وهو ساجد في بعض الأيام يقول في سجوده: (اللهم امنن على بإقبالي عليك وإصغائي إليك وإنصافي لك والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في خدمتك وحسن الأدب في معاملتك) ورفع صوته فقلت له من أين لك هذا الدعاء فقال ألهمته ولقد كنت أدعو به في بعض الليالي فسمعت هاتفا يهتف بى يقول إذا دعوت بهذا الدعاء ففخم فإنه مستجاب فأقمت عنده أربعة وعشرين يوماً ثم قال لي حدثني بقصتك كيف وصلت إلى ههنا فحدثته فقال لى لو علمت أن قصتك هذه ما تركتك عندي هذه المدة لأنك قد شغلت قلوب إخوانك وقد ندموا على ما فرطوا في أمرك ورجوعك إليهم أفضل من مقامك عندي فقلت له فإني ما أعرف الطريق فسكت فلما كان وقت زوال الشمس قال لى قم حتى تمضى فقلت له أوصنى بوصية ، فقال لى عليك بالجوع والأدب فإني أرجو لك أن تلحق بالقوم وأهدى لك أيضا هدية اطلب يوم الزيارة بعد العصر بين زمزم والمقام رجلا ووصفه لى ثم قال إذا لقيته فاقرأ عليه السلام واساله يدعو لك ثم خرج من الكهف وأنا معه وإذا بسبع قائم على باب الكهف فتكلم معه بكلام لم أفهمه ، ثم قال لى اتبعه فإذا وقف انظر عن يمينك أو عن يسارك فإنك تجد الطريق فسار السبع أمامى ساعة ، ثم وقف فنظرت عن يمينى فإذا أنا على قبة دمشق فدخلت الجامع فلقيت بعض من كان معى فحدثته الحديث وخرجنا جميعا ومعنا خلق كثير حتى صرنا إلى ذلك الجبل ، وذلك الموضع بعينه فطلبنا الكهف ثلاثة أيام فلم نجده فقالوا هذا شيء كشف لك وغطى عنا فكنت أحج كل سنة وألتمس الرجل الذى وصفه لى فما كنت أراه حتى كان بعد ذلك بثمانى سنين ، رأيت ذلك الرجل على ما وصفه لى بين زمزم والمقام بعد العصر فسلمت عليه فرد على السلام فسألته الدعاء فدعا لى بدعوات فقلت له إن إبراهيم الكرمانى يقرئك السلام فقال لى وأين رأيتة قلت فى جبل لبنان فقال لى رحمه الله فقلت له أو قد مات قل نعم الساعة دفنته عند إخوانه

فى الغار الذى كان فىه وصلينا عليه فىبىنا نحن نغسله إذا بالطائر الذى كان يأتبه بقوته قد سقط فلم يزل يضرب بجناحبه حتى مات فدفناه عند رجله ثم قام الرجل فدخل الطواف فلم أره بعد ذلك رضى الله عن الجميع ونفعا به آمين .

الحكاية الثامنة بعد الأربعمئة

عن أحدهم

قال ركب فى مركب فى البحر ومعى رفيق لى فلما سار المركب سكنت الريح فطلبوا مرسى وقربوا المركب من الساحل وكان إلى جنبى شاب حسن الوجه فنزل إلى الساحل ودخل بين أشجار على شاطئ البحر ثم رجع إلى المركب فلما غابت الشمس قال لى ولصاحبى إنى ميت الساعة ولى إليكما حاجة قلنا ما هى قال إذا أنا مت فكفنانى بما فى هذه الرزمة وخذا هذه الثياب التى على ومخلاتى فإذا دخلتما مدينة صور فأول من يلقاكما ويقول لكما هاتا الأمانة فادفعاها إليه فلما صلينا المغرب حركنا الرجل فإذا هو قد مات فحملناه إلى الشط وأخذنا فى غسله وفتحنا الرزمة فإذا فيها ثوبان أحضران مكتوبان بالذهب وثوب أبيض فىه صرة فىها شىء كأنه الكافور ورائحته رائحة المسك فغسلناه وكفناه فى ذلك الكفن وحنطناه بما كان فى الصرة من الطيب وصلينا عليه ودفناه فلما دخلنا مدينة صور استقبلنا غلام أمرد حسن الوجه عليه ثوب شرب وعلى رأسه منديل ديبقى فسلم علينا وقال هاتا الأمانة فقلنا له نعم وكرامة ولكن ادخل معنا هذا المسجد نسألك عن مسأله قال نعم فدخل معنا المسجد فقلنا له أخبرنا عن الميت ومن أنت ومن أين له ذلك الكفن فقال أما الميت فكان من البدلاء الأربعين وأنا بديله وأما الكفن فأتى به الخضر عليه السلام وعرفه أنه ميت ثم لبس الثياب التى كانت معنا ودفع إلينا الثياب التى كانت عليه وقال بيعاها وتصدقا بثمانها إن لم تحتاجا إلى لبسها فأخذناها ودفعنا السراويل إلى المنادى يبيعه فلم نشعر إلا وإذا بشيخ يبكى وصراخ النساء فى الدار فلما وصلنا إلى الشيخ سألنا عن السراويل والتكة فحدثناه الحديث فخر ساجدا لله تعالى، ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذى أخرج من صلبى مثل هذا ثم صاح بأمه وقال لنا حدثنا الحديث فحدثناها، فقال لها الشيخ احمدى الله تعالى الذى رزقك مثله فلما كان بعد سنين بينما أنا واقف بعرفات وإذا أنا بشاب حسن الوجه عليه مطرف خز فسلم على وقال أعرفنى قلت لا، فقال أنا صاحب الأمانة الصورى ثم ودعنى وغاب عنى وقال لولا أن أصحابى ينتظروننى لأقمت معك فمضى وتركنى فإذا أنا بشيخ خلفى من أهل المغرب كنت أعرفه فخرج كل سنة فقال لى من أين تعرف هذا الشاب فقلت هذا يقال إنه من

الأبدال الأربعين فقبال هو اليوم من العشرة وبه يغاث الناس والعباد رضى الله عنه ونفعنا به وبأمثاله .

الحكاية التاسعة بعد الأربعمائة

قال أحد الشيوخ دخلت أنا وعشرة نفر فى جبل لكام فسرنا فيه أياما وانحدرنا إلى واد فإذا فيه بحيرة ماء عذب وإذا على شاطئ البحيرة مسجد مبنى من حجر أبيض وإذا بعين ماء تحت المسجد تجرى إلى البحيرة فجلسنا فيه فلما كان وقت الظهر جاء رجل فأذن ثم دخل فسلم علينا وصلى ركعتين ثم أقام الصلاة فدخل شيخ ومعه ثلاثون رجلا فتقدم إلى المخراب وصلى بنا ثم انصرفوا ولم يكلمونا ، فلما كان وقت العصر صلينا نحن ولم نرهم ، فلما كان وقت المغرب جاء الرجل فأذن وأقام الصلاة فتقدم الشيخ فصلى بنا ثم قاموا يصلون إلى أن غاب الشفق الأحمر ، ثم أذن وأقام وصلى بنا الشيخ العشاء ثم انصرفوا ولم يكلمونا ولم نكلمهم فلما كان بعد ساعة جاء رجل منهم معه شيء فوضعه فى زاوية المسجد ثم قال لنا هلموا ، رحمكم الله فقمنا إليه فإذا نحن بمنديل أبيض لم نر مثله تحته مكبة من زمرد أخضر فكشفناها فإذا هى بمائة من ياقوت أحمر عليها طعام يشبه الثريد فأكلنا منه فكنا نأكل ولم ينقص منه شيء فلما كان وقت السحر جاء ذلك الرجل فحمل المائدة ثم أذن وأقام الصلاة فتقدم الشيخ فصلى بنا وجلس فى محرابه فختم القرآن وحمد الله وأثنى عليه ودعا بدعاء حسن ، ثم قال إن الله تعالى افترض على خلقه فريضتين فى آية واحدة والخلق عنها غافلون فقلت وما هى رحمك الله فقال لى تقدم جبرك الله فقدمنى على الجماعة وقال لى نعم يا بني جبرك الله قال الجليل جل جلاله : ﴿إن الشيطان لكم عدو﴾ فوصفه بالعداوة لنا ثم قال : ﴿فاتخذوه عدوا﴾^(١) فهذا أمر لنا أن نتخذه عدوا قال فقلت له كيف نتخذه عدوا ونحصن منه الحصون قال الحصن الأول من ذهب وهو معرفة الله تعالى وحوله حصن من فضة وهو الإيمان بالله وحوله حصن من حديد وهو التوكل على الله وحوله حصن من حجارة وهو الشكر والرضا عن الله وحوله حصن فخار وهو الأمر والنهى والقيام بهما ، وحوله حصن من الزمرد وهو الصدق والإخلاص فى جميع الأحوال وحوله حصن لؤلؤ رطب وهو أدب النفس ، فالمؤمن من داخل هذه الحصون وإبليس من رائها ينبح كما ينبح الكلب ، والمؤمن لا يبالى به لأنه قد تحصن بهذه الحصون فينبغى للمؤمن ألا يترك أدب النفس فى أحواله ولا يتهاون به فى كل ما يأتیه فإن من ترك أدب النفس وتهاون به يأتیه الخذلان من فوق لتركه الأدب ولا يزال إبليس نعوذ بالله منه يعالجه ويطمع فيه حتى

يأخذ منه الحصن الأول ، ثم لا يزال يأخذ منه حصنا بعد حصن إذا ترك الأدب ويطمع فيه ويأتيه الخذلان من الله تعالى لتركه حسن الأدب حتى يأخذ منه جميع الحصون السبعة ويرده إلى الكفر فيخلد في النار نعوذ بالله من جميع ذلك ونسأل الله التوفيق وحسن الأدب .

قال فقلت له أوصني بوصية قال نعم جبرك الله اجتهد في رضا خالقك قدر ما تجتهد في رضا نفسك ، واعمل في دنياك بقدر مقامك فيها ، واعمل لربك بقدر حاجتك إليه ، وأطع إبليس لعنه الله بقدر نصحه لك ، وهي الخديعة منه ، وارتكب من المعاصي بقدر طاقتك على النار واحفظ لسانك عما لا ترجو فيه ثوابا كما تحفظ نفسك من سلعة لا ترجو فيها ربحا ، واترك أربعة لأربعة ثم لا تبال متى مت اترك الشهوات إلى الجنة ، والنوم إلى القبر ، والراحة إلى الصراط ، والفخر إلى الميزان ثم قام ومشى وأقمنا يوما ذلك فلما كان الليل جاء الرجل ومعه تلك المائدة وعليها مثل ذلك الطعام فأكلنا وأقمنا عندهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعنا الشيخ وقال في آخر كلامه لنا يا فتيان استروا المكان يستركم الله في الدنيا والآخرة فانصرفنا من عندهم وسرنا في واد على جانبه أشجار مثمرة من كل لون من الثمر فأرأينا من بعيد على شاطئ النهر كركيا قائما فقربنا منه فإذا هو مطموس العينين فبقينا نتعجب من أمره فبينما نحن قيام إذ أقبلت نحلة سوداء خلفها نحل كثير فلما وصلت إلى الكركى دبت ففتحت منقاره فوضعت النحلة فيه عسلا ولم يزل النحل يدخلن واحدة بعد واحدة ويصببن العسل في فيه ولم يبق منهن شيء فامتأ فمه من العسل فأطبق عليه منقاره فسقط منه شيء من العسل فأخذته وأكلته وانصرفنا رضى الله عنه وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم .

(قلت) ذكر الشيخ المذكور رضى الله عنه أن الشيطان نعوذ بالله منه لا يزال يأخذ الحصون المذكورة حتى يرد العبد إلى الكفر فيخلد في النار نعوذ بالله من ذلك ، وما قاله في نهاية الحسن والتحقق ولكن قد يستولى الشيطان على بعض الحصون المذكورة دون بعض فيؤدى العبد إلى الفسق دون الكفر فيستحق النار من غير تخليد وقد لا يؤديه إلى الفسق ، ولكن يرد به إلى أضعف الإيمان فلا يستحق النار ولكن يستحق النزول عن مقام أهل الإيمان الكامل ، وكل هذا التفاوت بحسب تفاوت الحصون المذكورة فليس أخذ حصني المعرفة والإيمان كأخذ بقية الحصون المذكورة وبقية الحصون تتفاوت أيضا فليس أخذ حصني الصدق والإخلاص كأخذ حصن الأمر والنهي وكذلك سائر الحصون والكلام فيها يطول ولكن مهما بقى حصن الإيمان

وحصن التوكل الكاملين للعبد لم يقدر عليه الشيطان لقوله تعالى : ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾^(١) وهؤلاء هم المتصفون بالعبودية الكاملة لقوله تعالى : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾^(٢) لقوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ ثم قال فى آخر وصفهم : ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾^(٣) وقد يكون أخذ حصن واحد مؤديا الى الكفر موقعا فى التخليد فى النار كحصن الإيمان ولكن لا أحد على الوصول إلى أخذ حصن الإيمان حتى يأخذ الحصون التى حوله إن كانت موجودة فنسأل الله الكريم التوفيق والهدى والسلامة من الزيغ والردى .

الحكاية العاشرة بعد الأربعمائة

عن أحدهم

قال كنت جالسا فى مسجد رسول الله ﷺ ومعى رجل من أهل البحرين يقال له خير فدخل علينا من باب المسجد سبعة أنفس فقال لى خير الحق بالقوم لا يفوتوك فإنهم أولياء فقامت خلفهم فإذا هم عند قبر النبى ﷺ قيام فتقدمت إليهم فالتفت إلى واحد منهم فداخلنى الرعب حتى بلت فخرج القوم وخرجت معهم فالتفت إلى واحد منهم وقال لى إلى أين تأتى ارجع فإنك لا تلحقنا فقال له واحد منهم دعه لعل الله يجبره فقال له ما له أربعون سنة فقال دعه لعل الله يجبره فيلحقه بدرجة القوم فسرت معهم فكنت أرى ونحن نسير كأن الجبال والأرض تطوى فنرى من بعيد جبلا نجوزه ونرى سهلا من بعيد نجوزه فى الحال وكنت أسمع ديبب الأرض مثل الرحا ، وكنت أرى كنوز الأرض تظهر لنا وتغيب عنا حتى وصلت إلى واد كثير الشجر كثير النبات فإذا أقوام ينزلون بواد نحو من سبعين رجلا فبنتنا فى ذلك الوادى فلما أصبحنا وطلعت الشمس قمنا فإذا نحن بمدينة عليها سور أبيض من حجارة قطعة واحدة ونهر عظيم يدخل إليها وليس للمدينة باب إلا من الموضع الذى يدخل منه الماء وعليه شباك من ذهب فدخلنا جميعا ونحن نحو من مائة نفس فإذا فيها قباب من ذهب وتحتها عمد من ذهب وفضة وفيها أنهار من ذهب يجرى فيها الماء وأشجار بين القباب مثمرة وأرضها مفروشة بنبات الريحان وفيها طيور من كل لون وثمار كثيرة وتفاح وزن كل

(٢) سورة الإسراء: الآية ٦٥ .

(١) سورة النحل: الآية ٩٩ .

(٣) سورة الأنفال: الآيات ٤٣ ، ٤٤ .

تفاحة نحواً من خمسة أرطال بالبغدادى وكل تلك الفاكهة لا تشبه فاكهة الدنيا فى الطعم واللون والريح وكنا نأكل من التفاح وغيره وكان أحدنا يأكل فى الوقت مائة ومائتين ولا يشبع من التفاح والسفرجل والرمان والكمثرى ومن كل نوع من الثمار إلا النخل ، فأقمنا بها أربعين يوماً ليس لنا فيها عمل إلا الصلاة والأكل وكنا لا نحتاج إلى وضوء ولا شرب ماء ولا نوم فلما كان بعد الأربعين خرجنا منها فأخذت منها ثلاث تفاحات فلم ينعونى فخرجنا من الموضوع الذى يدخل منه الماء وكنا دخلنا منه فلما سرنا ساعة قالوا إلى أين تريد فقلت الموضوع الذى أخذتمونى منه وسألتهم عن اسم المدينة فقال لى واحد منهم هذه مدينة الأولياء جعلها الله عز وجل نزهة لأوليائه فى دار الدنيا فمرة تظهر لهم باليمن ومرة تظهر لهم بالشام ومرة بالكوفة ولم يدخل هذه المدينة من لم يبلغ الأربعين غيرك فلما كان بعد ساعة انتهينا إلى موضع فقلت ما هذا الموضوع قالوا اليمن وكنت أخذ من التفاح قطعة صغيرة فما أحتاج إلى طعام أياما كثيرة ولم يزل معى التفاح أكل منه إلى أن دخلت مكة فلقيت الكنانى فأعطيته من التفاح واحدة فلما كان اليوم الثانى لقينى رجل فقال لى لم فعلت هذا ولم حدثت بما رأيت فقد أخذنا ما أعطيت الكنانى ورددناه إلى مكانه فلقيت الكنانى فقال كانت عندى فى حق فلما أمسيت ذهبت لأكل منها فلم أجدها قلت وقد تقدمت فى هذا الكتاب حكاية تشبه هذه وليست هى هى وفى كل واحدة منهما أشياء ليست بالأخرى وكل ذلك ممكن فى قدرة الله تعالى وشائع فى كرامات أوليائه رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين .

الحكاية الحادية عشرة بعد الأربعمائة

عن الشيخ أبى عمران الواسطى رضى الله عنه

قال خرجت من مكة أريد زيارة قبر النبى ﷺ ، فلما خرجت من الحرم أصابنى عطش شديد حتى أيست من نفسى فجلست تحت شجرة أم غيلان آيساً من نفسى ، فإذا فارس قد أقبل على فرس أخضر وسرجه ولجامه وثيابه وألته خضر وفى يده قدح أخضر فيه شراب أخضر فدفعه إلى وقال لى اشرب فشربت ثلاث مرات ، لم ينقص مما فى القدح شىء ثم قال لى أين تريد فقلت المدينة لأسلم على النبى ﷺ وعلى أصحابه رضوان الله عليهم فقال إذا فعلت فقل لهم رضوان يقرئكم السلام .

كذلك روى أيضاً عن أحد الصالحين قال كنت جالسا فى بيت المقدس عند منبر سليمان عليه السلام يوم الجمعة بعد صلاة العصر ، وإذا أنا برجلين يشبه أحدهما خلقنا والآخر طويل عظيم الخلق كان عرض جبهته أكثر من ذراع وكان فيها

ضربة قد خيبت فجلس الذى يشبهنا عندى وسلم على وجلس الآخر بعيدا منى ، فقلت له من أنت يرحمك الله قال أنا الخضر فقلت ومن ذلك الرجل ، قال أخى إلياس فداخلى ما يداخل مثلى فقال لى لا بأس عليك نحن نحبك ثم قال لى من صلى العصر يوم الجمعة ثم استقبل القبلة فقال يا الله يا رحمن إلى أن تغرب الشمس ثم سأل الله تعالى شيئا أعطاه إياه فقلت له آنتنى آنسك الله بذكره هل كل ولى فى الأرض تعرفه ، قال المعدودين قلت وما معنى المعدودين قال إنه لما قبض النبى ﷺ شكت الأرض إلى ربها سبحانه وتعالى فقالت بقيت لا يمشى على نبى إلى يوم القيامة فأوحى الله تعالى إليها أنى سأجعل من هذه الأمة رجالا مثل الأنبياء قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال فقلت له كم هم قال ثلثمائة وهم من الأولياء وسبعون وهم النجباء وأربعون وهم أوتاد الأرض وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد هو الغوث ، فإذا مات الغوث اختير من الثلاثة واحد فجعل فى رتبته واختير من السبعة واحد فجعل فى الثلاثة واختير من العشرة واحد فضم إلى السبعة ومن الأربعين إلى العشرة ومن السبعين إلى الأربعين ومن الثلثمائة إلى السبعين واختير من الدنيا واحد إلى الثلثمائة يعنى من أهل الدنيا هكذا إلى يوم ينفخ فى الصور منهم من قلبه مثل قلب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ومنهم من قلبه مثل قلب نوح وإبراهيم عليهما السلام فقلت له مثل قلب إبراهيم تعظيما له قال نعم ومثل قلب جبريل وداود وسليمان عليه الصلاة والسلام ، أما سمعت قول الله سبحانه ﴿فبهدهم اقتده﴾^(١) فما مات نبى إلا وعلى طريقته رجل يسلكها إلى يوم القيامة فلو أن الأربعين اطلعوا على قلوب العشرة لرأوا قتلهم ودماءهم حلالا ، وكذلك السبعون لو اطلعوا على قلوب الأربعين لرأوا قتلهم ودماءهم حلالا ، أما ترى ما كان من قصة موسى معى قال فقلت له مم طعامك قال من الكرفس والكمأة قلت فما طعام إلياس قال رغيفان من الحوارى كل ليلة قلت وأين مقامكما قال فى جزائر البحر قلت وهل تجتمعان قال نعم إذا مات ولى صلينا عليه وإذا كان موسم اجتمعنا فيه فيأخذ من شعرى وآخذ من شعره قلت فعرفنى أسماء هؤلاء القوم الذين سميتهم فأخرج درجا من كفه فيه أسماء القوم كلهم ، قد كتبهم ثم قام فقامت معه فقال لى إلى أين فقلت أمشى معك فقال لا سبيل لك إلى ذلك ، فقلت إلى أين تقصد فقال وما تريد من ذلك فقلت أصلى معك وأتبرك فقال إنى أصلى الغداة بمكة ثم أجلس فى الحجر عند الركن الشامى إلى أن تطلع الشمس

ثم أطوف بالبيت سبعا ثم أصلى خلف المقام ركعتين ثم أصلى الظهر بالمدينة والعصر
بيت المقدس والمغرب بطور سيناء والعشاء على سد ذى القرنين ، ثم لا أزال أحرس
إلى الغداة عليه وعلى جميع المذكورين السلام .

الحكاية الثانية عشرة بعد الأربعمئة

عن أحد المشايخ

قال ورد على كتاب من أبى بكر محمد بن الشقيق يذكر فيه ما فى رقبته من
الأمانات ويسألنى الدعاء أن يخلصه الله تعالى منها فى الدنيا فخرجت من المنزل أريد
صلاة الظهر فلما فتحت الباب إذا برجل عليه ثياب خضر وعليه تاج من جوهر وله
شعاع فسلم على وقال ما عزمك أن تكتب إلى محمد الشقيق فقلت له : ما تأمر به ،
فقال : اكتب إليه بعد يومنا هذا إلى ستة عشر يوما يكون فى قبره فقال له أحكيه
عنك فقال لا اكتب إليه فإنه يصدقك فكتبت إليه ثلاثة كتب أعرفه فيها بمنيته فلما
وصلت إليه هيا وصيته وفرغ منها وفى اليوم السادس عشر من اليوم الذى كتبت إليه
فيه مات رحمه الله فرأيت فى المنام فقال لى جزاك الله من أخ خيرا وكان بينى وبينه
معاهدة أن من سبق منا إلى الجنة يشفع فى صاحبه فقلت له العهد الذى بينى وبينك
قال أنا على ذلك وقد وهب لى ممن لم يكن بينى وبينه معاهدة خلق لا يحصون
فقلت وأنا قال أنت أخصهم وأفضلهم رضى الله عن جميع الصالحين ونفعنا بهم
آمين .

الحكاية الثالثة عشرة بعد الأربعمئة

عن أحدهم

قال خرجت من عدن مع رفقة لى فلما جن علينا الليل أصابنى شىء فى رجلى
فبقيت وحدى على شاطئ البحر فجلست على الساحل ولم يكن معى شىء وكنت
صائما فبينما أنا كذلك وقد مهدت لنفسى لأنام فإذا أنا برغيفين وبينهما طائر مشوى
فأخذت الطائر فتركته ناحيه فإذا أنا بأسود فى يده عمود من حديد فقال لى كل يا
مرائى فأكلت بعض الطائر مع رغيف وأخذت الرغيف الآخر وما بقى من الطائر
فجعلته فى خرقة معى ووضعته عند رأسى ونمت فانتبهت وإذا الخرقة تحت رأسى وما
فيها شىء .

قال أيضا رأيت الغوث وهو القطب رضى الله عنه بمكة سنة خمس عشرة
وثلاثمئة على عجلة من ذهب والملائكة يجرون العجلة فى الهواء بسلاسل من ذهب

قلت إلى أين تمضى فقال إلى أخ من إخواني اشتقت إليه فقلت لو سألت الله تعالى أن يسوقه إليك فقال وأين ثواب الزيارة واسم هذا القطب أحمد بن عبد الله البلخي رضى الله تعالى عنه ونفعنا به قلت وسيأتى الكلام على هذه الحكاية فى آخر الكتاب فى فصل الجواب عن إنكار بعض المنكرين والله الموفق .

الحكاية الرابعة عشرة بعد الأربعمئة

عن أحد المشايخ

قال كنت جالسا ومعى جماعة من الصالحين بمكة وفينا رجل هاشمى فغشى عليه فلما أفاق قال أما رأيتم ما رأيتم قلنا ما رأينا شيئا قال رأيت الملائكة محرمين يطوفون حول الكعبة فقلت لهم من أنتم قالوا ملائكة فقلت كيف حبكم لله تعالى فقالوا نحن حينما جوانى وحبكم برانى فقلت يعنون حينما من داخل وحبكم من خارج . قال ودخلت فى وقت إلى قبة بيت المقدس بالليل فبت فيها فبينما أنا قائم أصلى إذا بالقبة انشقت نصفين فبقيت مشقوفة حتى أبصرت السماء فنزل منها خلق لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وهم يقولون سبحان من هو هو سبحان من ليس إلا هو أهيا شر أهيا فلم يزالوا يقولون هذا فلما كان آخر الليل قال لى واحد منهم كان إلى جانبي ما قصتك قلت أحببت أن أصلى فى هذا الموضع بالليل من أنتم فقالوا نحن الملائكة دخلنا أمس البيت المعمور ولا نعود إليه إلى يوم القيامة وذلك أنه يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة فإذا دخلوا فى يومهم ساروا فى تلك الليلة إلى بيت المقدس وإلى الصخرة ثم يمضون إلى بيت الله الحرام فيطوفون به أسبوعا ويصلون خلف المقام ركعتين ثم يمضون إلى المدينة فيسلمون على النبى ﷺ ثم يرجعون إلى مصافهم فلما صعدوا انضمت القبة وأصبح الصبح .

وعن أحدهم قال كنت بجبل النور بالمصيصة فدخل رجلى عظم عظيم فاجتهدت فى نفسى كل الجهد أن أخرجه فلم أقدر على ذلك وبقي فى رجلى أياما كثيرة حتى ورمت وانتفخت واسودت وصارت مثل الزق فبقيت ملقى تحت شجرة فغلبتنى عيناي فنمت فوجدت رائحة ففتحت عيني فإذا بحية سوداء قد وضعت فمها على الموضع الذى فيه العظم تمصه وترمى القيح والدم فغمضت عيني ، فلم تزل تمص وترمى الدم حتى وصلت إلى العظم فحركته وأخرجته ثم أحسست بشيء لين مسح على رجلى فلا أدري ذلك لسانها أو ذنبها فجلست فإذا أنا بالدم والعظم مطروحين

وأنا لا أدري أى الرجلين كانت تؤلمنى وزال ما عندى من الألم والحمد لله على ذلك حمدا كثيرا ف سبحانه الله اللطيف الخبير الذى هو على كل شىء قدير .

الحكاية الخامسة عشرة بعد الأربعمئة

عن أحد الصالحين

قال وصف لى بباب من الأبواب ثلاثة نفر من البدلاء العشرة فقصدتهم وسألت عنهم فإذا واحد منهم إمام بالجامع فرأيت عليه ثيابا جميلة وبزة حسنة وله نعمة كبيرة يديرها واسمه إبراهيم واسم الآخرين الحسن والحسين فجئت إلى إبراهيم الإمام بين المغرب والعشاء فسلمت عليه وقلت له إنى قصدتك ففرح بى فلما صلينا العشاء أخذ بيدي ومضينا إلى منزله وإذا قصر عظيم وحاشية كثيرة فقدم لنا مائدة كبيرة عليها طعام كثير فجلس معنا الحسن والحسين ولم يجلس معنا إبراهيم فأكلنا وسألتهما عنه فقالا لى إنه لا يأكل إلا اللبن ، فلما كان وقت النوم فرش له فرش كثيرة فنام عليها فلم أزل أرقبه فلما كان فى بعض الليل نزل عن الفراش فصلى ركعتين من غير أن يتوضأ فقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفى الآخرة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فلما سلم قال : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير كله وهو على كل شىء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد) قالها ثلاثا رافعا بها صوته ثم صلى ركعتين أخريين قرأ فى الأولى منهما الفاتحة وقل أعوذ برب الفلق وفى الثانية الفاتحة وقل أعوذ برب الناس فلما سلم قال مثلما قال من الذكر المذكور ثلاث مرات ثم صلى ركعتين أخريين فقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي وفى الأخرى فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث مرات ثم رجع بعد الذكر المذكور إلى فراشه فلما كان وقت الفجر قام وأذن وصلى ركعتى الفجر من غير أن يجدد وضوءاً ثم خرج إلى الصلاة فأقمت عندهم شهورا على هذا فلما كان يوم عرفة قال لى اقرأ اليوم سورة الأنبياء وسورة الحج ، وكلما مررت بذكر نبي من الأنبياء فصل عليه وعلى محمد ﷺ فإنك إذا فعلت ذلك أعطاك الله تعالى ثواب من حج إلى بيته الحرام فلما صلى الضحى جاءنى الحسن وأخذ بيدي من المسجد فجعنا إلى الدار فإذا القوم قد تهيئوا للإحرام فدفع إلى إزارين وقال لى انو الإحرام ، ثم خرجنا من الدار وقد حملوا معهم سطلا صغيرا مملوءاً دراهم صحاحا فلما جاوزنا المقابر صلينا ركعتين وقال لى انو الحج فنويت ثم لبوا

فلبيت معهم وسجدوا فسجدت معهم فلما كان بعد ساعة رفعوا رءوسهم ورفعت رأسى معهم فأريت جبالا وأرضا لا أعرفها ورأيت جمالا وناسا سائرين فقال لى إبراهيم هؤلاء قوم خارجون من منى يريدون عرفة ، ثم أخذوا بيدي فسرنا حتى وافينا مسجد عرفات فاشترؤا ماء فاغتسلنا واشترؤا تمرا وخبزا فقال لى إبراهيم كل فقلت إنى صائم فقال لا تخالف نبيك محمدا ﷺ فقد أفطر فى مثل هذا اليوم فلما كان عند غروب الشمس دفعوا إلى السطل وفيه الدراهم فقال لى إبراهيم خذ هذا فاستعن به على أمرك وعليك بالشام ثم افترقنا فلم أرهم بعد ذلك رضى الله عنهم ونفعنا بهم .

(قلت) قوله أفطر فى مثل هذا اليوم يعنى أن النبى ﷺ أفطر يوم عرفة بعرفة فى حجة الوداع والسنة للواقفين الإفطار على الصحيح ولغيرهم الصيام وصومه يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده هكذا فى الحديث ، وإنما شرع الفطر للواقفين لأنه أعون على الدعاء والعبادة المشروعة فى ذلك اليوم من الأذكار والتلبية وغير ذلك .

الحكاية السادسة عشرة بعد الأربعمئة

قال أحد الشيوخ اعتلت علة شديدة أيست من نفسى وأيس منى من رأى فينما أنا فى أشد ماكنت رأيت فى المنام فى ليلة الجمعة كأن رجلا دخل على فجلس عند رأسى ودخل بعده خلق كثير وكانوا فى وقت الدخول يشبهون الطيور فلما جلسوا صاروا فى صورة الأدميين ، فلم يزالوا يدخلون وعينى إلى الباب فلما انقطع دخولهم رفع ذلك الرجل رأسه وقال قصدى هذا البلد لعيادة ثلاثة أحدهم هذا وأوما بيده إلى الآخر هو صالح الخلقانى بضم الخاء العجمة وبالقاف وبعد الألف نون ثم ياء النسبة ، ولم أكن أعرفه قبل ذلك ، وامرأة لم يسمها ثم وضع يده على جنبى وقال : (باسم الله ربى الله حسبى الله توكلت على الله اعتصمت بالله فوضت أمرى إلى الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ثم قال لى استكثر من قراءة هذه الكلمات فإن فيها شفاء من كل سقم وفرجا من كل كربة ونصرا على كل عدو وأول من تكلم بهذه الكلمات حملة العرش عليهم السلام حين أمروا بحمله ولا يزالون يقولون ذلك إلى يوم القيامة فقال له رجل كان جالسا عن يمينه أو قال عن يساره يا رسول الله فإن قالها عند لقاء العدو فقال بخ بخ فيه فتح ونصر وبشر فظننت أنه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم أوما بيده إلى من كان عن يساره ﷺ وقال هؤلاء الشهداء ثم أوما بيده إلى ما وراءه وقال هؤلاء الصالحون ثم خرج فاتبته وقد خرجت من علتى وبرئت منها وأصبحت أصح مما كنت والحمد لله رب العالمين .

الحكاية السابعة عشرة بعد الأربعمئة

عن أحدهم

قال لقيت بالبصرة رجلا يعرف بالمسكى وذلك من شدة ما كان يوجد منه من ريح المسك حتى إنه إذا دخل المسجد الجامع يعرف أنه قد جاء من شدة الرائحة وإذا مر فى الأسواق كذلك فقصدته وبت عنده وقلت له يا أخى أنت تحتاج إلى مال كثير فى ثمن الطيب فقال ما اشتريت طيبا قط ولا تطيبت بطيب قط وأنا أحدثك بحديثي لعلك إذا مت تترحم على إذا ذكرتني كان مولدى ببغداد وكان أبى موسرا يعلمنى كما يعلم الناس أولادهم وكنت من أحسن الناس وجها وكان بي جياء فقيل لأبى لو أجلست ابنك فى السوق لينشط فأجلسنى فى دكان بزاز وكنت أجلس عنده طرفى النهار فلما كان بعض الأيام جاءت عجوز فطلبت منه متاعا مترفعا فأخرج لها ما طلبت فقالت له وجه معى إنسانا حتى نأخذ ما نحتاج إليه وندفع له الثمن ونرد الباقي معه فقال لى تنشط وامض معها فقلت نعم فمضيت معها حتى أدخلتني إلى قصر عظيم فيه قبة وعلى بابها خدم وحجاب فلما وصلت إلى صحن الدار إذا أنا ببنيان عظيم فيه قبة عليها ستارة فقالت لى ادخل القبة فاجلس فيها ، فدخلت فإذا أنا بجارية على سرير عليه فرش موشى وكل ذلك مذهب لم أر أحسن منها وعليها من كل الخلى فتزلت عنه وضربت بيدها فى صدرى وجذبتني إليها فقلت لها الله الله قالت لا بأس عليك لك عندي ما تحب فقلت لها إني حاقن فصاحت بالجوارى فإذا بهن قد أقبلن فقالت لهن قدام مولاكن إلى الخلاء فلما دخلت الخلاء لم أجد لى فيه مسلكا أفر منه فحللت سراويلى وتغوطت فى كفى ومسحت به وجهي ويدي وقلبت عيني فدخلت جارية بيدها ماء ومنتديل فصحت فى وجهها كالمجنون فولت هاربة منى وقالت مجنون فجاء الجوارى ومعهن بساط فأدرجننى فيه وحملتنى وطرحتنى فى بستان فلما علمت أنهن مضين قمت فغسلت ثيابى ووجهي وسائر بدنى ومضيت إلى منزلى ، ولم أحدث به أحدا فرأيت تلك الليلة فى منامى رجلا فقال لى أين يوسف ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الله منك أتعرفنى ، قلت لا قال أنا جبريل فمسح بيده على وجهي وبدنى فمن ذلك الوقت صار لبدنى رائحة المسك تفوح على ثيابى فهذه الرائحة من يد جبريل عليه السلام.

الحكاية الثامنة عشرة بعد الأربعمئة

قال أحد الصالحين كان بعبدان رجل من العباد يعرف بالبدوى فسألت عنه فقيل لى توفى وقال الحفار لمات البدوى حفرت قبره فلما بلغت إلى اللحد أردت أن أسويه فبينما أنا أسويه إذ سقطت لبنة من لحد قبر يليه فنظرت في القبر الذى سقطت منه اللبنة فإذا بشيخ جالس فى القبر عليه ثياب بيض تتقعقع وفى حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه فرفع رأسه إلى وقال لى أقامت القيامة رحمتك الله قلت لا فقال رد اللبنة إلى موضعها عافاك الله فرددتها رضى الله عنه ونفعنا به .

وقال أحدهم ركبت فى زورق من البصرة أريد الأبله ومعى ثلاثة نفر يشيعوننى فلما سرنا ساعة رفع الملاح المجذاف وجلس فقال أصحابى للملاح مالك فأوما إليهم أن اسكتوا فلم يكن إلا ساعة وقد وصلنا الأبله وكان معنا زوارق فوصلت قريبا من العصر فحدث أصحاب زورقتنا أصحاب الزورق أننا وصلنا فى ساعة فمضوا إلى الملاح وسألوه لم ، فقال اسكتوا رأيت فارسا أقبل راكبا على دابة لم أر أحسن منه ولا من دابته فطرح فى صدر الزورق سلسلة من ذهب وكان يسير والزورق يجرى خلفه على الماء فخشيت أن أكلمكم فيذهب عنى ما رأيت .

الحكاية التاسعة عشرة بعد الأربعمئة

قال أحد المشايخ خرجت أنا وأبو على البدوى نريد زيارة أخ من إخواننا فدخلنا البرية فأصابنا جوع فإذا بثعلب يحفر الأرض ويخرج منها كمأة ويرمى بها إلينا فأخذنا منها حاجتنا ثم سرنا فإذا نحن بسبع عظيم نائم فلما قربنا منه إذا هو ضريير فوقفنا عليه نتعجب من أمره وإذا بغراب معه قطعة لحم كبيرة فضرب بجناحيه على أذن السبع ففتح فمه فطرح فيه قطعة اللحم فقال لى أبو على هذه الآية لنا ليست للسبع فسرنا فى تلك البرية أياما ، فإذا بكوخ فيها فقصدناه فإذا فيه عجوز كبيرة ليس عندها شىء وعلى باب الكوخ حجر منقور فسلمنا عليها وجلسنا عندها ، فإذا هى مشغولة بعبادة ربها فلما غابت الشمس خرجت من الكوخ بعد أن صلت المغرب ومعها رغيفان عليهما قطعة تمر فقالت ادخلوا الكوخ فخذوا ما لكم فيه فدخلنا فإذا نحن بأربعة أرغفة وقطعتين من تمر وما فى ذلك الموضوع نخل ولا تمر فأكلنا فلما كان بعد ساعة جاءت سحابة فأمطرت على الحجر حتى امتلأ ولم يسقط منه خارجا قطرة واحدة فقلنا لها كم لك ههنا قالت سبعون ألف ستة هكذا حالى مع مولاي فى قوتي وشرابى كما ترون ، فقلنا هذا الماء على هذه الحالة فقالت كل ليلة تجيء هذه السحابة فى الصيف والشتاء وهذان الرغيفان والتمر ثم قالت أين تريدون قلنا نريد أبا نصر

السمرقندي نزوره فقالت رجل صالح أبا نصر تعال إلى القوم فإذا أبو نصر قائم عندنا فسلم علينا وسلمنا عليه ، ثم قالت إذا أطاع العبد مولاه أطاعه مولاه رضي الله عنها وعن الجميع ونفعنا بهم آمين .

الحكاية العشرون بعد الأربعمائة عن أحدهم

قال خرجت أنا ورجل يقال له محمد العابد من بيت المقدس يوم الجمعة نريد الرملة فأشرفنا على العقبة وإذا نحن بصوت يقول ما أوحش الإنسان إذا لم تكن أنيسه ، وما أضيّق الطريق إذا لم تكن دليله ، فأشرفنا فإذا نحن بامرأة عليها جبة من شعر وخمار من صوف وفي يدها عصا فسلمنا عليها فردت علينا السلام وقالت إلى أين فقلنا إلى الرملة فقالت وما تصنعون فيها قلنا لنا بها أحباب قالت وأين الحبيب الأكبر من قلوبكم قلنا هو حبيبنا وحبيب المؤمنين فقالت هو حبيبكم وحبيب المؤمنين باللسان ، وهو حبيبي بلساني وقلبي فقلنا إنا نراك امرأة حكيمة إلا أنا نرى فيك زلة قالت وما هي قلنا ، امرأة شابة تسافر بغير محرم ، فأجابت ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾^(١) فأخرجت دراهم من كسائي ودفعتها إليها فقالت من أين لك هذه قلت أنا رجل مباحي آخذ من الأشياء المباحة فقالت نعم كسب الضعيف قلت وما ضعفي قالت ضعف اليقين قلنا وما علاقة اليقين قالت ما تبلغ درجة اليقين حتى تضع المقرض على لحمك الذي ربيته على غير رضاء فتذنيه حتى ينبت لحم آخر برضاه فقلنا لها لكل شيء علامة ودلالة فما دلالتك ، فضربت بيدها الأرض فأخذت كف حصى ثم قالت خذ يا ضعيف اليقين فأخذها محمد فإذا هي دنائير .

فقالت له خذها فما دخلت في كفة ميزان ولا في كف بنى آدم قبلك ثم قالت لى إنما لم أعطك إياها لكونك فررت منها ثم قالت أين تريدون قلنا الرملة فقالت هذه الرملة فإذا نحن بحيطان الرملة فدخلناها والناس قد انصرفوا من صلاة الجمعة فأخذ محمد الدنانير وبنى بها مسجدا بعسقلان وهو معروف إلى يومنا هذا بمسجد المباحي رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين .

الحكاية الحادية والعشرون بعد الأربعمئة

قال أحد الصالحين خرجت من الليل وحدي وأنا عليل وعلى حمى شديدة وأصابني عطش فلما بلغ بي الجهد عدلت إلى شجرة المقل فطرحت نفسي تحتها آيساً من الحياة فإذا أنا برجل معه أربعة أرغفة بين اثنين منها طائر مشوى وبين اثنين خبيص وكان عند رأسي ركوة فذهب بها إلى البحر فملاها وتركها عندي فإذا ماء أبرد من الثلج وأحلى من العسل فزالت عني الحمى وما كنت أجد ثم جلس عندي وأخذت أكل فقام وقال قد جاءت الرفقة فالتفت فرأيت نحواً من عشرين جملاً فقامت إليهم وغاب عني رضى الله عنه ونفعنا به .

وقال أحدهم أيضاً كنت بمصر وكان بي فاقة فدخلت بعض المساجد فإذا أنا بشاب نجالس فدفع إلى صرة فيها قطع وقال لى خذ شعرك واغسل ثيابك فجئت إلى حجام فأخذت من شعري فدفعت إليه قطعتين فلا صارتا فى كفه قبلهما وقال مرحباً أنا فى طلبك منذ ثلاثين سنة من أين لك هذه القطع فإنها ليست من قطع الدنيا لها نور عظيم من القدرة فحدثته بقصتها فأخذ بيدي ومضينا إلى ذلك المسجد فلم نجد الشاب فصار الحجام لى صديقاً فقال لى يوماً سمعت سهل بن عبد الله يقول علامة الولي ثلاث (إذا أراد موضعاً يكون فيه من غير حركة ، وإذا أراد أخاً من إخوته يحمل إليه ، وإذا اشتغل بعبادة أو سبب من الأسباب يجيء ملك يتكلم عن شبهه فيحسب الناس أنه ذلك وهو الملك) قال فلما كان بعد أيام قال لى سهل بن عبد الله إذا صليت العصر فتعال حتى تأخذ من شعري وتنقص من دمي فلما صليت العصر مضيت معه إلى مسكنه فأخذت من شعره ونقصت من دمه وقعدت أنا وهو ثم طبخنا له قدراً فلما أذن المغرب قال لى إذا صليت المغرب فتعال حتى تأكل معي فلما صليت المغرب جاءنى رجل من أصحابه فقال لى أى شىء فاتك قد تكلم علينا سهل من العصر إلى هذا الوقت بكلام لم أسمع مثله قط فقلت له احتفظوا بما سمعتم فإنه ليس من كلام سهل بل هو من كلام ملك ، فعلمت أن سهلاً تكلم بمقامه رضى الله عنه ونفعنا به قلت هذا واضح لأن سهلاً لم يزل مع هذا الحجام من العصر إلى المغرب فلم يبق إلا ما ذكر سهل أن الولي إذا اشتغل بعبادة أو سبب من الأسباب يجيء ملك فيتكلم على شبهه على ما تقدم وقوله فعلمت أن سهلاً تكلم بمقامه يعنى

الحكاية الثانية والعشرون بعد الأربعمائة

روى عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه قال كنت بمكة فدخلت الطواف فرأيت رجلين أحدهما آخذ بيد الآخر فقال أحدهما للآخر قل يا حى نور روح سمع آذان قلبى أو قال نور روح بصر عيون قلبى بحق الفحول عليك يا مروح الأرواح فدخلت بينهما وسلمت عليهما وقلت قد سمعت الكلمات وحفظت الألفاظ من أنتما رحمكما الله تعالى فقال أحدهما أنا الخضر وهذا أخى إلياس اذهب فلن يضرك ما فاتك بعد حفظك لهؤلاء الكلمات وإياك أن تدعو بها فى شىء من أمر الدنيا سلام الله عليهما ونفعنا بهم أجمعين .

وروى أيضا عن أبى جعفر الحداد رضى الله عنه كنت فى مركب صاعدا من البصرة إلى بغداد وكان معى رجل فى الركب لا يأكل ولا يشرب ولا يصلى فقلت له أى شىء أنت فقال هو نصرانى فقلت له لم لا تأكل فقال أنا متوكل فقلت وأنا أيضا متوكل فلأى شىء قعودنا ههنا الساعة يفتح القوم سفرتهم ويدعوننا إلى طعامهم قم بنا نخرج ونمشى فى البر ، فقال على شريطة أنا إذا دخلنا بلداً ألا تدخل أنت مسجداً ولا أنا كنيسة فقلت له لك ذلك فلحقنا المساء فى قرية فقعدنا على مزبلة فجاءنا كلب أسود وفى فمه رغيف فوضعه قدام النصرانى فأكله ولم يلتفت إلى ولا عرض على ثم سرنا ثلاثة أيام فى كل ليلة يأتية كلب برغيف فأكله فلما كان الليلة الرابعة أمسينا بقرية ، فقمنا أصلى المغرب فجاء رجل ومعه طبق عليه طعام ودورق فيه ماء فسلم على فلما فرغت من الصلاة وضعه قدامى فقلت له احمله إلى ذلك الرجل وعدت إلى صلاتى فأتانى النصرانى ومعه الطبق فلما سلمت قال لى أعرض على دينك فإنى أراه خيرا من دينى فقلت وكيف علمت ذلك قال إنه كان يوجه إلى برزقى مع كلب مثلى فكنت أكل ما يجيء به إلى ووجه إليك بإنسان مثلك بعد ثلاث فأثرتنى على نفسك فعلمت أن دينك خير من دينى ثم أسلم رحمه الله تعالى والحمد لله الذى هدانا للإسلام وجعلنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

الحكاية الثالثة والعشرون بعد الأربعمائة

حكى عن أحد المشايخ قال قال لى أبو بكر بن الشفق بطرسوس إنى سمعت من أبى الخير شيئا ما يقبله قلبى منه قلت له وما هو قال ذكر أنه لقى عيسى ابن مريم عليه السلام فقلت له أنا أحكى لك حكاية تصديقا لقول أبى الخير سمعت محمد بن حامد وقد ذكر قول النبى ﷺ كيف أخاف على أمة أنا أولهم وعيسى آخرهم صلوات الله وسلامه عليهما فقال لى ابن حامد إن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل ثلاث مرات يظهر فى أول مرة للأولياء وفى الثانية للصلحاء وفى الثالثة ينزل بيت المقدس

فيراها الخاص والعام فقام ابن الشفق فدخل داره وركب دابته وخرج علينا فقلنا له أين تريد فقال إلى أبي الخير أستحله فقلت له اجلس إلى غد قال لا فإني أخاف الموت ، فلما كان بعد أيام رجع إلى طرسوس فدخلت إليه فقال رجعت بأعجب ما مضيت فيه وذلك أنى وصلت وقد صلى أبو الخير العصر وهو فى محرابه فلما صرت بباب المسجد قال يا أبا بكر ارجع فقد جعلناك فى حل رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين .

وحكى أيضا عن أبى عمران السندى رضى الله عنه قال كنت بمصر فى الجامع الفلانى فخطر بقلبي التزوج وقوى عزمى عليه فخرج من القبلة نور لم أر مثله فإذا بيد فيها نعل من ياقوتة حمراء وشراكها من زمرد أخضر مرصع باللؤلؤ وإذا بهاتف يقول هذه نعلها فكيف لو رأيتها فذهب من قلبى شهوة النساء .

وقال محمد الوراق رحمه الله كان رجل أسود يقال له مبارك يعمل فى المباح وكنا نقول له ألا تتزوج يا مبارك فيقول أسأل الله أن يزوجنى من الحور العين قال فغزونا بعض المغازى فخرج العدو علينا فقتل مبارك فمررنا به ورأسه فى ناحية وبدنه فى ناحية وهو منكب على بطنه ويدها تحت صدره فوقفنا عليه وقلنا له يا مبارك كم قد زوجك الله من الحور العين فأخرج يده من تحت صدره وأشار إلينا بثلاث أصابع يقول ثلاثا .

الحكاية الرابعة والعشرون بعد الأربعمئة

روى عن أبى أحمد الحلاسى رحمه الله قال كانت لى أم صالحة فقالت لى يوما وقد عضنا الفقر وسوء الحال يا بنى إلى متى تكون فى مثل هذه الشدة فلما كان وقت السحر قلت اللهم إن كان لى فى الآخرة شىء فعجل لى منه فى الدنيا فرأيت نورا فى زاوية البيت فقممت إليه فرأيت رجلا سريرا من ذهب مرصع بالجواهر فقلت لها خذى هذا وخرجت إلى الجامع أحدث نفسى إلى من أذفع شيئا منه لأصحاب الجواهر ، وكيف أعمل به فلما رجعت قالت لى أمى يا بنى اجعلنى فى حل فإنى لما خرجت نمت فرأيت كأنى دخلت الجنة فرأيت قصيرا على بابه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، هذا لأبى أحمد الحلاسى فقلت لابنى قال لى قائل نعم فدخلته ودرت فى بيوته فرأيت فى بيت منها أسرة وبينها سريرا مكسور فقلت ما أسمع هذا السريرا من بين الأسرة فقال لى قائل أنت أخذت رجله فقلت ردوها إلى موضعها فانتبهت وقد غابت فالحمد لله على ذلك رضى الله عنهما والحلاسى بضم الحاء وكسر السين المهملتين .

وروى أيضا عن أحدهم قال كنت فى بلاد الروم فصحبنا رجلا فرأيناه لا يأكل

ولا يشرب فقلت له ما رأيتك تأكل شيئا من القوت منذ أحد عشر يوما فقال إذا دنا فراقى منكم حدثتكم حديثي فلما دنا الفراق قلت له حدثنا ما وعدتنا قال غزونا في أربعمائه فخرج علينا العدو فقتل أصحابي فخرجت أنا فكنت بين القتلى فلما كان وقت الغروب حسست برائحة فائحة من قبل الجو ففتحت عيني فإذا بجوار عليهن ثياب ما رأيت مثلها وفي أيديهن كاسات يصبن في أفواه القتلى فغمضت عيني حتى وصلن إلى فقالت واحدة منهن اصبين في حلق هذا وعجلن قبل أن تغلق أبواب السماء فنبقى في الأرض فقالت أخرى اسقيه وفيه رمق فقالت لها الأخرى اسقيه لا بأس عليك يا أختي فصبت في حلقى فأنا منذ شربت ذلك الشراب لا أحتاج إلى طعام ولا شراب.

الحكاية الخامسة والعشرون بعد الأربعمائة عن أحد الشيوخ

قال دخلت بلاد الهند فوصلت إلى مدينة فرأيت فيها شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشرتان فإذا كسرت خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ كتابة خلقية وأهل الهند يتبركون بها أو يستسقون بها إذا منعوا الغيث ويتضرعون عندها فحدثت بهذا الحديث أبا يعقوب الصياد فقال لى ما أستعظم هذا كنت بالأبلة فاصطدت سمكة مكتوب على أذنها اليمنى لا إله إلا الله ، وعلى اليسرى محمد رسول الله ﷺ ، فلما رأيتها قذفت بها إلى الماء رضى الله عنهما قلت إنما قذف بها احتراما لها لما عليها من اسم الله ورسوله .

وعن أحدهم قال ركبت في البحر وكان إلى جانبي رجل به علة البطن فقام بالليل والمركب يسير فأخذت بيده فلما قعد على العود الذى يجلس عليه للوضوء ضربته موجة فرمت به إلى البحر فرجعت والناس كلهم نيام ولم يعلم به غيرى فلما صليت الفجر وإذا بالرجل إلى جانبي فقلت له أليس قد وقعت في البحر فقال بلى فقلت حدثنى كيف كانت قصتك بعدى فقال لما وقعت في الماء لم أبلغ قرار البحر ، حتى جاءنى طائر عظيم فأدخل رقبته بين رجلى فشالنى من الماء ونظر إلى المركب وقد سار فطار بى حتى وضعنى على مقدم المركب ووضع منقاره على أذنى وقال بلسان عربى : ﴿ كان ذلك فى الكتاب مسطورا ﴾ (١).

الحكاية السادسة والعشرون بعد الأربعمئة عن أحد الروم

قال كان سبب إسلامي أنه غزانا المسلمون فكنت أسير جيشهم فوجدت منه غرة في الساقة فأسرت نحو عشرة نفر وحملتهم على البغال بعد أن قيدتهم وجعلت مع كل واحد منهم رجلا موكلا به فرأيت في بعض الأيام رجلا من الأسرى يصلني فقلت للموكل به في ذلك فقال لي إنه في كل وقت صلاة يدفع إلى دينارا فقلت وهل معه شيء قال لا ولكنه إذا فرغ من صلاته ضرب بيده إلى الأرض ودفع إلي ذلك ، قال فلما كان من الغد لبست ثيابا خلقتنا وربت فرسا دوننا وسرت مع الموكلا به لأتعرف صحة ذلك فلما دنا وقت صلاة الظهر أومأ إلى أنه يدفع إلى دينارا متو تركته يصلني فأشرت إليه بإصبعين أني لا آخذ إلا دينارين فأومأ إلى برأسه نعم فله فرغ من صلاته رأيت ضربه بيده الأرض فرفع إلي منها دينارين فلما كان وقت صلاة العصر أشار كالمرة الأولى فأشرت إليه أني لا آخذ إلا خمسة دنانير فأشار إلي بالإجابة فلما فرغ من صلاته فعل كفعله الأول فدفع إلي خمسة دنانير فلما كان وقت المغرب أشار كذلك فقلت لا آخذ إلا عشرة دنانير فأجابني إلى ذلك فلما صلى فعلم كما تقدم ودفع إلي عشرة فلما نزلنا وأصبحنا دعوت به وسألته عن خبره وخيرته فمر رجوعه إلى بلد الإسلام فاختر الرجوع ، فأركبته بغلا ودفعت إليه زادا وحملتة بنفسي على البغل فقال لي أماتك الله تعالى على أحب الأديان إليه فوقع في قلبي من ذلك الوقت الإسلام فأنفذت معه جماعة من وجوه أصحابي وأوصيتهم بإيصال إلى أول بلد من بلاد الإسلام ودفعت إليه دواة وبياضا وجعلت بيني وبينه علامة يكتب بها إلى إذا وصل إلى مأمته وكان بيننا وبين ذلك الموضع مسيرة أربعة أيام فله كان اليوم الخامس رجعوا فخشيت أن يكونوا قتلوه فسألتهم عنه فقالوا لما فارقناك وصلنا معه في ساعة واحدة وأقمنا في رجوعنا أربعة أيام.

الحكاية السابعة والعشرون بعد الأربعمئة

روى عن الشعبي رضى الله عنه قال أقبل قوم من اليمن متطوعين بالجهاد في سبيل الله تعالى فهلك حمار رجل منهم فترجلوا منطلقين وأرادوا أن ينطلق معهم وعرضوا عليه دابة فأبى ثم قام فتوضأ وصلى ركعتين وقال اللهم إني جئت مجاهد في سبيلك ابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور وإني أطلب منك أن تبعث لي حماري ثم قام إليه فضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه وركبه وأجراه حتى لحق أصحابه ، فقالوا له ما شأنك قال سألت الله تعالى أن يبعث

لى حمارى فبعته قال الشعبى فرأيت ذلك الحمار يباع فى الكناسة فذهب رجل من جلساء الشعبى إلى محلته فروى ذلك عن الشعبى فكذبوه وقالوا يحيى حمارا بعد الموت إنه يكذب على الشعبى قم معنا إليه فذهب معهم إلى الشعبى فقال يا أبا عمرو ألست حدثتني بهذا الحديث فقال متى كان ذلك ، فقال القوم قد علمنا أنه يكذب على أبى عمرو فلما رجعوا قال له الرجل يا أبا عمرو أليس قد حدثتني به فقال له الشعبى ويحك هل تباع الإبل فى سوق الدجاج رضى الله عنه .

قلت أنكر الإمام الشعبى رضى الله عنه على هذا الرجل لكونه حكى كرامة عظيمة لقوم لا تقبلها عقولهم ولا تبلغ إليها أفهامهم ومثل رأس ما لهم فى العلم برأس مال التجار فى الدجاج ومثل رأس مال من يعقلها ويقبلها فى العلم برأس مال التجار فى الإبل وهذا تساهل منه فى التمثيل بالإبل ذلك أعز وأرفع وأعلى وأعلى من الجواهر النفاس ومثل رأس مال المنكرين أقل وأصغر وأدنى وأحقر من فلوس النحاس وإلى الفريقين أشار النبى المختار بقوله عليه الصلاة والسلام لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم .

الحكاية الثامنة والعشرون بعد الأربعمائة

روى عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه قال قصدت بيت المقدس فضلت الطريق فإذا أنا بامرأة قد أقبلت إلى فقلت لها يا غريبة أنت ضالة قالت كيف يكون غريبا من يعرفه وكيف يكون ضالا من يحبه ثم قالت خذ رأس عصاى وتقدم بين يدى فأخذت رأس عصاها ومشيت بين يديها سبعة أقدام أو أقل أو أكثر فإذا أنا بمسجد بيت المقدس فدلكت عينى وقلت لعل هذا غلط منى فقالت يا هذا سيرك سير الزاهدين وسيرى سير العارفين فالزاهد سيار والعارف طيار ومتى يلحق السيار الطيار ثم غابت عنى فلم أرها بعد ذلك رضى الله عنهما ونفعنا بهما بحق محمد وآله آمين .

الحكاية التاسعة والعشرون بعد الأربعمائة

عن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

قال مررت براعى غنم فقلت له هل عندك شربة من ماء أو من لبن قال نعم أيهما أحب إليك قلت الماء فضرب بعصاه حجرا صلداً لاصدع فيه فانفجر منه الماء قال فشربت منه فإذا هو أبرد من الثلج وأجلى من العسل فبقيت متعجبا فقال الراعى لا تتعجب فإن العبد إذا أطاع مولاه أطاعه كل شىء رضى الله عنهما ونفعنا بهما وبجميع الصالحين .

وروى أيضا عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال خرج سلمان الفارسى رضى الله عنه من المدائن ومعه ضيف فإذا بظباء تسير فى الصحراء وطيور تطير فى الهواء فقال سلمان ليأتنى ظبى وطيور منكن سمينان فقد جاءنى ضيف وأحب إكرامه فجاءا كلاهما فقال الرجل سبحان الله أو قد سخر لك هذا الطير فى الهواء فقال سلمان هى مشيئة الله رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية الثلاثون بعد الأربعمئة

قال عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه سافرت أنا وأيوب السخيتانى رضى الله عنهما قال فبينما نحن نسير فى بعض طريق الشام إذ نحن بأسود قد أقبل يحمل كارة حطب فقلت يا أسود من ربك فقال لثلى تقول هذا ثم رفع رأسه الى السماء وقال إلهى حول هذا الحطب ذهباً فإذا هو ذهب ثم قال أرأيتم هذا قلنا نعم فقال اللهم رده حطبا فصار حطبا كما كان أولا ثم قال سلوا العارفين فإن عجائبهم لا تفى ، قال أيوب فبقيت متحيرا خجلا من العبد الأسود ، واستحييت منه حياء ما استحييت مثله قبل ذلك من أحد قط ثم قلت أمعك شىء من الطعام فأشار بيده فإذا بين أيدينا جام فيه عسل أشد بياضا من الثلج وأطيب ريحا من المسك ، وقال كلوا منه فوالذى لا إله غيره ليس هذا من بطن نحل فأكلنا فما رأينا شيئا أحلى منه فتعجبنا فقال ليس بعارف من تعجب من الآيات فمن تعجب منها فاعلم أنه بعيد من الله ومن عبد الله على رؤية الآيات فإنه جاهل بالله رضى الله عنه وعن جميع الأولياء والصالحين ونفعنا بهم آمين .

الحكاية الحادية والثلاثون بعد الأربعمئة عن الواسطى رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير فى البادية فإذا أنا بأعرابى جالس منفردا فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام فأردت أن أكلمه فقال اشتغل بذكر الله فإن ذكره شفاء القلوب ثم قال كيف يفتر ابن آدم عن ذكره وخدمته والموت فى أثره والله ناظر إليه ثم بكى وبكىت معه فقلت له مالى أراك وحيدا قال ما أنا بوحيد والله معى وما أنا بفريد وهو أنيسى ، ثم قام ومضى عنى مسرعا وقال يا سيدى أكثر خلقتك مشغول عنك بغيرك ، وأنت عوض عن جميع ما فات ، يا صاحب كل غريب ويا مؤنس كل وحيد ويا مؤوى كل فريد ، وجعل يمشى وأنا أتبعه ثم أقبل إلى وقال ارجع عافاك الله إلى من هو خير لك منى ولا تشغلنى عن من هو خير لى منك ، ثم غاب عن بصرى رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين .

الحكاية الثانية والثلاثون بعد الأربعمئة عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه

قال مررت براهب فسألته منذ كم أنت فى هذا الموضع قال منذ أربع وعشرين سنة ، قلت من أنيسك قال الفرد الصمد قلت ومن المخلوقين قال الوحش قلت فما طعامك قال ذكر الله ، قلت ومن المأكولات ، قال ثمار هذه الأشجار ونبات الأرض قلت أفلا تشتاق إلى أحد قال نعم إلى حبيب قلوب العارفين ، قلت ومن المخلوقين قال من كان شوقه إلى الله سبحانه كيف يشتاق إلى غيره قلت فلم اعترلت عن الخلق قال لأنهم سراق العقول وقطاع الطريق طريق الهدى ، قلت ومتى يعرف العبد طريق الهدى قال إذا هرب إلى ربه من كل شىء سواه واشتغل بذكره عن سواه .

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد الأربعمئة

قال ذو النون المصرى رضى الله عنه بينما أنا أسير فى بعض الفاوز إذا أنا برجل متزر بحشيش فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال من أين الفتى قلت من مصر قال إلى أين قلت أطلب الأنس بالمولى قال اترك الدنيا والعقبى يصح لك الطلب وتصل إلى الأنس بالمولى ، قلت هذا كلام صحيح بينه لى ، قال أتتهم فيما أعطينا ولقد أعطينا خيرا مما تقول وهو المعرفة ، قلت ما أتهمك ولكنى أريد أن تزيدنى نورا على نور ، فقال يا ذا النون انظر فوقك فنظرت فإذا السماء والأرض كأنها ذهب يتوقد ويتلأ ، ثم قال اغضض بصرك فغضضت فإذا هما قد صارتا كما كانتا فقلت كيف السبيل إلى هذا قال تفرد للفرد إن كنت له عبد رضى الله عنهما ونفعنا بهما .

قلت هذا الذى أراه ليس عين المعرفة المذكورة لكنه دليل على المعرفة لأن الكرامة تدل على الاستقامة عندهم والاستقامة لا تكون إلا للعارفين بالله سبحانه وقوله إن كنت له عبد هكذا هو بسكون الدال من غير ألف بعدها مراعاة للسجع .

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد الأربعمئة

روى عن محمد المقدسى رحمه الله تعالى قال دخلت يوما دار المجانين بالشام فرأيت فيها شايبا على رقبتة غل وفى رجليه قيد مشدود بسلسلة فلما وقع بصره على قال يا محمد أترى ما فعل بى ثم قال جعلتك رسولا إليه قل له لو جعلت السموات غلا على عنقى والأرضين على رجلي لن ألتفت منك إلى سواك طرفة عين ثم أنشأ

يقول :

على بعدك لا يصبر من عادته القرب ولا يقوى على قطعك من تيمه الحب
وحبك في قلبي وفي كبدى إذا لم ترك العين فقد أبصرك القلب
وقال ذو النون رضى الله عنه رأيت أسود يطوف حول البيت وهو يقول أنت
أنت ولا يزيد على ذلك فقلت يا عبد الله أى شىء عنيت به فأنشأ يقول :

بين المحبين سر ليس يفشيه خط ولا قلم عنه فيحكيه
نار يقابلها أنس يمازجه نور يخبره عن بعض ما فيه
شوقى إليه ولا أبغى به بدلا هذى سرائر كتمان تناجيه

(وقال بعض العارفين) مساكين أهل الغفلة يشتغلون بكثرة الأعمال ويعظمونها
ويفتخرون بها وأما أهل المعرفة فلو عملوا عمل أهل السموات والأرض من الأزل إلى
الأبد لكان ذلك أصغر فى أعينهم فى جنب عظمة الله تعالى من خردلة بين السماء
والأرض.

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الأربعمئة

عن أبى سعيد الخراز رضى الله عنه

قال كنت فى البادية فنانى جوع شديد فطالبتنى نفسى بأن أسأل الله طعاما
فقلت ما هذا من فعل المتوكلين أهل الهمم فطالبتنى نفسى بأن أسأل الله سبحانه
اصطباراً فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول :

ويزعم أنه من قريب وأنا لا نضيع من أتانا
فهم أبو سعيد سؤل صبر كأننا نراه ولا يرانا

قيل رؤية القلب بمشاهدة الإيقان وإن غاب عن العينين العيان وفى هذا المعنى
قلت نائبا عن لسان الحال :

يا غائبا وهو فى قلبى أشاهده ما غاب من لم يزل فى القلب مشهودا
إن فات عيني من رؤياك حظهما فالقلب قد نال حظا منك محمودا
وإنما قلت هذين البيتين لأنى رأيت بعض المصنفين قد استشهد بيت لا يصلح
وهو هذا :

إن كنت لست معى فالذكر منك معى يراك قلبى وإن غيبت عن بصرى
فهذا لا يجوز فى حق الله تعالى لوجهين أحدهما قوله لست معى ، والثانى

قوله غيبت عن بصرى بضم الغين المعجمة وكسر الياء المثناة من تحت وتشديدها ولا يصح أيضا فى حق المخلوق فإن قلبه لا يراه لعدم النور الحاصل للعارفين بالله بل قلت مثل هذا أشد ظلمة من سائر الجهال وإنما ذلك للعارفين كما قال القائل :

قلوب العارفين لها عيون

وكذلك لا يحسن قوله فالذكر منك معى وإنما يحسن هذا الذكر من الخالق عز وجل كما قال :

سبحانه : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^(١) وقال تعالى : ﴿فاذكرونى أذكركم﴾^(٢) وقال تعالى : (أنا جليس من ذكرنى) وأشبه ذلك من القول الكريم الذى يكسو العبد خلع عوالى الشرف ويسكنه من الجنان قصور أعالى الغرف (اللهم أحى قلوبنا بغيث رحمتك ونورها بنور معرفتك وزينها بذكرك وشكرك وحسن عبادتك فإنك الملك المنان الكريم ذو الفضل العظيم والمسلمين آمين) ولئن سلمنا أن مثل هذا قد يقال فى حق المخلوق مجازا مع ما فيه من التعسف فلا يحسن أيضا أن يستشهد به فى باب المعرفة بالله سبحانه وتعالى والمشاهدة لجمال جلاله تعالى بأنوار القلوب المسقاة كئوس الوصل من راح المحبة على بساط القرب فى حضرة القدس حين طاب وقت المناذمة والأئس ولله در القائل :

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون
والسنة بسر قد تناجى تغيب عن الكرام الكاتيينا
واجنحة تطير بغير ريش فتأوى عند رب العالمينا
وترعى فى رياض القدس طورا وتشرب من بحار العارفينا
عباد قاصدوا بالسر حتى دنوا منه وصاروا واصلينا
(ولله در القائل الآخر)

للعارفين قلوب يعرفون بها نور الإله بسر السر فى الحجب
صم عن الخلق عمى من مناظرهم بكم عن النطق فى دعواه بالكذب

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

(٢) سورة الحديد : الآية ٤ .

الحكاية السادسة والثلاثون بعد الأربعمائة

قال ذو النون رضى الله عنه وصف لى رجل من العرب وذكر لى من لطائف شأنه وحسن كلامه فى إشارات أهل المعرفة ، فارتحلت إليه حتى بلغت مكانه ، فوقفت عنده أربعين صباحا فلم أجد وقتا أقتبس من علمه لكثرة شغله بربه ، فلما كان بعض الأيام نظر إلى وقال من أين الرجل فأجبتة فقال لأى شىء جئتني قلت لأقتبس من علمك ما يرشدنى إلى ربى ، فقال اتق الله واستعن به وتوكل عليه فإنه ولى حميد ثم سكت ، فقلت أرنى يرحمك الله تعالى فىنى رجل غريب جئتك من بلد بعيد أريد أن أسألك عن أشياء اختلجت فى ضميرى فقال أمتعلم أنت أم عالم أم مناظر فقلت بل متعلم محتاج ، قال قف فى درجة المتعلمين واحفظ أدب السؤال فإنك إن تعديت وتركت الحرمة أفسد ذلك عليك نفع المعلم فإن العقلاء من العلماء والعارفين من الأصفياء سلكوا طريق الصدق والوفاء وقاموا على قدم القرب والصفاء وقطعوا أودية الحزن والبلاء فذهبوا بخير الدارين ولذاذهما ، فقلت يرحمك الله متى يبلغ العبد ما وصفت فقال إذا صار خارجا عن الأسباب والأنساب وقطع قلبه من كل علاقة فقلت ومتى يكون العبد كذلك ، قال إذا خرج من جميع الحول والقوة وليس له شىء يملكه ولا حال يعرفه رضى الله عنهما ونفعنا بهما .

الحكاية السابعة والثلاثون بعد الأربعمائة

قال ذو النون أيضا رضى الله عنه بينما أنا فى بعض سياحتى إذا أنا بشيخ على وجهه سمة العارفين فقلت له يرحمك الله كيف الطريق إلى الله فقال لو عرفت الله لعرفت الطريق إليه ثم قال يا هذا دع الخلاف والاختلاف قلت يا هذا يرحمك الله أليس خلاف العلماء رحمة من الله ، قال نعم إلا فى تجريد التوحيد قلت وما تجريد التوحيد قال فقدان رؤية ما سواه لوجدانه قلت وهل يكون العارف مسرورا فقال وهل يكون العارف محزونا قلت أليس من عرف الله طال همه قال بل من عرف الله زال همه ، قلت وهل تغيير الدنيا قلوب العارفين قال وهل تغيير العقصى قلوب العارفين حتى تغييرها الدنيا قلت أليس من عرف الله صار مستوحشا قال معاذ الله أن يكون العارف مستوحشا ولكن يكون مهاجرا متجردا ، قلت وهل يتأسف العارف على شىء غير الله ، قال وهل يعرف العارف غير الله فيتأسف عليه ، قلت وهل يشاق العارف إلى ربه ، قال وهل يكون العارف غائبا عنه طرفة عين حتى يشاق إليه قلت ما

اسم الله الأعظم ، قال أن تقول السله وأنت تهابه قلت فأنا كثيرا ما أقول ولا تداخلنى الهيبة قال لأنك تقول الله من حيث أنت لا من حيث هو قلت عظنى قال حسبك من الموعظة علمك بأنه يراك فقمتم من عنده فقلت ما تأمرنى به قال اطلعه عليك فى جميع أحوالك لا تنسه رضى الله عنهما ونفعنا بهما وبجميع الصالحين .

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد الأربعمئة

عن الشيخ أبى العباس الحرار بالحاء المهمله والراء المكررة رضى الله عنه

قال دخلنا على الشيخ أبى أحمد الأندلسى ونحن جماعة من المريدين قصدنا زيارته فرأينا حوله خلقا عظيما ونقباء كل نقيب تحت يده جمع كثير فنظر الشيخ إلينا ثم قال إذا جاء الصغير إلى المعلم ولوحه محو كتب له المعلم وإذا جاء ولوحه مملوء أين يكتب له المعلم ، ثم قال بالذى جاء يرجع ثم نظر إلينا نظرة أخرى فقال من شرب من مياه مختلفة دخل مزاجه التغير ومن اقتصر على ماء واحد سلم مزاجه من التغير .

قال أبو العباس ورأيت من أصحاب الشيخ أبى حامد أربعمئة شاب فى داره كلهم فى سن خمس عشرة سنة أو نحوها وكلهم مكاشفون فلما كان بعض الأيام بعث الشيخ خادمه إلى فمشيت معه إليه فوجدت عنده جماعة وهو يتكلم فلما جلست أخذت وشهدت الشيخ قائما على رأسى ومعه قدوم وهو يهدم فى وأنا أشهد أعضائى تتفرق على الأرض إلى أن وصل إلى كعبى ولم يبق فى شىء إلا شمله الهدم ثم أخذ بينينى بناء جديدا من كعبى صاعدا إلى أن بلغ دماغى ثم قال لى قد استغنيت فسافر إلى بلدك فلما جرت من بين يدى الشيخ انكشف لى العالم العلوى كشفا بحيث لا ينحجب عنى منه شىء رضى الله عنهما .

قلت قوله أخذت هو بضم الهمزة وكسر الحاء وسكون الذال المعجمة وضم التاء المثناة من فوق ومعناه غبت عن نفسى وعن هذا العالم وكشف لى شىء من عالم الملكوت .

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد الأربعمئة

قال أبو العباس الحرار أيضا كان الشيخ أبو يوسف الدهمانى يحضر ميعاد الشيخ أبى عبد الله القرشى رضى الله عنه وعن الجميع قال فبعثنى الشيخ أبو يوسف

يوما إلى الشيخ القرشى أسأله هل يعمل فى ذلك اليوم ميعادا أم لا فمضيت إليه فلما وصلت الساحة التى فيها باب داره وقفت مترددا هائبا وإذا بطاقة فتحت وجارية أخرجت رأسها من الطاقة وقالت يا أحمد قال لك الشيخ قل لأبى يوسف نحن ما نعمل اليوم ميعادا فشكرت الله تعالى كما عاملنى الشيخ بهذه الحالة من غير إقدام على سؤاله ، فلما وصلت إلى أبى يوسف قعد وكان مضطجعا وقال لم وقفت بساحة الباب حتى قالت لك الجارية ما قالت ، قلت يا سيدى أنا أهابه فقال إذا كنت وحدك هبه وإذا كنت بى أقدم فليل للشيخ أبى العباس المذكور أيهما أعلى كشافا فى هذه القضية قال القرشى لأن أبى يوسف أرسلنى إليه وخاطره معى يدرك ما يجرى لى والقرشى كالمرأة يدرك كل ما يتوجه إليه رضى الله عنهم ونفعنا بهم .

الحكاية الاربعون بعد الاربعمائة

قال أبو العباس الحرار أيضا رضى الله عنه وردت من السياحة على الشيخ أبى العباس المرينى بفتح الميم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت وكسر النون وياء النسبة وكان رجلا كبيرا فلما جلست إليه سأله سائل فقال له يا سيدى أيما أفضل العقل أم الروح فشاهدت الشيخ قد أسرى بروحه وأسرى بروحى معه إلى أن دخلنا السماء الدنيا فاشتغلت برؤية أملاكها وأنوارها وغاب الشيخ عنى فطلبت مستقرا أستقر فيه فلم أجده فنزلت ووقفت ونظرت إلى الشيخ فإذا هو مستغرق فى غيبته ثم بعد لحظة حضر فقال للسائل لما أسرى بالنبي ﷺ صحبه جبريل عليه السلام فاتتهى معه جبريل إلى حده ووقف وقال يا محمد مامنا إلا له مقام معلوم منذ خلقت ما تعديت ههنا ، فتقدم النبي ﷺ إلى مقامه الذى اتصل به فكان جبريل عليه السلام روحا وكان محمد ﷺ حينئذ عقلا أخذ العلم من معدنه ولم يأخذه من تقليد ولا معقول وكذلك عادة شيوخ هذه الطائفة أرباب المعارف والعلوم اللدنية رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين .

الحكاية الحادية والاربعون بعد الاربعمائة

قال أبو العباس أيضا رضى الله عنه كنت فى وقت تجريدى بمصر أتردد إلى مسجد كان قبالة مصنع الفخارين بطريق القرافة أبيت فيه فكنت أخرج فى الليل أمشى بالجبانة فكشف الله لى أحوال أهل القبور المنعمين والمعذبين باختلاف أحوالهم فما رأيت أحسن من الجهة التى تلى قبل الفتح .

قال المؤلف وفي هذا المكان المذكور دفن الشيخ المذكور بإشارته وزرت قبره هنالك وقال الشيخ أبو العباس أيضا رضى الله عنه مرضت مرة فى بلدى أشبيلية فكنت مضطجعا على ظهرى ، وإذا أنا أنظر طيورا كبارا ملونة بالأخضر والأبيض والأحمر ترفع أجنحتها رفعة واحدة وتضعها وضعا واحدا وأشخاصا على أيديهم أطباق مغطاة فيها تحف فوق لى أنها تحفة الموت فاستقبلتها وتشهدت فقال لى واحد منهم أنت ما جاء وقتك هذه تحفة مؤمن غيرك قد جاء وقته ولم أزل أنظر إليهم الى أن غابوا عنى رضى الله عنهم .

وحكى أن داود العجمى رضى الله عنه لما مات حمل إلى قبره فإذا هو مفروش بالريحان فأخذ الذى دفنه سبعة من أغصان الريحان فكان الناس ينظرون إليها تعجبا سبعين يوما لم تتغير عن حالها حتى أخذها الأمير من الرجل ففقدت فلا ندرى أين ذهبت وقال بعضهم رأيت مسكينة الطفاوية بعد موتها فى المنام وكانت تحب مجالس الذكر فقلت مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكينة وجاء الغنى قلت هنيئا لك قالت وما تسأل عمن أبيضت له الجنة بحذافيرها قلت بماذا قالت بمجالس الذكر رضى الله عنها ونفعنا بها آمين .

وقال أبو العباس الحرار رضى الله عنه كنت فى بعض السياحات أحتاج إلى الاستنجاء بالأحجار فأخذت مرة حجرا لأستنجى به فقال لى سألتك بالله لا تستجمر بى فتركته وأخذت غيره فقال لى كذلك فتذكرت مارتبه الشارع ﷺ فى ذلك فأخذت الحجر وقلت له أمرنى الله تبارك وتعالى أن أتطهر بك وهو خير لك .

وقال رضى الله عنه تركت أخى بمكة ورجعت إلى مصر ثم جاءنى بعد ذلك وسلم على ففرحت بقدومه وقال لى يا أخى أنا جائع فقلت له يا أخى ما أملك شيئا ولا أتكلف شيئا ولا أسأل أحدا شيئا فما تم كلامى معه حتى دخل من شباك البيت عصفور كبير وألقى فى حجرى قيراطا كبيرا فأخذته واشترت له به شيئا فأكله رضى الله عنه .

الحكاية الثانية والأربعون بعد الأربعمائة

قال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور تلميذ الشيخ أبى العباس المذكور رضى الله عنهما كانت لأستاذى أبى العباس ابنة تطلعت نفوس أصحابه ومحبيه إلى التزوج بها فاطلع الشيخ على ما فى نفوسهم فقال لهم هذه البنت التى لى لا يخطر لأحد

تزويجها فإنها ساعة ولدت أطلعني الحق سبحانه وتعالى على زوجها من هو وأنا أنتظره قال الشيخ صفى الدين وكنت حينئذ وراء الفرات مع والدى فى وزارة الملك الأشرف فلما جئنا إلى مصر بعث الملك العادل والدى رسولا إلى مكة عند أبى عزيز ليعين الملك المسعود بن الملك الكامل إلى اليمن ، فجئت أنا حينئذ إلى الشيخ أبى العباس الحرار وصحبته وكنت وأنا صغير إذا ذكر عندى الشيوخ والأولياء تلوح لى صورته فلما صحبته غيرت هيئتى وكانت هيئة جميلة الثياب المذهبة والبغلة الحسنة وغير ذلك وهجرت الأهل ولزمت الشيخ إلى أن قدم والدى من مكة فى حشكلة عظيمة وخرج من مصر للقاء خلق كثير بجميع الاهتمام والخيام فقال لى الشيخ اخرج للقاء والدك فقلت يا سيدى ما بقى لى والد غيرك وأنا لا أركب لهم شيئا من دوابهم ولا أكل معهم ، قال تخرج على كل حال فخرجت على دويبة فى هيئة رثة وأهلى يكون على حالى فلما لقيت والدى فى بركة الحاج سلمت عليه وحدى فلم يعرفنى هو ولا من حوله وكان معه عسكر أجناد ومماليك وخدام فلما عرفنى بعد ذلك وقف واصفر وجهه وبهت بهتة أسأل الله أن يثيبه عليها ، ثم مشوا وبقوا متعجبين وإذا بأهلى وأخوتى وكل من خرج من الطوائف وصلوا واجتمعوا وأنا فى ناحية وحدى ولما نزل البركة قدمت إليه التقاديم وجمع على سماطه كل من جاء صحبته وكل من خرج لأجله إلا أنا لم أحضر معهم وانفردت وحدى أبكى بكاء شديدا بكاء أسير قد أخذ من أهله وحيل بينه وبين أحبته وفى آخر الحال هددنى بالقيد والحبس إن لم أعد لما كنت عليه معه فأخبرت الشيخ فطرده وقال رح إلى أبىك ولا تعد إلى فبكيت زمانا وكنت أنشد ما قاله مجنون ليلى :

جئنا بليلى ثم جنت بغيرنا وأخسرى بنا مجنونة لا تريدها
واطلعنى الله على سر مقصود الشيخ أنه أحالنى على صدقى ليكون بريئا من
الخط والقصد فى أمرى فانشرحت لذلك من جهة الشيخ ومضيت إلى دار والدى
وحبست نفسى فى خزانة وآليت ألا أكل ولا أشرب ولا أنام ولا أخرج إلا إن أراد
الشيخ ، فسأل عنى والدى فأخبره بطرد الشيخ لى وما صممت عليه فقال إذا اشتد به
الجوع والعطش يحتاج يأكل ويشرب فأقمت إلى ثالث يوم وأنا على ذلك الحال
فاستيقظ والدى من النوم وقال قولوا له يذهب إلى الشيخ ويفعل بنفسه ما يختار ،
فقلت لا أروح حتى يروح والدى إلى الشيخ ويسأله قبولى وقصدت بذلك إعزاز
الشيخ فقال نعم ، فاستدعانى وخرج ماشيا من بيته إلى مسجد الشيخ وأنا معه فقبل
يد الشيخ ، وقال يا سيدى هذا ولدك تصرف فيه كيف شئت وأود لو كنت مكانه ،

فقال له الشيخ أرجو أن ينفعك الله به فسلمنى إلى الشيخ ومضى أعظم الله أجره وجزاه عنى خيرا ، فأقمت بعد ذلك شهرا ما رأيته وأنا أحمل كل يوم على كفى جرتين ماء إلى زاوية الشيخ حافيا والناس يخبرونه بذلك فيقول تركته لله تعالى أسأل الله ألا يضيع له أجر ذلك وأن يجازيه بما هو أهله ، ثم بعد وفاة الوالد رأيت فى النوم كأن الشيخ قال لي يا صفى الدين قد زوجتك ابنتى فلما استيقظت بقيت متحيرا لا يمكننى من الحياء أن أخبره وإن لم أخبره تكون خيانة بكونى أخفى عليه شيئا رأيته ، فالتفت إلى وقال ما رأيت فى النوم فلحقنى منه هيبة فسكت لحظة فقال قل فلا بد لك من القول فقلت رأيت كذا وكذا فقال يا بني هذا كان من الأزل أو كما قال ، فزوجنى إياها وكانت من أولياء الله تعالى على وجهها نور لا يخفى على أحد ممن يراها ، إنها ولية لله تعالى وإنها من أهل الجنة ورزقت منها أولادا فقهاء فقراء وعشنا فى بركتها بعد موت أبيها زمانا كثيرا وكانت كثيرة المكاشفات ، أخبرت بوقت موتها قبله بسنة ، وأخبرت قرب موتها بعجائب ووقائع تقع بعد موتها فوعدت فكانت تقول حال نزعتها لنفسها : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة أرجعى إلى ربك راضية مرضية﴾ : كررت ذلك إلى أن خرجت روحها رضى الله عنها .

الحكاية الثالثة والأربعون بعد الأربعمئة

قال الشيخ صفى الدين المذكور رضى الله عنه فى رسالته وممن رأيت بدمشق الشيخ على الكردي رضى الله عنه كان ظاهر الوله وكان يتحكم فى أهل دمشق تحكم المالك ولما دخلت دمشق كنت فى حشكلة من الغلمان واللباس والأهل وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فقعدت فى الجامع ساعة دخولى إليه وإذا بشخص قد أقبل له رأس كبير وعليه لباد مقطع فشق ساحة الجامع من باب جيرون إلى أن جاءنى عند مقصورة الإمام الغزالى رضى الله عنه فمد يده إلى مملوءتين تفاحا فقال خذ ففزعت منه وتأخرت إلى خلفى فرمانى بالتفاح واحدة واحدة ومضى ثم جاءنى عقب ذلك الشيخ أبو القاسم الصقلى وكان معتبرا ومعه الشيخ نجم الدين خال والدتى وكان مدرسا بدمشق فأخبرناهما بذلك فتعجبا منه عجبا كثيرا ، وقالوا يا بني أبشر فسيكون لك شأن هذا الرجل قطب الشام يقال له على الكردي أنك بالضيافة وعزيز أن يعمل مثل هذا فقمتم ومشيت إليه وسلمت عليه عند باب جيرون وقبلت يده فبش فى وجهى وضحك إلى فسألته عنه سيدى الشيخ عتيقا فقال يا بني هو إمام وقته فى فنه ومما اتفق للشيخ المذكور من الكرامات ، أنه قال فى بعض الأوقات لرجل من أعيان دمشق يقال له بدر الدين اعمل فى دارك للفقراء سماعا وأطعمهم شيئا فقال له السمع

والطاعة ، فرتب الرجل طعاما لأولاد الفقراء المعروفين بالجامع وغيره فهم مجتمعون وإذا بالشيخ على قد جاء إلى الدار فرأى في صفة منها قوالب سكر فقال لصاحب الدار ارمها كلها في البركة قال كلها قال نعم ، ثم رمي الجميع في البركة فصار الفقراء يشربون الجلاب ويسمعون إلى آخر النهار ثم أكلوا وانصرفوا ثم قال الشيخ على لصاحب الدار أخرج القوالب فأخرجها فوجدتها كلها صحاحا لم يذهب من السكر شيء ، قال لصاحب الدار اخرج وأغلق على الدار واقفلها ولا تأتني إلا بعد ثلاثة أيام ففعل ذلك ، وتركه في الدار وحده فلما كان اليوم الثاني لقيه في الطريق فسلم عليه ثم ذهب إلى داره فوجدها مغلقة على حالها ففتحها ودخل فوجد أكثر الرخام مقلوعا فخرج إلى الشيخ على وقال يا سيدي لم قلعت رخام الدار قال يا بدر الدين تكون رجلا جيدا وتضيف الفقراء على رخام حرام قال يا سيدي هذه الدار إرثي عن أبي وجدى فتغيظ الشيخ عليه وخلاه ففكر في فعل الشيخ وعلمه بمكاشفاته فتذكر أنها كانت قد قلع رخامها وأصلح فأرسل إلى الصناع الذين رخموها وقال لهم عرفوني ما صنعتم في ترخيم الدار قالوا له فيه عيب عملنا شيئا في غير موضعه فقال لا بد أن تقولوا لى أمرها وأمنهم على نفوسهم فقالوا رخامك بعناه ورخمناها بشيء من رخام الجامع ، وقال الشيخ صفى الدين أيضا رضى الله عنه فى رسالته لما جاء الشيخ لأجل شهاب الدين السهروردي رضى الله عنه إلى دمشق فى رسالة الخليفة إلى الملك العادل بالخلعة والطوق وغير ذلك قال لأصحابه أريد أزور عليا الكردي فقال له الناس يا مولانا لا تفعل أنت إمام الوجود وهذا رجل لا يصلى ويمشى مكشوف العورة أكثر أوقاته فقال لا بد لى من ذلك ، قال وكان الشيخ على الكردي مقيما أكثر أوقاته فى الجامع حتى دخل عليه موله آخر يقال له ياقوت فساعة دخوله من الباب خرج الشيخ على من دمشق وسكن جبانتهما بالباب الصغير وما دخلها بعد ذلك إلى أن مات وياقوت فيها يتحكم فقالوا للشيخ شهاب الدين هو فى الجبانة فركب بغلته ومشى فى خدمته من يعرفه موضعه فلما وصل إلى قريب مكانه ترجل وأقبل يمشى إليه فلما رآه علي الكردي قد قرب منه كشف عورته فقال الشيخ شهاب ما هذا شيء يصدنا عنك وها نحن ضيفانك ثم دنا منه وسلم عليه وجلس معه وإذا بحمالين قد جاءوا معهم مأكول معتبر فقبل لهم من تريدون ، قالوا الشيخ على الكردي فقال لهم ضعوه قدام ضيفي وقال للشيخ شهاب الدين باسم الله هذه ضيفتك فأكل الشيخ وكان يعظم الشيخ عليا الكردي رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم .

قلت وهذا الوله المذكور عن الشيخ على الكردي فى كثير من الأولياء مشهور وقد زاد على كثير منهم حتى نسبوا إلى الجنون وهم المعروفون فى الكتب بعقلاء المجانين وكثير منهم قيدوا وحبسوا وقد ذكرت جماعة منهم فى هذا الكتاب بحسب الناس أنهم مجانين وهم العقلاء والأولياء ولكن محبة الله ومعرفته وعظيم ما شهدوا من عظمته وجلاله وكماله حيرهم وهيمهم وشجاهم وتيمهم كما قدمت من إنشاد بعدهم :

حيرتهم محبة الله حتى
هم ألبا ذور عقول ولكن
وقول تحفة رضى الله عنها

معشر الناس ما جننت ولكن
أنا مفتونة بحب حبيب

منهم من غلب عليه السكر براح محبة الجمال المشهود ، فهام فى حبه وغاب عن الوجود ، ومنهم آخرون أيضاً يحبون ولكن تستروا بالجنون كما قدمت أيضاً من إنشاد أحدهم يقول :

وموهت دهرى بالجنون على الورى
فلما رأيت الشوق والجذب قاتلى
فإن قيل مجنون فقد جن فى الهوى
وكذلك قلت فى معنى ذلك

سقى الله قوما من شراب وداده
يظنهم الجهال جنوا وما بهم

قلت مع أبيات أخرى وقد قدمت ذلك فى الكتاب ومنهم آخرون يجمعون فى التستر بين الوله والتجريد يوهمون الناس أنهم لا يصلون ولا يصومون ويكشفون عوراتهم حتى يساء الظن بهم ولا ينسبوا إلى الصلاح وهم يصومون فى الباطن فيما بينهم وبين الله تعالى ، وقد شوهد كثير منهم يصلون فى الخلوات ولا يصلون بين الناس وسيأتى الكلام فى أهل التجريد فى آخر الكتاب فى فصل الجواب ، وهناك يوضح حكمهم وبيان من يعتقد ومن لا يعتقد ومن جملة المجردين الشيخ ربحان كان فى عدن وأظنه حبشياً معتقاً كان يصدر فى الظاهر شيئاً مما ينكره ظاهر الشرع وله كرامات مشهورة وهأنا أحكى عنه الآن بعض الحكايات .

الحكاية الرابعة والأربعون بعد الأربعمئة

قال المؤلف كان الله له أخبرني بعض الأخيار أنه كان بعض الناس فى ساحل بحر عدن فأغلق باب البلد دونه فلم يقدر أن يدخل فبات فى الساحل ولم يكن له عشاء ، فرأى الشيخ ريحان فى الساحل فأتى إليه وقال ياسيدى أغلق الباب دونى وما معى عشاء ، وأنا أشتهى منك أن تطعمنى هريسة ، فقال الشيخ ريحان انظروا إلى هذا يطلب منى العشاء وما يريد أيضا إلا هريسة كأتى كنت مهرسا أصنع الهريسة ، فقال له يا سيدى لا بد أن تطعمنى ذلك قال فلم أشعر إلا والهريسة حاضرة حارة فى الحال ، فقلت يا سيدى بقى السمن فقال انظروا هذا الفاعل التارك وما يرضى يأكل الهريسة أيضا إلا بالسمن فأنا كنت سمانا أبيع السمن فقلت يا سيدى ما أكلها إلا بالسمن ، فقال اذهب بهذه الركوة إلى البحر واتنى بماء أتوضأ به ، قال فذهبت إلى البحر فغرفت منه فى الركوة وجئت به فأخذ منى الركوة فصب منها سمننا على الهريسة فأكلت من ذلك ولم أذق مثله قط رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين ، وأعاد علينا من بركاتهم .

وأخبرني أيضا بعض المباركين قال أرسلنا شيخنا نشترى له تمرا من سوق عدن فلم نجد فى السوق شيئا منه فرجعنا إليه بغير شيء فلقينا الشيخ ريحان فى الطريق فقال انظروا هؤلاء الرسل الملاح أرسلهم شيخهم فى شهوة اشتهاها فرجعوا بغير شيء اذهبوا إلى بيت فلان فى المكان الفلانى تجددوا حاجة الشيخ عنده ، فذهبنا إلى ذلك الشخص فى الموضوع الذى سماه فوجدنا عنده التمر فاشترينا منه للشيخ وجئناه به وأخبرناه بما قال لنا الشيخ ريحان فضحك وقال أشتهى أن أرى هذا الشيخ ريحان فلم نشعر إلا بالشيخ ريحان قد دخل عليه المسجد الذى هو فخلا به وتحدثنا ساعة ، فلما خرج الشيخ ريحان تعجب الشيخ مما رأى منه وأثنى عليه وعظمه .

(قلت) هذا الشيخ المذكور هو شيخ شيوخنا الذى فى عدن وهو الشيخ الكبير العارف بالله الفقيه الإمام ذو المناقب العديدة والسيرة الحميدة والكرامات الكبيرة والمحاسن الشهيرة أبو محمد عبد الله بن أبى بكر المدفون فى موزع رضى الله عنه ونفعنا والمسلمين ببركته .

صحب الشيخ الجليل الإمام الحفيل ذا المجد الأثيل والحظ الجزيل العارف بالله المشهور المشكور عظيم الكرامات رفيع المقامات أبا الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمى اليمنى رضى الله عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته وبركة سلفه وقرأ عليه ونال

منه منالا فافرا وحظا وافرا زاده الله من كل خير أمين وجميع المسلمين قال المؤلف كان الله له وأخبرني أيضا بعضهم قال أخبرني إنسان ثقة قال خرجت في شهر رمضان المبارك أشتري لأهلى شيئا من السوق بين العشائين فلقينى الشيخ ربحان رضى الله عنه فجرنى وارتفع بى فى الهواء ارتفاعا كبيرا فبكيت ، وقلت له ردنى فردنى إلى الأرض وقال أردت أن أفرحك فأبيت ، قلت لعله أراد بهذه الفرجة أن يطلعه على عجائب ملكوت السموات ، قلت وأخبرني بعض الصالحين أيضا قال قلت للشيخ ربحان خاطرك معى فقال لى ما دام هذا الرأس صحيحا لا تخف وأشار إلى رأسه قال فحسبت أنه يعنى ما دمت حيا ولم يظهر لى مراده إلا بعد موته ، وذلك أنه سقط بعد ذلك بمدة طويلة فى أصل جبل فانكسر رأسه ومات رضى الله عنه ونفعنا به .

قال الشيخ صفى الدين رضى الله عنه رأيت بجيزة مصر امرأة مولهة أقامت فوق ثلاثين سنة قائمة على رجلها فى مكان من الأرض بين الخلفا ما جلست ليلا ولا نهارا ، لا شتاء ولا صيفا يسترها شىء عن الشمس والمطر وتأوى الحيات والثعابين حولها وكان أمرها عجيبا رضى الله عنها ونفعنا بها ويجمع الصالحين .

الحكاية الخامسة والأربعون بعد الأربعمئة

قال المؤلف كان الله له أخبرني بعض الصالحين قال زرت بعض الأولياء الصالحين وصحبى إنسان فلما وصلنا إليه وسلمنا عليه أتانا بطعام فى جفنة كبيرة وكان للمكان الذى نحن فيه بابان باب كبير وباب صغير فدخل علينا بالجفنة من الباب الصغير فلم يسع الباب دخول الجفنة فصاح صيحة عظيمة فرأينا الجفنة قد انضم بعضها إلى مثل الثوب إذا عطف بعضه إلى بعض ثم دخل ووضعها بين أيدينا فرأيناها تفتح وتوسع حتى عادت إلى حالها الأول وإنما جاءنا من الباب الصغير وفعل هذا حتى نرى هذه الكرامة منه لأن رفيقى كان ينكر عليه فاستغفر الله وتاب رضى الله عنه ونفعنا به وأخبرني بعضهم أنه اجتمع بجماعة من الصالحين فى اليمن وأن واحداً منهم غرف شيئا من الهواء بكفيه ووضع فى فمه فإذا هو غسل رضى الله عنه .

الحكاية السادسة والأربعون بعد الأربعمئة

قال المؤلف رضى الله عنه بلغنى أن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى سفيان اليمنى رضى الله عنه دخل عدن فى وقت ، فقبل له ههنا يهودى ولاء السلطان على بعض الجهات الكبار المناصب عندهم فحصل له منزلة عالية ومنصب كبير فصار

المسلمون يمشون تحت ركابه وإذا جلس يقومون على رأسه، فمشى الشيخ سفيان إليه وهو يومئذ في الرياضة والتجرد في زى فقير فوجده جالسا على كرسى والمسلمون تحته على الأرض قائمون في خدمته فلما وجده وصل إليه قال له قل (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) فصاح اليهودى واستغاث بجنده عليه فلم يقدروا أن يفعلوا شيئاً ثم أعاد الشهادة ثانية وثالثة وهو في كل ذلك يصرخ بالجند فلا يقدرون على شيء ثم بعد المرة الثالثة أخذ الشيخ بجمة اليهودى أو قال بذؤابته بيده اليسرى وأخذ سكيناً صغيرة كانت معه بيده اليمنى وقال باسم الله والله أكبر وتقرب بذبحه إلى الله تعالى ثم رجع إلى مكانه وكان يقعد في الجامع فبلغ الخبر إلى الأمير فلم يصدق واستبعد ذلك لكون المقتول من خدام السلطان ومن خاصته لا سيما والقاتل ذكروا أنه مسكين ثم تواتر الخبر عنه إلى الأمير فقال لغلمانه ائتوني به فذهبوا إلى الجامع فلم يقدروا أن يصلوا إليه فرجعوا إلى الأمير فركب في عسكره حتى بلغ الجامع فلم يقدر أحد منهم أن يدخل الجامع، فضلا عن أن يمد يده إليه بسوء فعرف الأمير أنه محمى من قبل الله عز وجل فرجع وخاف على نفسه الشدة من قبل السلطان لكون البلد في دركه فاستشار أهل العقل والرأى ماذا يفعل فقال له بعض الأولياء هؤلاء الأولياء مالهم إلا بعضهم بعضاً وفي لحج رجل من الأولياء، يقال له العايدى فأرسل إليه ليأتيك واشك إليه الحال فأرسل إليه فجاءه وشكا إليه ولزمه، وقال له أشتهى ألا يخرج القاتل من البلد حتى أعرف السلطان ويأتيني بالجواب فقال له نعم إن شاء الله تعالى ثم خرج العايدى من عنده وجاء إلى الشيخ سفيان رضى الله عنه وكان بينهما صحبة وود فشكره العايدى على ما فعله وقال قلعت حجرا من طريق المسلمين ثم قال له اخرج بنا نتمش فخرجنا يمشيان حتى بلغا باب الحبس فقال العايدى للحباس دونك الرجل قيده واحبسهم فمد سفيان رجله للقيد وقال السمع والطاعة، فقيد وبقي في الحبس مدة أيام إن شاء ترك القيد في رجله وإن شاء فتحه ورمى به فلما كان يوم الجمعة وحضر وقت الصلاة حل القيد وذهب إلى الجامع فوجده قد امتلأ بالناس فدخل حتى وصل إلى قريب من الأمير، ثم نظر إلى الناس وقال أصلى على هؤلاء الموتى أربع تكبيرات الله أكبر، ثم خرج ورجع إلى الحبس وأقام فيه مدة أيام حتى جاء جواب السلطان وهو يقول أطلقوه فنحن نطلب السلامة منه فقد كان قبل هذا ادعى أن البلاد بلاده وأن الملك له دوننا ثم خرج من الحبس ولم يكن للسلطان ولا للشيطان عليه سلطان وقد كان جرى له مع السلطان قضية فدخل

على السلطان يوما فقال له اخرج من بلادى وكان ذلك فى أبين بالباء الموحدة ثم الياء
المثناة من تحت بلد بينها وبين عدن نحو مرحلتين فخرج السلطان منها خائفا وهذا هو
الملك الذى أشرت إليه فى خطبة الكتاب بقولى :

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم من الملك إلا اسمه وعقابه
ولحج بالحاء المهملة ثم بالجيم على نحو مرحلة من عدن والعايدى بالعين المهملة
وبعد الألف ياء مثناة من تحت ثم دال مهملة رضى الله عنهم ونفعنا بهم .

الحكاية السابعة والأربعون بعد الأربعمائة

قال المؤلف كان الله له بلغنى أيضا أنه تخاصم خادم الشيخ أبى الغيث المشهور
رضى الله عنه ونفعنا والمسلمين ببركته هو و غلام السلطان فضرب خادم الشيخ غلام
السلطان فبلغ ذلك السلطان فأمر بخادم الشيخ أبى الغيث فقتل فبلغ ذلك الشيخ أبا
الغيث فأطرق رأسه ساعة ثم قال مالى وللحراسة أنا أنزل من الشباب وأترك الزرع
فقتل السلطان فى ذلك الوقت فجاء ولده الملك المظفر رحمه الله إلى الشيخ المذكور
رضى الله عنه مستغفرا ونعله على رأسه أو قال فى عنقه فقال له الشيخ ما تريد قال
الملك فقال أنا قد وليتك .

(قلت) الشباب المذكور بالميم المكسورة ثم الشين المعجمة ثم الباء الموحدة مكررة
قبل الألف وبعدها يعنى به مكانا عاليا من خشب منصوبة فوقها عريش يجلس عليه
حارس الزرع وكذلك بلغنى أن بعض أئمة الأشراف استولى على بعض جبال اليمن ،
ثم أراد النزول إلى تهامة فكتب الشيخ أبو الغيث المذكور المشكور المقدم المشهور رضى
الله عنه إلى الوالى الكبير الفقيه العالم ذى المناقب والمفاخر والكرامات الظواهر محمد
ابن إسماعيل الحضرمى رضى الله عنه يقول له قد عزمت على النقلة من بلاد اليمن
من أجل ظهور الفتن فهل لك أن توافقنى على ذلك فكتب إليه الفقيه محمد كتابا
يذكر فيه كثرة أهله وقربته وأن النقلة بهم تشق عليه ولا يمكنه أن ينتقل ويتركهم ، ثم
قال ولكن عليك أن تحمى جهتك وأنا أحمى جهتى فلما بلغ ذلك الشيخ أبا الغيث
قوله هذا قال نعم فقتل الإمام المذكور أو مات فى الحال رضى الله عنه ونفعنا بهما .

الحكاية الثامنة والأربعون بعد الأربعمائة

قال المؤلف رضى الله عنه وكان الله له سمعت من غير واحد من الصالحين
ومن الثقات يروون عن الشيخ أبى الغيث رضى الله عنه أنه قال أتى الشيخ والفقيه

السيدان العارفان المشهوران المقدمان صاحباً عواجه إلى شيخى السيد الجليل الولى العارف بالله الشيخ على المعروف بالأهدل رضى الله عن الجميع ونفعنا والمسلمين ببركتهم وطلباً منه أن يذهب معهما إلى بعض المواضع قال فوافقهما وذهبت أنا معهم فلما كان بعض الليل إذا أنا أنظر الشيخ والفقير فى الهواء فوقنا وفى أيديهما سيفان مسلولان، وأنا والشيخ على رضى الله عنه فى الأرض ونحن سائرون فذكرت ما رأيت منهما للشيخ على، فقال لى يا أبا الغيث هذان فى مقام التولية والعزل يوليان ويعزلان بإذن الله تعالى وسوف أرثهما أنا وترثنى أنت رضى الله عنهم ونفعنا بهم . قلت يعنى أنه فوض إليهما فى التصرف فى المملكة بعد أن وفقاً لموافقة مراد الحق عز وجل وقد بلغنى أنهما سمعا خطاباً من قبل الحق عز وجل وهو يقول لهما إذا أردتما أن تفعلوا شيئاً فافعلوا ولا تسألانى فإنى أكره أن أرى ذل السؤال فى وجهيكما رضى الله عنهما ونفعنا بهما .

الحكاية التاسعة والأربعون بعد الأربعمائة

قال المؤلف كان الله له أخبرنى بعض الصالحين قال منذ عشرين سنة لا تزال الدنيا تأتىنى فى صورة عجوز كبيرة قبيحة المنظر لا أستطيع أن أنظر إليها تحمل لى طعاماً وشراباً لم أذق مثله قط ولا أقدر أصف طعمه وريحه ولونه ولا الإناء الذى هو فيه حسناً ولونا وجنسا قال وأذوق فى كل ذلك طعم كل شىء طيب من الحلواء والعسل واللحم واللبن وغير ذلك، وليس هو هو قال وتأتىنى السباع من الأسود والنمار وغيرها وتجلس إلى جانبى فى البرية وكل سبع يأتينى يوافقنى فى الجلوس والاضطجاع إن جلست جلس وإن اضطجعت اضطجع ويفترس الغزلان ويأتى بها ويأكلها عندى وإن رأى طارقاً يطرقنى ضرب بيده على الأرض حتى أتته قال وأجتمع فى بعض الأوقات بكثير من الأولياء الإنس والجن وينزل علينا فى كل ليلة بعد صلاة العشاء مائدة عظيمة عليها طعام لا يقدر على وصفه الواصفون فيه طعم كل شىء طيب فنجتمع وقد نبلغ بعض الأوقات نحو أربعمائة رجل ولا يتقص أكلنا منها شيئاً قال وينزل على فى أوقات الفاقة مائدة من الهواء فإن التفت إليها رجعت عنى وإن اشتغلت بعبادتى ولم ألتفت إليها لم تزل تنزل حتى تقع بين يدي فأت منها حاجتى قال وأول ما نزلت على فى بدايتى ليلة السابع من انقطاعى إلى الله عز وجل بعد أن اشتد بى الجوع وكان أشد ما لقيت ليلة الخامس ، ثم هان بعد ذلك ونزل معها نور

عظيم يملأ الوجود قال وكانت الشياطين تأتيني وتفزعني بأهوال عظيمة ويأتيني سلطانهم فى عساكر كثيرة فى السلاح والعدد وتضرب الطبول فى مواكبه وتمر بين يدى العساكر وعليهم اللباس المليح، قال وكذلك مر بين يدى فى بعض الأوقات شىء عظيم يهول الناظر له سبعون رأسا وذكر أشياء كثيرة من العجائب العظيمة والكرامات الكريمة رضى الله عنه ونفعنا به والمسلمين .

الحكاية الخمسون بعد الأربعمئة

روى أن أحد المشايخ خطب امرأة فأبى أهلها أن يزوجه إلا بجارية تخدمها فلم يقدر على شراء الجارية فذكر ذلك لصاحب له فقال له صاحبه أنا أكون عوض الجارية التى تخدم فاذهب إليهم وقل لهم عندى جارية للخدمة ولكنها قالت تخدم فى مكان تقعد فيه وحدها لا تراكم ولا ترونها فذهب إليهم وقال لهم كذلك، فقالوا نعم إذا قامت بالخدمة التى تطلب فلا حاجة لنا فى رؤيتها فزوجوه ثم أتى بصاحبه وتركه فى مكان وحده وكان أسود ليس له لحية فقعد يطحن لهم وعلى وجهه برقع والمرأة تمسب أنه جارية، وكان الشيخ يخرج من عند زوجته بالليل يتعبد فذكرت المرأة ذلك الخروج للنساء فقلن لها عسى هو يذهب إلى الجارية فلما خرج فى تلك الليلة خرجت بعده لتتظر هل هو عند الجارية فوجدت الجارية تصلى والرحا تدور بنفسها فتعجبت من ذلك ولم تجد الشيخ هناك فرجعت وسكتت حتى جاء الشيخ فذكرت له وقالت رأيت الجارية تصلى والرحا تدور بنفسها فقال ما هى جارية ذاك أخى فلان فقالت أنا أستغفر الله وأنا الجارية التى تخدمكما رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين .

الحكاية الحادية والخمسون بعد الأربعمئة

قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه من العالمين أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه ونفعنا به، لما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر توجهت لأدعو فقيل لا تدعُ فما يسمع لأحد منكم فى هذا الأمر دعاء فسافرت إلى الشام فلما وصلت إلى قريب ضريح الخليل عليه الصلاة والسلام، تلقانى الخليل صلى الله عليه وسلم فقلت له يا خليل الله اجعل ضيافتى عندك الدعاء لأهل مصر فدعا لهم ففرج الله عنهم، قلت وقوله تلقانى الخليل عليه الصلاة والسلام قول حق لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التى يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر النبى صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام يصلى فى الأرض ونظر أيضا جماعة من الأنبياء عليهم السلام فى روض الدياهين م ١٢

السموات وسمع منهم مخاطبات وقد تقدم أنه يجوز للأولياء رضى الله عنهم من الكرامات ما يجوز للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من المعجزات بشرط عدم التحدى .

الحكاية الثانية والخمسون بعد الأربعمئة

روى أيضا أنه لما وصل الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه إلى القدس كان معه الفقيه أبو الطاهر المحلى فمر الفقيه أبو الطاهر المذكور يوما على مدرسة بالقدس والفقهاء جالسون على بابها بأعظم هيئة ولباس ورى وأكثرهم أعجم فاستحيا أن يمر عليهم لحقارته فى نفسه وهو شاب فقير أسود رث الحالة، فلما رجع إلى الشيخ وبات معه إلى الصبح قال له الشيخ امض إلى المدرسة التى مررت عليها كن بها معيدا قال فتعجبت وعظم ذلك على واستحلت وقوعه، ولم يمكننى إلا الامثال فجئت إليها وأنا أتوهم أن البواب يمنعنى من الدخول فلم يمنعنى فدخلت ووجدت المدرس جالسا وحلقة كبيرة دائرة عليه فأردت أن أدخل فى الحلقة فلم يفسح لى أحد منهم احتقارا واستهانة بى فجلست خلفهم، وإذا برجل قد دخل من باب المدرسة فلما رآه المدرس عبس وجهه وقام إليه يتلقاه وانقبضت الجماعة بأسرهم فقلت للذى أنا وراء ظهره يا أخى ما للجماعة قال هذا الذى دخل جدلى خلافى لا يطاق وإذا جاء لا يبقى للشيخ معه كلام إلا ملاطفته ولا يستطيع أحد مجاراته فلما تلقاه الشيخ أجلسه فى مكانه فلما قعد استفتح وألقى مسألة خلافية عقدة فلما استكمل إيرادها فُتِحَ علىَّ حَفْظُ سؤاله والجواب عنه فزاحمت ودخلت بين اثنين وانطلق لسانى ونصيت سؤاله وما غيرت منه شيئا وهذا ترتيب المناظرين إعادة السؤال ثم أجبته بما فتح الله على ولم أكن قرأت علم الخلاف ولا ناظرت فتعجب المدرس منى وبهت الجماعة من أمرى واستعظموا ذلك، وقال المناظر للمدرس هذا الفقيه من أين لكم، قال ما رأيناه إلا هذه الساعة فقال المناظر لمثل هذا تبنى المدارس ففرح المدرس حيث كان فى حلقة من أجاب هذا المناظر، ثم قال المدرس لى ما اسمك فذكرت له اسمى فقال قد وليتك الإعادة، ثم قام فقمت معه وقامت الجماعة معى فقال لى يا فقيه عادتنا إذا استعدنا معيدا نشيعه حال توليته إلى منزله فلما خرجنا من المدرسة قصد أن يمشى هو والجماعة معى فسألته أن يخلى عنى ذلك فقبل ورجع فلما جئت إلى الشيخ قال لى يا فضولى ولأى شىء منعته أن يفعل عادته يوصلك إلى منزلك قلت له يا سيدى حملا عن خاطرک وبقيت بها إلى أن توفى الشيخ فدفن بظاهر بيت المقدس رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الثالثة والخمسون بعد الاربعمائة

روى أن الشيخ أبا عبد الله القرشى رضى الله عنه كان يوماً جالسا في مياعده بمصر وكان الشيخ أبو العباس القسطلانى رضى الله عنه هو الذى يقرأ المواعيد بين يديه فحضر ميعاد الشيخ أبى العباس الطنجى ففتح القارئ المذكور الكتاب وسكت فقال له الشيخ القرشى مالك لا تقرأ قال يا سيدى الكتاب أبيض ما فيه شيء مكتوب، فقال الشيخ القرشى من ههنا فقالوا له أبو العباس الطنجى فقال الشيخ القرشى له: يا أبا العباس معى تفعل هذا ثم قال للقارئ اقرأ فوجد الكتاب مكتوبا فقرأ على عادته، وكان أبو العباس القسطلانى المذكور قد ترك زينة الدنيا وأقبل على خدمة الشيخ القرشى بنفسه وكان زاهداً فى وقته وكان كثير الرياضات وكانت إقامته فى آخر عمره بمكة المشرفة وبها مات وقبره معروف وكان قد حصل قحط فى وقته بمدينة النبي ﷺ لانقطاع المطر وكان هناك يومئذ، فعزم الناس على الاستسقاء وتقرر الحال على أن يستسقى أهل المدينة يوماً والغرباء يوماً والمجاورون يوماً فاستسقى أهل المدينة فلم يمطروا، فعمل أبو العباس المذكور طعاما كثيراً وأطعم الفقراء وأهل الضرورات واستسقى فمطروا رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية الرابعة والخمسون بعد الاربعمائة

روى الشيخ صفى الدين رضى الله عنه فى رسالته أنه قال كان الشيخ أبو عبد الله محمد الأزهرى العجمى رضى الله عنه كثير السياحات صاحب آيات عظيمة وحكايات تضيق عنها العقول قال تلميذه الشيخ الكبير أبو الحسن بن الدقاق رضى الله عنه أدخلنى الشيخ محمد العجمى على ثلثمائة وستين عالماً غير عالم السموات والأرض، قال ووصل بى إلى جبل قاف وأرانى الحية الدائرة بالجبل ورأسها على ذنبها وهى خضراء قال وكان الشيخ إذا مشى بى إلى أمر خارق أو طئ الأرض أبقى معه غائباً عن حسى المعهد فخرج يوماً من دمشق وأنا بصحبته إلى أن وصلنا طبرية، ووقفنا على قبر سليمان عليه الصلاة والسلام، فقلت يا سيدى هذا قبر سليمان عليه السلام قال هكذا يقال ثم مشى وأنا خلفه محمول به إلى أن أشرفنا على بناء مهول وإذا نحن بأقوام تلقوا الشيخ وسلموا عليه وتبركوا بقدمه ثم مشوا قدماه فوجدت منهم وحشة، فالتفت الشيخ إلى وقال يا على احفظ نفسك واشتغل بى ولا تشتغل بمن تراه فهو لاء جان ونجن قادمون على قبر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام

فلما وصلنا إلى البنيان تلقته طائفة أخرى وأدخلوه البناء وهو صورة قصر عظيم والشيخ يمشى وأنا خلفه وإذا في صدر المكان رجل قائم عليه هيئة عظيمة ونور عظيم وفي يده عصا فقال الشيخ لى هذا سليمان ثم تقدم وقبل يده وفي إحدى أصابعه الخاتم، ثم تأخر فأخذه جماعة من الجن خدام سليمان عليه السلام وذهبوا به إلى موضع وقدموا ضيافته طعاما فأكل الشيخ وأكلت معه ثم ذهبوا به يفرجونه على ذخائر سليمان عليه الصلاة والسلام، فأتوا به إلى البساط فوقف عليه فجاءت ريح ففرشته حتى رآه ثم جاءوا به على عرش بلقيس فرآه إلى أن استكمل ذخائر سليمان عليه الصلاة والسلام، ثم مر على مغارة وبها دوى مزعج ورائحة منكرة، فقالوا له يا سيدى هذا سجن إبليس وهو مسجون فى هذه المغارة منذ زمن نبى الله سليمان ﷺ فلما أراد الشيخ الانصراف وضعوا له سريراً وأشار الشيخ إلى فوضعوا لى سريراً آخر فلما جلسنا عليهما ارتفعا بنا فى الهواء لا نبصر من يحملهما ومرا بنا فى الهواء فوق بحر حتى انتهينا إلى مكان، فلما وصلنا حط بنا السريان إلى الأرض فنزلنا عنهما ثم ارتفعا فى الهواء ورجعا فمشى الشيخ وأنا خلفه ساعة وإذا نحن بدمشق قد بدت .

قال وكنا يوماً بدمشق وكان فى أصحاب الشيخ من هو من الحجاز ومن هو من العراق فذكروا الرطب فقال أهل الحجاز رطبنا أطيب وقال العراقيون رطبنا أطيب وكان للشيخ خادم اسمه يوسف فنظر الشيخ إليه فخرج الخادم من الباب وغاب لحظة ثم دخل وعلى يده طبق فيه رطب كما جنى من النخل فوضعه بين يدي الشيخ فقال الشيخ يا حجازيون هذا رطب بلادنا فأحضروا أنتم رطب بلادكم وله من العجائب والكرامات أشياء عظيمة رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية الخامسة والخمسون بعد الأربعمائة

عن الشيخ المغاوري رضى الله عنه

قال كنت عدة سنين مولعا بالحرب وعدة سنين بالسياحة أدخل إلى بلاد الكفار لأمر أوامر بالدخول إلى بلادهم لأجلها وحجابى بحكمى إن أردت رأونى وإن أردت لم يرونى فورد على أمر من جهة الحق سبحانه بأن أدخل إلى بلادهم لأجتمع فيها برجل صديق فدخلت أرضهم وأريتهم نفسى فأخذونى أسيرا وفرح بى من أخذنى وكتفنى وجاء بى إلى السوق يبيعنى وكان هذا هو طريقى المقصود الذى أمرت به فاشترانى رجل معتبر راكبا دابة ووقفنى على الكنيسة لأكون فيها خادما فباشرت

خدمتها أياما، وإذا بهم قد أحضروا بسطا كثيرة ومباخر وطيبا كثيرا فقلت لهم ما الخبر قالوا الملك عادته زيارة الكنيسة يوما في السنة وقد جاء وقت زيارته فنحن نهيئها له ونخليها فلا يبقى فيها أحد حتى يدخل وحده يتعبد فيها فلما أغلقوها بقيت أنا فيها واحتجبت عنهم فلم يروني وإذا بالملك قد جاء ففتحوها له ودخلها وحده وأغلقوا عليه الباب فدار بالكنيسة يفتشها وأنا أنظر إليه وهو لا يرانى إلى أن اطمأن فدخل المذبح الذى فيها وتوجه إلى القبلة وكبر بالصلاة فقبل لى هذا هو الذى أردنا لك الاجتماع به فظهرت ووقفت وراءه حتى يسلم من الصلاة ثم التفت فرأى فقال من تكون قلت مسلم مثلك، قال وما جاء بك ههنا قلت أنت فأقبل على وسألنى عن أمرى فأخبرته بما أمرت به من الاجتماع ولم يكن لى طريق إلا ذلك إلا بصورة ما جرى من الأسر والبيع واتخاذهم لى خادما للكنيسة وتمكينى لهم من نفسى فى جميع ذلك ليقع الاجتماع ففرح بى فكاشفته وكاشفنى ووجدته من كبار الصديقين فقلت له كيف حالك بين هؤلاء الكفار فى باطن الأمر قال يا أبا الحجاج لى فوائد بينهم لا أبلغ مثلها لو كنت مع المسلمين قلت له صف لى قال توحيدى وإسلامى وأعمالى خالصة لله عز وجل وحده ، ما لأحد اطلاع عليها وأكل حلالا ما فيه شبهة وأنفع المسلمين نفعا لو كنت أكبر ملوكهم ما بلغت من الدفع عنهم وأكف عنهم أذى الكفار حتى لا يصل إليهم وأفعل فى الكفار من القتل والإفساد لأحوالهم ما لو كنت أعظم ملوك المسلمين ما فعلته وسأريك بعض تصرفاتى فيهم ثم ودعنى وودعته، وقال له ارجع إلى حالتك فأخفيت نفسى واحتجبت عن الناظرين فخرج الملك وقعد على باب الكنيسة وقال اتئوني بجميع من يختص بالكنيسة فأحضروا له جماعة منهم وعرضوهم عليه وقالوا هذا بطريقها وهذا شماسها وهذا راهبها وهذا مشارف أوقافها وهذا جابى رباعها قال فمن يخدمها قالوا له فلان يعنون الذى وقفنى على الكنيسة اشترى أسيرا ووقفه على خدمتها فأظهر غضبا عظيما وقال تكبرتم جميعا عن خدمة بيت الرب وجعلته رجلا من غير الملة نجسا يخدم بيت الرب، فأخذ السيف وضرب رقاب الجميع فى حجة الغيرة على بيت الرب، وأمر بإحضارى فظهرت لهم فقدمونى إليه فقال هذا خادم الكنيسة التى يتبرك بها يستحق فى مقابلة كبر هؤلاء الإكرام والتعظيم والخلع والمركوب وإطلاقه إلى وطنه وأهله ففعلوا بى ذلك وانصرفت عنه رضى الله عنهما

ونفعا بهما .

الحكاية السادسة والخمسون بعد الأربعمائة

روى أن أمير المؤمنين بالمغرب المسمى يعقوب رحمه الله تعالى رأى مرأى وأحوال المريدين وسببه أنه قتل أخاه غيرة على الملك فندم على قتل أخيه ندما أورثه توبة أثرت في باطنه أحوالا حسنة وتغير عليه من نفسه ما لا يعهده لثمرة التوبة فما كان أبركه عليه ذنبا وفي مثل هذا قال القائل :

ورب قطيعة جلبت وصالا
وكم ذا في الزوايا من خبايا

فشكا ما يجده لمريدة كانت تدخل قصره فقالت له هذه أحوال المريدين فقال كيف أعمل بنفسى ومن يعرفنى ويداوينى قالت له الشيخ أبو مدين سيد هذه الطائفة فى هذا الزمان فبعث يعقوب إلى الشيخ أبى مدين وطلبه طلبا حثيثا والتجأ إليه فاقضى إجابة الشيخ أبى مدين له فقال قولوا له تطيع الله عز وجل سبحانه وتعالى بطاعته وأنا ما أصل إليه بل أموت بتلمسان وكان الشيخ يومئذ فى بجاية فلما وصل إلى تلمسان قال لرسل يعقوب سلموا على صاحبكم وقولوا له شفاؤك على يد أبى العباس المرىنى ونفعك على يده ومات الشيخ أبو مدين بتلمسان رضى الله عنه ونفعنا به ومضت الرسل إلى يعقوب فأخبروه بما أوصى به الشيخ له فطلب الشيخ أبا العباس المرىنى طلبا حثيثا وسير إليه فى كل الجهات إلى أن ظفروا به فأخبروه بما عليه فوجد من الحق سبحانه إذنا بالاجتماع به، فمشى إليه واجتمع به ففرح يعقوب بذلك، ثم أمر بذبج دجاجة وخنق أخرى وأن يطبخ كل واحدة منهما على حدة وقدمها بين يدى الشيخ وسأله أن يتناول فنظر الشيخ إليهما وأمر الخادم برفع المخنوقة وقال هذه جيفة وأكل من الأخرى فسلم يعقوب نفسه له وأنزل نفسه منزلة خادم وفتح له على يده وترك الملك وسلمه لابنه واشتغل مع الشيخ وثبتت قدمه فى الولاية ببركة الشيخ أبى العباس وإشارة الشيخ أبى مدين رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم .

ومما جرى ليعقوب أن الناس كانوا محتاجين المطر فقال أبو العباس ليعقوب بعد أن خرجا إلى خارج البلد صل واستسق للمسلمين فقال له يعقوب أنت أحق بذلك يا سيدى وأولى فقال له الشيخ بهذا أمرت فصلى يعقوب ودعا فنزل المطر على الفور رضى الله عنهما ونفعنا بهما والمسلمين آمين .

الحكاية السابعة والخمسون بعد الأربعمائة

قال الشيخ صفى الدين رضى الله عنه رأيت امرأة كبيرة الشأن يعظمها الأولياء والعلماء مغربية يقال لها ست الملوك زارت بيت المقدس فى وقت كان فيه الشيخ

الكبير الشأن على بن علبس بفتح العين المهملة والباء الموحدة وسكون اللام بينهما وفي آخره سين مهملة اليماني رضى الله عنه، قال الشيخ على المذكور كنت بيت المقدس وإذا أنا أشهد جبلا من نور مدلى من السماء إلى قبة كانت في المسجد فمشينا إلى القبة فوجدت فيه هذه المرأة ست الملوك والنور الذى شهدته متصل بها فطلبت منها الأخوة فأجابت رضى الله عنها ونفعنا بها قال الصفى ورأيت الشيخ صالح الولى سفيان اليماني من الأكاابر وأرباب الهمم العالية وكان معمر الأوقات بالصلاة ظهر فى جهة من اليمن بعد وصوله إلى ديار مصر وحجه وشهد له جماعة كثيرة لما رأوا من كراماته رضى الله عنه ونفعنا به .

قلت هذا سفيان الذى قدمت ذكره فى قتله لليهودى الذى ذبحه فى عدن من أجل رفعتة على المسلمين واستخدامه لهم يمسون تحت ركابه بولاية السلطان وقد بلغنى أنه قتل يهوديا آخر فى تعز بالحال بأن قال له تفعل كذا وكذا وإلا قطيت رأس هذا القلم وكان فى يده رضى الله عنه قلم وسكين فقال لليهودى قط القلم وما على من قطته فقط رأس القلم وإذا برأس اليهودى مقطوع يدرج على الأرض وله كثير من الكرامات العظيمة وكان فقيها قد اشتغل بالعلم وحصل حتى قيل له إن أردتنا فاترك القولين والوجهين فترك ذلك واشتغل بالله تعالى وأما وصوله إلى ديار مصر فقد بلغنى أنه سافر إليها ليحضر الجهاد فى دمياط وكان فتح المسلمين على يديه وكان قد قال لهم بعض من أطلعهم الله على ما شاء من الغيب إن فتح دمياط يكون على يد رجل من أهل اليمن ومن حضر الجهاد بدمياط الفقيه العالم الولى العارف عبد الرحمن التويرى رضى الله عنه واستشهد قال الإفرنجى الذى قتله ضربت عنقه ثم قلت له بعد أن مات يا قسيس المسلمين أتم تقولون فى قراءتكم : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عن ربهم يرزقون﴾ ، قلت له ذلك بطريق التهكم ففتح عينيه ورفع رأسه وقال بصوت قوى : نعم ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾ ثم سكت فعندما رأيت ذلك وسمعت ما سمعت نزع الله الكفر من قلبى وأسلمت على يده وأرجو أن الله يغفر لى ببركته وإسلامى على يديه انتهى كلامه . ولو كان يقال بعد ذلك للشيخ عبد الرحمن الشهيد الناطق وله كرامات كثيرة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الثامنة والخمسون بعد الأربعمئة

عن أحدهم

قال كنت فى السياحة تألف إلى الوحوش وتجلس حولى وأمشى بينها كأننى منها إلى يوم خطر لى دخول العمران وتذكرت طفلا صغيرا كان يقرب لى ثم رأيت غزالة صغيرة من الوحوش التى حولى فخطر فى نفسى لو كانت معى هذه الغزالة أحملها للطفل فعندما خطر لى هذا الخطر نفر عنى الجميع وتباعدت وصارت تنظر إلى خلاف ما كانت عليه فاستغفرت الله وتباعدت من ذلك الخطر فعادت إلى كما كانت رضى الله عنه، وقال آخر منهم كنا جماعة نذهب فى أى وقت شئنا إلى أى مكان شئنا تطوى لنا الأرض فلما كان بعض الأيام اشتريت لأولادى دارا، وأخذت بذلك كتابا كتب لى فيما يتعلق بالدار وشرائها فأرسل أصحابى بعد ذلك الموعد بيننا المكان الفلانى فرجعت إلى حالى الذى كنت أعهده فلم أجده معى فأرسلت إليهم أقول لهم ذلك الجناح الذى كنت أظير به قد قص فأرسلوا إلى يقولون انظر من أين أتيت واقطع العلاقة التى قطعتك قال فقطعت كتاب شراء الدار المذكورة فإذا بحالى قد عاد إلى فالتقيت بهم فى المكان الذى ذكروا رضى الله عنهم ونفعنا بهم.

الحكاية التاسعة والخمسون بعد الأربعمئة

قال الشيخ صفى الدين رضى الله عنه كان الشيخ مفرج وليا عظيم الشأن وكان عبدا حبشيا اصطفاه الله بلا أسباب معلومة ولا مقدمات معهودة أخذه عن حسه المعهود أخذه عزيمة أقام فيها ستة أشهر ما استطعم فيها طعاما ولا شرابا فلما رأى سيده حاله تغير ضربه فلم يتأثر بالضرب فظن أن به الجنون فاستندب شخصا لضربه ليفيق ويتناول الغذاء فكان الضارب يقول للجنينة بزعمه اخرجى فيقول الشيخ مفرج قد خرجت يعنى نفسه فقيدوه وغابوا عنه ثم جاءوا إليه فوجدوا القيد فى ناحية وهو فى ناحية أخرى فحبسوه وغابوا عنه فوجدوه خارجا عن المكان الذى حبس فيه فلما تكاثرت عليهم كراماته أحضروا أفرأخا مشوية فقال لها طيرى فطارت أحياء بإذن الله تعالى فسكتوا عنه وتواترت كراماته واشتهرت ولايته وظهرت بركاته رضى الله عنه.

الحكاية الستون بعد الأربعمئة

حكى أنه كان أحد الشيوخ بالرقعة فشكى إليه والى الرقة حتى تغير عليه خاطره

فاتفق أن الوالى مر على الشيخ فصاح عليه صيحة واحدة قال له فيها مت فمات فى الحين، وتكلم هذا الشيخ يوما فى الكرامات فقالت له عجوز لها عليه دلال كم فشارا ودعاوى والناس هلكى من عدم المطر فكاشف الشيخ عليها فخرجت من عنده وركبت بغلتها وكانت تربي أولاد الملوك فلما بلغت بعض الطريق إذا سحابة قد أرخت مطرا غزيرا وهبت ريح فرمتها عن البغلة فى الطين ثم قامت فركبت ورجعت إلى الشيخ وقالت قلنا إن أنزلت المطر بجاهك فلأى شىء رميتنى من فوق البغلة فى الطين قال لكثرة فضولك.

وقال رضى الله عنه كان الملك نور الدين ملك الشام معدودا عندنا من الأولياء الأربعين وكان صلاح الدين من الثلثمائة وكانت الأبدال إذا رأوا نور الدين يقول لهم كيف أنا عندكم فيقولون أنت أصلح الظلمة مع ما كان عليه من أوصاف الولاية رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الحادية والستون بعد الاربعمائة

روى أنه كان الشيخ أبو محمد بن الكبش رضى الله عنه يجتمع بالخضر عليه السلام فى أكثر الأوقات وكان له صاحب معروف كبير موسر فقال له يوما يا أخى مالى منك نصيب فقال فى ماذا قال تجمع بينى وبين الخضر يوما وتساءله أن يظهر لى حتى أراه فقال أنا أقول له فقال للخضر عليه السلام صاحبى فلان قصد رؤيتك فقال صاحبك ما يريد أن يرانى فقال سبحان الله هكذا قال لى فقال قل له أنا يوم الجمعة أقصد إلى رؤيته فلما كان يوم الجمعة بادر الرجل إلى مطمر له فيه قمح ففرق منه إلى قريب وقت الجمعة شكرا لإجابة الخضر عليه السلام إلى زيارته، ثم أغلق الباب وتوضأ وجلس على سجاده يذكر الله تعالى وينتظر الوعد فدق الباب رجل فقال للجارية انظرى من بالباب فخرجت فوجدت رجلا عليه أطمار فقال لها قولى لسيدك رجل يريد الاجتماع بك فأخبرته فقال لها صفة الرجل قالت عليه أطمار فقال مسكين لا شك أنه يريد من القمح الذى سمع عنه قولى له يرجع بعد الصلاة فقالت له ذلك فمضى فلما كان بعد الصلاة اجتمع الرجل بابن الكبش وقال له جلست فى انتظاره وما رأيته اليوم قال له يا قليل التوفيق هو الذى خرجت الجارية إليه وقالت له ارجع بعد الصلاة ثم قال له تريد أن ترى الخضر وعلى بابك الحجاب فقال كل جارية عندى حرة لوجه الله تعالى وصار إذا دق أحد الباب خرج إليه بنفسه رحمه الله تعالى .

الحكاية الثانية والستون بعد الاربعمائة

قال المؤلف كان الله له سمعت من غير واحد يحكى أن بعض التجار قال كنت مسافرا ومعى دابة عليها قماش فلما دخلت مصر واختلطت بالناس نظرت إلى الدابة فلم أجدها ففتشت عليها وسألت عنها فلم أعلم لها خبرا فقال لى بعض أصحابى ائت الشيخ أبا العباس الدمهورى لعله يدعو لك وكنت أعرفه قبل ذلك فجئت إليه وسلمت عليه وحكى له قصتى فما أصغى إلى كلامى ولا فرحنى بحاجتى ولكن قال لى عندنا ضيفان نطلب لهم كيت وكيت من الدقيق واللحم والحوائج فخرجت من عنده وأنا أقول والله لا رجعت إليه هؤلاء الفقراء ما يعرفون إلا حوائجهم أتيت إليه وأنا مضرور فما سمع شكواى ولا دعا لى بل طلب منى قضاء حاجته فمضيت على هذه النية فوجدت بعض من لى عليه دين فأمسكته وقلت له ما أفارقك حتى تخلصنى فدفعت إلى ستين درهما أو نحو ذلك فلما حصل لى ذلك قلت فى نفسى والله لأخاطرن معه فى هذه. فإما حصل لى الجميع وإلا ذهبت مع ما ذهبت فى سبيل الله تعالى، فاشترت جميع ما ذكر لى الشيخ وفضل معى فضلة فاشترت بها علبة حلاوة وحمّلت الجميع حمالا وقصدت الشيخ فلما وصلت قريب الزاوية إذا أنا بدابتي واقفة على باب الزاوية فقلت فى نفسى هذه دابتي ثم قلت وأين دابتي لعلها تشبهها فلما دنوت منها وجدتها دابتي بعينها وعليها القماش بحاله كما كان فتعجبت من ذلك ثم قلت أخلى من يحفظها أو أدخل بها الزاوية لئلا تذهب ثم قلت الذى سلمها وحفظها علي هو يحفظها، ثم دخلت على الشيخ فوضعت الحوائج كلها بين يديه فاستعرضها حاجة حاجة حتى انتهى إلى علبة الحلاوة فقال أيش هذه فقلت يا سيدى فضلت معى فضلة فاشترت بها هذه فقال هذه لم تكن داخله فى الشرط ولكنى أزيدك بها زيادة اذهب إلى القيسارية وبع قماشك ولا تستعجل عليه وكلما بعت شيئا فاقبض ثمنه ولا تخف أن يرد عليك أحد من التجار فالبحر فى يمينى والبر فى شمالى قال فمضيت إلى القيسارية فوجدت جميع ما كان معى من القماش مطلوبوا فبعته بزيادة كثيرة على العادة جدا وكلما بعت شيئا فبضت ثمنه حتى بعت الجميع وقبضت ثمنه فلما فرغت من ذلك أقبل التجار من البر والبحر كأنهم قد أطلقوا انتهى كلامه قلت وهذا الشيخ أبو العباس له كثير من الكرامات النفاس المشهورات عند الناس رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الثالثة والستون بعد الأربعمائة

روى عن الشيخ أبى العباس بن العريف رضى الله عنه أنه قال أصبحت يوماً ضيق الصدر وكان لى صاحب يعرف بأبى محمد الطرابلسى فقلت له يا أبا محمد أصبح اليوم قلبى منكوساً فعساك تحكى لى حكاية من حكايات الصالحين قال نعم كنت يوماً ببلد أفريقية فى العشر الأول من ذى الحجة فإذا أنا بثلاثة نفر وقوف على رأسى فقالوا يا أبا محمد هل لك فى المسير إلى الحج فقلت الرأى على ما رأيتموه، فقالوا عول على بركة الله تعالى فتقدمنى الواحد منهم وتأخر الاثنان منهم فساروا فكان إذا أتى الليل خرج الواحد منهم عن الطريق فأتى بعرجون موز فيقول ههنا عجزوز دفعت إلى هذا فبعد ثلاث ليال وإذا بأحدهم قال لى يا أبا محمد أبشر هذه جبال تهامة قال فحججت معهم ووقفت فى صحبتهم فلما آن وقت الرجوع قالوا لى أنت فى دعة الله فقلت لهم تسوموننى الفرقة فقالوا لا بد من ذلك ومضوا وعدلت إلى عيذاب ووصلت إلى أسوان فقالت لى نفسى تمضى إلى الإسكندرية فلعل أحداً من معارفنا يطلعك فى البحر إلى المغرب فقلت لها وإلى الآن لم تؤمنى والله لا دخلت الصحراء إلا من ههنا فكنت إذا احتجت الوضوء أو الشراب أقول وعزة المعبود لا أبرأ حتى أتوضأ وأشرب فتظلنى سحابة فلا تزال تمطر حتى ترجع غديراً فأتوضأ وأشرب وإذا رجعت قلت كذلك فما برحت على هذه الحالة حتى رجعت إلى المكان الذى خرجت منه وهأنا أتخبط يا أحمد وأنت تلبس ثياب الأمراء وتنظر إلى وجوه الشباب وتقول قلبى نكس شيخ سوء مثلى قلبه نكس وأما أنت فمكوس كنت ومكوس بقيت، قال أبو العباس فوالله ما نسيت برد قوله فمكوس كنت ومكوس بقيت إلى أن ألقى الله تعالى رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم أمين.

الحكاية الرابعة والستون بعد الأربعمائة

روى عن الشيخ ابن العريف أيضاً رضى الله عنه قال أصبحت يوماً مهموماً فقلت للشيخ أبى القاسم بن روييل حدثنى بحكاية عسى الله أن يفرج ما بى فقال نعم وصف لى رجل ببعض السواحل يعرف بأبى الخباز فقصدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم أكلمه حتى إذا كان وقت الصلاة أقبل نفر من بعض الأودية متفرقين فاجتمعوا إليه وتقدمهم واحد منهم فضلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم واحد منهم أحداً، وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى إذا كان وقت الصلاة أقبل نفر فصلوا ثم انصرفوا حتى جاء وقت العصر فاجتمعوا وصلوا ثم

جلسوا بعد ذلك وتذاكروا فى سير الصالحين ومقامات الأولياء إلى قريب الاصفار ثم تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم ثلاثة أيام وهم على ذلك ، ثم وقع فى نفسى أن أسأله عن مسألة أستفيدها فتقدمت إليه وقلت أيها الشيخ مسألة أسأل عنها فقال قل فنظر الجماعة إلى كالمكرين ففزعت فقلت له أيها الشيخ متى يعلم المرید أنه مرید فأعرض عنى ولم يجبنى فخفت أن أكون قد أغضبته فقلت عنه فلما كنت فى اليوم الثانى قلت لا بد أن أسأله عن المسألة وعزمت على ذلك فتقدمت إليه وقلت أيها الشيخ متى يعلم المرید أنه مرید فأعرض عنى كالأول ولم يجاوبنى فقلت وعدت إليه فى الثالثة وسألته عن المسألة بعينها فاجتمع إلى وقال لا تقل هكذا أظنك تريد أن تسأل عن أول قدم يضعها المرید فى الإرادة فقلت نعم فقال لى إذا اجتمع فيه أربع خصال أن تطوى له الأرض وتكون عنده كقدم واحدة، وأن يمشى على الماء، وأن يأكل من الكون متى أراد، وألا ترد له دعوة، فعند ذلك يضع أول قدمه فى الإرادة وأما متى علم المرید عندنا أنه مرید سقط من حد الإرادة ، قال الشيخ أبو العباس بن العريف رضى الله عنه فصحت صيحة واحدة كادت نفسى تذهب معها ثم قلت له آيستنا من الإرادة يا أبا القاسم وتعجبت من علو همة هذا الشيخ رضى الله عنه وعن الجميع ونفطنا بهم آمين .

الحكاية الخامسة والستون بعد الأربعمائة

عن الشيخ أبى عبد الله القرشى

أنه سمع شيخه أبا زيد القرطبى رضى الله عنه يقول لما سأله عن بدايته رجاء فائدة ينتفع بها قال يا بنى أمر غريب ما أدخلنى فى هذا الطريق إلا أمر مزعج وإنما كنت من التجار وكان لى دكان فى العطارين وكنت لا أبيع من السلع إلا ما عز ثمنها وعز وجودها وكان لباسى مثل ذلك فدخلت يوما إلى الجامع لأصلى صلاة الصبح قضاء فلما أتممت الصلاة رأيت حلقة كبيرة فمضيت إليها وأنا حينئذ لا علم لى بالصالحين إلا على ما يقوله العوام من أنهم فى البرارى والجبال فوقفت عليهم وسمعت القارئ يقرأ فى حكايات الصالحين ومجاهداتهم مثل حكاية أبى يزيد فقلت فى نفسى بصوت لا يسمعى إلا من قرب منى سبحان الله مثل هذا يدون فى الكتب فقال لى رجل وبأى شىء تدون الكتب فقلت هذا الذى يحكيه شبيه الكذب رجل يترك الماء سنة ويعيش فقال لى الرجل لا تنكر فبينما أنا أراجعه الكلام وإذا فى الحلقة شخص عليه سلهم قد أكل أطرافه الشجر فرفع رأسه إلى وقال أما تستحيى أن تتكلم فى الصالحين فقلت وأين الصالحون ثم تركتهم ومضيت وأنا متعجب فلما كان قرب

الظهر وأنا جالس فى الدكان على العادة أبيع وأشتري وإذا أنا بالرجل صاحب السلهام قد مر فرأيته ولم يرني فمضى عنى ثم رجع وإذا به كأنه يطلبنى فقال لى سلام عليك فقلت وعليكم السلام فقال ما اسمك قلت عبدالرحمن فقال لى أتعرفنى فقلت نعم أنت الرجل الذى تكلمت معه فى الحلقة وأنت على تلك العقيدة أو تبت فقلت ما أعرف لى عقيدة أتوب منها فاتكأ بصدرة على صخرة قدام الدكان وقال يا أبا يزيد أى شىء تقول فى عمل الصالحين فقلت أين أولئك، فقال نعم يمشى فى الأسواق رجال لو قال أحدهم هكذا وأشار إلى مَجْرٍّ كان معى فى قاع الدكان فتحرك معه فانفجر منه فرجتان كان فيهما رهون الناس فوثبت فأمسكتهما ورددتهما إلى مكانهما ثم قلت وهل يعطى رجل المقدره على مثل هذا فقال أى شىء هذا فى جنب ما يحكم الإنسان فيه قلت وفى ماذا يحكم به غير هذا فقال لو قال للدكان انخلع عن مكانك لا نخلع فرأيت الدكان قد تحرك حركتين فلم يبق فيه رجاجة ولا آنية إلا تحركت حتى خفت أن ينطبق على فبقيت متحيرا فتركنى ومضى وكان فى غريزة عقل فقلت إذا كان مثلى يفنى عمره فى هذا الدكان كيف يمكنه الاجتماع بمثل هؤلاء القوم فلما كان الغد ذهبت إلى الحلقة أسمع كلام القوم سماعا آخر فوالله ما أبقى فى السماع وسعا أن أمضى إلى الدكان فمضيت إلى خالى ودفعت له المفاتيح وكان هو صاحب الدكان فقال أين تمضى فقلت له سأتى إن شاء الله تعالى ولم يعلم قصدى فلم أرجع إلى الدكان بعد ذلك رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية السادسة والستون بعد الأربعمائة

روى أنه كان سيدى الشيخ العارف أحمد بن الرفاعى قدس الله روحه وأعاد علينا من بركاته يقرأ القرآن وهو شاب على الشيخ العارف على بن القارئ الواسطى رضى الله عنه فصنع شخص طعاما ودعا إليه الشيخ ابن القارئ وأصحابه وجماعة آخرين من المشايخ والقراء وغيرهم فلما أكلوا من الطعام وكان معهم قوال فشرع يغيرى بده فى يده وسيدى أحمد جالس عند نعال القوم، ونعل الشيخ ابن القارئ معه فلما طاب القوم واستراحوا وتواجدوا وثب سيدى أحمد بن الرفاعى إلى القوال وخسف الدف الذى كان معه فالتفت المشايخ إلى على بن القارئ وناقروه فيما صدر من سيدى أحمد وقالوا له هذا صبى مالنا معه مطالبة والمطالبة عليك فقال لهم الشيخ ابن القارئ اسألوه فإن أتى بالجواب وإلا على المطالبة فالتفتوا إليه وقالوا له لم كسرت الدف فقال لهم أى سادة ترجع إلى أمانة القوال يخبرنا بما خطر بباله فأى شىء قال اتبعناه فسألوا

القول عما خطر بباله، فقال إني كنت بارحة أمس عند أقوام يشربون فسكروا وتمايلوا كتمايل هؤلاء المشايخ فخطر لى أن هؤلاء كأولئك فلم يتم خاطرى حتى قام هذا الصبى وخسف الدف فعند ذلك نهض المشايخ إلى سيدى أحمد وقبلوا يده واعتدروا إليه رضى الله عنه ونفعنا بهم آمين .

قلت وإنما تمايلوا بشراب المحبة الذى أشار إليه الشيخ الكبير العارف أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لما قيل له ما شراب الحب ومن الساقى وما الذوق وما الشوق وما الرى وما السكر وما الصحو فقال الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب والكاس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب والساقى هو المتولى الخصوص الأكبر والصالحين من عباده وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبائه فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى بشيء منه نفساً أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقاً ومن توالى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله تعالى المخزونة فهو الرى وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدرى ما يقال له ولا ما يقول ذلك هو السكر وقد تدور عليهم الكئوسات وتختلف لديهم الحالات ويردون إلى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزامم المقسورات فذلك وقت صحوهم أو اتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون فى لييلهم وشموس المعارف يستضيئون فى نهارهم ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾^(١) .

وقال بعض الشيوخ الكبار العارفين بالله المحبة آخذة من الله قلب من أحب الله أن يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله قال ويكون الشرب بالتدريب بعد التدريب والتهديب فيسقى كل منهم على قدره فمنهم من يسقى بغير واسطة والله تعالى يتولى ذلك ومنهم من يسقى من وجه الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين والصديقين والعارفين فمنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيئاً فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعد بالرى وبعد بالسكر والمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما أن السكر أيضاً كذلك رضى الله عنه وفى السكر برؤية الكأس قلت :

حميا برؤيا كاسها سكر ناظر
فكيف بمن من تلك بالكاس يشرب
بها شارب المرح كل مشاهد
جمال جلال ليس عن ذاك يحجب

الحكاية السابعة والستون بعد الأربعمائة

عن أحدهم

قال هل على هلال رمضان فساعة رؤيته أطلعنى الله سبحانه على ليلة قدره أى ليلة هى وعرفنى بها فتحققتها فلما كانت الليلة المعينة ليلة القدر كنت أهرب منهما كما يهرب الغريم من غريمه وأنوارها تضىء وتلمع فى عينى وأنا أقول وعزتك يارب وجلالك ما أحتاج معك إلى ليلة القدر وقال بعضهم أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر وأنشدوا فى معنى ذلك :

لولا شهود جماله فى ذاتى ما كنت أرى ساعة بحياتى
ما ليلة القدر المعظم شأنها إلا إذا عمرت بها أوقاتي
إن المحب إذا تمكن فى الهوى والحب لم يحتج إلى ميقاتي

وقال بعضهم رأيت الملائكة ليلة ستة وعشرين من رمضان فى بعض السنين وهم فى تهيئة كما يتهيأ أهل العرس له قبله بليلة فلما كانت ليلة سبع وعشرين وهى ليلة جمعة رأيت الملائكة تنزل من السماء ومعها أطباق من نور فلما كانت ليلة ثمان وعشرين رأيت تلك الليلة كالتغيظة وهى تقول هب أن لليلة القدر حقاً أمالى حق يرعى انتهى كلامه رضى الله عنه .

قلت لعل تغيظها على الناس لتركهم إحياءها مع كونها جارة لليلة القدر وحق الجار أن يكرم بشيء مما أكرم به جاره وأما أطباق النور المذكورة فلعلها هدية إلى من أحيا ليلة القدر الشريفة ومن أناله الله تعالى شيئاً من بركة تلك الليلة والله أعلم وقد ذكر أحدهم أنه رأى فى ليلة القدر كل شيء ساجداً لله عز وجل حتى الشجر والحجر ورأى الأنوار قد ملأت الوجود من العرش إلى الفرش .

وقال لى بعض الفقهاء رأيت فى الليلة المذكورة مكتوباً بالنور : ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ الآية .

قلت وهذه إشارة إلى الاهتمام بهذا الدعاء ، وألا يأمن أحد من مكر الله : اللهم إنا نعوذ بك من مكرك ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ (١) .

الحكاية الثامنة الستون بعد الأربعمائة

عن أحد العلماء

قال رأيت الإمام أبا حامد الغزالي رضى الله عنه فى البرية وعليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز وقد كان قبل ذلك يحضر مجلسه فى بغداد مائة عمامة من أبناء الأمراء ،

وقيل كان يدرس لثلثمائة ويحضر مجلسه العلماء الفضلاء والطلبة النجباء، قال فقلت له يا إمام أليس تدرّس العلم ببغداد خيراً من هذا فنظر إلى شزرا وقال لما بزغ بدر السعادة في فلك الإرادة وجنحت شمس الأصول إلى مغارب الوصول :

تركت هوى ليلي وسعدى بمعزل وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادت بي الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل
قلت يعنى قال لسان حال الأشواق وصلت إلى منازل الأحباب فدع عنك تعب
السير والمشاق وقد ذكرت نبذة من مناقبه فى كتاب الإرشاد وقد شهد له خلائق من
الأولياء بالولاية العظمى والمقام العالى الأسنى ودرجة الصديقية وشرف المعالى فلا
التفات إلى ذم كل حاسد مشئوم وكل معاند محروم وكل أعمى عن محاسنه غير
موفق سوف يرى إذا كشف الغطاء وتحقق :

سيدرون فيما بعد يا أم حامد
إذا حجة الإسلام بان مقامه
بيوم به عال مقام محمد
شفيع الورى مولى البرايا مقدما
لمن شرف العلىا وفخر المحامد
لكل الورى ما بين خل وحاسد
عليه صلاة الله زين المشاهد
له مشهد يحلو لكل مشاهد

الحكاية التاسعة والستون بعد الأربعمائة

روى أنه كان سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله عنه إذا طلب منه أحد أن يكتب له عوذة ولم يكن عنده مداد يأخذ الورقة ويكتب عليها بغير مداد فكتب يوماً لشخص بغير مداد فأخذ الشخص الورقة وغاب مدة ثم جاء بها ودفعها إليه ليكتب له فيها ممتحناً له فلما نظر إليها، قال أى ولدى هذه مكتوبة وردها إليه من غير ضجر .
وكان فى حياته رضى الله عنه شخصان قد تحابا فى الله تعالى ولزم كل واحد منهما الآخر وكان اسم أحدهما وهو الأكبر معالى بن يوسف واسم الآخر عبد المنعم فمكثا على ذلك سنين فلما كان بعض الأيام خرجا إلى الصحراء وجلسا يتحدثان فسأل عبد المنعم الشيخ معالى عما حصل له فى ملازمته إياه فى تلك المدة وأمره الشيخ معالى أن يتمنى فقال عبد المنعم أى سيدى أريد الساعة كتاب عتقتنا من النار ينزل علينا من السماء، فقال الشيخ معالى إن كرم الله واسع وفضله لا يحد فبينما هما كذلك إذ سقطت عليهما ورقة بيضاء من السماء، فقال الشيخ معالى لعبد المنعم خذ هذه الورقة فقام وأخذها فلم ير فيها شيئاً مكتوباً فقال قم بنا إلى سيدى أحمد حتى نعرضها عليه فأتياه ودفعاً إليه الورقة ولم يعرفاه ما جرى لهما فنظر فيها ثم خر ساجداً لله تعالى فلما رفع رأسه من سجوده قال : (الحمد لله الذى آرانى عتق أصحابى من النار فى الدنيا قبل الآخرة) فقيل له أى سيدى هذه الورقة بيضاء ما فيها

شيء من الكتابة فقال أى أولادى يد القدرة لا تكتب بسواد وهذه مكتوبة بالنور ، ثم دفعها إليهما فلما مات عبد المنعم جعلت فى كفته رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم .

الحكاية السبعون بعد الأربعمائة

روى أن الشيخ جمال الدين خطيب أونية بضم الهمزة وكسر النون وفتح الياء المثناة من تحت كان من كبار أصحاب سيدى أحمد قدس الله روحه وكان فى أونية بستان فأراد أن يشتريه لضرورة دعوته إلى شرائه فطلب يوما من سيدى أحمد أن يرسل إلى صاحب البستان وهو الشيخ إسماعيل بن عبد المنعم شيخ أونية ويكلمه فى بستانه ويشتريه منه فقال سيدى أحمد سمعا وطاعة أى أخى أنا أمشى إليه ثم قام ومشى معه إلى صاحب البستان وكان منزله فى أونية فشفع إليه فى البيع المذكور فأبى فكرر الشفاعة فقال أى سيدى إن اشتريته منى بما أريد بعثك ، فقال أى إسماعيل قل لى كم تريد فى ثمنه فقال أى سيدى تشتريه منى بقصر فى الجنة ، فقال أى ولدى من أنا حتى تطلب منى هذا الطلب منى مهما أردت من الدنيا ، فقال أى سيدى ما أريد شيئا من الدنيا سوى ما ذكرت ، فنكس سيدى أحمد رأسه واصفر لونه وتغير ثم رفعه وقد تبدلت الصفرة بحمرة وقال أى إسماعيل قد اشتريت منك البستان بما طلبت فقال أى سيدى اكتب لى خطك بذلك فكتب له ورقة (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى إسماعيل بن عبد المنعم من العبد الحقير أحمد بن أبى الحسن الرفاعى ضامنا على كرم الله تعالى قصرا فى الجنة تحفه أربعة حدود الأول إلى جنة عدن ، الثانى إلى جنة المأوى ، الثالث إلى جنة الخلد ، الرابع إلى جنة الفردوس بجميع حوره وولدانه وفرشه وأسرته وأنهاره وأشجاره عوض بستانه فى الدنيا والله له شاهد كفيل) ثم طوى الكتاب وسلمه فأخذه ومضى إلى أولاده وهم على الدالية يسقون ذرة كانوا قد زرعوها فى البستان المذكور ، فقال انزلوا فقد بعث البستان المذكور إلى سيدى أحمد فقالوا كيف بعته ونحن محتاجون إليه فعرّفهم بما جرى من حديث القصر وأن خطه فى يده بذلك فأبوا ألا يرضوا إلا أن يجعلهم شركاء فيه فقال انزلوا فهو لى ولكم والله على ما نقول وكيل فرضوا ونزلوا واستولى الخطيب على البستان وتصرف فيه ، ثم بعد مدة يسيرة توفى الشيخ إسماعيل بائع البستان إلى رحمة الله تعالى ، وكان قد وصى أولاده أن يجعلوا ذلك الكتاب فى كفته ففعلوا ودفنوه فلما أصبحوا من الغد وجدوا على قبره مكتوبا : ﴿قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا﴾^(١) رضى الله عنه ونفعنا ببركاتهم آمين .

الحكاية الحادية والسبعون بعد الأربعمائة

حكى أنه خرج سيدى أحمد قدس الله روحه ليلة وقت السحر يتوضأ بين النخيل فمرت به سفن مصعدة فيها الشحنة وجماعة من أتباع ديوان واسط ومعهم جماعة من المدادين وخلفهم جندى من أتباع الديوان فلما نظر الجندى إلى سيدى أحمد قال له أى شيخ قم معنا فقام ومشى قدامهم فأدخله مع المدادين فمر سيدى أحمد معهم حتى وصل إلى القرية المعروفة ببذرية بالباء الموحدة والذال المعجمة والراء والياء المثناة من تحت وقت صلاة الصبح فرآه فقير فصاح واستغاث فاجتمع الفقراء حوله وأكثروا الضجيج فلما علم أصحاب السفينة أنه سيدى أحمد انزعجوا مما وقع منهم وعظم عليهم وجاءوا إليه ووقفوا بين يديه معتذرين مما جرى لهم فقال لهم أى سادة وحياتكم ما كان إلا الخير قضينا لكم حاجة وكسبنا الحسنة وما ضرنا شئ وأنا ما أزال جالسا فى الرواق أعمل شيئاً وأنتم تسخرون ضعيفاً أو من له صنعة وتبتلونهم من صنائعهم وتأثمون فيهم فإذا عرض لكم حاجة بعد فأعلمونى حتى أساعدكم إلى أن أتعب فأرجع فقالوا نحن نستغفر الله مما جرى فتوبنا وارض عنا فتوبهم وقال لهم رضى الله عنكم وعنا، ثم دعا لهم وودعهم فقال له الجندى الذى سخره أى سيدى هؤلاء القوم رضيت عنهم فالعبد الشقى كيف يكون حاله، فقال له الله يرضى عنك، فقال له أى سيدى توبتى فأخذ العهد عليه وتوبه وقال له ربنا يشهد علينا أننا أخوة دنيا وأخرى ثم سعدوا إلى واسط فترك الجندى خدمة أبناء الدنيا والملوك ورجع إلى سيدى أحمد فأخبره بترك الخدمة ولازم طاعة الله سبحانه وتعالى وصار من خيار الناس رحمة الله تعالى عليه ورضوانه.

الحكاية الثانية والسبعون بعد الأربعمائة

عن أحد الأخبار

قال سمعت بالشيخ أبا الفضل بن الجوهري المصرى قدس الله روحه، فخرجت من بلدى وعقدت النية لزيارته فدخلت مصر يوم جمعة فحضرت مجلس وعظه مع جملة الناس فإذا بشيخ بهى المنظر مليح المخطر عليه رياش وأثواب رفيعة وعمامة شرب وطيلسان كذلك وله همة عالية وفناء واسع أو قال دنيا واسعة فقلت فى نفسى هذا ابن الجوهري الذى قيل فيه ما قيل وسارت الركبان بصلاحه ودينه وورعه وكثرة صفاته وقوة إيمانه وصفاء يقينه وهو على هذا الزى واللباس فيقتت متعجبا من ذلك ومضيت وتركته على تلك الحال فبينما أنا سائر فى بعض أزقة مصر وشوارعها إذا

بامرأة تصيح بأعلى صوتها وتنوح وتبكي وتقول وا مصيبتاه وابنتاه وا فضيحتاه، فتقدمت إليها رحمة لها مما تعمل بنفسها وقلت مالك أيتها المرأة وما قصتك فقالت لى يا سيدى أنا امرأة من أرباب البيوتات ولم يكن لى من الأولاد سوى بنية واحدة فريبتها بجهدى وحفظتها بكليتى إلى أن ترعرت واستوت فخطبها منى رجل من المسلمين وصلاح العاملين فعلمت أنه كفاء لها فزوجتها به وهذه ليلة دخولها على بعلمها وقد اعترض لها عارض من الجان فأذهب عقلها فقلت لها شفقة عليها ورحمة لها لا بأس عليك فعلى دواؤها وإصلاح شأنها بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فسكن ما بها ومضت قدامى فلم أزل أتبع أثرها إلى أن أتت بى إلى دار عالية البنيان مليحة الأركان فأذنت لى فصعدت إلى مجلس فيه من جميع الأفتان مما يصلح لأهل العروس والولدان فأمرتنى بالجلوس فجلست، وإذا بابنتها تلتفت يمينا وشمالا مما حل بها من أمر الجان بحكم العزيز المنان مع ما فيها من الحسن والجمال، فقرأت عليها عشر آيات من القرآن على السبع قراءات فتكلم عند ذلك الجان بلسان فصيح يسمعه القريب والبعيد وقال يا شيخ لا تفتخر علينا بقراءاتك على الروايات السبع فنحن سبعون صنفا من الجن الذين أسلمنا على يد على رضى الله عنه يوم بثر ذات العلم ونحن جئنا فى يومنا هذا نصلى وراء الشيخ صالح أبى الفضل بن الجوهرى الذى احتقرته وظننت به ما ظننت فاستغفر الله تعالى من ذلك وأدرك غفلتك بالتوبة إلى ربك، فبينما نحن عابرون على دار هذه الصبية لأجل الصلاة وراء الشيخ الصالح فى هذا اليوم الشريف اعترضتنا فرمت علينا نجاسة فسلم أصحابى وتنجست أنا وحرمتنى الصلاة خلف الشيخ الولى ففعلت بها ما رأيت غضبا عليها، فقلت له بحرمة هذا الشيخ الصالح الذى جئتم إليه من أجل الصلاة وراءه إلا ما خرجت عنها فقال لى سمعاً وطاعة، فخرج عنها فى الحال وعوفيت الصبية من ساعتها وأرخت قناعها على وجهها استحياء منى كأن لم يكن بها شىء ففرحت والدتها بذلك فرحا شديدا وقالت جزاك الله عنا خيرا وسترك كما سترتنا، ثم خرجت فى ساعتى وقد عقدت النية لزيارة الشيخ المذكور فلما رآنى مقبلا إليه تبسم ضاحكاً وقال لى أهلا وسهلا بالشيخ أبى بكر الذى ما صدق بخبرنا حتى أخبره الجان عنا ف وقعت عند كلامه هذا مغشيا على ، وأقمت فى السماع مدة ولزمت صحبة الشيخ فى زاوية من رباطه بعد أن تبت إلى الله عز وجل ألا أنكر كرامات الصالحين رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين .

قلت) وبلغنى أن الشيخ الكبير العارف أحمد بن الجعد اليمنى زار فى بدايته الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عيسى المعروف بالهتار اليمنى فرأى عليه ثيابا جميلة وبزة فتغير اعتقاده ورجع إلى خلفه فناده الشيخ عيسى تعال يا غلام إنى لم ألبس هذه حتى أبليت فى الله تعالى كذا وكذا جلدا فزال عنه ذلك وأتى إليه وسلم عليه وطلب منه الدعاء رضى الله عنهما أمين .

الحكاية الثالثة والسبعون بعد الأربعمائة

حكى أن سفيان الثورى رضى الله عنه كلمه أصحابه لما رأوا ما هو عليه من شدة الخوف وكثرة المجاهدة والجهد ، فقالوا له ياشيخ لو نقصت عن هذه المجاهدة التي نراها بك نلت مرادك إن شاء الله تعالى ، فقال لهم كيف لا أجتهد كل الاجتهاد وقد بلغنى أن أهل الجنة يكونون فى منازلهم فيتجلى لهم نور عظيم تضىء له الجنان الثماني من شدة ضيائه وحسن بهائه فيظنون أن ذلك نور من قبل الله سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين ، فينادى مناد ارفعوا رءوسكم ليس هو الذى تظنون إنما هو نور حورية تبسمت فى وجه زوجها فظهر من تبسمها هذا النور فليس يا إخوانى يلام من اجتهد فى طلب الخور الحسان فكيف بمن يطلب المولى الرحمن ثم أنشأ يقول :

ما ضر من كانت الفردوس منزله ماذا تحمل من بؤس وإقتار
تراه يمشى نحىلا خائفا وجلا إلى المساجد يسعى بين أطمار
يا نفس مالك من صبر على النار قد حان أن تقبلى من بعد إدار

الحكاية الرابعة والسبعون بعد الأربعمائة

عن أبى سليمان الدارنى رضى الله عنه

قال قصدت سنة من السنين الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام على قدم التجريد فبينما أنا سائر فى بعض الطريق إذا أنا بشاب حسن الثياب من أهل العراق سائر يقصد معى ما أقصد فكان إذا سارت الرفقة قرأ كتاب الله تعالى ، وإذا نزلوا صلى وهو مع ذلك نهاره صائم وليلة قائم لم يزل هذا دأبه حتى وصلنا مكة شرفها الله تعالى فأراد الشاب مفارقتى وتوديعى ، فقلت له يا بنى ما الذى هيجك لما رأيته منك فقال يا أبا سليمان لا تلمنى فإنى رأيت فى منامى قصراً من قصور الجنة لبنيها لبنة من ذهب ولبنة من فضة وكذلك شراريفه وبين كل شرافتين حورية لم ير الرءاؤون مثلها لما بها من الحسن والجمال والبهاء والكمال وقد أرخين ذوائب شعورهن فتبسمت إحداهن فى وجهى فأنارت الجنة بنور ثناياها ثم قالت يا فتى جد لله تبارك وتعالى فى طلبى لأكون لك وتكون لى ، ثم استيقظت من

منامى فهذه قصة حالى فحقيق على يا أبا سليمان أن أجد فمن جد وجد وما رأيت
منى من الاجتهاد فهو فى خطبة حورية، قال فسألته الدعاء لى ولإخوانى فى الله
تعالى، ثم سار عنى .

قال أبو سليمان فعابت نفسى فقلت يا نفس تيقظى واسمعى هذه الإشارة التى
هى بشارة إذا كان هذا الاجتهاد كله فى طلب حورية فكيف بمن يطلب رب الحورية
عز وجل .

(قال المؤلف) أحسن الله تعالى خاتمته: هذه المنامات التى يراها الصالحون
أسرار يظهرها الحق سبحانه لهم فى مرآة القلوب الصافية بالرؤيا الصالحة التى هى
جزء من أجزاء النبوة يبشرهم ويعظمهم بها ليزدادوا جدا وزهدا وليسوا كأمثالنا الذين
نوعظ ولا نتعظ .

ومن المواعظ العجيبة ما اتفق فى أيام سماع هذا الكتاب على وذلك أن بعض
الناس قالت له نفسه ليت أحدا يبيعك جارية للتسرى ويصبر عليك بثمانها إلى الموسم
ثم تبيعها فبينما هو كذلك إذ جاء بعض الفقراء المباركين قبل أن يطلع على ذلك أحد
غير الله سبحانه وتعالى، فقال له رأيت فى المنام كأنك فى قبة يعلوها نور وكأنك
عندك جارية وكأن خارج القبة سبعا من الحور العين ذوات جمال فائق ورؤية فاخرة
وهن مشتاقات إليك قالت واحدة منهن وهى تشير إليك هذا الشيخ مجنون وأنا
أعشقه وهو يعشق هذه الجارية قلت وفى هذا المعنى أقول :

يا عاشقا للغوانى مغرما بهوى دار الغرور وعيش شيب بالكدر
إن الغوانى الحسان الحور مسكنها دار السرور على فرش على السرر
فى سندس الفرش أقمار على سرر من اليواقيت فى قصر من الدرر
يشاهد المخ فى الساقين ناظرها من فوق سبعين ملبوسا من الحبر
قد طرن شوقا إلى أزواجهن كما يشناق للغائب المحبوب فى السفر

الحكاية الخامسة والسبعون بعد الأربعمائة

حكى أن إحدى الصالحات وهى شعوانة رضى الله عنها رزقت ولدا فربته
أحسن تربية فلما كبر ونشأ قال لها سألتك بالله يا أمه ألا ما وهبتى لله سبحانه
فقلت يا بنى لا يصلح أن يهدى للملوك والرؤساء إلا أهل الأدب والتقوى وأنت يا
ولدى غرٌّ . لا تعرف ما يراد بك ولم يأن لك ذلك فأمسك عنها ولم يقل لها شيئا،
فلما كان ذات يوم خرج إلى الجبل ليحتطب ومعه دابة له فلما توسط الجبل نزل عن
الدابة وأقبل يحتطب ويجعل فى حبله حتى جمع حزمة وربطها وجاء يطلب الدابة

ليحمل عليها الخطب فوجد السبع قد افترسها فجعل يده فى رقبة السبع وقال له يا كلب الله وحق سيدى لأحملنك الخطب كما تعديت على دابتي فحمل على ظهره الخطب وجعل يقوده وهو طائع لأمره حتى وصل إلى دار أمه فقرع عليها الباب فقالت من بالباب فقال ولدك الفقير إلى رحمة الله رب الأرباب، ففتحت له فلما رأت الخطب على ظهر الأسد قالت يا بنى ما هذا فحكى لها القصة فسرت بذلك وعلمت أن الله جل جلاله قد عنى به واصطفاه لخدمته، فقالت أما الآن يا بنى قد صلحت لخدمة الملوك اذهب فقد وهبتك لله عز وجل وأنت وديعتى إياه فودعها وشيعته بالدعاء ثم أنشأت تقول :

جعل الرضا لسباقه ميدانا فجرى وأطلق من يديه عنانا
فتقدم السباق فى غسق الدجى يطوى القفار ويطلب الأوطانا
هجر الخلائق والعلائق فى رضا محبوبه وتجنب الإخوانا
شرب الظما حتى تعطش قلبه فغدا وراح من الظما ريانا

رضى الله عنهما ونفعنا بهما وجميع الصالحين

الحكاية السادسة والسبعون بعد الأربعمائة

عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال كنت فى البادية قاصداً مكة فغلبنى العطش فملت إلى حى بنى مخزوم فرأيت جارية صغيرة حسناء جميلة وهى تترنم بالأشعار فعجبت منها لصدور ذلك عنها وهى من جملة الصغار فقلت لها يا هذه الجارية أما فىك حياء، فقالت مه ياذا النون إنى شربت البارحة بكأس الحب مسرورة فأصبحت اليوم فى حب مولاي مخمورة فقلت لها يا جارية أراك حكيمة فأوصينى بوصية فقالت يا ذا النون عليك بالسكوت والرضا من الدنيا بالقوت حتى تزور فى الجنة الحى الذى لا يموت، فقلت لها هل عندك ماء فقالت أنا أدلك على الماء فظننت أنها تدلنى على بئر ماء أو عين، فقلت نعم فقالت إن الناس يسقون يوم القيامة على أربع مراتب ففرقة يسقيهم الملائكة قال الله تعالى : ﴿بيضاء لذة للشاربين﴾^(١) وفرقة يسقيهم رضوان خازن الجنة قال الله عز وجل : ﴿ومزاجه من تسنيم﴾^(٢) وفرقة يسقيهم المولى جل جلاله وهم الخواص من عباده قال الله تعالى : ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾^(٣) فلا تعطى سرك فى دنياك غير مولاك

(٢) سورة المطففين : الآية ٢٧ .

(١) سورة الصافات : الآية ٤٦ .

(٣) سورة الإنسان : الآية ٢١ .

حتى يسقيك مولاك فى عقباك رضى الله عنها .
(قلت) هكذا وقع فى الأصل ذكر ثلاث فرق وليس فيه ذكر الرابعة ولعل ذلك والله أعلم وفرقة تسقيهم الولدان قال عز من قائل : ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾^(١) وتكون هذه الفرقة فى الترتيب غير الأخيرة وتكون الأخيرة هى الفرقة التى سقاهاهم ربهم شرابا طهورا لأن الختام لا يكون إلا بالأفضل الأشرف الأكمل والله سبحانه وتعالى أعلم .

الحكاية السابعة والسبعون بعد الأربعمائة عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا أطوف إذ لمع نور فلحق بعنان السماء فتعجبت منه فأتممت طوافي وأسندت ظهري إلى الكعبة أفكر فى ذلك النور فسمعت صوتا شجيا بنغمة حسنة فتتبع الصوت فإذا أنا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول :

أنت تدرى يا حبيبي . من حبيبي أنت تدرى
ونحول الجسم والدمع ييوجان بسرى
قد كتمت الحب حتى ، ضاق بالكتمان صدرى

قال فلما سمعت قولها انتحبت وبكيت ثم قالت إلهى وسيدى ومولاى بحبك لى إلا ما غفرت لى ، فقلت يا جارية أما يكفيك أن تقولى بحبى لك حتى تقولى بحبك لى فمن أين علمت أنه يحبك فقالت إليك عنى يا ذا النون أما علمت أن لله تبارك وتعالى أقواما يحبهم ويحبونه أحبهم قبل أن يحبوه أما علمت قول الحق سبحانه : ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾^(٢) فسبقت محبته لهم محبتهم له فقلت لها من أين علمت أنى ذو النون ، فقالت يا بطل جالت القلوب فى ميدان الأسرار فعرفتك بمعرفة العزيز الجبار فقلت إنى أراك ضعيفة البدن نحيلة الجسم فهل بك علة فأنشأت تقول :

محب الله فى الدينا عليل تطاول سقمه فدواه داه
كذا من كان للبارى محبا يهيم بذكره حتى يراه

ثم قالت انظر من خلفك فالتفت ورائى فلم أجد أحدا فرددت وجهى نحوها فلم أرها ولم أر أين ذهبت وأنا فى كل وقت أتوسل إلى الله عز وجل بها فأرى ببركتها القبول والإجابة رضى الله عنها ونفعنا بها آمين .

(٢) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

(١) سورة الواقعة : الآيتان : ١٧ ، ١٨ .

الحكاية الثامنة والسبعون بعد الأربعمئة عن أحد الصالحين

قال كنت متوجها من منى إلى عرفات فلقيتني جارية عليها مسح من شعر وقناع من صوف ويدها، سبحة وعكاز وعلى وجهها نور الطاعة والعبادة وهى مهرولة فى مشيتها تقول الله الله، فقلت فى نفسى هذه جارية مدعية فقلت ويعلم ما تبدون وما تكتمون فعلمت أنها ولية لله تعالى فقلت لها يا جارية كلى بك مشغول فقلت يا مسكين وكلى لك مبدول ولكن ورائى من هو أحسن منى فالتفت فلم أر أحداً فقلت بعلو صوتها يا مدعى يا كذاب ما هكذا فعل الأحابب بالأحابب، أما الأول فأنت أسأت الظن بخدام رب الأرباب أما لو جئت إليه حقاً وعرفته صدقا لا وقفك على بابهِ لما رأيناك من قريب حسيناك عارفا فلما كلمتنا حسيناك عاشقا ولو كنت عابدا له ما اشتغلت بغيره، ولو كنت عارفا به ما رجعت منه إلينا، ولو كنت عاشقا لنا ما رجعت منا إلى سوانا، ثم هربت عنى مسرعة وهى تقول ما مع الله سوى الله حتى غابت عنى رضى الله عنها.

(وحكى) عن الشبلى رضى الله عنه أنه أتاه جماعة من المارستان فقال لهم أيش أنتم فقالوا محبوك يا أبا بكر فرماهم بالحجارة فهربوا فقال يا كذابون أين المحبة لو صدقتم فى محبتكم لما هربتم رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية التاسعة والسبعون بعد الأربعمئة

حكى أنه كان فى بنى إسرائيل امرأة عابدة وكانت ابنة ملك ملوكهم فخطبها رجل من أبناء الملوك فأبت أن تتزوج به ثم قالت لجارية لها انطلقى والتسمى لى رجلا ورعا زاهدا ناسكا فقيرا، فانطلقت الجارية فوجدت فقيرا عابدا ورعا فجاءت به إلى مولاتها فقلت له إن شئت أن تتزوج بى ذهبت معك إلى من يعقد نكاحى عليك ففعل فعقدوا النكاح ثم قالت له انطلق بى إلى أهلك فقال والله ما أملك إلا هذا الكساء الذى على ظهري هو دنارى بالليل ولباسى بالنهار فقلت إنى قد رضيت بك على ذلك فانطلق بها إلى أهله وكان يكسب بالنهار ويأتيها بالليل بما تفرط عليه ولم تكن تفرط بالنهار بل تصوم تطوعا لله تعالى، وكان إذا أتتها بشيء أفطرت عليه وحمدت الله تعالى على كل حال قالت الآن تفرغت للعبادة فلما كان ذات يوم لم يفتح عليه بشيء يأتيها به ففزع من ذلك وشق عليه وقال زوجتى جالسة فى بيتها وهى صائمة تنتظر شيئا آتياها تفرط عليه فتوضأ وصلى ودعا ربه تبارك وتعالى، وقال يارب إنك تعلم ما أسألك لدنياى وإنما ذلك لرضا زوجة صالحة، اللهم ارزقنى رزقا من لدنك فإنك خير الرازقين قال فنزلت عليه لؤلؤة من السماء فأخذها وذهب بها

إلى امرأته فلما نظرت إليه راعها ذلك وقالت له من أين أتيت بهذه اللؤلؤة التي لم أر مثلها قط عند أهلى ، فقال لها طلبت اليوم قوتا فلم يفتح لى بشيء فقلت امرأتى فى بيتها تنتظر ما آتيتها به تفطر عليه وهى بنت ملك ولا أقدر أذهب إليها بغير شيء فدعوت ربي سبحانه وتعالى فرزقنى هذه اللؤلؤة من السماء فقالت ارجع إلى مكانك الذى دعوت الله تعالى فيه فابتهل إليه واسأله وقل اللهم سيدى ومولائى إن كان هذا شيئا رزقتنا فى الدنيا فبارك لنا فيه وإن كان مما ادخرته لنا فى الآخرة الباقية فارفعه ففعل الرجل ذلك فرفعت اللؤلؤة فرجع إليها فأخبرها بذلك فقالت الحمد لله الذى أرانا ما ادخر لنا فى الآخرة ثم قالت لا أبالى الآن ألا أقدر على شيء من هذه الدار الفانية وشكرت الله تعالى على ذلك رضى الله عنهما .

الحكاية الثمانون بعد الاربعمائة

عن أحمد بن عبد الله المقدسى رحمه الله

قال صحبت إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه فسألته عن بداية أمره وما كان سبب انتقاله من الملك الفانى إلى الملك الباقى فقال لى يا أخى كنت جالسا يوما فى أعلى قصر مملكتى والخواص على رأسى ، فأشرفت من الطاق فرأيت رجلا من الفقراء جالسا بفناء القصر ويده رغيص يابس قبله بالماء وأكله بملح جريش وأنا أنظر إليه إلى أن فرغ من أكله ثم شرب شيئا من الماء وحمد الله تعالى وأثنى عليه ونام فى فناء القصر فألهمنى الله سبحانه الفكر فيه فقلت لأحد مماليكى إذا قام ذلك الفقير فأتنى به فلما انتبه من نومه قال له الغلام يا فقير إن صاحب هذا القصر يريد أن يكلمك فقال (باسم الله وبالله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) وقام معه ودخل على فلما نظر إلى سلم على فرددت عليه السلام وأمرته بالجلوس فجلس فلما أطمأن ، قلت له يا فقير أكلت الرغيص وأنت جائع فشبعت قال نعم ، قلت ورششت الماء على شهوة فرويت قال نعم ، قلت نمت طيبا بلاهم ولا غم فاسترحت قال نعم ، فقلت فى نفسى وأنا أعاتبها يا نفس ما أصنع بالدنيا والنفس تقع بما رأيت وسمعت فعقدت التوبة فى تلك الساعة مع الله تعالى فلما انصرم النهار وأقبل الليل لبست مسحا من الشعر وقلنسوة من الصوف وخرجت حافيا سائحا إلى الله تعالى فلهقنى رجل حسن الوجه والثياب طيب الرائحة فتقدمت إليه وصافحته وسلمت عليه فرد على السلام وقال لى يا إبراهيم أين تريد فقلت هربت منه إليه فقال لى أنت جائع قلت نعم فقام الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين وقال لى قم فصل كما صليت ففعلت

ذلك والتفت فإذا عن يمينه طعام موضوع وماء بارد فقال لى يا ابن أدهم تقدم وكل من فضل الله تعالى واشكر ربك على ذلك فتقدمت وأكلت من الطعام كفايتى وهو باق على حاله وشربت من ذلك الماء وحمدت الله تبارك وتعالى، فقال لى الشيخ يا ابن أدهم اعقل وافهم ولا تستعجل فى أمورك فإن العجلة من الشيطان واعلم أن الله تعالى إذا أراد بالعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل فى قلبه سراجا من نور قدسه يفرق بين الحق والباطل ويصبر به عيوب نفسه وإنى أريد أن أعلمك اسم الله الأعظم فإذا أنت جعت أو عطشت فادع الله تعالى به فإنه سيشبعك ويرويك، يا ابن أدهم إذا جالست الأخيار والفقراء فكن لهم أرضا يطئونك ولا تغضبهم فإن الله عز وجل يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم، قال ثم علمنى الاسم الشريف المنيف ثم قال أستودعك الله الحى القيوم الذى لا يموت ثم حجب عنى فأخذت الطريق فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة مليح البزة فسلمت عليه فرد على السلام وقال ما حاجتك يا ابن أدهم ومن لقيت فى سفرك هذا فقلت لقيت شيئا من صفته كذا وكذا وعلمنى كذا وكذا فبكى الفتى وأبكاني فقلت له يا سيدى أقسمت عليك بالله تعالى من ذلك الشيخ ومن أنت قال أما الشيخ فأخى إلیاس وأنا أبو العباس الخضر عليهما السلام قال فصرحت فرحا شديدا والتزمته إلى صدرى وقبلت ما بين عينيه وصافحته وسألته الدعاء فدعا لى بالثبات والعصمة ثم غاب عنى فلم أدر أين ذهب فهذه قصة حالى فى ابتداء أمرى رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

(قلت) هذه إحدى الروایتين فى بداية أمره والرواية الأخرى هى المشهورة وهى ما قدمنا فى أول الكتاب أنه خرج يصطاد فهتف به هاتف على ما تقدم والله تعالى أعلم.

الحكاية الحادية والثمانون بعد الأربعمئة

عن محمد بن يعقوب الخراسانى رضى الله عنه

قال خرجت من بلدى على نية السياحة والتوكل فلم أزل على ذلك إلى أن أتيت بيت المقدس ثم وقفت فى مغارة فى تيه بنى إسرائيل فمكثت أياما لم أطعم طعاما ولم أشرب شرابا حتى أشرفت على الموت فبينما أنا كذلك إذ رأيت راهبين يسيران وهما أشعثان أغبران فملت إليهما وسلمت عليهما وقلت لهما أين تريدان فقالا لا ندرى فقلت أفترديان أين أنتما فقالا نعم نحن بمملكته وبين يديه قال فأقبلت على نفسى بالملامة والمعاتبة أقول لها يا نفس

هذان الراهبان قد ثبتا على التوكل دونك مع كونهما كافرين ثم قلت لهما أما تأذنان لى فى صحبتكما قالوا يكون خيرا إن شاء الله تعالى ، قال فسرنا جميعا فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما ومعبودهما وقمت إلى صلاتى ومعبودى فصليت المغرب بالتييم فنظرا إلى وقد تيممت بالتراب فتبسما ضاحكين فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما الأرض بيده فإذا بالماء قد ظهر كأنه اللؤلؤ على الصفا فبقيت باهتا ، ثم التفت فإذا بطعام موضوع عن يمينه فتعجبت من ذلك فقالت لى ، مالك باهتا متعجبا تقدم وتناول من الطعام الحلال واشرب من بارد هذا الماء الزلال واعبد ربك الكريم ذا الجلال ، قال فتقدمت وأكلنا جميعا من الطعام وشربنا من الماء ثم توضأت للصلاة وقضيت صلاتى ثم غار الماء كأنه لم يكن فقاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاتى فى جانب آخر حتى أصبح الصباح ثم قاما يسيران فسرت معهما إلى الليل فلما أمسينا تقدم الراهب الثانى فصلى ودعا بدعوات خفية ثم بحث الأرض بيده فنبع الماء كما نبع لصاحبه وإذا بطعام موضوع عن يمينه ثم قال لى تقدم وكل واشرب وأعبد ربك فأكلنا وشربنا وتوضأنا للصلاة ثم غار الماء كأنه لم يكن ، فلما كانت الليلة الثالثة قال لى يا محمد الليلة ليلتك والنوبة نوبتك قال فاستحييت من قولهم وداخلى من ذلك أمر عظيم فقلت لهما يكون خيرا إن شاء الله تعالى ، ثم عدلت عنهما إلى جانب وصليت ركعتين وقلت (اللهم سيدى ومولائى إنك تعلم أن ذنوبى كثيرة لم تدع لى عندك جاها ولا وجهها ولكن أسألك بالوجيه الكريم ذى الجاه الجسيم محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ألا تخجلنى بينهما) فلما فرغت من دعائى التفت فإذا أنا بعين ماء جارية وطعام عن يمينى موضوع فقلت لهما تقدما وكلا من فضل الله تعالى فتقدما وأكلنا وشربنا وحمدنا الله على كل حال ولم نزل على ذلك إلى أن بلغت النوبة الثانية فدعوت الله تعالى بمثل ما دعوته أولا فإذا أنا بالماء قد نبع والطعام قد حضر فلما بلغت النوبة الثالثة دعوت الله تعالى بمثل ما دعوت به فيما تقدم فإذا بطعام اثنين وشراب اثنين فأنكر قلبى فقالت لى يا محمد من أين حدثت عليك هذه الحادثة أما ترى فى طعامك وشرابك تقصيرا فقلت لهما أما تعلمان أن هذا الأمر مردود إليه ونحن تحت حكمه ومشيئته وديننا ومذهبنا يقتضى ذلك أعنى عسرا ويسرا وشدة ورخاء ومنعا وعطاء حتى يجرب صبرنا فقالت لى صدقت يا محمد إن هذا رب عظيم ودين سليم مد يدك فنحن نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن دين الإسلام حق وما سواه باطل ، فقلت لهما يا أخوتاه

هل لكما أن نمضى إلى بعض المدن برسم الجمعة والجماعة فالجمعة حج المساكين فقالوا لى ذلك رأى سديد وفعل رشيد، فبينما نحن نسير على عزم ذلك إذ أشرفنا على عمارة وكانت ليلة مظلمة وإذا نحن ببيت المقدس فدخلناه وأقمنا به مدة طويلة نعبد الله تعالى ورزقنا يأتينا من حيث لا نحسب إلى أن قضينا نحبهما وقدمنا على ربهما رضى الله تعالى عنهما.

الحكاية الثانية والثمانون بعد الأربعمئة

حكى أن معروفا الكرخى رضى الله عنه مر على شاطئ الدجلة فجلس ليتوضأ فوضع مصحفه وثوبه فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها معروف حتى لحقها فى مكان خال لثلا يهتكها فقال لها لا بأس عليك أيتها المرأة أنا معروف الكرخى يا أختى هل لك ولد يقرأ قالت لا قال فزوج قالت لا قال فأخ قالت لا قال فادفعى إلى المصحف وخذى الثوب وأنت منه فى حل دنيا وآخرة، فاستحيت المرأة منه حياء شديدا ثم قالت أنا تائبة إلى الله عز وجل لا أعود إلى مثلها أبدا ففرح معروف بتوبتها وخصها بدعوة ومضى كل منهما لسبيله وحلت عليها بركة معروف رحمة الله عليهما.

حكى أن الربيع بن خثيم رضى الله عنه كان ذات يوم قائما يصلى وفرسه مربوطة قدامه فجاء سارق فحل الفرس وركبها ومضى وهو يراه فلم يقطع صلاته وكان قيمة الفرس عشرين ألف درهم فجاء أصحابه يلومونه ويقولون له يا ربيع أيش هذا التفريط تنظر السارق يأخذ جوادك وأنت ساكت أما كنت تقطع الصلاة وتسترده منه ثم تعود إلى صلاتك فقال لهم يا قوم كنت فيما هو أهم على، أو قال أحب إلى من الفرس ومن مائة ألف فرس وقد جعلته فى سبيل الله تعالى رضى الله عنه.

قلت وبلغنى أن الشيخ الإمام محيى الدين النووى رضى الله عنه خطف سارق عمامته وهرب فتبعه الشيخ وصار يعدو خلفه ويقول له ملكتك إياها قل قبلت والسارق ما عنده خبر من ذلك.

الحكاية الثالثة والثمانون بعد الأربعمئة

حكى عن ذى النون رضى الله عنه أنه قال رأيت بعض أصحابى فى النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى ببركتك ومحبتى فىك وأدخلنى الجنة وعرض على منازل فىها قال ذلك ووجهه حزين فقلت له مالى أراك حزينا وقد دخلت الجنة وتنعمت فيها فتنفس الصعداء ثم قال يا ذا النون لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم ذلك قال لما رأيت منزلى فى الجنة رفعت لى مقامات فى عليين ما

رأيت مثلها فلما رأيته فرحت فرحا شديدا وهممت بدخولها فناداني من فوقها اصرفوه عنها فليس له هذه إنما لمن أمضى في سبيل الله تعالى ، كلما أصابه شيء من أمور الدنيا قال في سبيل الله ثم لا يرجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك النيل رحمه الله تعالى .

(وعن أبي الحسن) الدمشقي رحمه الله تعالى عليه قال رأيت منصور بن عمار الواعظ رضى الله عنه فى المنام فقلت له ما فعل الله تعالى بك فقال لى قال ربى جل جلاله وتقدسأ أسماءه يا منصور بن عمار فقلت نعم يارب ، فقال أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا وترغبهم فى الآخرة قلت قد كان ذلك ياربى ولكنى ما جلست مجلسا إلا وبدأت بالثناء عليك وثنيت بالصلاة على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وثنيت بالنصيحة لعبادك فقال صدقت ضعوا له كرسيًا يجردنى فى سمائى بين ملائكتى كما كان يجردنى فى أرضى بين عبادى رضى الله عنه . قلت هكذا هو فى الأصل الذى نقلت منه تزهد الناس فى الدنيا وترغبهم فى الآخرة وقد كنت رأيته فى كتاب آخر تزهد الناس فى الدنيا وترغب أنت فيها وهذا هوالمطابق بسياق هذا الكلام لأنه مشعر بنوع ملام فاستدركه بما ذكر فيه من الأشياء المحمودة المقام رضى الله عنه .

الحكاية الرابعة والثمانون بعد الأربعمائة

حكى أنه أمسك الغيث عن بغداد حتى كاد أهلها يهلكون فاغتسلوا وتطهروا وخرجوا إلى الصحراء يسألون الله عز وجل أن يسقهم غيئه يوما بعد يوم ، فلم يسقوا وكان ذلك فى خلافة هارون الرشيد رحمه الله فبينما هم كذلك يلوذون ويتوسلون ، إذا برجل قد أقبل من صدر البرية أشعث أغبر ذى طمرين ومعه ثلاث بنات عذارى كأحسن البنات ، فوقف فى أطراف الناس وسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال يا قوم مالكم وقوفا مجتمعين فقالوا يا شيخ إنا ندعو بالله عز وجل أن يسقينا غيئه فلم يسقنا فقال يا قوم أهو غائب عنكم فى المدينة حتى خرجتم إلى الصحراء ، أليس هو سبحانه و تعالى فى كل مكان موجودا أما قال تبارك وتعالى فى محكم تنزيله : ﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾^(١) فبلغ هارون الرشيد خبره فقال هذا كلام رجل بينه وبين مولاه سريرة ثم قال اتئوتنى به فلما حضر بين يديه وتسالما صافحه هارون وأجلسه بين يديه ، ثم قال يا شيخ ادع الله تعالى أن يسقينا عسى أن يكون لك عنده جاه فتبسم الشيخ وقال أتريدون أن أدعو لكم إلهى وسيدى ومولاي فقالوا نعم ،

فقال توبوا بنا جميعا إلى الله عز وجل فنودى فى الناس بالتوبة فتابوا وأنابوا ثم تقدم الشيخ فصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم أخذ ثيابه عن يساره وعن يمينه وبسط يديه وأسبل دمعته ودعا فما أتم الدعاء إلا والسماء قد تجللت بالسحاب وأرعدت وأبرقت وأسبلت مطرا كأفواه القرب فاستبشر الرشيد بذلك واجتمع إليه خواصه وأهل مملكته يهتونه ويبشرونه فقال على بالشيخ الصالح فطلبوه فوجدوه فى مكانه ساجدا فى الماء والطين لله رب العالمين فقالوا لبناته ما لأبيكن هكذا لا يرفع رأسه فقلن هذه عادته إذا سجد لله تعالى لا يفيق ولا يرفع رأسه إلى ثلاثة أيام فأخبروا بذلك الرشيد فبكى بكاء شديدا، وقال اللهم إنى أسألك وأتوسل إليك بحرمة الصالحين أن تهيننا لهم وتفويض علينا جزيل بركاتهم بفضلك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الخامسة والثمانون بعد الأربعمائة

عن السرى رضى الله عنه

قال مررت يوما فى بعض البرارى مع جماعة من إخوانى على قصر قد أناخ عليه الزمان بكلكله فهدم أركانه وحطم بنيانه وقد بقيت معالته وأبوابه وعلى الأبواب كتاب مكتوب فنفضت التراب عن ذلك الكتاب ثم تأملته فإذا هو مكتوب فيه :

هو السبيل فمن يوم إلى يوم
إن المنايا وإن أصبحت فى شغل
كفرحة النائم المهجوع فى النوم
تقوم حولك حوما أيعا حوم
لا تعجلن رويدا إنها دول
دنيا تنقل من قوم إلى قوم

قال فدخلت القصر أنا وأصحابى فإذا بقبة فى وسطه من الزمرد الأخضر مرصعة بالدر والياقوت والجوهر قد علاها الغبار من تطاول السنين والأعمار معلقة على أربعة أعمدة من ياقوت فتأملناها وأطلنا النظر فيها فإذا عليها منقوش هذا النظم :

قف بالقبور وناد المستقر بها
قوم تقطعت الأسباب بينهم
من أعظم بليت فيها وأجساد
قالوا بأن التقى من أفضل الزاد
قال فتأملنا متكأ الملك فإذا عليه مكتوب :

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس
واعلم بأن سهام الموت نافذة
ولو تمنعت بالحجاب والحرس
فى كل مدرع منا ومترس
وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ما كان دينك يرضى أن تدنسه

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجرى على اليبس
وقال غيره:

كم قد وقفت كما وقفنا وكم قرأت كما قرأنا
قلت وذكر بعد هذا البيت بيتين ركيكين ملحونين ليس لهما معنى مليح ولا
صحيح فنظمت عوضهما هذه الثلاثة الأبيات :

وكم لهوت بطيب عيش دهرا نسيت به المماتنا
والآن مت وأنت أيضا لا بد يوما يقال ماتنا
فجد واحذر تكن مثلى كسبت شرا والخير فاتنا

الحكاية السادسة والثمانون بعد الأربعمائة

عن الشيخ أبي يزيد القرطبي رضى الله عنه

قال سافرنا مرة ومعنا رجل من البادية من الصالحين فجتنا إلى خندق كثير الأشجار وكان الرجل له معرفة بالآثار فقال هذا الخندق معمور فنزلنا الخندق مستوفزين وتعلقنا بالجهة الأخرى فلما فارقنا الشجر رأينا ثلاثة نفر بأيديهم السلاح وقد نهضوا ليقطعوا علينا الطريق فاجتمعنا وقلنا أى شىء نعمل، فقال لنا الرجل ذروا الأمر إلى أصله أستم خرجتم لله قلنا بلى قال فاتركوا الأمر على ما هو عليه واتبعونى ولا يلتفت منكم أحد يمينا ولا شمالا، فتقدم الرجل ومشينا وراه والنفر يمشون حذاءنا على غير الطريق فخرجنا عنهم بالمشى حتى رجعوا خلفنا وكنت أنا وراه أصحابى فالتفت فرأيتهم قد ضايقونا كرمية برمح فأعلمت أصحابى بأنهم قد أدركونا وكان البدوى لا يلتفت فوقف عند كلامى والتفت فلما رأيهم قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اللهم أبعد عنا شر هؤلاء الشياطين فقلت له أبصر أى شىء نعمل، فقال وأى العمل قلت هاهو وقت الضحى وقد جوز الاجتماع فى النافلة وأنا أتقدم وأصلى بكم ويمر القوم إن شاء الله تعالى، فقال يا أبا زيد وقد احتجنا إلى أن نختنى منهم قلت أنت أخبر فرفع يده وأشار بالأصبعين السبابة والوسطى وقال قعوا فلقد رأيت النفر وقفوا ولم يقدر أحد منهم يتعدى موضعه ولا يدنو من أصحابه فمشينا ولم يتكلم الرجل بعد ذلك حتى تعلقنا ببعض الشعاب فى مكان آخر يعجزون عنا فيه فوقف الرجل ووقفنا معه، وقال انظروا هؤلاء الشياطين وقوف على حالهم والله لولا تقوى الله عز وجل لمضيت عنهم وتركتهم ولكن اللهم اجعلنا لهم توبة ثم أشار إليهم أن امضوا فما رأيت أحدا منهم إلا وقد قعد على الأرض يتحدث مع

صاحبه ثم رجعوا فى طريقهم من حيث جاءوا ببركة البدوى رضى الله عنه ونفعنا به .

و قال الشيخ أبو العباس بن العريف رضى الله عنه رأيت وليا لله عز وجل فى بعض المساجد أسرج سراجا فجاء فأر فأخذ الفتيلة وكان الرجل قد أخذته سنة فانتبه وقال يا فاسق تحدث شيئا فى المملكة أنا أكون سببه فرأيت الفأر قد عاد إلى السراج فنهاه فلم ينته فغضب وقال للفأر قع فيه قع فيه ، فجاء الفأر فوضع خرطومه على النار فمات فتعجبت منه ثم سألته عن ذلك فقال ما الذى تتعجب منه ذلك تسليط الشرع عليه رضى الله عنه .

(قلت) لعله يعنى بقوله تسليط الشرع عليه قوله ﷺ خمس يقتلن فى الحل والحرم فذكر منهن الفأرة وقد سماها رسول الله ﷺ الفويسقة .
(وقال) أحدهم سمعت صوفيا وقد قرض الفأر حفه يقول له :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى

قلت يعنى لو كنت من القوم الشجعان أولى النجدة والسطوة لم تقدر تتسلط على متاعى وتماى ما استشهد به .

بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا لكننى من بنى عمرو بن شيبانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

والمعنى لو كنت من أهل السيوف الماضية المنتقمين من العدا لخنقتنى أى لو كنت صاحب حال وسيف أى من قبل الحق سبحانه لم تستطع تتعرض لى لكننى لست من أهل النجدة المذكورين المحميين ، فأحتاج أتصف بوصف الآخرين المجسازين الظلم بالمغفرة والإساءة بالإحسان وهذا الوصف وإن كان ممدوحا فى الشرع مندوبا إليه فليس هو ممدوحا مطلقا عند العرب إذ ذاك يؤدى إلى استيلاء بعضهم على بعض قتلا ونهبا بل الحكم عندهم كما قال النابغة :

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرها

الحكاية السابعة والثمانون بعد الأربعمائة

عن الشيخ أبى عبد الله القرشى رضى الله عنه

قال آخر ما تصورت لى الدنيا فى صورة امرأة حسناء شابة بيدها مكنسة وهى فى المسجد الذى كنت فيه تكنسه ، فقلت لها ما جاء بك ، قالت جئت لأخدمك ، فقلت لا والله قالت لأبد فأشرت عليها بعصا كانت معي وعزمت على ضربها فعادت مثلما كانت فقممت لأخرجها فانقلبت عجوزا ضعيفة فرحمتها ، ثم غفلت عنها ،

فعدت شابة فتغيرت عليها وانزعجت لذلك فقالت لى تطيل أو تقصر هكذا أخدك وهكذا خدمت إخوانك فمن ذلك اليوم لم يتعذر على شيء من الأسباب .

(وقال) أيضا كنت بمنى فعطشت ولم أجد ماء ولا شيئا أشتري به فمضيت إلى بئر فوجدت عليها أعاجم فقلت لأحدهم ضع لى فى هذه الركوة ماء فضربنى وأخذ الركوة من يدى ورمى بها بعيدا فمضيت إليها آخذها وأنا منكسر القلب فوجدتها فى بركة ماء حلوا فاستقيت وشربت وجئت بها إلى أصحابى فشربوا وأعلمتهم القصة فمضوا إلى المكان ليستقوا منه لم يجدوا ماء ولا أثرا فعلمت أنها آية .

(وقال) أيضا كنت مرة فى بدر متوجها إلى مكة وكان هناك رجل معه تمر يبيعه للحجاج على أن يأخذ ثمنه بمكة فدفعت لى منه شيئا وألح على فى أخذه وقال وأنا أصبر عليك بئمه إلى مكة وإن مت فأنت فى حل منه ولم يزل بى حتى أخذته منه ، ثم إنه عرض له السفر قبلنا فطالبنى بالثمن فقلت له ما عندى شيء وأنت قلت إنك لا تطلب الثمن إلا بمكة فقال لا بد من الثمن وضيق على وأذانى وشتمنى فدخلت مسجد بدر ودعوت وتضرعت إلى الله تعالى ثم خرجت فلقينى رجل كأنه أعرابى وعليه ثياب الإحرام فناولنى دراهم وعداها فى كفى فذهبت إلى صاحب الدين ففضيته دينه فتضاعفت أذيته وجعل يقول يخبثون الدراهم ويكذبون ويحلفون أن ما معهم دراهم والدراهم معهم فسكت ولم أجابوه بحرف .

ومن كلامه رضى الله عنه من طلب الغايات فى المبادئ فقد أخطأ الطريق ، وقال أيضا رضى الله عنه الزم الأدب وحدك من العبودية ولا تتعرض بشيء فإن أراك له أوصلك إليه .

وقال أيضا رضى الله عنه يسير العمل مع الرعاية منجح .

وقال رضى الله عنه هجم أهل الشرك ببلاد الأندلس على قرية من قراها فدخلوها عنوة فسبوا أهلها وأخذوا معهم أسرى كثيرين فانزعج أهل الأندلس لذلك وبلغ الخبر أن الأسرى يرمى لهم الحشيش مع الخيل وهم مكتفون يأكلون بأفواههم كما ترعى البهائم ، قال فبت فى بعض تلك الليالى عند الشيخ أبى إسحق بن طريف رضى الله عنه فوضع الطعام بيننا ثم تنفس الصعداء بعد أن قال باسم الله ، ثم قال لى يا محمد أما بلغك ما طرأ على المسلمين فقلت نعم فجعل يقص الخبر ويبكى حتى علا بكأؤه ثم قال والله لا أكلت ولا شربت شرابا حتى يفرج الله تعالى عن المسلمين ثم اعتزل عن الطعام ساعة ثم سمعته يقول الحمد لله الحمد لله ثم دنا إلى

الطعام، وقال كل فأكل وأكلت معه وعجبت منه كيف تركه ثم عاد إليه بعد قسمه في ساعته ثم إن الخبير وصل إلينا بعد ذلك أن الوقت الذى تكلم فيه الشيخ صادف أن النصارى سمعوا رجفة عظيمة اعتقدوا أن عسكر المسلمين دهمتهم فركبوا خيولهم ونجوا بأنفسهم وتركوا الغنيمة والأسارى فخلص الله عز وجل المسلمين من أيديهم بغير نصب ولا طلب ثم إن الأسارى انطلقوا بالغنيمة وأعادوها إلى بلاد المسلمين والحمد لله رب العالمين رضى الله عن الجميع آمين.

الحكاية الثامنة والثمانون بعد الاربعمائة عن الشيخ أبى عبد الله القرشى أيضا رضى الله عنه

قال كنت فى بحر جدة ومعى صاحب لى فعطش عطشا شديدا فسألت من يبيعنا ماء بشملة كانت على لم يكن على سواها فلم يبيعنا أحد فقلت لصاحبي خذ هذه الشملة وامض إلى ريس المركب فمضى إليه بركوة فاتهره وصاح عليه وأخذ الركوة من يده وقذف بها فلم تقع فى البحر بل وقعت على المركب فرجع إلى فرأيت ذلته وانكساره وشدة حاجته فعلمت أن الله تبارك وتعالى لا يتركة فأخذ الركوة فملا منها من البحر فشرب حتى روى ثم أخذتها منه فشربت حتى رويت وشرب أيضا من كان إلى جانبي ممن ليس معه ماء ثم ملأتها ثانية فعجنا الدقيق فلما حصل استغناؤنا ملأتها بعد ذلك فوجدتها ملحا على ما نعهد فعلمت أن الحاجة إذا تحققت قلبت الأعيان رضى الله عنه.

(وقال) بعض الشيوخ كنا جماعة من الفقراء فى بعض الأسفار فوصلنا إلى مخاضة من البحر فخضنا حتى توسطنا فرأيت شابا من الجماعة يشرب من الماء بكفه فقلت فى نفسى هل هذا الماء حلو فأخذت منه وذقته فوجدته ملحا فقلت له يا بنى اسقنى فقال لى يا عم اشرب فقلت هو حار وأردت بذلك ستر حاله عنه فدفعت إليه إناء من الفخار فملأه من وسط الماء فشربته أنا والجماعة كلهم حلوا انتهى كلامه .

(قلت) يعنى بقوله أردت ستر حاله أى أخفيت عنه ظهور هذه الكرامة منه وأوهمته أن الماء حلو لكل أحد يشرب ولكنه حار أريد أن أبرده فى إناء الفخار ولما كانت العادة والعرف أن الشبان هم الذين يتولون الخدمة من الاستقساء وغيره سأله يستقى له فى الإناء ستر حاله عنه لئلا يرى أنه مميز عن الجماعة بهذه الكرامة مع

كونه حدثا يخشى عليه العجب وهذا الشيخ المذكور هو أبو زيد القرطبي رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم آمين .

الحكاية التاسعة والثمانون بعد الأربعمائة عن الشيخ أبي الربيع المالقي رضى الله عنه

قال كنت فقدت من بعض أحوالى شيئا فاشتغل سرى بذلك فرأيت ذات ليلة هدهدا جلس قدامى وكلمنى بكلام لم أفهمه ثم طار وجلس على كتفى اليسرى وكلمنى فلم أفهم ما يقول ثم طار وجلس على كتفى اليمنى ووضع فمه فى فمى وجعل يزقنى فانتفخت ثم سمعت خشخشة فى صدرى فتحمست لذلك وعلمت أنه أمر يراد منى، ثم ظهر لى شخصان فتقدم أحدهما فشق عنى صدرى وأخرج قلبى ووضع فى طست فسمعت أحدهما يقول للآخر احفظ شجرة العلم فغسله ثم وضعه فى الجانب الأيمن، ثم لحم الشق فلم أر من ذلك الوقت شيئا خارجا عنى وأخذت عن نفسى فسمعت نداء سل سليمان فقلت أسأل رضاك رضاك، فقال رضيت، رضيت فمن اليوم فتح على فهم القرآن ورؤية القلب فأنا اليوم أرى بقلبى وأسمع القرآن يتلى على من الجانب الأيمن رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

وقال بعض المكاشفين كنت أرى شيطانى فى حال الرياضة ضعيفا عريانا شعنا على أسوأ الأحوال، فإذا هممت به فر أمامى فلما تزوجت سامحت نفسى فى حق الزوجة بزعمى فرأيت فى بعض الأيام قد ظهر لى فهمت به على العادة فلم يهرب منى ولم يلتفت إلى ورأيت مكتسبا فقلت له متى تغيرت حالتك هذه عما أعهد، فقال منذ تزوجت أنت وتغيرت حالتك انتهى كلامه

(قلت) هكذا يطلعهم الله على الزيادة والنقصان ليزدادوا من الخير ويشكروا الله تعالى عليه ويرجعوا عن أسباب النقصان ويتضرعوا إليه حتى يزيل عنهم الصفات المذمومات ويوقفهم للصفات المحمودات بفضله ورحمته فيزكون ويزدادون من الهدى إيمانا مع إيمانهم وقد سمعوا قول الحق الشافى للقلوب والمزِيل عنها الصدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا .

الحكاية التسعون بعد الأربعمائة

عن أبى العباس بن العريف رضى الله عنه

قال كنت يوما قاعدا وإذا برجل غريب قد دخل على المسجد وقال يا سيدى أنت أبو العباس بن العريف قلت نعم، قال راء رأى البارحة رؤيا قلت له قل فقال

كانه يرى فساطيط صغاراً حول العرش وعليهن فسطاط عظيم قد اكتنف الجميع فقال لمن هذا الفسطاط فقيل له للفتيه أبى العباس بن العريف فقال وهذه الصغار فقيل لأصحابه قال أبو العباس رضى الله عنه فتغيرت عليه وقلت له ما حملك على إتيانك بمثل هذه الرؤيا لرجل مذب مثلى، فلما رأى تغيرى قال لى هون على نفسك أيها الشيخ فلعلك قنعت بيسير الرزق من الله تعالى فقنع منك بيسير من العمل قال نعم ثم التفت إليه فلم أره فقلت لأصحابى هذا أناكم يعرفكم فقركم رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين .

(قلت) وبلغنى أن الشيخ الإمام شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه ونفعنا به ذكر بين يديه البلدان ومن فيها من الصالحين حينئذ، فكأنه أشار إلى أن بعض الجهات ما فيها أحد من الرجال فى ذلك الوقت فوقف عليه شخصان فى الحال من أهل تلك الجهة فى زى مشاعلين وقالوا له يا سيدنا نشتهى منك أن تشرفنا بخدمتك وكان يومئذ بمكة جاء إلى الحج فأذن لهما بحمل المشعل وسافر راجعا إلى بلاده، فكان يقول وهم سائرون إنى لأشم رائحة الفقراء من قبل المشعل، فلما بلغوا بعض الطريق سئل عن مسألة غامضة فى علوم المعارف والأسرار المعروفة بالعلم اللدنى لأهل الأنوار فأجال ذهنه فيها وتفكر وأمعن النظر وتدبر ثم وقف وتحير فلما وقف حصان علمه المشهور فى ميدان الامتحان بالسؤال المذكور وقف الشخصان المذكوران بين يديه، وقالوا يا سيدى دستورك نقول شيئا فقال قولا فقالا الجواب والله أعلم كذا وكذا وكشفا القناع عن وجه محاسن الأسرار فى الجواب الشافى للنظار فكشف الشيخ شهاب الدين رضى الله عنه رأسه وقال أستغفر الله وأنصف فيما صدر منه من الكلام فى أهل الجهة المذكورة ثم قال له سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورجعا عنه إلى بلادهما رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم .

الحكاية الحادية والتسعون بعد الأربعمائة

عن الشيخ الكبير أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه

قال نمت ليلة فى سياحتى على ربوة من الأرض فجاءت السباع فطافت بى وأقامت حولى إلى الصباح فما وجدت أنسا كأنس وجدته تلك الليلة فلما أصبحت خطر لى أنه قد حصل لى شىء من مقام الأنس بالله فهبطت واديا وكان هناك طيور حجل لم أرها فلما أحست بى طارت فى دفعة واحدة كلها فخفق قلبى رعبا فسمعت قائلا يقول لى يا من كان البارحة يأنس بالسباع مالك تفزع من خفقان الحجل ولكنك

البارحة كنت بنا والآن أنت بنفسك .

(وقال) رضى الله عنه جعلت مرة ثمانين يوما فخطر بى أنه قد حصل لى نصيب من هذا الأمر فإذا أنا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها ضياء الشمس حسنا وهى تقول منحوس منحوس جاع ثمانين يوما فأخذ يدل على الله بعلمه وأنا ستة أشهر لم أذق فيها طعاما رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين .

(وقال) رضى الله عنه كنت وبينما أنا فى بعض سياحتى أقول إلهى متى أكون لك عبدا شكورا فسمعت قائلا يقول إذا لم تر منعما عليه غيرك فقلت إلهى كيف لا أرى منعما عليه غيرى قد أنعمت على الأنبياء والعلماء والملوك فإذا قال قائل يقول لى لولا الأنبياء لما اهتديت ولولا العلماء لما اقتديت ولولا الملوك لما أمنت والكل نعمة منى عليك .

(وقال) رضى الله عنه كنت أنا وصاحب لى قد أويانا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله تعالى فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا فدخل علينا رجل له هية فقلنا له من أنت ، فقال عبد الملك فعلنا أنه من أولياء الله تعالى فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال من يقول غدا يفتح لى بعد غد يفتح لى فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لم لا تعبدن الله ، قال فتيقظنا وعرفنا من أين دخل علينا فتبنا واستغفرنا الله تعالى ففتح لنا رضى الله عنهم أجمعين .

الحكاية الثانية والتسعون بعد الأربعمائة

حكى أنه عزم على الشيخ الجليل أبى العباس المرسى رضى الله عنه ونفعنا به إنسان وقدم إليه طعاما يختبره به فأعرض عنه ولم يأكل ثم التفت إلى صاحب الطعام فقال له إن كان الحارث بن أسد المحاسبى رضى الله عنه كان فى أصبعه عرق إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه فأنا فى يدى ستون عرقا تتحرك على إذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر إلى الشيخ رضى الله عنه .

(قلت) وقد ذكرت حكاية المحاسبى رضى الله عنه فى غير هذا الموضع .

وقد حكى أيضا عن بشر بن الحرث رضى الله عنه أنه كان لا يمد يده إلى أكل طعام ليس بطيب وكذلك بلغنى أن بعض السلاطين امتحن أحد الشيوخ بذبائح قدمها إليه لحم بعضه مذكى ولحم بعضه ميتة فشد الشيخ وسطه وقال للفقراء أنا اليوم خادمكم فى هذا الطعام وأخذ يلتقط المذكى ويقربه إلى الفقراء وينحى الأوانى التى فيها غير المذكى إلى الجند ويقول الطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين والسلطان حاضر

فاستغفر الله تعالى وحسن اعتقاده في الشيخ رضى الله عنه ونفعنا به .

وكذلك بلغنى أن بعض سلاطين الكفار استولى على بعض بلاد المسلمين فسفك دماءهم ونهب أموالهم وأراد أن يقتل بعض فقراء المشايخ فاجتمع به الشيخ ونهاه عن ذلك فقال له السلطان إن كنتم على الحق فأظهروا لى برهانا فأشار الشيخ إلى بحر الجمال هناك فإذا هي جواهر تضىء وأشار إلى كيزان فى الأرض فارغة من الماء فتعلقت فى الهواء وامتألت ماء وأفواها منكرة إلى الأرض ولا يقطر منها قطرة فدهش السلطان من ذلك فقال له بعض جلسائه لا يكبر هذا فى عينك فإنما هو سحر، فقال له السلطان أرنى غير هذا فأمر الشيخ بالنار فأوقدت وأمر الفقراء بالسماع فلما عمل فيهم الوجد دخل الشيخ بهم النار وكانت ناراً عظيمة ثم خطف الشيخ ولد السلطان ودار به فى النار ثم غاب به فلم يدر أين ذهبوا والسلطان حاضر فبقى متفجعاً على ولده فلما كان بعد ساعة ظهروا وفى إحدى كفى ولد السلطان تفاحة وفى الأخرى رمانة فقال له السلطان أين كنت قال كنت فى بستان فأخذت منه هاتين الحبتين وخرجت فتحير السلطان من ذلك فقال له جلساء السوء وهذا أيضاً عمله بصنعة باطلة فقال السلطان عند ذلك كل ما تظهره لا أصدق به حتى تشرب من هذه الكأس وأخرج له كأساً مملوءة سما تقتل القطرة منه فى الحال، فأمر الشيخ الفقراء بالسماع حتى ورد عليه حال فأخذ الكأس حيثذ وشرب ما فيه جميعه فتمزقت ثيابه التى عليه فألقوا عليه ثياباً أخرى فتمزقت الثياب كذلك ثم أخرى كذلك مرارا عديدة ثم ترشح عرقاً وثبتت عليه الثياب بعد ذلك ولم تنقطع فاعتقده السلطان وعظمه وأجله واحترمه ورجع من ذلك القتل والإفساد والله أعلم .

(وقد حكى) أيضاً مثل هذ الحكاية عن بعض من ينسب إلى سيدى أحمد الرفاعى قدس الله روحه مع سلطان المغول الذى أخذ بغداد رضى الله عنه وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم فى الدنيا والآخرة .

(وحكى) أن الشيخ الإمام أستاذ الإمام أستاذ الأكابر الجامع بين العلم الباطن والظاهر والحسب والنسب والشرف النبوى الفاخر السيد الجليل عبد القادر الجيلانى قدس الله روحه ونور ضريحه طلب من بعض الناس وديعة كانت عنده لبعض الغائبين فامتنع من تسليمها إليه وقال له لو استفتيتك فى مثل هذا ما أفتيتنى بتسليمها إلى غير صاحبها فلما كان بعد ذلك بزمان يسير جاء كتاب صاحبها إلى المودع المذكور وهو يقول سلم الوديعة إلى الشيخ عبد القادر فقد صارت للفقراء فسلمها إليه فعتب عليه الشيخ وقال تهمنى فى مثل هذا رضى الله عنه ونفعنا به .

قلت وإليه ينسب أكثر شيوخ اليمن ومنهم من ينتسب إلى الشيخ الكبير العارف الشهير أبي مدين قدس الله روحه ونور ضريحه هذا شيخ المغرب والأول شيخ المشرق أعنى الشيخ عبد القادر وهو القائل رضى الله تعالى عنه:

ما فى الصبابة منهل مستعذب
أوفى الزمان مكانة مخصوصة
وهبت لى الأيام رونق صفوها
أنا فى رجال لا يخاف جليسههم
قوم لهم فى كل مجد رتبة
أنا بلبل الأفراح أملاً دوحها
رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الثالثة والتسعون بعد الأربعمئة

حكى عن أحدهم قال كنت مع بعض الصالحين خارج بغداد فمرت علينا جنازة ومعها خلق كثير فسألنا عن الميت فقيل هو رجل من الصالحين فقال الرجل الصالح الذى معى الله المستعان هكذا يموت الصالحون، فقلت فكيف يموتون قال يموتون على المزابل وتأكلهم الكلاب، قال فرأيت بعد ثلاثة أيام وهو ميت على مزبلة والكلاب تأكل منه رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

(قلت) هذا موت كثير من الأولياء والمحبين والمحبوبين لله عز وجل الذين ليس لهم فى الدنيا غرض ولا أمل أما حكايات أهل الرغبة فى الدنيا والأمل الطويل فيها فكثيرة من ذلك ما روى أنه جاء بعض الناس إلى سليمان بن داود عليهما السلام وقال له يا نبى الله إنى أريد منك أن تأمر الريح تحملنى إلى بلاد الهند فإن لى فيها حاجة فى هذه الساعة وألح عليه فى ذلك فقال له نعم وأمر الريح تحمله فلما خرج من عنده التفت سليمان فرأى ملك الموت قائما عنده عليه السلام ورآه متبسما فسأله عن تبسمه فقال يا نبى الله تعجبت من هذا الرجل فإنى أمرت بقبض روحه فى أرض الهند فى هذه الساعة فبقيت متفكرا كيف يصل إلى بلاد الهند فى هذه الساعة فلما سألك أن تأمر الريح تحمله تعجبت من ذلك انتهى كلامه وفى هذا المعنى قلت :

فمن لم تأتة منا المنيا
كما قال الذى عزى نفوسا
إلى أوطانه يوما أناها
وقوى فى توكلها قواها
ومن كانت منيته بأرض
فليس يموت فى أرض سواها

(قلت) يجب الإيمان بأن أمر الله تبارك وتعالى وقدره نافذ على ما سبق في علمه الغامض لا بد من ذلك وأن بعد في العقول يسبب له بعض الأسباب الغوامض على ما اقتضت حكمته البالغة ومشئته السابقة التي إليها يرجع أمر الخاتمة اللاحقة نسأل الله تعالى الكريم أن يلطف بنا في جميع مقدره وأن يدبرنا بحسن تدبيره والمسلمين آمين .

ومن عجيب لطف الله عز وجل بعباده ودفعه البلاء عمن لم يحضره الأجل عباده المصطفين الخواص المعدين للتفريغ عند الشدائد والخلاص ما يأتي ذكره في الحكاية الآتية إن شاء الله تعالى .

الحكاية الرابعة والتسعون بعد الأربعمائة

حكى عن بعض الشيوخ الكبار أنه دخل على بعض التجار بشجر الإسكندرية فرحب به التاجر وفرح به فرأى الشيخ إيوأناً يجلس فيه التاجر بساطين مئمين مستعملين من بلاد الروم على قدر الإيوان فطلبهما من التاجر فصعب عليه ذلك وقال له يا سيدى أنا أعطيك ثمنهما فامتنع الشيخ وقال له ما أطلب إلا هما بعينهما، فقال له التاجر إن كان ولا بد من الأخذ فخذ أحدهما فأخذ الشيخ أحد البساطين وخرج به وكان حينئذ للتاجر ابنان مسافران فى بلاد الهند كل واحد منهما فى مركب، فبعد مدة سمع أبوهما أن أحدهما غرق هو ومركبه وجميع من كان فيه ووصل الابن الآخر إلى عدن سالماً فلما كان بعد مدة وصل قريب الإسكندرية فخرج أبوه فى لقائه إلى ظاهر البلد فرأى البساط الذى أخذه الشيخ منه بعينه محملاً على بعض الجمال فسأله عن قصة البساط ومن أين هو له، فقال يا أبت لهذا البساط قصة عجيبة وآية عظيمة، فقال له أبوه يا بنى أخبرنى بذلك فقال له سافرت أنا وأخى بريح طيبة من بلاد الهند كل منا فى مركب فلما توسطنا البحر عصفت بنا الريح واشتد علينا الأمر وانفتح المركبان واشتغل كل أهل مركب بمركبهم وسلم كل منا أمره إلى الله تعالى وإذا بشيخ قد ظهر لنا وفى يده هذا البساط فسد به مركبنا وسرنا بالسلامة أياما والمركب مسدود بهذا البساط إلى أن وصلنا بعض المراسى فنقلنا ما كان فى المركب وأصلحناه وشحننا فيه، وأما مركب أخى فغرق جميع من كان فيه ولم يسلم منهم أحد قال التاجر، فقلت له يا بنى أتعرف الشيخ إذا رأيته قال نعم فذهب به إلى الشيخ فلما رآه صرخ وصاح صياحاً عظيماً وقال هو ذا واللله يا أبت فجعل الشيخ يده عليه حتى أفاق وسكن ما به فقال التاجر للشيخ لم لا عرفتنى يا سيدى بحقيقة الأمر حتى

البساطين كليهما فقال الشيخ هكذا أراد الله عز وجل رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين آمين .

الحكاية الخامسة والتسعون بعد الأربعمئة

حكى عن أحد الصالحين أنه عقد مع الله تعالى عقدا أنه لا ينظر إلى مستحسنت الدنيا فمر يوما بسوق الصرف فنظر إلى منطقة مغلقة فجعل يطيل النظر إليها فالتفت صاحبها فرآه ينظر إليها ثم التفت إلى المنطقة فلم ير شيئا فوثب إليه وتعلق به وقال ما هذه أفعال الصالحين فقال له مالك يا أخى قال أنت صوفى وتسرق، قال له ما الذى سرقت قال له سرقت منطقتى قال والله ما أخذت لك شيئا قال فأكثروا عليه وساروا به إلى الأمير وقصوا عليه القصة فقال له الأمير يا فتى ما هذه أفعال الصالحين فبكى وقال والله ما أخذت شيئا فقال رجل من الحاضرين جردوه من ثيابه فجردوه من ثيابه فإذا المنطقة مطوقة فى وسطه قال فصرخ صوتا كاد أن يفارق الدنيا وغشى عليه فقال الأمير بعد ذلك اتئوتى بالسياط قال فهتف به هاتف يا عبد الله لا تضرب ولى الله إنما هو مؤدب بكم فصرخ الأمير صرخة كادت روحه تفارق جسده وغشى عليه فلما أفاق الفتى قال مولاي أسألك الإقالة فقد عرفت ذنبى وجرمى وأنا خاطئ، مولاي سهو لحق عبدك الخاطئ. فلا تؤاخذنى الأمان الأمان يا حنان والخلق يكون لبكائه ولما أفاق الأمير من غشيته جعل يقبل يديه ورجليه ويقول له يا حبيبى ما قصتك فقال له الفتى أعلم أنى كنت عقدت مع الله تعالى عقدا ألا أنظر إلى مستحسنت الدنيا فمررت بهذا الرجل فى سوق الصرف فنظرت منطقتة نظرة غفلة ولم أعلم ما كان إلا والرجل يتعلق بى وهو يوبخنى وهو يقول أخذت منطقتى ولم أعلم قصته فهذه والله قصتى ثم ولى وهو يقول :

يا عدتى فى شدتى
ينقذنى من السردى
طوبى لمن بات بكم
مشردا عن الوطن

الحكاية السادسة والتسعون بعد الأربعمئة

عن ذى النون رضى الله عنه

قال بينما أنا أدور فى بعض جبال لكام وإذا برجل قائم يصلى والسباع حوله ربيض فلما أقبلت نحوه نفرت عنه السباع فأوجز فى صلاته وقال يا أبا الفيض لو

صفوت لطلبتك الوحوش وحتت إليك الجبال قال فقلت ما معنى قولك لو صفوت قال تكون لله خالصا حتى يكون لك مريدا .

الحكاية السابعة والتسعون بعد الأربعمائة

عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال وصفت لى جارية متعبدة فسألت عنها فقيل لى إنها فى دير خراب قال فأتيت الدير فإذا أنا بجارية نحيلة الجسم قد أثر الليل فى وجهها بكلكله وذبحها الكرى بسكاكين السهر فسلمت عليها فردت على السلام فقلت لها يا جارية فى مسكن النصرارى فقالت يا هذا ارفع رأسك هل ترى فى الدارين غير الله عز وجل قال فقلت لها يا جارية هل تجدين وحشة الوحدة قالت إليك عنى فوالذى حشا قلبى من لطيف حكمته ومحبته وأوقر خاطرى من دقيق الشوق إلى رؤيته ما علمت فى قلبى موضعا لغيره قال فقلت لها أراك حكيمة فأخرجينى من الضيق وأرشدينى إلى الطريق، فقالت يا فتى اجعل التقوى زادك والزهد منهاجك والورع مطيتك واسلك طريق الخائفين حتى تأتى بابا ليس ترى دونه حجابا ولا بوابا فعندها تؤمر الخزنة ألا يعصوا لك أمرا ثم أنشأت تقول :

من يعرف الرب ولم تغنه معرفة الرب فذاك الشقى
ما ضر ذا الطاعة ما ناله فى طاعة الله وما قد لقى

الحكاية الثامنة والتسعون بعد الأربعمائة

عن معروف الكرخى رضى الله عنه

أنه قال رأيت فى البادية شابا حسن الوجه وله ذؤابتان حسستان وعلى رأسه رداء وعليه قميص كتان وفى رجلية نعل طاق، قال فتعجبت منه ومن زيه فى مثل هذا المكان. فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا عم، قلت يا فتى من أين أنت قال من مدينة دمشق، قلت متى خرجت منها قال سحرة نهارى قال فتعجبت منه وكان الموضع الذى رأيت فيه بينه وبين دمشق مراحل كثيرة فقلت له وأين القصد قال مكة إن شاء الله، فعلمت أنه محمول فودعته ومضى فلم أراه حتى مضت ثلاث سنين فلما كان ذات يوم وأنا جالس فى منزلى متفكرا فى أمره وما كان منه بعدى وإذا بالباب يدق فخرجت إليه فإذا هو صاحبى فسلمت عليه وأدخلته المنزل فإذا به حاف

حاسر الرأس عليه مدرعة من الشعر فقلت أيش الخير، فقال يا أستاذ لم يخبرني بما يفعل بمعاملته لى فمرة يلاطفنى ومرة يهيننى ومرة يجوعنى ومرة يطعمنى فليته أوقعنى على بعض أسرار أوليائه ثم يفعل بى ما شاء وبكى بكاء شديدا، قال معروف رضى الله عنه فأبكاني كلامه فقلت له حدثنى ببعض ما جرى عليك منذ فارقتني قال هيهات أبديه وهو يريد أن يخفيه ولكن بدء ما فعل بى فى طريقى مولاي وسيدى فقلت ما فعل بك قال جوعنى ثلاثين يوما ثم جئت إلى قرية فيها مقثأة قد نبذ منها الدود فقعدت أكل منها فنظرتنى صاحب المقثأة فأقبل إلى بسوط وجعل يضرب ظهري وربطنى ويقول لى يا لص ما أخرب المقثأة غيرك منذ كم أرصدك حتى وقعت بك فبينما هو يضربنى إذا بفارس أقبل مسرعا إليه وجذب السوط من يده وقال تعمد إلى لى من أولياء الله تضربه وتهينه وتقول له يا لص فلما نظر صاحب المقثأة إلى ذلك أخذ بيدي وذهب بى إلى منزله فما أبقي من الكرامة شيئا إلا فعل معى وتحلل منى فبينما أنا عنده لص صرت وليا كما حدثتك، قال معروف رضى الله عنه فما استتم كلامه حتى دق صاحب المقثأة الباب ودخل وكان موسرا فأخرج ماله وأنفقه على الفقراء وصحب الشاب وخرجا إلى الحج فماتا فى البرية رحمهما الله .

الحكاية التاسعة والتسعون بعد الأربعمئة

حكى أن يحيى وعيسى عليهما السلام اصطحبا فى سفر فلما كان بعض الأوقات نام يحيى فى سجدة سجدها عيسى عليه السلام فأراد عيسى عليه السلام أن يوقظه فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى إن روح يحيى عندى فى حضرة قدسى وجسده بين أرضى ولقد باهيت به كرام ملائكتى وأنشدوا :

قف على الباب قليلا واجعل الذكر سبيلا
والزم الباب غـدوا وعشيا وأصيلا
إن تطعننى لم تجسدى للمطيعين خذولا
إن عندى للمطيعين شرابا سلسيلا
فاتعبوا اليوم قليلا تنعموا دهرا طويلا

وقال أبو يزيد رضى الله عنه جمعت فكرى وأحضرت ضميرى ومثلت نفسى واقفا بين يدى ربى فقال لى يا أبا يزيد بأى شيء جئتنى قلت يا رب بالزهد فى الدنيا قال يا أبا يزيد إنما كان مقدار الدنيا عندى جناح بعوضة ففيم زهدت منها فقلت إلهى وسيدى أستغفرك من هذه الحالة جئتك بالتوكل عليك قال يا أبا يزيد ألم أكن ثقة فيما

ضمنت لك حتى توكلت على قلت إلهى وسيدى أستغفرك من هاتين الحالتين جئتك
بك أو قال بالافتقار إليك قال عند ذلك قبلناك وأنشدوا :

دعووه لا تلموه دعوه فقد علم الذى تعلموه
رأى علم الهدى فسمما إليه وطلب مطلباً لم تطلبوه
أجاب دعاءه لما دعاه وقام بحقه وأضعتموه
بنفسى ذاك من ممنوح قـرب وطاعم مطعم لم تطعموه

الحكاية الخمسائة عن أحد الزهاد

قال كنت فى جماعة من الزهاد وقد حان وقت صلاة الظهر ونحن فى برية
ليس فيها ماء فدعونا الله تعالى فلم نستتم الدعاء حتى لاح لنا بالبعد شىء فقصدناه
وطوى الله تعالى لنا البعيد حتى وصلنا إلى قصر مشيد على البناء حسن الفناء
وحوله أنهار وعيون تتفجر فشكرنا الله تعالى على ذلك وأسبغنا الوضوء فصلينا ثم
تقدمنا إلى القصر فإذا على حائطه مكتوب هذان البيتان :

هذى منازل أقوام عهدتهم فى رغد عيش خصيب ما له خطر
دعتهم نوب الأيام فارتحلوا إلى القبور فلا عين ولا أثر

قال ورأينا فى وسط الدار سريرا من ذهب وعليه هذه الأبيات :

لا زلت تطلب كل ما يردى وتمعن فى الطلب
وملكت ما أملت من أرض الأعاجم والعرب
مدت إليك يد الردى فذهبت فيمن قد ذهب

قال ورأينا هناك بستانا فيه لوح من رخام عليه مكتوب هذه الأبيات :

قد كان صاحب هذا القصر مغتبطا فى ظل عيش يخاف الناس من باسه
إذا جاءه بغتة مالا مرد له فخر ميتا وزال التاج عن راسه
فاخرج إلى القصر وانظر كيف أوحشه فقدان أربابه من إيناسه
قال فاستحسننا ذلك ورحنا إلى القبة فإذا فى وسطها قبر عند رأسه لوح من
رخام أبيض وعليه مكتوب :

واضعا تحت لبنة التراب خدى

أنا رهن التراب فى اللحد وحدى

(غيره لبعضهم)

غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
وأسكنوا حفرا يا بثما نزلوا

باتوا على قلل الأجدال يحرسهم
واستزلوا بعد عز عن معاقلهم

ناداهم صارخ من بعد مادفنا
أين الوجوه التي كانت منعمة
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
قد طالما أكلوا دهرا وما نعموا
(غيره) للمؤلف آنسه الله في قبره وعامله بلطفه وبره وأسكنه بجوحة جنته
وأعاد على المسلمين من بركته آمين .

ركوب النعش أنساهم ركوبا
وليل القبر أنساهم للليل
وأنساهم لفرش ناعمات
علا الدود الحدود وغاص فيها
(غيره لأحدهم)

وقفت على البنيان حين رأيت
فقلت له أين الذين عهدتهم
فقال مضوا واستودعوني رحالهم

وحكى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجه ورضى الله عنه أنه قال دخلت
مقابر البقيع لأزور الأحباب وجعلت أسلم عليهم واحدا واحدا ثم وليت وأنا أقول :
يا قبر مالك لا تحيب مناديا
قال فأجابني صوت عال

قل للحبيب وكيف لي بجوابكم
أكل التراب محاسني فنسيتمكم
(غيره لأحدهم)

لياليك تفنى والذنوب كثيرة
وتحسب أن النقص فيك زيادة
(غيره لأحدهم وجد مكتوبا على قبر)

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه
تزيد بلى في كل يوم وليلة

أين الأسرة والتيجان والحلل
من دونها تضرب الأستار والكلل
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

على الخيل العتيقات النجاب
يه عرس المليحات النقباب
لها قد زينوا فرش التراب
أكولا للبهيات التراب

فكبر للرحمن حين رآني
حوالك في أمن وخفض زمان
ومن ذا الذي يبقى على الحدشان

وأنا الرهين بجندل وتراب
وحجبت عن أهلي وعن أحبابي
أمللت بعدى صحبة الأحباب
قبر الحبيب فلم يرد جوابي

وعمر يبلى والزمان جديد
وأنت على النقصان حين تزيد

لقاؤك لا يرجي وأنت قريب
وتبلى كما تبلى وأنت حبيب

(غيره لآخر فى الدنيا)

ومن يكن همه الدنيا ليجمعها فسوف يوما على رغم يخليها
لا تشبع النفس من دنيا تجمعها وبلغة من قوام العيش تكفيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت بينها
فمن بناها بخير طاب مسكنه ومن بناها بشر خاب بانيها
فاغرس أصول التقى ما عشت مجتهدا واعلم بأنك بعد الموت تجنيها

(قال) المؤلف ختم الله له بخير ولوالديه وللمسلمين وقد تمت الحكايات التي وعد بها فى أول الكتاب وقد كنت وعدت هناك بخاتمة تشمل فصلين وختام للخاتمة يشتمل على فصل آخر وهأنا أشرع فى ذلك إن شاء الله والله الموفق والمعين .

الفصل الأول من الخاتمة

فى الجواب عن إنكار وقع من بعض الفقهاء المصنفين على الفقراء منهم أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله بالغ فى إنكار بعض حكاياتهم من ذلك حكاية الشيخ أبى حمزة الخراسانى رضى الله عنه وقد تقدمت ولكن نعيدها ههنا لإيراد الجواب .

(قال) رضى الله عنه حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشى إذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث فقلت والله لا أستغيث بأحد فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد فأتوا بقصب وبارية وطمسوا رأس البئر فهمت أن أصبح ثم قلت فى نفسى إلى من هو أقرب منهما وسكت فبينما أنا بعد ساعة إذا بشيء جاء فكشف عن رأس البئر وأدلى رجليه وكأنه يقول تعلق بى فى همهمة منه كنت أعرف منه ذلك فتعلقت به فأخرجنى فإذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف يا أبا حمزة هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول :

نهانى حياىى منك أن أكشف الهوى فأغنينى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى فأبديت شاهدى إلى غائبى واللفظ يدرك باللفظ
ترأيت لى بالغيب حتى كأنما تبشرنى بالغيب أنك فى الكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة فتؤنسنى باللفظ منك وبالعطف
وتحىى محبا أنت فى الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

(قلت) وما أنكره المذكور رحمه الله فى هذه الحكاية وأن هذا الذى فعله أبو حمزة لا يجوز ليس بصحيح لأن أبا حمزة المذكور صدر منه هذا وقد منح يقينا كاملا وقلبا شاهدا وحالا عاليا وحياء زاجرا له وحاجزا عليه أن يتلفت إلى غير مولاه أو يرى معه سواه، كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه إنا لا نرى مع الحق

من الخلق أحدا، إن كان ولا بد فكالهباء بالهواء إن فتشته لم تجد شيئا .
(قلت) ولو حصل للمنكر عليهم بعض ما حصل لهم ما أنكر عليهم والعجب من المنكر المذكور فى إنكاره مثل هذا مع أنه يعتقد القوم ويطرز كلامه بكلامهم وحكاياتهم وكراماتهم وكيف يتنكر مثل هذه الحكاية على من صار فانيا عما سوى الحق صاحب قلب مشاهد لا يرى فى الملك والملكوت إلا من هو أقرب إليه من نفسه كاشف الضر الإله الواحد والعجب كل العجب أن هذا الذى أنكره له شاهد فى الشرع أى شاهد وذلك ما جاء أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار عرض له جبريل عليه السلام فى الهواء بأمر الله تعالى فقال له ألك حاجة فقال أما إليك فلا قال فاسأل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى، وقال حسبى الله ونعم الوكيل فهل كان هذا من إبراهيم عليه السلام إلا كمال يقين ومقام رفيع مكين، وأيضا فقد ذكر العلماء رضى الله عنهم أن الناس فى التوكل على ثلاثة أقسام:

(القسم الأول) قوم سلموا أنفسهم لله فلم يجلبوا لها نفعا ولا دفعوا عنها من الضر دفعا وطرودوا ذلك فى كل شىء من الضرورات وغيرها فلم يتحفظوا من عدو ولا سبع ولا تسبوا لنفوسهم بسبب من الأسباب حتى كان بعضهم يمر بالشجرة فتلزم ثوبه بشوكها فلا يتسبب فى تخليص الثوب حتى تهب الريح فتخلصه .
وقد قال قطب مقامات اليقين وحجة الله على العارفين أبو محمد سهل بن عبد الله رضى الله عنه أول مقام فى التوكل أن يكون العبد بين يدى الله سبحانه كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير .

(القسم الثانى) من الأقسام الثلاثة قوم تسبوا فى الضرورات دون غيرها جلبا ودفعوا ضرا ونفعا وهذه الطريقة عليها الجمهور من الأنبياء والأولياء ومن هذا القبيل ما احتج به المنكر من احتراز النبى صلى الله عليه وسلم من الأعداء الكفار فى هجرته واختبائه فى غار ثور وغير ذلك فهذه طريقة جمهور الأنبياء عليهم السلام كما ذكرنا، فليس فى ذلك للمنكر حجة لأن بعض الأولياء لا يحترزون ولا يتسبون لنفوسهم فى شىء أصلا كما قدمنا وقد تصدر منهم أشياء فى حال من أحوال غالبية عليهم تسلبهم الاختيار فلا يقاسون بغيرهم ولا نقول إن تارك التسبب فى الضرورات أفضل من المتسبب فيها من الأولياء قد يكون الأمر بالعكس ولم يكن النبى ﷺ محترزا فى كل شىء بل قد كان يواجه بعض المخاوف وحده كيوم حنين وغيره وكذلك أصحابه رضى

الله عنهم وذلك كثير في الأحاديث التي يطول ذكرها وأما قوة أحوال بعض الأولياء وما أعطوا من اليقين والكرامات فكلها مستمدة من فيض فضله صلى الله عليه وسلم ومنسوبة إليه وقد كان صلى الله عليه وسلم مشرعا يسلك الطرق السهلة التي يقوى على سلوكها العام والخاص ولو سلك مقدم الركب والقوافل طريقا وعرة يقوى هو على سلوكها دون كثير منهم لم يكن بهم رءوفا رحيفا ولكنه صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى : ﴿عزيز عليه ما عتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (١) جزاء الله عنا أفضل الجزاء وقد يسلك بعض الأقوياء من القوافل بعض الطرق الوعرة لمصلحة ولا يمنعه المقدم .

(القسم الثالث) من الأقسام الثلاثة في التوكل قوم دخلوا في الأسباب كلها في الضرورات وغيرها لكن مع اعتمادهم على المسبب دون السبب ومما أنكر المنكر المذكور ما حكى عن أحدهم ويقال إنه إبراهيم الخواص رضى الله عنه وذلك أنه كان لا يقيم في بلد إلا أياما معدودة خوف الشهرة، فلما دخل بعض البلاد اشتهر فيها فأراد أن يزيل عنه الشهرة وما يترتب عليها من الضر فدخل الحمام فوجد ثياب ابن الملك قد نزعها ووضعها عند الحمامي ثم اغفل الحمامي عنها فلبسها الخواص ولبس من فوقها ثيابه وخرج يمشى رويدا حتى يلحقوه وينسبوه إلى اللصوصية وتزول عنه شهرة الصلاح فلحقوه وأخذوا منه الثياب وضربوه وسموه في ذلك البلد لص الحمام، فقال لنفسه ههنا طاب المقام فزعم المنكر أن هذا الفعل لا يجوز في الشرع لأنه عرض نفسه للتهمة والعقوبة وفعل فعلا محرما من أوجه كثيرة .

(والجواب) عن ذلك ما أجاب به بعض الفقهاء لما سأله بغض الفقهاء عن هذه الحكاية بعينها وقال له أريد أن تقيم على جوازها دليلا ظاهرا من ظاهر الفقه ولا أقبل ما يذكره الفقهاء فقال له الفقير المذكور ما طلب من الدليل حاصل مشهود وقال ما هو قال أليس يجوز في ظاهر الفقه استعمال بعض المحرمات عند بعض الضرورات كاستعمال النجاسات في المداواة قال الفقيه بلى يجوز ذلك فقال الفقير فكذلك في هذه المسألة داوى قلبه بهذا المحرم فاعترف الفقيه وقال هذا الجواب هو الفقه بعينه، قلت وهأنذا أزيد هذا الجواب بعض بيان وهو أن يقال إذا جاز أن يداوى الأجسام من السقام بشيء حرام فلا يجوز أن يداوى القلوب التي هي محل المعرفة والنور بشيء محظور أولى وأبعد عن المحظور وشتان ما بين المرضين فمرض الأجسام نعمة وحسنات ومرض القلوب نقمة وهلكات وأين هلاك الأبدان من هلاك الأديان، ففي هلاك الأديان سخط الملك الديان والبعد عن الرحمن والقرب من الشيطان وليس

كذلك هلاك الأبدان فظهر أن مداواة القلب من مرض ضرر الشهرة وغيرها أولى وأحرى، ثم الأمراض إنما تداوى بأضداد عللها فالحرارات تداوى بالبورارد والبورارد بالحوار، فكذلك مرض شهرة الصلاح داواه الخواص بدواء شهرة الطلاح وهذا واضح لا يحتاج إلى زيادة إيضاح وقد نبه النبي المكرم على شرف القلب بقوله ﷺ ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب أخرجاه في الصحيحين ومن ذلك حكاية الشبلي رضى الله عنه وقد تقدمت في أثناء الكتاب ولكن نعيدها لإيراد الجواب .

قال الشيخ أبو بكر الشبلي رضى الله عنه قال لى خاطرى يوما أنت بخيل قلت ما أنا ببخيل، فقال بل أنت بخيل فقلت ما أنا ببخيل، فقال بلى أنت بخيل فنويت أن أقول أى شىء يفتح على أعطيه أول فقير ألقاه فما تم هذا الخاطر حتى دخل على فلان سماه بخمسين دينارا فأخذتها وخرجت فأول من لقيت فقيرا ضريرا أو قال أكمه بين يدى مزين يحلق شعره فناولته ذلك فقال أعطه المزين فقلت إنها دنائير فرفع رأسه إلى وقال ما قلنا لك إنك ببخيل فناولتها المزين فقال منذ قعد هذا الفقير بين يدى عقدت مع الله تعالى عقدا لا آخذ على حلاقتة شيئا قال فأخذتها وذهبت بها إلى البحر ورميتها فيه وقلت فعل الله بك وفعل ما أحبك أحد إلا أذله الله رضى الله عن الثلاثة ونفعنا بهم .

قلت فالجواب عن اعتراض المعترض وإنكار المنكر وزعمه أن هذه إضاعة مال من ثلاثة أوجه أحدها أن يكون فعل ذلك فى حال ورد عليه وذو الحال الغائب غير مكلف والثانى أن يكون شهد فيها سما مهلكا كل من صارت إليه فأتلفها كما تتلف الأفعى والثالث أن يكون بإشارة مؤذنة بالإذن اضطرتة إلى ذلك بحيث لم يجد عنه محيصا والله أعلم ومن حكاية أحمد بن أبى الحوارى عندما أمره شيخه أبو سليمان الدرانى رضى الله عنه أن يدخل فى التنور وفيه النار لما كلمه وهو مشغول القلب وأكثر عليه من قوله يا أستاذ قد حمى التنور فقال اذهب فادخل فيه وقد كان عاهده أنه لا يخالفه فى شىء فدخله ومكث ساعة ثم قال أبو سليمان الحقوا أحمد فأتوه وأخرجوه ولم يحترق منه شىء فالجواب عن هذا أنه علم بقوة يقينه أن مراعاته للعهد المذكور وقيامه بالوفاء به يدفع عنه كل خوف محذور وكسى حالا من الله تعالى هو فيه عن حرارة النار مستور .

وقد رورى عن بعض العارفين أنه قال الصادق تحت خفارة صدقه يعنى إذا

ارتكب المهالك عن صدق حماه صدقه عن الهلاك وانقلب ذلك الهلاك نجاة بإذن الله تعالى .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾^(١) ومن ذلك الحكاية التي تقدمت أيضا وهي أن بعضهم سافر للحج على قدم التجريد وعاهد الله سبحانه ألا يسأل أحدا شيئا، فلما كان في بعض الطريق مكث مدة لا يفتح الله عليه بشيء فضعف عن المشي ثم قال هذا حال ضرورة وقد قال الله تعالى : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾^(٢) وإذا لم أسأل انقطعت عن القافلة وهلكت بسبب الضعف المؤدى إلى العجز المؤدى إلى الانقطاع المؤدى إلى الهلاك ثم عزم على السؤال فلما هم بذلك انبعث من باطنه خاطر رده عن ذلك العزم ثم قال أموت ولا أنقض عهدا بيني وبين الله تعالى ، فمرت القافلة وانقطع واستقبل القبلة مضطجعا ينتظر الموت فبينما هو كذلك إذا بفارس قائم على رأسه معه إداوة فسقاه وأزال ما به من الضرر وقال له تريد القافلة فقال وأين منى القافلة فقال له قم وسار معه خطوات ثم قال له قف ههنا فالقافلة تأتيك فوقف وإذا بالقافلة مقبلة من خلفه .

(قلت) والجواب عن هذه الحكاية هو ما ذكرت من الجواب عن الحكاية التي قبلها بلا فرق وعلى الجملة كل ما جاء عنهم مما يخالف العلم الظاهر، فله محامل أحدها ألا يسلم نسبته إليهم حتى يصح عنهم . والثاني بعد الصحة أن يلتمس به تأويل يوافق العلم الظاهر فإن لم يوجد له تأويل قيل لعل له تأويلا في الباطن يعرفه علماء الباطن العارفون بالله تعالى، ويذكر عن ذلك قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليهما السلام، والثالث أن يكون صدر عنهم في حال السكر والغيبة والسكران سكرًا مباحًا غير مكلف في ذلك الحال فسوء الظن بهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق نعوذ بالله من الخذلان وسوء القضاء ومن جميع أنواع البلاء .

وبعد هذا كله أقول اعلموا رحمكم الله وإياي أن من امتلأ قلبه إيمانًا بأحوال الفقراء الصالحين منهم والصدّيقين ومحبتهم والعلم بسيرتهم سلم لهم ما سمع عنهم وحمل ما جاء عنهم مما لا يمكن حمله على ظاهره على محامل صحيحة وأوله تأويلا لائقًا بأحوالهم المليحة ومن جملة التأويلات هذه الثلاثة المذكورة وأما من لم يعرف أحوالهم ولم يشرب من مشربهم ولم يذق من مذوقهم ولم يطلع على علومهم وطريقهم ولم يخالطهم ولم يكمل حسن ظنه بهم فإنه بلا شك إن لم يوفق ينكر

(١) سورة الأنبياء : الآية ٦٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

عليهم أفعالهم وأفعالهم ولقد أحسن القائل حيث قالت :
أيقدح فيمن شرف الله قدره وما زال مخصوصا به طيب الثنا
رجال لهم سر مع الله صادق فلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا
وأما من اختلف في تفكيره منهم فمذهبي فيه التوقف ووكول الأمر فيه إلى الله
تعالى ولا أرى بمطالعة كلامه مصلحة لا سيما لمن ليس عنده تحقيق لقواعد الشرع
ومعرفة الأصل دون الفرع وأسأل الله الكريم التوفيق لما يحب ويرضى والعفو والعافية
والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة لى ولأحبابى والمسلمين أجمعين .

وأما قول بعض المشايخ في بعض الحكايات التي ذكرتها رأيت الغوث وهو
القطب رضى الله عنه بمكة سنة خمس عشرة وثلثمائة على عجلة من ذهب والملائكة
يجرون العجلة في الهواء بسلاسل من ذهب فقد تبادر فهم بعض الناس إلى إنكار
هذا وليس ذلك بمنكر لأنه لم يفعل ذلك بنفسه بل فعله الحق سبحانه وتعالى في حقه
في عالم الملكوت لا في هذا العالم الذى هو محل التكليف، فلو أن الله تعالى أذن
لبعض عباده أن يلبس ثوب حرير مثلا وعلم العبد ذلك الإذن يقينا فلبسه لم يكن
متهكما للشرع فإن قيل من أين يحصل له علم اليقين قلت من حيث حصل للخضر
عليه السلام حين قتل الغلام وهو ولى لا نبى على القول الصحيح عند أهل العلم
كما أن الصحيح أيضا عند الجمهور منهم أنه الآن حى وبهذا قطع الأولياء ورجحه
الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين .

ومن حكى ذلك عن جميع المذكورين الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح
رضى الله عنه ونقله عنه الشيخ الإمام محيى الدين النووى رضى الله عنه وقرره
وسأل جماعة من الفقهاء الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه قالوا
له ما تقول فى الخضر عليه السلام أحى هو، فقال ما تقولون لو أخبركم ابن دقيق
العيد يعنى الفقيه الإمام تقى الدين بن دقيق العيد رضى الله عنه أنه رآه بعينه، أكنتم
تصدقونه أم تكذبونه، فقالوا بل نصدقه، فقال قد والله أخبر عنه سبعون صديقا أنهم
رأوه بأعينهم كل واحد منهم أفضل من ابن دقيق العيد انتهى كلامه، قلت وهذا هو
الصحيح المختار عن المحققين من العلماء الموفقين أن العارفين بالله تعالى أفضل من
العلماء بأحكام الله رضى الله عنهم أجمعين .

وبهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المذكور وغيره وقال الشيخ تقى
الدين المذكور بعد أن ذكر بعض الأولياء ممن رآه هو عندى خير من كذا وكذا فقيه
وكذلك أخبرنى بعض الأخيار من العلماء المتمكنين وهو القاضى نجم الدين الطبرى

رحمه الله، أنه جاء خبر إلى مكة أن السيد الإمام العارف بالله إسماعيل بن محمد الحضرمي رضى الله عنه توفى قال السيد الإمام العارف بالله أحمد بن موسى بن عجيل رضى الله عنه وكان حينئذ بمكة أرجو أن يفديه الله بمائة فقيه ثم جاء الخبر الصحيح أنه حى ولم يمّت إلا بعد مدة طويلة .

رجعنا إلى المقصود لا شك أن من اعتقد الأولياء وصد بكراماتهم وبكل ما أخبروا به صدق بأن الحضرة عليه السلام حى لأن الصديقين رضى الله عنهم لم يزالوا فى كل زمان يخبرون أنهم اجتمعوا به وذلك مشهور مستفيض عنهم ومروى عنهم فى الكتب المشهورة التى رواها العلماء والثقات .

وقد ذكرت فى هذا الكتاب أن جماعة من الشيوخ الكبار اجتمعوا به فى حكايات متفرقة حذفت أسانيدھا .

وقد روى بعض الشيوخ الكبار أن الشيخ الكبير العارف بالله سهل بن عبد الله رضى الله عنه أقبل على الناس يوما وتكلم بكلام حسن فقبل له لو تكلمت كل يوم مثل هذا كنا قد انتفعنا فقال إنما تكلمت اليوم لأنه جاءنى الحضرة عليه السلام فقال لى أقبل على الناس بوجهك وتكلم عليهم فقد مات أخوك ذو النون وقد أقمته مقامه فلولا أنه أمرنى أستاذ الأستاذين ما تكلمت عليكم .

وقال الشيخ الجليل العارف بالله أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه رأيت الحضرة عليه السلام فى برية عذاب فقال لى يا أبا الحسن أصحبتك الله اللطف الجميل وكان لك صاحباً فى الإقامة والرحيل .

قلت وأخبرنى بعض شيوخ اليمن أنه يأتىه الحضرة عند الشدائد بالفرج .
وقد ذكر المشايخ من ذلك ما يتعذر حصره منهم الشيخ الكبير العارف أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه وخلائق لا يحصون وليس فى الحديث الذى تعلق به بعض المحدثين فى الاحتجاج على موت الحضرة عليه السلام حجة لأنه متأول عند الجمهور من العلماء المحققين رضى الله عنهم وتطويل الكلام والإطناب يخرجنا عن مقصود الكتاب وأما قوله فى الحكاية المذكورة واسمه أحمد بن عبد الله البلخى أعنى القطب الذى رآه على عجلة من ذهب فهذا الاسم والنسب المذكوران فى ذلك الزمان خاصة لأن من المعلوم أن مقام القطبية لا يزال ينتقل من واحد إلى واحد وقد تقدم ذكر ذلك فى مقدمة هذا الكتاب وسمعت الشيخ الجليل العارف بالله نجم الدين الأصفهانى رضى الله عنه خلف مقام إبراهيم الخليل عليه السلام يذكر أن الحضرة عليه السلام يسأل الله عز وجل أن يقبضه إليه عندما يرفع القرآن قلت والظاهر والله

أعلم أن القطب والأولياء الموجودين في ذلك الوقت يطلبون الموت أيضا حينئذ إذ ليس بعد رفع القرآن تطيب الحياة لأهل الخير.

وأما ما قدمت في بعض الحكايات عن الخضر عليه السلام في الأولياء المعدودين أنهم لا يزالون يبدلون واحداً بعد واحد إلى يوم ينفخ في الصور فالمراد إلى قريب يوم ينفخ في الصور لأن الساعة لا تقوم على من يقول لا إله إلا الله كما في الحديث وكما جاء أن أهل القرآن والعلم يموتون ولا ينزع منهم القرآن والعلم انتزاعاً. وأما الحديث الوارد في الذين أخبر النبي ﷺ أنهم لا يزالون على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة فلا بد من تأويله جمعا بين الأحاديث فيحتمل أن يكون معناه إلى قريب قيام الساعة هكذا أوله العلماء.

وأما ما ذكرت في حكاية الشيخ على الكردي رضى الله عنه أن كثيرا منهم جمعوا في التستر بين السوء والتجريد يوهمون الناس أنهم لا يصلون ولا يصومون ويكشفون عوراتهم حتى يساء الظن بهم ولا ينسبون إلى الصلاح وهم يصلون ويصومون في الباطن فيما بينهم وبين الله تعالى وقد شوهد كثير منهم يصلون في الخلوات ويصلون بين الناس فذلك صحيح وهؤلاء لهم مذهب معروف يظهرون المساوئ ويخفون المحاسن ولا يبالي أحدهم بكونه بين الخلق زنديقا إذا كان عند الله صديقا لأنهم لم يزالوا يبالبغون في نفى رؤية المخلوقين وإسقاطهم من قلوبهم وعدم الاحتفال بمدحهم وذمهم استجلابا لكمال الإخلاص واستبراء للنفوس من شوائب الشرك الخفى الذى لا يسلم منه إلا الخواص ومنهم آخرون يصلون بين الناس ولا يرون في الصلاة بل يحتجبون عن الناس بأحوالهم ولهم أطوار وراء العقل لا تدرك بالعقول وإنما تدرك بالنور ويعرفها العارفون.

وقد سمعت من بعض أهل العلم الظاهر أن بعض الفقهاء كان ينكر على بعضهم بعض الأشياء المعقولات فقال له يا فقيه إن هناك أشياء وراء العقل فانظر أين ترانى الآن فنظر إليه فإذا هو فى الهواء وإذا هو مكانه أيضا، وكذلك أخبرنى بعض أهل العلم أيضا أن بعضهم كان لا يرى يصلى فلما كان بعض الأيام أقيمت الصلاة وهو قاعد فقال له بعض الفقهاء قم صل مع الجماعة منكرا عليه، فقام وأحرم معهم وصلى الركعة الأولى، والفقهاء المنكر بجنبه ينظر إليه فلما قاموا فى الركعة الثانية نظر الفقيه إليه فرأى غيره يصلى مكانه فتعجب من ذلك، وفى الركعة الثالثة (أى ثالثا غير الاثنين الأولين فازداد تعجبا، وفى الركعة الرابعة رأى رابعا غير الثلاثة فاشتد عجبه فلما سلموا التفت فرأى صاحبه الأول الذى أنكر عليه جالسا فى مكانه وليس عنده

أحد من الثلاثة فتحير مما رأى فنظر إليه الفقير الموله ثم ضحك وقال يا فقيه أى الأربعة صلى معكم هذه الصلاة، انتهى كلامه .
قلت ومثل هذه القصة سمعت أنها صدرت من قضيب البان رضى الله عنه مع بعض الفقهاء .

ومن ذلك ما بلغنى أن الشيخ المعظم الكبير الشأن المعروف بمفرج من أهل الصعيد رضى الله عنه رآه بعض أصحابه يوم عرفة بعرفة ورآه آخر من أصحابه فى مكانه لم يفارقه فى جميع ذلك اليوم فذكر كل واحد منهما ذلك لصاحبه ثم تنازعا وحلف كل واحد منهما بالطلاق من زوجته أنه كما ذكره فاختصما إلى الشيخ وذكر كل واحد منهما يمينه فأقرهما على حالتها وأبقى كل واحد على زوجته، قال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور رضى الله عنه فسألت الشيخ مفرجا رضى الله عنه عن حكمه فى هذه القضية بعدم حث الاثنى مع كون صدق أحدهما يوجب حث الآخر وكان معنا فى وقت سؤالى له جماعة فيهم رجال معتبرون لهم معرفة بالعلم فقال الشيخ قولوا يعنى تكلموا فى هذه المسألة وكان ذلك إذنا منه لنا بأن نتحدث فى سر هذا الحكم فتحدث كل واحد منهم بوجه غير كاف وكانت المسألة قد اتضحت لى فأشار إلي الشيخ بإيضاحها فقلت الولى إذا تحقق فى ولايته وتمكن من التصرف فى روحانيته يعطى من القدرة فى التصور فى صور عديدة فى وقت واحد فى جهات متعددة على حكم إرادته فالصورة التى ظهرت لمن رآها بعرفة حق والصورة التى رآها فى مكانه فى ذلك الوقت حق فكل واحد منهما صادق فى يمينه فقال الشيخ مفرج رحمه الله هذا هو الصحيح يشير إلى صحة ما أوضحت فى صورة ما حكم به بين المتنازعين فى أمره رضى الله عنه ونفعنا به .

(قلت) وهذا الجواب يوضح ما يشكل من مثل هذا كما فى قضية الأربعة الذين صلوا صلاة واحدة كل واحد منهم ركعة وقضية الواحد الذى رآه الفقيه فى الهواء وفى الأرض فى وقت واحد وقضية الشخص الذى كان يتكلم فى صورة سهل بن عبد الله، ويحسب الحاضرون أنه سهل وكان سهل فى ذلك الوقت فى منزله وقد تقدمت حكايته رضى الله عنه وغير ذلك مما يشكل على غير العارفين بالله تعالى فأما العارفون بالله تعالى فلا يشكل عليهم ولا يمنعمهم ما رأوا من التجريب من حسن الاعتقاد فى المجربين كما تقدم من زيارة الشيخ الإمام أستاذ الأنام شيخ شيوخ

الإسلام إمام الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة علما وعملا ومقاما وحالا وسلوكا وذوقا وكشفا وتحققا مولانا شهاب الدين السهروردي للشيخ على الكردي رضى الله عنهما ونفعنا بهما ومجيئه إليه وتلطفه عليه مع كبر جلالته وعلو منزلته وكونه وحيد دهره وفريد عصره ولم يصدده عنه ما قابله به من كشف عورته وما نسب إليه من ترك الصلاة وغير ذلك لما عرف فيه من الولاية التي سبقت بها العناية فانظر رحمك الله وإيأى إلى حسن اعتقاد هذا السيد وتواضعه ومحاسن آدابه ومسارعته إلى زيارته مع كونه القادم الذى حقه أن يزار لا يزور رضى الله عن الزائر والمزور، وانظر إلى كثير من الناس كيف يطعنون فى مثل هذا الشيخ على المذكور وينسبونه إلى الزندقة والفجور إلا الموقنين فإنهم يعتقدون وإن لم يعرفوه كما يعرفه العارفون بالله تعالى .

(ولقد سمعت) بعض الفقهاء الكبار فى بلاد اليمن وقد ذكر إنسانا من المجربين والمولاهين المشهورين فى عدن وهو الشيخ ربحان وقد تقدم ذكره فى هذا الكتاب وذكرت بعض كراماته رضى الله عنه قال رأيتُه يفعل بعض الأشياء المنكرة فى ظاهر الشرع جهارا فقلت فى نفسى انظر إلى هذا الفاعل التارك الذى يقال إنه صالح كيف يقدم على هذه المنكرات المحرمات فلما كان الليل احترق بيتى بالنار انتهى كلامه .

قلت وأهل التوله والتجريب كثير لا ينحصر عددهم ولا تحصى كراماتهم ومجدهم ولكن قد يشبه بهم من ليس منهم ويدخل نفسه بالتزوير معهم من هو خارج عنهم إذ لم يزل فى الناس الكاذب والصادق والطائع والفساق والصدىق والزندىق فإن قلت فهذا يؤدى إلى الالتباس لاختلاف الناس فى الصفات الحقيرات والنفاس، فكيف يعتقد من لا يدرى إلى أى القبيلين يرجع ومن اعتقاده للنفع ينجع فما الجواب فى ذلك .

(قلت) الجواب فيما ظهر لى والله أعلم مبسوطا ومختصرا فأما المبسوط فأقول اعلم وفقك الله وإيأى لأحمد الطريقتين وجعلنا جميعا من خير الفريقين اللذين قال فيهم العليم الخبير فريق فى الجنة وفريق فى السعير أن حسن الظن بالمسلمين فضلا عن الصالحين باب كبير من أبواب الخير والنفع فى الجلب والدفع أعنى جلب المحبوبات والمحمودات ودفع المكروهات المذمومات فى الحياة والممات وذلك مشهور معروف عند كل من هو بالخير موصوف ولكن لا يمكننا أن نطلق القول باعتقاد كل واحد بل لابد من التفصيل لما تقدم من وقوع الالتباس ثم التفضيل فى ذلك فيه

صعوبة وغموض إذ لا يطلع على بواطن الخلق إلا الحق سبحانه وتعالى أو من أطلعه الله على ذلك ولكنى أقول فى ذلك بحسب ما ظهر لى وانشرح للقول به صدرى راغباً إلى الله بالتوفيق للصواب ومستعيناً به ومفوضاً إليه أمرى وراجعاً فى ذلك إليه ومعتمداً فيما أقصد عليه ومبتبرئاً من الحول والقوة إلا به فى كل واضح مشتبته وهو حسبى ونعم الوكيل .

فأقول وبالله التوفيق الناس على قسمين: معتقد بكسر القاف ومعتقد بفتحها والقسم الأول على قسمين أيضاً مرتكب منكراً فى ظاهر الشرع مصر عليه عالم به وغير مرتكب لذلك القسم الأول من التقسيم الأول المعتقد الناظر بنور الله عز وجل فهذا القسم حاكم غير محكوم عليه فى اعتقاده لأنه عارف بمن يعتقد وبمن لا يعتقد كما عرفه الله تعالى بمنه وفضله وكرمه، والقسم الثانى منه المعتقد من غير نور ينظر به كأمثالنا نسأل الله الكريم أن يتكرم علينا بجاه الكرام عنده والكلام فى هذا القسم يختلف حكمه باختلاف القسم الثانى وهو المعتقد بفتح القاف فالقسم الثانى منه وهو غير المرتكب للمنكر المذكور بحسن الظن به مطلقاً، والقسم الأول منه وهو المرتكب المذكور على ثلاثة أقسام: الأول منها من يعتقد العارفين المعروفون بالنور والعلم الباطن فهذا نعتده مثلهم، والثانى منها من لا يعتقد المذكورون فهذا لا نعتده لوجهين أحدهما ارتكابه المنكر والآخر لموافقة العارفين المذكورين فى عدم اعتقاده، والثالث من الأقسام الثلاثة من لا نعلم هل يعتقدونه أم لا فهذا على قسمين الأول منهما من لم يظهر منه شىء من خوارق العادة فهذا نسيء الظن به لإصراره على المنكر المذكور مع عدم معارضة كرامته أو اعتقاد المذكورين والثانى منهما من ظهر منه شىء من ذلك فهذا على ثلاثة أقسام: الأول منها من يكون معروفاً بالديانة والطاعة والعبادة معرفة موجبة لظن مؤكد مستند إلى طول خلطه أو غير ذلك من الأسباب الموجبة للظن القوى فهذا نعتده لاجتماع الكرامة والدين ونقول ما نسب إليه من المنكر المذكور يحتمل أن يكون له مخرج عنه بأمر باطن خفى علينا كما كان للخضر عليه السلام مع موسى صلى الله عليه وسلم والقسم الثانى من الثلاثة من يكون معروفاً بالفسق أو السحر أو الكهانة فهذا نسيء الظن به .

الأول منهما من لم يظهر منه شىء من خوارق العادة فهذا نسيء الظن به ونقدح فيه وننكر عليه لانتفاء الدين والكرامة جميعاً عنه لأن هذا الذى أظهره ليس

بكرامة بل سحر وكهانة يظهر أن على يد كل ولى للشيطان أن نعوذ بالله منه والكرامة تظهر على يد كل ولى للرحمن تبارك وتعالى وليس الساحر والكاهن من الدين فى شىء وقد يكون بعض السحر كفرةً وكذا المنجم الذى يعتقد أن النجوم مؤثرة بذاتها والطبيب المعتقد أن الطبائع مؤثرة بذاتها كافر نسأل الله الكريم العافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين آمين، والقسم الثالث من الأقسام الثلاثة من يكون مجهول الحال فيما ذكرناه من الديانة مع ظهور الخارق والمنكر المذكورين منه فهذا نتوقف فيه ونمعن النظر ونختبره ونجربه ونبحث معه وعنه فى الأقوال والأفعال والأعمال والأحوال لأجل تعارض فضيلة ورذيلة أعنى الخارق المحتمل للكرامة والمنكر المقتضى الملامة ونلزم معه الأدب فى البحث والاختبار والمجالسة فإن ظهر لنا ما يقتضى إلحاقه بحكم أحد القسمين اللذين قبله ألقناه بحكمه وعاملناه بمقتضاه وإن لم يظهر لنا منه شىء نظرنا فى المنكر الذى هو ملابسه وهذا على قسمين فاحش وغير فاحش فإن كان فاحشا تباعدنا عنه إلى أن يظهر لنا ما يقتضى القرب منه لأننا على يقين من المنكر فى الظاهر والكرامة نشك فيها فى الظاهر والباطن وإن كان غير فاحش قربنا منه إلى أن يظهر لنا ما يقتضى البعد عنه لأن الكرامة محتملة وتحسين الظن بالمسلمين مندوب إليه وأما المنكر اليسير فلا يكاد يسلم منه إلا القليل ووجود الطيب الخالص عزيز جداً وفى مثل هذا قال القائل :

من لك بالمحض وليس محض يخبث بعض ويطيب بعض

فهذه عشرة أقسام ثابتة بعد إسقاط ما تكرر منها وقد بقى قسم آخر وهو كل مجهول الحال ظهر منه خارق للعادة من غير ظهور منكر منه فهذا نحسن الظن به ما لم يظهر لنا ما يقدح فيه وهذا المذكور كله الخارق للعادة هو إذا حصل مع عدم التحدى والدعوى على ما تقدم فى فصل كرامات الأولياء من الشرط والتفصيل والاستثناء وكل من تعارض فيه موجبا مدح وقدح وتساوى الموجبان ولم يتراجع أحدهما وشككنا فيه وخفى علينا حاله توقفنا فيه ولم نحكم فيه بصلاح ولا طلاح ولا مدح ولا قدح ولا اعتقاد ولا انتقاد بل وكل أمره إلى العليم الخبير الذى ليس كمثل شىء وهو السميع البصير، هذا ما ظهر لى من الجواب والله أعلم بالصواب،

وأما المختصر من الجواب وإيجاز البسط والإطناب فى هذه التقسيمات والأقسام المذكورات فهو أن نقول الناس على ثلاثة أقسام: قسم نعتقده وقسم لا نعتقده وقسم نتوقف فيه، فالقسم الأول نعتقده بأحد ثلاثة أشياء الأول أن يعتقده أهل العلم الباطن على أى صفة كان، والثانى ألا يصير على منكر ظاهر والثالث أن تجتمع فيه الديانة والكرامة بشرطهما مع الإصرار على بعض المنكرات فى الظاهر، والقسم الثانى لا نعتقده باجتماع ثلاثة أشياء الأول إصراره على منكر فى ظاهر الشرع عالماً به، والثانى عدم ظهور خارق للعادة منه والثالث عدم علمنا باعتقاد أهل العلم الباطن فيه، والقسم الثالث نتوقف فيه باجتماع ثلاثة أشياء: الأول ظهور الخارق للعادة منه، والثانى جهلنا بحاله، والثالث إصراره على المنكر المذكور مع علمه به ونبحث معه عنه فإن ظهر لنا ما يقتضى صلاحاً أو طلاحاً عاملناه بمقتضاه وإلا فإن كان المنكر فاحشاً جانباه وإن لم يكن فاحشاً خالطناه، والله أعلم فهذا مختصر الأول فى نحو من سبع كلامه مع استيعاب جميع أحكامه وهذا الذى ذكرته فى المجهول الحال إذا لم يظهر لنا حاله أنا فجانبه أو نخالطه على حسب فحش المنكر وعدم فحشه قلته على جهة الاحتياط وإلا فليس يخفى الولى الصديق والصالح الصادق من الساحر الزنديق والكاهن الفاسق بل يعرف هذا بأدنى مخالطة بل بمجرد رؤيته فليس سيما المقربين والأبرار، كسيما الزنادقة والفجار، وهذا يعرف بالرؤية وليس الآداب كالآداب ولا البركات كالبركات ولا السكون كالسكون ولا الحركات كالحركات، وهذا يعرف بالمخالطة فلو لبس الخبيث بكل ممكن بالظاهر فلا بد أن يرشح من باطنه ما يميز بين رشح نثنه الخبيث وبين رشح طيب الطيب الفاخر، فذاك يفوح من باطنه نثن الفجور ويحرق جلسيه كنافخ الكير بالنار، وهذا يفوح من باطنه مسك الطاعة ويحذى جلسيه من ريحه كحامل المسك العطار.

يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب

ولو لبست الشوهاء كل غال وعال من حلى وحلل لم تشبه الحسناء وإن هى عن الحلى والحال تعطلت أين تمويه السراب من المورد العذب الشراب وأين ظاهر القشر من باطن اللباب كل ذلك يعرف ببديهة العقول وفى هذا المعنى أقول :

لعمرك ما شوها بحلى تزينت كحسنا وإن كانت عن الحلى عاطله
إذا ما ادعت حسنا وتزوير حليها شهود فدعوى صاحب الزور باطله
وهذا التفصيل والتقسيم الذي ذكرته فيمن يعتقد ويعتقد بكسر القاف فى الأول
وفتحها فى الثانى من المذكورين لا أعلم أحدا ذكره ولكن أظن أن كل موفق بحسن
الظن فى الفقراء من الفقهاء وغيرهم من أهل الرشاد يوافقنى على ما ذكرته من
الاعتقاد اللهم إلا أهل مذهب معروف بالتجسيم فى بعض البلاد فإنه لا مطمع فى
موافقتهم فإنهم لا يزالون يطعنون فى الأولياء والصالحين من الصوفية ومن الأئمة
العلماء الذين خالف صحيح اعتقادهم باطل اعتقاد الحشوية الحبر المعظم الذى باهى به
سيدنا ﷺ موسى وعيسى ابن مريم بقوله : (أفى أمتكما حبر كهذا) فقالا عليهما
السلام لا وذلك الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى ، رويانا ذلك
بالإسناد المتصل العالى عن الشيخ الكبير العارف بالله أبى الحسن الشاذلى رضى الله
عنهما ونفعا بهما وشهد له أيضا الصديقون بالصدقية العظمى والمقام العالى البعيد
المرمى وفيه قلت :

أبو حامد غزال غزل مدقق من العلم لم يغزل كذلك بمغزل
به المصطفى باهى لعيسى ابن مريم له قال صدقا خاليا عن تقسول
أحبر كهذا فى حواريك قال لا وناهيك فى هذا الفخار المؤئل
له فى منامى قلت أنت حجة لإسلامنا لى قال ما شئت بى قل

وذكر الشيخ العارف بالله الحثير الشهير اليمنى أحمد بن أبى الخير الصياد رضى
الله عنه ونفع به العباد كلاما ثابتا عنه بالإسناد من جملته أنه رأى فى بعض الأيام
وهو قاعد أن أبواب السماء مفتحة وإذا بعصبة من الملائكة قد نزلوا إلى الأرض
ومعهم خلع خضر وذابة من الدواب فوقفوا على رأس قبر من القبور وأخرجوا
شخصا من قبره وألبسوه الخلق وأركبوه على الدابة وصعدوا به إلى السماء ثم لم
يزالوا يصعدون به من سماء إلى سماء حتى جاوزوا السموات السبع كلها وخرق
بعدها سبعين حجبا قال فتعجبت من ذلك وأردت معرفة ذلك الراكب فقيل لى هذا
الغزالي ولا علم لى أين بلغ انتهاؤه رضى الله عنه وعن علماء المسلمين وكالإمام
الشهير الولى الكبير ذى السيرة الحميدة والمناقب العديدة محيى الدين النووى رضى
الله عنه ونفعا به وغيرهما مما لا يحصى عددهم من العلماء المحققين والنظار المدققين
الصالحين الموفقين ولم يزل الطاعنون المذكورون يتربصون بعض ما يعدونه زللا

ليتهزوه فرصة، يتخذونها ذريعة إلى بلوغ الأغراض في التكفير وما قدروا عليه من ثلب الأعراض، ولو قدروا على عقوبة لبادروا إليها لا أفدرهم الله عليها حتى إنهم يأتون إلى كلام فيه نوع استعارة أو مجاز أو ضرب من المبالغة أو غير ذلك مما يقع في الكلام الفصيح، ويكسوه زى معنى مليح ويعده أهل الفضل في العلوم فضلا للذين لم يزالوا لمعرفة أنواع البلاغة وتحقيق العلوم أهلا ويجعلونه هم كفرا وبدعة وجهلا. ولم يزالوا حريصين على إظهار ما يعدونه مساوئ بزعمهم وهى محاسن عند من خيرها وباحثين عن بواطن الفقراء مترجين انكشاف عورة أمر الشارع بسترها وكل من رأوه منفردا عن الناس أو متجردا عما عليهم من اللباس أو حافيا أو حاسر الرأس أو غير ذلك من هيئات المشمرين فى الله الرافضين للدنيا الأكياس، قالوا هذا خارج عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس ولم يدروا أن الطريقة العليا فى الكتاب الأسنى وعزائم السنة الغراء وإجماع العقلاء وقياس الفطناء الذين فيهم تقدم قول القائل أولا:

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما عرفوا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

هى رفض الدنيا والإعراض عما سوى الله تعالى وليس هى مجرد الرخص وما فيه لنفوسهم هوى كأنهم لم يسمعوا قوله تعالى : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾^(١) الآية وغيرها من الآيات الكريمة الواردة فى فضل الفقراء وذم الدنيا والهوى وقوله ﷺ فى الأحاديث الصحيحة والشهيرات فى مصعب بين عمير رضى الله عنه وذكرها به وتمزقه وفى أويس بن عامر رضى الله عنه وذكر تجرده وسيرته وقوله ﷺ فى الأول منهما دعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون وفى الثانية لو أقسم على الله لأبره وقوله ﷺ إن البذاذة من الإيمان، وقوله ﷺ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، وقوله ﷺ هذا خير من ملء الأرض ذهبا مثل هذا وقوله ﷺ ثم رجل يعتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه، وقوله ﷺ كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل والحديث الذى فيه عبادته ﷺ مع جماعة من أصحابه رضى الله عنهم أجمعين لسعد بن عباد رضى الله عنه وليس عليهم قمص ولا قلانس ولا نعال ولا خفاف وغير ذلك من الأحاديث الواردة فى التقشف وترك الزينة وعدم التقييد بهيئة مخصوصة وكذلك سيرة الزهاد من الصحابة والتابعين

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٢ .

وحكايات العباد من السلف الصالحين رضى الله عنهم فى التجرد وترك الدنيا والاشتغال بالأخرى والانعزال عن الورى والتخلى لذكر المولى سبحانه وتعالى والتغرب عن الأهل والأحباب والأوطان والتشتت فى السياحات فى القلوات كما قال أحدهم :

ومشتت العزمات لا يلوى على أهل ولا مال ولا جيران
ألف السرى حتى كأن رحيله للين رحلته إلى الأوطان

واعجباً من قوم يطعنون فى الصوفية السادات كبارهم كيف عموا عن رؤية محاسنهم الزاهرة وأنوارهم الباهرة ومعالي فخارهم وتزينوا بثلب أعراضهم الظاهرة ولم يقفوا على أغراضهم الظاهرة ويصدقوا صحيحها وصموا عن سماع علومهم البحار الزاخرة ومعارفهم العوالى الفاخرة فلم يعشقوا مليحها وغيره مما ذكره يطول .

(الفصل الثانى) :

فى بيان عقيدة المشايخ العارفين الربانيين المكاشفين والعلماء المحققين والأئمة المدققين رضى الله عنهم أجمعين مختوما بثلاث قصيدات وذكر شىء من الصفات المحمودات والمذمومات .

روينا عن تاج العارفين بالله قطب العلوم اللدنية سيد الطائفة الصوفية الإمام الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه قال أول ما يحتاج إليه من عقد الحكمة معرفة المصنوع صانعه والمحدث كيف كان إحداثه فيعرف صفة الخالق حيثئذ من المخلوق وصفة القديم من المحدث فيذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته فإن لم يعرف مالكة لم يعترف بالملك لمن استوجبه .

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى قطب المقامات ومعدن الكرامات أبى محمد سهل بن عبد الله التستري رضى الله عنه أنه سئل عن ذات الله سبحانه فقال ذات الله موصوفة بالعلم غير مُدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا حلول وتراه العيون فى العقبى ظاهراً ملكه وقدرته قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية قلت وقول سهل هذا فى هذا الحسن والتحقيق والتدقيق لمن تأمل ألفاظه .

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله لسان الحكمة ذى العلوم والأحوال والكرامات الجمّة أبى الفيض ذى النون المصرى رضى الله عنه أنه سئل عن التوحيد فقال أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج وصنيعه للأشياء بلا علاج

وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وليس في السموات العلا ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى وكل ما تصوّر في وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك قلت وهذا القول أيضا جمع بين الحسن والتحقيق العزيز مع أنه مختصر جامع وجيز، وجاء رجل إلى ذى النون فقال ادع الله لى فقال ان كنت قد أُيِّدت فى علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى .

روينا عن الشيخ الكبير الشأن ذى الكرامات والمعارف والأسرار أبى الحسين النورى رضى الله عنه أنه قال لما وصف القرب من الله تعالى أما القرب بالذات فتعالى الملك عنه وأنه متقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار ما اتصل به مخلوق وما انفصل عنه حادث مسبوق جلت الصمديّة عن قبول الوصل والفصل فقرب هو فى نعته محال وهو تدانى الذوات وقرب فى نعته واجب وهو قرب بالعلم والرؤية وقرب هو جائز فى وصفه يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفعل باللفظ، قلت وهذا القول أيضا بديع الحسن والتحقيق .

ورويانا عن الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه أنه سأل ابن شاهين عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة قال الله تعالى : ﴿إِنِّى مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(١) ومع العامة بالعلم والإحاطة قال الله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾^(٢) الآية، فقال ابن شاهين مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله عز وجل وعن الجنيد أيضا أنه قال معنى يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لا أدرك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان وقال أيضا تفرد الحق بعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون وقال أيضا أشرف المجالس وأعلاها مجالس الفكر فى ميدان التوحيد، وقال أيضا التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب وهذا هو قول أهل أصول الكلام وهو المعنى القائم بالقلب من معنى الأمر والنهى والخبر والاستخبار .

وسئل الجنيد عن التوحيد فقال يقال أفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد بنفى الأضداد والأنداد والأشياء بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير .

(١) سورة طه : الآية ٤٦ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ١٧ .

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله أبا العباس بن عطاء رضى الله عنه أنه قال لما خلق الله الأحرف جعلها سرا له ، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك فى أحد من ملائكته ، فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات فجعلها صوراً لها وهذا القول صريح من ابن عطاء رحمه الله بأن الحروف مخلوقة .

وروينا عن الشيخ الكبير العارف أبى بكر الشبلبى رضى الله عنه أنه قال جل الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف وهذا صريح من الشبلبى بأن القديم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلماته ، وسئل عن قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(١) فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى .

وروينا عن الإمام الجليل ذى المناقب والمجد الأئيل سلاله النبوة معدن الفضائل والعلوم والفتوة جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال : من زعم أن الله سبحانه فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك بالله إذ لو كان على شىء لكان محمولاً ولو كان فى شىء لكان محصوراً ، أو لو كان من شىء لكان محدثاً ، وتعالى الله عن ذلك .

وسئل الشيخ العارف جعفر بن نصير رضى الله عنه عن الاستواء فقال استوى علمه بكل شىء فلا شىء أقرب إليه من شىء .
وقال كثير من الأئمة الكبار العارفين أهل الأنوار والأصوليين النظار استوى معناه استولى كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq
وذكروا تأويلات أخر يطول ذكرها فى معنى الاستواء .

وقيل للشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أعرشى أنت أم كرسى فقال الطينة أرضية والنفس سماوية والقلب عرشى والروح كرسى والسر مع الله بلا أين ، قلت وهذا القول صريح فى نفى الجهة عن خالق الجهات المتعالى عن الحركات والسكنات وسائر سمات المخلوقات .

وروينا عن الشيخ العارف الواعظ لسان الحكمة يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه أنه قيل له أخبرنا عن الله تعالى ، فقال إنه واحد فقيل كيف هو فقال ملك قادر ، فقيل أين هو فقال بالمرصاد ، فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير

هذا فهو صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرت عنه وقال الشيخ الكبير العارف الأستاذ أبو علي الدقاق رضى الله عنه قيل لصوفى أين الله فقال أسحقتك الله تطلب مع العين أين، وقال محمد بن محبوب خادم الشيخ العارف أبي عثمان المغربي رضى الله عنهما قال لى أبو عثمان يا محمد أو قال لك أحد أين معبودك أيش تقول قال كنت أقول حيث لم يزل قال فإن قال فأين كان فى الأزل أيش تقول فال قلت أقول حيث هو الآن يعنى أنه كما كان ولا مكان فهو الآن على ما عليه كان ، قال فارتضى ذلك منى ونزع قميصه وأعطانيه .

ورويانا عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى عثمان المذكور رضى الله عنه أنه قال كنت أعتقد شيئا من حديث الجهمية فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى فكتبت إلى أصحابنا بمكة أنى أسلمت جديدا .

ورويانا عن الأستاذ الإمام أبى إسحاق الإسفراينى رضى الله عنه أنه قال لما قدمت بغداد كنت أدرس فى جامع نيسابور مسألة الروح وأشرح القول فى أنها مخلوقة وكان الشيخ أبو القاسم النصراباذى قاعدا متباعدا عنا يصغى إلى كلامنا فاجتاز بنا من بعد ذلك بأيام قلائل فقال لمحمد الفراء أشهد أنى أسلمت على يد هذا الرجل وأشار إلى قلت وهذا القول من الشيخ أبى القاسم المذكور تواضع وإنصاف ورجوع إلى الحق واعتراف مع جلاله قدره فإنه كان شيخ وقته، وكذلك قول الشيخ أبى عثمان السابق وكل هذا يدل على أنهم مطهرون من الحظوظ النفسية متصفون بالصفات الزكية أهل الحضرة القدسية .

وقال الشيخ الجليل العارف أبو بكر الواسطى رضى الله عنه ما أحدث سبحانه شيئا أكرم من الروح فهذا صريح منه بأن الروح مخلوقة وقال الشيخ الكبير العارف الربانى أبو القاسم النصراباذى رضى الله عنه الجنة باقية بإبقائه وذكره لك ورحمته ومحبه لك باق ببقائه فشتان بين ما هو باق بإبقائه وما هو باق ببقائه، وهذا القول فى غاية التحقيق فإن مذهب أهل الحق أن صفات ذات القديم باقية ببقائه وأفعاله باقيات بإبقائه فهو تعالى عالم بعالم قادر بقدره مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر حى بحياة، باق ببقاء، فهذه الصفات وسائر صفاته باقية ببقاء ذاته أزلا وأبدا، وأما أفعاله كالجنة والنار وغيرهما فباقيات بإبقائه لها وخالفت المعتزلة فى الصفات فقالوا عالم بغير علم قادر بغير قدرة باق بغير بقاء وكذا سائر الصفات، وخالفت الفلاسفة فى الأفعال الواقعة تحت القدرة فزعموا أنها قديمة ولزم على قولهم الحكم بقدوم العالم تعالى الله عنه ذلك علوا كبيرا .

ورويانا عن الشيخ العارف ذى الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف أبى

إسحق إبراهيم بن محمد الخواص رضى الله عنه أنه قال انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان فجعلت أؤذن في أذنه فنادانى الشيطان من جوفه دعنى أقتله فإنه يقول إن القرآن مخلوق.

وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال هو اليقين قال السائل بين لى ما هو فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله وحده لا شريك له فإذا عرفت ذلك فقد وحدته.

(وقال) الشيخ الكبير العارف الربانى على الروذبارى رضى الله عنه وقد سئل عن التوحيد فقال هو استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه والتوحيد فى كلمة واحدة كل ما تصورته الأوهام والأفكار فالله سبحانه وتعالى بخلافه لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾^(١) قلت وهذه الأقوال رواها الشيخ الإمام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى رسالته المشهورة ما خلا ألفاظ يسيرة رواها بعض الأئمة العارفين غيره ثم إن هذه الأقوال تدل على ما ذكره الإمام القشيرى المذكور.

(قال) رضى الله عنه اعلموا رحمكم الله تعالى أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد وصانوا عقائدهم من البدع ودأبوا بما وجدوا عليه السلف الصالح وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل عرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الوجود عن العدم فلذلك قال سيد هذه الطائفة الجنيد رضى الله عنه التوحيد أفراد القدم من الحدث وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال الشيخ أبو محمد الجريرى رضى الله عنه من لم يقف على علم التوحيد يشاهد من شواهد زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف يريد بذلك أن من ركن قلبه إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع فى أسر الهلاك.

(قال) الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ومن تأمل ألفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقوالهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله بأن القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شىء ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير، قال شيوخ هذا الطريق على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتهم ومصنفاتهم فى التوحيد أن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم، واحد حكيم، قادر عليم، قاهر رحيم، مرید سميع، مجيد رفيع، متكلم بصير، متكبر قدير، حى أحد، باق صمد، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

عالم بعلم قادر بقدرة مرید بإرادة سمیع بسمع، بصیر ببصر، متکلم بكلام، حی
حیة، باق ببقاء، وله یدان هما صفتان یخلق بهما ما یشاء علی التخصیص، وله
الوجه وصفات ذاته مختصة بذاته، لا یقال هی هو ولا هی أخیار له بل هی صفات
أزلیة ونعوت سرمدیة، وأنه أحدى الذات لیس یشبه شیئا من المصنوعات ولا یشبهه
شیء من المخلوقات، ولیس بجنس ولا بجوهر ولا صفاته أعراض ولا یتصور فی
الأوهام ولا یتقدر فی العقول ولا له جهة ولا مکان، ولا یجرى علیه وقت وزمان
ولا یجوز فی وصفه زیادة ولا نقصان، ولا تخصه هیئة ولا قدر، لا تقطعه نهاية ولا
حد ولا یحمله حادث ولا یحمله علی الفعل باعث ولا یجوز علیه لون ولا کون ولا
ینصره مدد ولا عون، ولا یخرج عن قدرته مقدور ولا ینفک عن حکمه مفطور، ولا
یعزب عن علمه معلوم، ولا هو علی فعله کیف یصنع وما یصنع ملوم ولا یقال له
أین ولا حیث ولا کیف ولا یتفتح له وجود فیقال متى کان ولا یتهی له بقاء فیقال
متی استوفى الأجل والزمان، ولا یقال لم فعل ما فعل إذ لا علة لأفعاله ولا یقال ما
هو إذ لا جنس له فیتمیز بامارة عن أشكاله، یرى لا عن مقابلة ویرى لا عن مماثلة،
ویصنع لا بمباشرة ومزاولة له الأسماء الحسنی والصفات العلا یفعل ما یشاء ویحکم
ما یرید ویذل لحکمه العیید لا یجرى فی سلطانه إلا ما یشاء ولا یحصل فی ملکه إلا
ما سبق به القضاء، ما علم أنه یكون من الحادثات أراد أن یكون وما علم أنه لا یكون
مما جاز أن یكون أراد ألا یكون خالق أكساب العباد خیرها وشرها ومبدع ما فی العالم
من الاعیان والآثار قلیلها وكثیرها ومرسل الرسل إلى الأمم من غیر وجوب علیه
ومتعب الأنام علی لسان الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام بما لا سبیل لأحد باللوم
والاعتراض إلیه ومؤید سیدنا ونبیننا محمد ﷺ بالمعجزات الظاهرة والآیات الزاهرة بما
أزاح به العذر وأوضح به الیقین والذکر وحافظ بیضة الإسلام بعد وفاته ﷺ، بخلفائه
ثم حارس الحق وناصره بما یوضحه من حجج الدین علی السنة أولیائه عصم الملة
الحنیفیة عن الاجتماع علی الضلالة وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة وأنجز ما
وعد من نصرة الدین بقوله عز وجل : ﴿ لیظهره علی الدین کله ولو کره
المشرکون ﴾ (١)

قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشیری رضی الله عنه دلت هذه المقالات علی
أن عقائد مشایخ الصوفیة توافق أقاویل أهل الحق فی مسائل الأصول وقد اقتصرنا
علی هذا المقدار خشية خروجا عما أردناه من الاختصار انتهى كلام القشیری رحمه
الله .

(وقال) الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الخبزي بفتح الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء الفارسي رضى الله عنه أجمعت أئمة هذه الطريقة وسادات شيوخ الصوفية أولى الحقيقة على ما دلت عليه متفرقات أقوالهم ومجموعات أنفاسهم فى مصنفاتهم فى التوحيد وتأسيسهم قواعد العقائد على أصح الأصول، وأوضح السبيل المصون عن التشبيه والتمثيل والنفى والتعطيل بما عرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الحادث من العدم على أن العالم بأسره جواهره وأعراضه وأجسامه لطيفة وكثيرة حادث ومعنى العالم كل موجود سوى الله عز وجل، والعالم فى وجوده مفتقر إلى محدث مخصص أحدثه وخصصه بالوجود الجائر وأن محدثه هو الله تعالى الذى لا إله غيره الموصوف بالصفات الواجبة أزلا وأبدا وأن صفاته على مراتب ثلاثة: المرتبة الأولى: الصفات النفسية وهو أن الله تعالى موجود قديم واحد أحد فرد قائم بنفسه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء. المرتبة الثانية: الصفات المعنوية وهو أن الله تعالى حى بحياة عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر، باق ببقاء ولم يزل ولا يزال وهذه الصفات معان قديمت كالذات قائمات بذات الله تعالى لا يقال فيها إنها هو ولا أغير له لا يشبه شيء منها شيئا من صفات ما سواه.

المرتبة الثالثة: الصفات الفعلية المستندة إلى الصفات المعنوية على حسب ما وردت فى الكتب المنزلة وجرت بها السنة ذوى النبوة عليهم الصلاة والسلام انتهى كلام الخبزي رحمه الله.

(قال) الشيخ الإمام المحقق السالك الناسك العارف بالله تعالى شيخ شيوخ الإسلام شهاب الدين السهروردي رضى الله عنه الله لا إله إلا هو لا ضد له، ولا ند له، ولا تشبيه له، ولا مثل له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا وزير له، ولا نظير له، لا تدرك كنه عظمته الأوهام ولا تبلغ شيئا من كبريائه الأفهام، ولا يعترى ذاته المقدسة التأثر والآلام والتغير والأسقام والسنة والمنام والافتراق والالتام جل عما يجول به الوسواس وعظم عما تكتنفه الحواس، وكبر عما يحكم به القياس لا يصوره خيال ولا يشاكله مثال ولا ينويه زوال ولا يشوبه انتقال لا يلحقه فكر ولا يحصره ذكر قيوم أزلى ديموم سرمدي لا تحد أزليته بمتى ولا تقيد أبديته بحتى لا يطلق عليه التعيين ولا يتطرق إليه التأين، إن قلت أين فقد سبق المكان وإن قلت متى فقد تقدم الأزمان، وإن قلت كيف فقد جاوز الأشياء والأمثال والأقران، وإن طلبت الدليل فقد غلب الخبر العيان وإن رمت البيان فذرات الكائنات بيان وبرهان أول آخر ظاهر باطن، تفانت الأوائل والأواخر فى أزليته وأبديته، تفرد فى الأزل بنعت العظمة والجلالة قبل الكون والمكان والدهور والأزمان والحين والأوان، فالمكان جواهر وأجسام

خلقتها والدهر أوقات وأزمان قدرها كل ذلك موسوم بالحدث عرفنا المكان والزمان بتعريفه إيانا ولو شاء كوننا لم نعرف زمانا ولا مكانا وكوننا فى المكان ولو شاء كوننا ولا مكان فعلمنا بأننا لا نكون إلا فى مكان من قضايا عقلنا وهذه القضايا هيأها لنا نعقل بها المعقول ونعلم بها المعلوم، ولو شاء هيأ لنا غير هيئاتنا فعوامل قدرته غير محصورة وغرائب مشيئته غير منكورة، وما نحن فيه من العالم بما نحن فيه من العقل والعلم عالم من عوالمه ولا يستبعد قولى ولو شاء كوننا فى غير مكان فقد كون المكان لا فى مكان إذ لو كان لتسلسل فلا تحصر القدرة بعقلك إذ العقل قوته أن يحصر الحكمة، فأما القدرة فلا يحصرها فحدث عن البحر ولا حرج ومن هذا الأساس تمتت القدرة وثبتت الأمور الأخروية وعلمها من علمها وأنكرها من عجز عقله عن إدراكها فمن يكون المكان والمكون فيه والزمان والمقدر فيه عالما من عوالمه ويسيرا من عظيم قدره، كيف يحصره الزمان والمكان فما أظهر فى عالم الملك والشهادة عالم الحكمة والعقل الموهوبين لنا الذى نتصرف به موكل بهذا العالم وهذا العالم من العرش إلى الثرى مع العقل الذى فهمه وعقله وعلمه وقسمه أجساما وجواهر وأعراضا عالم من عوالمه فصور العالم وكل ما حواه وهو العالم الذى عقله العقلاء بما فيه من الأرض والسماء والماء والنار والهواء والعرش والكرسى والجن والإنس والأفلاك والأماك والألوان والأكوان والأجرام والاصطكاك والشمس والقمر والنجوم إلى أعماق أطباق النجوم بالنسبة إلى العظمة الإلهية أقل وأحقر من خردلة بالنسبة إلى جميع العالم ففرغ بالك عند ذلك من قياسك أنه سبحانه وتعالى داخل العالم أو خارج العالم فما أحقرك وأحقر علمك فلو فتحت عين بصيرتك استحييت من قياسك وفكرك ووهمك وخيالك أيها المحدود المحصور لا ينتج فكرك إلا محدودا محصورا وأيها المحيط به الجهات لا يحكم علمك إلا بالجهات فالجهات من جملة العالم وقد علمت نسبته إلى عظمة الله فتبارك الله رب العالمين .

(قلت) هذا الكلام من عقيدة الشيخ شهاب الدين المذكور اقتصر على هذا القدر منها إذ استيعابها يطول (وهذه عقيدة) الشيخ الجليل الإمام الحفيل شرف العارفين وإمام المعرفين قدوة المرادين وسر عباد الله المرادين عالى المقامات وغالى الكرامات الحسيب النسيب أبى عبد الله محمد بن أحمد القرشى الهاشمى قدس الله روحه ونور ضريحه ونفعنا والمسلمين ببركته آمين . وقد أجمع على فضلهاكل من وقف عليها من أهل السنة من المشايخ العارفين المحققين والعلماء الفاضلين المدققين، قال رضى الله عنه وأرضاه الحمد لله الذى تقدست عن سمة الحدث ذاته وتزهت عن التشبيه بالمحدثات صفاته ودلت على وجوده محدثاته وشهدت بوحدانيته آياته الأول

الذى لا بداية لأزليته، الآخر الذى لا نهاية لسرمديته، الظاهر الذى لاشك فيه الذى ليس فه شبيهه، الحى الذى لا يموت ولا يفنى، القادر الذى لا يعجز ولا يعيا، المريد الذى أضل وهدى وأقر وأغنى، السميع الذى يسمع السر وأخفى البصير الذى يدرك ديب النمل على الصفا، العالم الذى لا يضل ولا ينسى، المتكلم الذى لا يشبه كلامه كلام موسى كليم موسى بكلامه القديم المنزه عن التأخير والتقديم لا بصوت يقرع ولا ببناء يسمع ولا بحروف ترجع كل الحروف والأصوات والنداء محدثة بالنهاية والابتداء جل ربنا وعلا وتبارك وتعالى له العظمة والكبرياء وله القدرة والسناء وله الأسماء الحسنى والصفات العلاحياته ليس لها بداية فالبداية بالعدم مسبوقه قدرته ليست لها نهاية فالنهاية بالتخصيص مخلوقة إرادته ليست بحادثة فالحادثة بالأضداد مطروقة سمعه ليس بجارحة فالجارحة مخروقة بصره ليس بحدقة فالحدقة مشقوقة علمه ليس بكسى فالكسب بالتأمل والاستدلال يعلم ولا بضرورى فالضرورة على الإرادة والإلزام تلزم كلامه ليس بصوت فالأصوات توجد وتعدم ولا بحروف فالحروف تؤخر وتقدم جل ربنا عن التشبيه بخلقه وكل خلقه عاجز عن القيام بكنه حقه بل هو القديم الأزلى والدائم الأبدى الذى ليس لذاته قد ولا لوجه خد ولا ليده زند ولا له قبل ولا بعد ليس بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف ولا بجسم فالجسم بالجهة محفوف هو خالق الأجسام والنفوس ورازق أهل الجود والبوس ومقدر السعود والنحوس ومدبر الأفلاك والشموس ﴿هو السله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس﴾^(١) ﴿على العرش استوى﴾^(٢) من غير تمكن ولا جلوس ولا عرش له من قبل القرار ولا التمكن من جهة الاستقرار العرش له حد ومقدار والرب لا تدركه الأبصار العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول والقديم لا يحول ولا يزول العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان وكان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان ليس له تحت فيقله ولا فوق فيظله ولا جوانب فتعدله ولا أمام فيحدده ولا خلف فيسندده جل عن التحديد والتكليف والتقدير والتأليف والتعبير والتصوير والتشبيه والنظير ليس كمثل شىء وهو السميع البصير وصلى الله على سيدنا محمد

البشير النذير السراج المنير وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.
(قلت) فجميع هذا الذى ذكرت معتقد الشيوخ العارفين الأولياء المقربين أهل العلوم اللدنية والأنوار الساطعة ومعتقد الأئمة العالمين النظار المحققين أهل الحجج القوية والبراهين القاطعة وكلا الفريقين لا يحصى عددهم ولا يجهل مجدهم وقد

(٢) سورة طه: الآية ٥.

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.

ذكرت جماعة من الفريق الأول وأما الفريق الثاني فعقائدهم معروفة لا تجهل وهي في مصنفاتهم مذكورة وفضائلهم في العلم والدين مشهورة مثل الإمام أبى الحسن الأشعري والإمام أبى إسحاق الإسفرايني والإمام أبى بكر الباقلاني والإمام أبى بكر بن فورك والإمام أبى المعالى إمام الحرمين والإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالي والإمام فخر الدين الرازي والإمام ناصر الدين البيضاوي والإمام عز الدين بن عبد السلام والإمام محيي الدين النووي وغير هؤلاء الأئمة العشرة ممن لا يحصى من علماء الأمة من السلف والخلف من أهل السنة رضى الله عنهم أجمعين لكن بعضهم تكلم في تأويل الظواهر وبعضهم اعتقد خلاف الظواهر ولم يتكلم في التأويل ومن حكى ذلك عنهم الإمام محيي الدين النووي رضى الله عنه مع كونه من جملة المحدثين العارفين والفقهاء الفاضلين الورعين الزاهدين الجامعين بين العلم والدين وحكاه في شرح صحيح مسلم في الحديث الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له) الحديث قال محيي الدين المذكور هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكى عن مالك والأوزاعي رضى الله عنهما، أنها تتناول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره، ومعناه ينزل رحمته تبارك وتعالى وأمره أو ملائكته كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني على سبيل الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعى بالإجابة والالطف والله أعلم وانتهى كلام الإمام محيي الدين رحمه الله.

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضى الله عنه ما أسهل على العارف إرشاد الجاهل بأن يقول إن كان المراد من النزول إلى سماء الدنيا ليسمعنا فما سمعنا فلا فائدة في النزول، وقال أيضا الاستواء على العرش بطريق القهر والاستيلاء كما قال غيره من الأئمة قال واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل إلى تأويل قوله تعالى : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (١) إذ حمل بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبوعين من أصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله ﷺ الحجر الأسود يمين الله في أرضه

(١) سورة الحديد: الآية ٤.

على التشريف والإكرام إذ لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذلك الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن للزم كون التمكن جسما مماسا للعرش إما مثله أو أكبر أو أصغر وذلك محال وما يؤدي إلى المحال محال، تعالى الله عن ذلك المقال.

قلت وهذا الذي قاله الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضى الله عنه هو نحو مما قاله الإمام حجة الإسلام شيخه الإمام المحقق الناقد المدقق النجيب ابن النجيب أبو المعالي إمام الحرمين رضى الله عنه حيث قال فإن قالوا ما الذى حملكم على تأويل الظاهر قلنا الذى حملكم على تأويل الظاهر أيضا فى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ (١) وقوله ﷺ : قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله (الحجر الأسود يمين الله فى أرضه) يعنى الذى الجأكم إلى تأويل هذه المذكورات لاستحالة ظاهرها فى العقل ألقانا إلى تأويل غيرها لاستحالة ظاهرها أيضا فى العقل الذى به عرف الله عز وجل، وبه تعلق التكليف إذ اعتقاد الظواهر يلزم منه التجسيم والحدوث وغير ذلك من النقص الذى هو من سمات المخلوقين ولا يجوز على الخالق الملك القدوس الموصوف بالجلال والكمال الذى ليس كمثل شئ المتعالى عن النظر والمثال.

وسئل الإمام البارع أبو المعالي صاحب البرهان القاطع إمام الحرمين رضى الله عنه بيغداد هل البارى سبحانه على العرش، فقال فى الجواب خلق العرش من ذرة وهو بالنسبة إلى قدرته أقل من ذرة فكيف يكون مستقره قلت لقد أجاد رضى الله عنه بهذا الجواب الوجيز البالغ المفحم الدامغ فالعرش وإن كان أعظم المخلوقات فهو لا شئ فى جنب عظمة الخالق عز وجل، وقال الإمام مفتى الأنام عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه فى عقيدته الجليلة النفيسة الجميلة بعد ما ذكر اعتقاد أهل الحق فى مسائل الأصول واحتج بالمعقول قال هذا جمال من اعتقاد الأشعرى رحمه الله واعتقاد السلف وأهل الطريقة والحقيقة نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح :

يعرفه الباحث من خلقه وسائر الناس له منكر
(غيره)

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمر
انتهى كلامه وقوله أهل الطريقة والحقيقة يعنى بهم الصوفية وعقيدته مشهورة معروفة بالفضيلة بحسن التصرف فى العلوم ونجاة الفروسية فى ميدان مبارزة الخصوم والعقيدة القدسية للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالي رضى الله عنه جمعت بين

الملاحة والفصاحة والترتيب العجيب والأسلوب الغريب والفوائد الكثيرة فى الألفاظ
اليسيرة والعبارة البارعة والبراهين القاطعة وغير ذلك من المحاسن الفائقة والمعانى
الرائقة فهاتان العقيدتان من ملامح عقائد العلماء الفاضلين وعقيدتان أخريان من
ملامح عقائد الأولياء العارفين عقيدة الشيخ أبى عبد الله القرشى والشيخ شهاب
الدين السهروردى رضى الله عنهما، وجميع ما ذكرته فى هذا الفصل هو معتقد
أئمتنا من الأولياء والعلماء رضى الله عنهم وهو مذهب أهل السنة من السلف
والخلف وقد صنف أئمتنا فى ذلك مصنفات كبيرات جليلات نفيسات مبسوطات
ومختصرات معروفة مشهورات أقاموا فيها الدلائل الظاهرات والبراهين القاطعات
من المعقولات والمنقولات وهذا الكتاب عن إيرادهما يضيّق بل كثرة الطعن والمجادلات
به لا تليق إذ هو موضوع للترقيق والتشويق ولكن إذ قد ذكرت عقائد أئمتنا رضى الله
عنهم فأنا أذكر الآن عقيدتى معهم على جهة الاختصار وحذف حجج الأصوليين
النظار فأقول وبالله التوفيق الذى نعتقد أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها وأن
لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى، ولا نقطع بتعيين تأويل منها بل نكل ذلك إلى
العليم الخبير الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وكذلك نعتقد ما اعتقده
العارفون والعلماء العاملون أنه سبحانه وتعالى استوى على العرش على الوجه الذى
قاله وبالمعنى الذى أرادته استواء منزها عن الحلول والاستقرار والحركة والانتقال لا
يحملة العرش بل العرش وحملة محمولون بلطف قدرته لا يقال أين كان ولا كيف
كان ولا متى كان ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان تعالى عن الجهات والأقطار
والحدود والمقدار لا يحله شىء ولا يحل فى شىء كل يوم هو فى شأن فى أفعاله لا
فى ذاته وصفاته لا تهتدى عقول العقلاء إلى إدراك معرفة كنه ذاته المقدسة وصفاته
العظمى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وقد جمعت المسائل
المعتمدة من العقائد فى ثلاث من القصائد وأودعتها الكتاب المسمى بكتاب الدرر
وسأذكر فى الفصل الأخير من هذا الكتاب واحدة منها جامعة للعقيدة وغيرها وبها
ختمت كتاب الإرشاد لكونها محتوية على التوحيد وصحيح الاعتقاد وذكر اللجنة والنار
وتشويق الزهاد والعباد.

وأقدم عليها فى هذا الفصل القصيدتين المسماتين مفاخر الفريقين هداة الطريقتين
الصوفية العارفين والعلماء العاملين والقصيدة المسماة معالى المسالك فى مدح المجذوب
والسالك.

القصيدة الأولى المسماة راح الأسكار فى اجتلاء عرائس الأنوار من بيض
المعارف الأبيكار الغايات للنظار من خلف الأستار الكاشفات الخمار للأولياء الأخيار
رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

لم بيض رايات العنلا فى المواقف
 وولوا وعلوا فوق كل الطوائف
 وجادوا بها مهرا لبيض المعارف
 بسمر القنا بيض العلا كل عارف
 لمن يجتليها كالبروق الخواطف
 بنور جمال للمحبين شاغف
 فكيف بها عند اجتلاء لكاشف
 شمسوس البها لإشراق أكفى شرائف
 سقوا حب حسن جل عن وصف واصف
 سكارى بأهوال عظام المخاوف
 يشيب به الولدان من كل راجف
 يربع ندامى الراح من كل راشف
 تميل به قبل ارتشاف المعارف
 سرورا وصراخ وراج خائف
 وقرب وبعد ناشر جمع لاقف
 خيام نديم بالمعانى اللطائف
 هداة إليها بالسلوك عوارف
 جلاء الصدى شيوخى الطواشى المكاشف
 إلى الحق يا مرتاح نحو المعارف
 فقس إليها بالسلوك عوارف

ملوك البرايا ليس يشقى جليسههم
 حبوا وحظوا خصوا اصطفوا ثم قربوا
 كما جاهدوا للنفس فى معرك الهوى
 أنيلوا المنى صافى الهنا عندما اجتلى
 عرائس أنوار بدا من بهائتها
 شمسوس بدت من مشرق الحسن والبها
 محاسنها خلف الستور قواتن
 شمسوس الهدى فى حضرة القدس تجتلى
 سكارى ولم يسقوا مداما وإنما
 تراهم غدا بالحب سكرى وغيرهم
 فسكرعقار الهول يرحل بعد ما
 وسكر مدام الحب دام مقامه
 جمال حميا جنة من يشمها
 فهم بين مشتاق وباك وضاحك
 لذكر اللقا والهجر والوصل والجفا
 وحلت بوادى طور قلب مقدس
 معارف تهدى فى بهاها لسادة
 كنوز الهدى مجرى المعارف والندى
 دعاوى الهوى دع للذين ارتياحهم
 سكارى بمولاهم وأنت بجيفة

القصيدة الثانية المسماة عقد الدر الأسنى على جيد الحسنات فى مدح العلماء العاملين

السنية أهل المناقب العلية السنية رضى الله عنهم .

أناروا دجى الظلما بنور المعالم
 وكم رتقوا فتقا بطعن مخاصم
 وبيض من العلم الشريف صوارم
 لباس التقى خيل الرضا فى الملاحم
 بجيش هدى جيش الضلالة هازم
 وأحمد والنعمان أهل المكارم
 لبيض العلا الغييد الملاح النواعم
 وقد ضحكت منها ملاح المباسم

بدور الهدى وراث علم نبوة
 فكم فتقوا رتقا بغامض مشكل
 عن السنة الغراء يذبذبون بالقنا
 وقد حملوا أعلام علم وألبسوا
 قولى عداهم من أسنة سنة
 كممثل الإمام الشافعى ومالك
 أئمة علم يجتلون بمجده
 وأصحابهم غر نجاب لها اجتلتوا

إماما جلا التنبيه نفع الملازم
به حجة الإسلام نور العوالم
أجاد النواوى البحر أكرم بعالم
لهم سيرة حسناء يا أم سالم
أبو القاسم المشهور حاوى المكارم
فكان لها بالفهم أعظم لاثم
ولا تسمى عدلا ولا ثلم ثالث
من الخلق والرحمن ليس بسالم
بها النفع ذا العصر والمتقادم
أمام نجيب عابد غير سائم
تحلوا بها يحلو بها نظم ناظم
على جيد حسنا قد سبت لب هائم
محبتهم شيت بلحمى وفى دمي
محمد البصال أحسن بخاتم

ونعم أبو إسحق شيخا مبجلا
وغنت بغزالي العلا وتفزلت
وذو المجد محيى سنة ذو إفادة
ثلاثتهم أصحاب زهد وعفة
كذلك الإمام الرفاعى محمد
له السنة الغرا أماطت لثامها
فغنى بهم جهرا وبوحى بحبهم
فمن ذا الذى فى الخلق يسلم عرضه
تصانيفهم حسنا عليها سعادة
مباركة والكل منهم مبارك
لهم ورع يحكى عظيم وحليّة
كعقد من الدر المنظم قد رها
لذكر الأحبا فى فؤادى حلاوة
كشيخى الفقيه العالم الصالح الرضى

القصيدة الثالثة المسماة معالى المسالك فى مدح المجذوب والسالك وبيان أقسامها

وهى أربعة أقسام الأول سالك بعد الجذب

الثانى مجذوب بعد السلوك .

الثالث مجذوب غير سالك .

الرابع سالك غير مجذوب ويقتدى بالأولين دون الأخيرين عند شيوخ الطريقة
العارفين المحققين وأول الأولين أفضل من ثانيهما على الأصح عندهم والسالك قبل الجذبة
متحمل مشقات ذكرها يطول وحملها يهون والسالك بعدها محمول يسهل عليه السلوك
ويهون وقد أشرت إلى الأخيرة منها حيث أقول :

بها اليوم أنتم سادة وملوك
فهان عليكم للوضول سلوك
ومعنى الجذب أنه يفاجئ المجذوبين من أمر الملكوت ما يأخذهم عن نفوسهم

عهدتكم قدما على خيرحالة
أتاكم من الرحمن جذب عناية

ويدهش العقول ولله در القائل الذى يقول وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل :

وأوعدها بالهجر ما طلع الفجر
فأبتهت لاعرف لدى ولا نكر

وإنى لألقاها أريد عتابها
فما هو إلا أن أراها فجاءة

وهذه هي القصيدة الموعود بها :
هنيئًا لقوم يجتلون معارفنا
بها قدهدى الهادون من بعد ما هدوا
مشوا في طريق بالعنا سالكينها
إلى أن بدت بيضا سلوك نقيّة
فسالكهم بعد اجتذاب وعكسه
هما دون غير صالحان للاقتدا
ومحمول جذب لايدل فما درى
ولاسالك من بعد جذب فيجتلى
يفوق بهاها بالجمال إذا بدت
بفضل وجذب مع سلوك تفاوتوا
فكم بين من فى جنة الحب سالك
وأخر من بعد الشقا فاز باللقا
وأخر وافته السعادة نائما
وأخر فى وعر الطريقة سالك
إذا فاز أصحابى بوصل ولم أفز

(قلت) هؤلاء الأربعة الأقسام هم أهل الذوق الذين حدا بهم إلى مواطن القرب
حادى الشوق وقد تأملت الناس المشار إليهم فرأيتهم ثلاثة أقسام :
القسم الأول الصوفية وهم أهل الحب والشوق والحال والذوق وهم مجذوب وسالك
على ما قدمنا ذكره وتفصيله فى ذلك .

والقسم الثانى : الفقهاء المشتغلون بالدرس والتدريس والبحث فى العلم الشريف
المبرزون من محاسنه كل فقه دقيق المعنى لطيف ولكنهم فيهم جمود على ظاهر الفقه وبيس
ولم يدخل قلوبهم عند ذكر الأحباب والأوطان لين هوى ونعمان كما دخل قلوب
القسم الأول المذكور الذي فيه أقول :

حمام الحمى يفرى نسيم العواصف
فيصوبو إلى عهد الصبا والمآلف
سرورا وصراخ وراح وخائف

يذكرهم عيشا بنعمان ناعما
تثير الصبا من كل صب صباية
فهم بين مشتاق وبك وضاحك
والقسم الثالث : متوسط بين القسمين المذكورين أعنى بتوسطهم أن مزجوا شغل

القسم الثانى: وهو العلم بشغل القسم الأول وهو الزهد والورع والعبادة فجمعوا بين العلم والعمل وداخلهم الخوف والوجل ودخل فى قلوبهم الشجىة لىن هوى نجد ولكن لم يتمكن منها تمكنه من قلوب الصوفية الذين خلغوا العذار ومال بهم الوجد عن ذكر الأحباب والديار وحتت قلوبهم وأنت واتصفوا بما قلت فيما تقدم من الأشعار:

وحتت وأنت من جوى لوعة الهوى
وذكر الأحبا للمحبين شائق
إذا ذكرت وادى العقيق وجيرة
بذى سلم فاضت دموع سوابق
وان ذكرت جيران سلغ تمايلت
بوجد وطعم الوجد يدرىه ذائق

قلت والقسم الثالث المذكور المتوسط بين القسمين المذكورين على طريقة حسنة محمودة عند كلا القسمين ليس عليها اعتراض ولا فيها طعن من الطرفين وعليها أكثر السلف الصالح السادة لزوم العلم والعمل الذى هو الورع والزهد وأنواع العبادة وهذه الطريقة الوسطى المذكورة وإن كانت بالحسن المذكور مشهورة فليست كطريقة الصوفية التى هي بالجمال العالى مشهورة لأنهم خرجوا لله تعالى عن نفوسهم بالكلية ورضوا بكل مقدور وصبروا على كل بلية أعنى الصادقين منهم والصدّيقين ، كما قال بعضهم حقيقة المحبة أن تهب كيانك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شىء ، وقال آخر الرضا سرور القلب بمر القضا.

وقال أحدهم لو جعلنى فى الدرك الأسفل من النار كنت أشد رضا بمن فى الفردوس.

وقال آخر الراضى من سرته المصيبة كما تسره النعمة وقال قائلهم :

إذا أنعمت نعمى على بنظرة
فإن أسعدت سعدى ولا أجملت جمل
فإن قبيلتها منك يا حبيذا البذل
فمن لم يجد فى حب نعمى بنفسه
وإن جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

قلت ومن لم يحصل له الجذب من الحق سبحانه وتعالى وأخذ عن نفسه لم يقدر على التخلص من صفات نفسه ولم يحصل له من المعرفة بالله تبارك وتعالى والاطلاع على الملك والملكوت والمشاهدة وتجلي صفات ذى العزة والجبروت ما حصل لمن جذبه الحى القيوم الذى لا يموت فمواهب الله تعالى وفضله العظيم عز وجل لا يقاس بمثله كسب ولا يساويه عمل فليس السالك والطالب كالمجذوب المطلوب ولا المعنى المحب كالمعنى المحبوب وفى ذلك أقول على لسان المحب المعنى وأنوب :

بها مغرم أهرىق فى حبها دمي
أنا طالب والغير مطلوب من أنا
وكم بين مشغوف معنى وناعم
معنى بها والغير فيها منعم
ولا كنت من بلوى هواها بسالم
فلانلت من نعمى نعيم وصالها

كم بين الاجتناء والعناية وبين الإنابة والهداية وقد فاوت الحق سبحانه بينهما فى العطاء والنصيب ، فقال عز من قائل الله يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب لما فاجأ الحق سبحانه المجذوبين بالأمر العظيم الذى هالهم ، أخذهم عنه فبقوا به بلاهم ودكدك جبال قلوبهم ونقض بناءها ثم هدم ثم بناها ثانيا أكمل وأجمل وأعلى وأتم وطهرهم من الصفات المذمومات وصفاهم من الكدر وحلاهم بأجمل الخلى وأحسن المحاسن وأحيا قلوبهم ونور أبصارهم وحلاهم بحلى محاسن الصفات المحمودات بعد أن طهرهم من مساوئ رذائل الصفات المذمومات كالحقد والحسد والرياء والسمة والعجب والخيلاء والكبر والغش والغل وخوف الفقر وسخط المقدور وطلب العلو والرياسة والمحمدة وحب الجاه فى الدنيا والغضب والحمية والأنفة والعداوة والطمع والبخل والشح والرغبة والرغبة من قبل المخلوق ، والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء وحب الدنيا والفخر والمباهاة والتنافس فيها والإعراض عن الخلق استكبارا ، والخوض فيما لايعنى وكثرة الكلام والصلف واختيار الأحوال والتذلل والتملق والمداهنة والمدح والذم للمخلوقين والتزين لهم وحب المدح بما لم يفعل والاشتغال بعيوب الناس ونسيان النعم وخلو القلب من الحزن والانقياد للهوى والمشاركة فى أمور الله تعالى والاعتدال فى أمر الله والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة والحرص وطول الأمل والتبختر وعزة النفس والمغالة لأمر الله جل وعلا والأنس بالمخلوقين والسكون إليهم والثقة بهم والخوف منهم والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة والأمن من مكر الله تبارك وتعالى والغيبة والنميمة والكذب والتصنع والتفان وخشية الإملاق وغيرها من الأوصاف الرذائل المبعدة عن الله عز وجل ، وعن نبيل الفضائل ، وأما أوصاف المحاسن التى حلاهم بها كالتوبة والتقوى والقناعة والزهد والورع والتوكل والتفويض وحسن النية ورؤية المنة ، والخوف والرجاء والصبر والرضا والاحتساب والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن الطاعة والصدق والإخلاص والمحبة والمعرفة وغيرها من أوصاف الفضائل المقربة من الله تعالى وإلى على المقامات والمنازل قلت فمن تطهر بتوفيق الله تعالى من المساوئ المذكورات الرذيلة وتحلى بالمحاسن المذكورات الجميلة فذلك عبد اصطفاه الله تعالى ولايقدر على ذلك إلا من أعانه الله وجذبه وتولاه وقربه إليه وأدناه ، وأولئك هم فى الحقيقة عباد الرحمن وغيرهم كأمثال عبيد الهوى والهوان ، وقد مدح الرحمن عز وجل عباده فى القرآن وأضافهم إلى اسمه الشريف فقالوا الشرف الأكمل وفى ذلك

قلت نائبا عن لسان حالهم مستعيرا للبيت الأول :

كفى شرفا أنى مضاف إليكم
إذا بملوك الأرض قوم تشرفوا
وأنى بكم أدهى وأرعى وأعرى
فلى شرف منكم أجل وأشرف

وفى مطلبهم العزيز الغالى قلت مستعيرا للبيت الثانى :

أيا ساكنا بالحب فى جانب الحمى
فديتك حدثنى عن الجانب الذى
بعالى مقام فيه غالى المطالب
تقدس أن يحظى به كل طالب

الفصل الأخير :

هو ختام الخاتمة فى توحيد الرحمن وطرف من طرف الجنان مختوم بمدح خاتم الأنبياء وتاج الأصفياء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم مصدرا بالقصيدة الرابعة المباركة إن شاء الله تعالى الجامعة السماء شمس الإيمان فى توحيد الرحمن عقيدة أهل الحق والإيقان والتشويق إلى الجنان والخور الحسان والتخويف من النيران ووعظ الإخوان وأسأل الله تعالى الكريم المنان أن ينفع بها ويمن علينا بالتوفيق والغفران والفضل والإحسان مع سائر الأحباب والإخوان والمسلمين أجمعين آمين وهى هذه :

تبارك من شكر الورى عنه يقصر
وشاكرها يحتاج شكرا لشكرها
ففى كل شكر نعمة بعد نعمة
فمن رام يقضى حق واجب شكرها
فسبحان من لا ققط يبلغ مدحه
ففى الفعل فضل عن جميل صفاته
تسبحه الحيتان فى الماء وفى الفلا
وفى الفلك والأفلاك كل مسبح
تسبح كل الكائنات بحمده
جميعا ومن فيهن والكل خاضع
له كل ذرات الوجود شواهد
دحا الأرض والسبع السموات شادها
وأبدع حسن الصنع فى ملكوتها
وأوتدها بالراسيات فما تميد
وأخرج مرعاها وبث دوابها
من الحب ثم الأب والقضب والكللا
فأضحت بحسن الزهر تزهر رياضها

لكون أيدى جوده ليس تحصر
كذلك شكر الشكر يحتاج يُشكر
بغير تناه دونها الشكر يصغر
تحمّل ضمن الشكر ما هو أكبر
بليغ ومن عنه الشا متعذر
وعن ذاته كل البرايا تحيروا
وحوش وطير فى الهواء مسخر
نهارا وليلا دائما ليس يفتّر
سماء وأرض والجبال وأبحر
لهيبته العظمى ولا يتكبر
على أنه البارئ الإله المصور
وأقتنها للعاملين لينظروا
وفى ملكوت الأرض كى يتفكروا
وشقق أنهارا بها تتفجر
وللكل يأتى منه رزق مقدر
ونخل وأعنان فواكه تثمر
وفى حلال نسج الربيع تبختر

وزان سماء بالمصاييح أصبحت
تراها إذا جن الدجى قد تقلدت
فيا ناظرا زهر البساتين دونها
ويا من لها إن المحاسن كلها
ولاسمعت أذن ولا العين أبصرت
تزيد بهاء كل حسن وعيشها
من الدر والياقوت تبنى قصورها
وما يشتهى من لحم طير طعامها
ومشروبها كافورها ورحيقها
ومن غسل والخمر نهران جوفها
وغالى حرير فرشها ولباسها
ومن زعفران نبتها وحشيشها
فواكه تكفى حبة لقبيلة
وأكوابها من فضة لاكبيرة
بها الكأس يبقى ألف عام على فم
ومن ذهب زاهى الجمال صحافها
ومركوبها خيل من النور والبها
ركاب من الياقوت والسرّج عسجد
وأزواجها حور حسان كواعب
هراكيل خودات وغيد وخرّد
نشت عربا أتراب سن قواصر
غوالى الحلّى والحلى عين فواخر
ثوت فى خيام الدر فى روضة البها
وبين جواربها تهادى إذا مشّت
ملاح زهت فى رونق الحسن والبها
وما المدح فيمن نشرها وابتسامها
ومن يعذب البحر الأجاج بريقها
ومن لو بدت من مشرق ضاء مغرب
ومن زوجها يغشى بأول نظرة
ومن مخها من خلف سبعين حلة

وأمست بياهى الحسن تزهو وتزهر
قلائد در لدر تحقّر
أظنك أعمى وليس للحسن تبصر
بدار بها ما لا على القلب يخطر
وما تشتهيه النفس فى الحال يحضر
يزيد صفاء قط لا يتكدر
ومن ذهب مع فضة لا تغير
وفاكهة مما له يتخير
وتسليمها والسلسبيل وكوثر
ونهران ألبان وماء يفجر
وحصباؤها والترّب مسك وجوهر
ومن جوهر أشجارها تلك ثمر
أدبت أبيضت لا تباع وتحجر
على شارب منها ولا هى تصغر
فلا نافذ هذا ولا ذاك يضجر
يلذ بها عيش به العين تقرر
ومن جوهر والبخت نور تصور
أزمتها در تضىء حيث تنظر
رعايب أبقار بها النور يزهر
مدى الدهر لا تبلى ولا تتغير
لطرف كحيل للملاحة يفتّر
زكت طهرت من كل ما يتقدّر
على سرر الياقوت تغدو وتحضر
على كشب المسك الذكى تبختر
وكل جمال دونه المدح يقصر
يضىء الديقنى والوجود يعطر
ومن حسنهما للعالمين يحير
ومات الورى من حسنهما حين تظهر
إلى وجهها لولا البقا كان يقبر
يرى كيف يقوى مدح تلك ويقدر

ومن هي من نور ومسك وجوهر
وما المدح إلا أن يشبهه داني
وليس لحوور والجنان مشابهه
فخير من الدنيا جميعا خمارها
وأحققر بربات المحاسن والتي
فما الفضة البيضاء شيبت بعسجد
بهاء وحسنا ما اليواقيت فى الصفا
وما الدر ما الرمان ما الريم ما المها
ثنايا وكعب ثم جيد ومقلة
هل الريم فى جيد من القد والبها
وهل للمها عين كبحر مزاجه
وهل يشبه الرمان نهدين صورا
وما شبه الرحمن من بعض وصفها
على جهة التقريب للذهن إذ لنا
تبارك منشئ الخلق عن سر حكمة
إذا ما تجلى فى جمال جلاله
وقد زينت جنات عدن وزخرفت
جمالا ووصفا جل ليس كمثله
نعيم لذات وعز ورفعة
بمقعد صدق فى جوار مليكهم
أيا ساعة فيها السعادات تجتلى
ويا ساعة فيها المفاخر يرتقى
سألتكما بالله هل مع أحبة
وهل أنعمت نعمى بنعمان باللقا
فإن واصلتنا فالمكارم وصفها
ألا عاشقا يشتاق من سكن الحمى
ألا مشتر جنات خلد وخيرها
ألا بائع الفانى الحقيقير بياق
ألا مفتد من حر نار عظيمة
لها شرر كالقصر فيها سلاسل

فماذا لسان المدح عنها يعبر
بأعلى فأما العكس من ذاك يحقر
ولا عشر معشار ولا شىء يذكر
فأحسن بمن تحت الخمار مخمر
بتشبيهه أوصاف الجنان تصدر
وما البيض مكنون النعام المستر
وفى رونق ما اللؤلؤ الرطب يشر
وما البدر ما زبد وشهد وعنبر
ولون ولين ريقها والمعطر
كمن جيدها نور ومسك وجوهر
مدام وشهد للمشاهد يسكر
من النور والله العظيم المصور
يبيض وياقوت فذلك يذكر
عقول عليها فهم ماثم يعسر
هو الله مولانا الحكيم المدبر
تعالى لكل المؤمنين لينظروا
نسوا كل ما فيها ألما منه أبصروا
وفضلا وإنعاما يجل ويكبر
وقرب ورضوان وملك ومفخر
هنيا لمسعود بذلك يظفر
على وجهها در العنايات يشر
علاها وخلعات الكرامات تنشر
لنا فيكما يوم التزاور محضر
لنا أم نوت فى سرمد الليل تهجر
وإن قاطعتنا نحن أذى وأحققر
وعيشا هنيا صافيا ليس يكدر
وحورا حسانا فى الملاحة تفخر
خطير وملك ليس يبلى ويدمر
ألوف سنين تلك تحمى وتسعر
عظام وأغلال فغلوا وجرجروا

عصاة وفجار وسبع طباقها
وحياتها كالبخت فيها عقارب
غليظ شديد في يديه مقامع
ومطعمومهم زقومها وشرابهم
ويسقون أيضا من صديد وجيفة
وقد شاب من يوم عبوس شبابهم
فيا عجباً ندرى بنار وجنة
إذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا
ولسنا لحر صابرين ولا بلا
وفوت جنان الخلد أعظم حسرة
فأف لنا أف كلاب مزابل
نبيع خطيرا بالحقير عماية
فظوبى لمن يؤتى القناعة والتقى
ومن بعد حمد الله هذى عقيدة
وتهدى إلى نهج الصواب متابعا
لها السبل الوسطى الحميدة منهج
وكم في حضيض للحشو يهبط لكونها
ولا ارتفعت عالى علو اعتزالهم
مشت مع سواد معظم أهل مذهب
له بيض رايات العلام مع أئمة
فكم حبر تحقيق العلوم وعارف
وها هي لها ألفت فى خمس عشرة
وها هي لها ألفت فى نظم خمسة
علا ربنا عن كيف أو أين أو متى
ونقص وشبهه أو شريك ووالد
قديم كلام حين لا حرف كائن
مريد وحى عالم متكلم
بسمع وعلم مع حياة وقدرة
وليس عليه واجب بل عقابه

وسبعين عاما عمقها قد تهوروا
بغال وضرب والزبانى ينهر
إذا ضرب الصم الجبال تكسر
حميم بها أمعاؤهم منه تندر
تفجر من فرج الذى كان يفجر
لهول عظيم للخلائق يسكر
وليس لذى نشتاق أو تلك نحذر
فماذا بقى فىنا من الخير يذكر
فكيف على النيران يا قوم نصبر
على تلك فليتحسر المتحسر
إلى نتنها نغدو ولا نتدبر
وليس لنا عقل وقلب منور
وأوقاته فى طاعة الله يعمر
عن السنة الغراء والحق تسفر
لها وعقيدات المذاهب تهجر
شعار الهدى للأشعرية تشع
طريقا بها القطاع تسبى وتأس
ففيها ذئاب ثم وعر يكسر
عزيز بحمد الله ما زال ينصر
شموس الهدى تعدادهم ليس يحصر
لأسرار غيب والحقائق أبحر
قواف وعشر فى طوائف كفر
وعشرين تجزى من لها يتدبر
وعن كل ما فى بالنا يتصور
وولد وزوجات هو الله أكبر
ولا عرض حاشا وجسم وجوهر
قدير على ما شاء سميع ومبصر
كذلك باقيا يلى الكل مصدر
بعدل وعن فضل يثيب ويغفر

محكم شرع دون عقل وقد قضى ورؤيته حق كذاك شفاعة وبعث وميزان ونار وجنة عظيم كرامات عن الأولياء وقد شرائع كل المرسلين وأحمد وأصحابه خير القرون وخيرهم نجوم الهدى كل عدول أولو الندى وأفضلهم صديقهم صاحب العلا وتخليد نار ليس إلا لكافر سوى من بتأثير الكهانة قائل بذاتيها أو ربنا غير قادر وغير قدير قال أو غير عالم أو الكليات الرب يعلم لا سوى ومثبت منفى وناق لمثبت ومن باتحاد أو حلول يقول إنه وأهل إباحات كذا باطنية ومن غلاوة الرفض قال نبيها ولكنما جبريل أخطأ بوحيه ومن ينسب الفحشا لعائشة وقد فهامى حوت مع صغرها ما عساه لا وبأيهما الإخوان من كل سامع إلا إن تقوى الله خير بضاعة وطاعته للمتقى خير حرفة إذا أصبح البطال فى الحشر نادما فظوبى لمن يمسى ويصبح عالما بها يعمر الأوقات أيام عمره ويأنس بالمولى ويستوحش الورى ويسبلوعن اللذات بالدون قانع

بخير وشر للجميع يقدر وحوض وتعذيب بقبر ومنكر وقد خلقتا ثم الصراط وتصدر محا شرعنا العالى الزكى المطهر خيار الورى المولى الشفيح المصدر على وفق ما قدموا ثم أخروا فضائلهم مشهورة ليس تنكر ورابعهم فى الفضل ذو الفضل حيدر وقبلتنا من أمها لا يكفر كذلك من قال النجوم تؤثر كذا غير مختار إذا ليس يعذر أو العلم بالموجود ما الغير يخبر وفى جزئيات عمله متعذر من الوصف إجماعه له الجمل يكثر قديم يقول العالم الكفر يظهر ومن عنه إسقاط التكاليف يذكر على وهناك النبى المبشر بذات الرافض المارق النجس يفشر لها برأ الرحمن عنها يطهر يرى فى كثير من عقائد تكبر له فهم قلب حاضر يتذكر لصاحبها ربح بها ليس يخسر بها يكسب الخيرات والسعى يشكر بعض على كف أسى يتحسر على كل شىء طاعة الله يؤثر يصلى ويتلو للكتاب ويذكر ويشكر فى السر أو فى الضمر يصبر تقى له قلب نقى منور

يصوم عن الدنيا على الموت يفطر
وخديه من فرط الغرام يعفر
يذوب اشتياقا نحوها ويشمر
وأبيض مجنوبا عن النور يسفر
لصبر على قطع الفيافي مضمّر
ويسرى إلى نيل المعالي ويسهر
يخاطر بالروح الخطير فيظفر
لأحوج عن غيرى إليه وأفقر
موحدة عما سوى الحق تزجر
مخوفة النيران عنها تنفر
لهم في التقى والدين نصحا تذكر
دعاها إلى ذاك القضاء المقدر
ومن طيبه طيب به تتعطر
وستين والله الكريم الميسر
ومن منه فيض الفضل للخلق يغمر
لها وجزيل الأجر والنفع يثمر
وغفران ولات وما فات يجبر
ويسكننا روض اليقين ويحبر
فأنت الذى بالحال يارب تخبر
فأنت الذى تهدي وتعطى وتغفر
ولا يا كريم العفو بالكل تمكر
وأصحابه ما لاح فى الأفق نير
سلاما لأكناف الوجود يعطر
وآن لكم تستغفروا ثم تعذروا
ومن هو فى كل الحقوق مقصر
فبالله أدعو الله يعفو ويستر
شذى دونه فى العرف مسك وعنبر

حزين نحيل جسمه ضامر الحشا
ويرتاح شوقا لك حبه واللقا
إذا ذكرت جنات عدن وأهلها
ويعلو جواد العزم أدهم سابقا
فأدهم يسقى ماء عين وأبيض
ويركض فى ميدان سبق إلى العلا
فمجد العلا ما ناله غير ماجد
وانى إلى أمر أنا فيه أمر
فهذى قصيدى شمس إيمان اسمها
مشوقة نحو الجنان وحوورها
وواعظة الإخوان من كل مسلم
وليست تراها أهل هذا وإنما
لها من حلى التوحيد والخور حلية
وفت مائة أبياتها حين أجملت
سألت الذى عم الوجود بجموده
ين بخلعات القبول مزيئا
وبرزقنا التوفيق ثم استقامة
وفى روضة العرفان يحيى قلوبنا
ولى مشتكى إن بث طال وإن يدع
بحقك عاملنا بما أنت أهله
وأحبابنا والمسلمين جميعهم
وصل على الهادى النبى وآله
صلاة تبارى المسك عرفا مسلما
وقد آن للشمس الغروب وقاربت
لناظمها من فى البلاغة قاصر
مسيء جرىء يافعى مخلط
ومتى وفاح الحمد ختمها

قلت وهذا التشويق والتخويف المذكوران فى هذه القصيدة إنما هو لعموم الناس الذين يشتاقون إلى الجنان والخور الحسان ويخافون من النيران وسائر أنواع العذاب والهوان وأما الخواص العارفون بالله تعالى فاشتياقهم إلى النظر إلى وجه الله الكريم لا يشتاقون إلى نعيم الجنة ولا يخافون عذاب الجحيم .

كما يروى عن ذى النون المصرى رضى الله عنه قال بينما أنا فى بعض البرارى إذا أنا بشاب كما خط عارضاه فلما رآنى ارتعد واصفر لونه وولى هاربا، فقلت له إنسى مثلك فقال وهل الهرب إلا منكم، قال فلحقته وأقسمت عليه أن يقف لى فوقف فقلت له أراك فى هذه البرية وحدك ما معك أنيس أما تفرع، فقال بلى معى أنيس فقلت أين هو فقال هو عن يمينى وعن شمالى ومن خلفى ومن أمامى فقلت له فما معك زاد فقال بلى فقلت أين هو قال الذى رزقنى فى بطن أمى صغيرا تكفل برزقى كبيرا، فقلت له لا بد لك من شىء تستعين به على قيام الليل وصيام النهار وخدمة الملك العلام وأكثرت عليه فولى هاربا وهو يقول :

ويكره أن يكون له عقار	ولى الله لا تأويه دار
فتبكى حين تفقده الففار	يفر من القفار إلى جبال
وصواما إذا طلع النهار	صبوراً فى قيام الليل جدا
فما فى خدمة الرحمن عار	يقول لنفسه جدى وكدى
إلهى إن قلبى مستطار	يتاجى ربه والدمع جار
من الياقوت يسكنها الجوار	إلهى ما منأى منك دار
ولا شجر تزينه الثمار	ولا جنات عدن يا إلهى
به فامنن ففى ذاك الفخار	ولكن وجهك الباقي منأى

(قلت) وإنما كان الأمر كذلك لأن كل أحد إنما يشتاق إلى محبوبه فمن غلبت عليه محبة الله فى الدنيا لم يشتق إلا لقائه والنظر إلى وجهه الكريم ومن غلب عليه حب الحظوظ من المطعم والمشرب والمنكح والملبس والمسكن كأمثالنا اشتاق إلى الجنة ونعيمها الذى هو محبوبه فلمثل هذا يقال تفكر يا أخى فى أهل الجنة كيف يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الأحمر فى خيام اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبرى الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أنهار تجرى بالخمير والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بحور عين خيرات حسان كأنهن الياقوت والمرجان قاصرات الطرف لم يطمثن أنس قبلهم ولا جان يرى مخ سوقها

من وراء سبعين حلة من حلل الجنان وينظر الزوج وجهه في صدرها أصفى من المرأة ليهاء نورها لمعان ويطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون يأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا في أنهار أرضها فضة وحصاؤها مرجان وترابها مسك إذفر ونباتها زعفران وكشبانها كافور وأكوابها من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان فيها الرحيق المختوم الممزوج بالسلسبيل العذب تشرق الأكواب نورا من ضياء وجوهرها يبدو الشراب من ورائها برقته وحمرة وصفائه وبهجته في كف خادم يحكى وجهه ضياء الشمس لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون الى وجهه الكريم وقد أشرفت في وجوههم نضرة النعيم ينسون بلذة النظر جميع لذات الجنان يتنعمون بذلك على الدوام لا يزالون بين أصناف النعيم يترددون وهم من زوال النعم آمنون .

(وقد روى) في تفسير قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن أنه قصر من لؤلؤ بيضاء في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوته حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سرير ياله من سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل يوم من القوة ما يأتي على ذلك كله .

(وروى) أن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وأن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت عن يمينها وعن شمالها سبعون ألف وصيفة وهي تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وأن في الجنة طيرا كأمثال البخاتي وأن المؤمن ينظر إلى الطير في الجنة فيشتهيه فيخر بين يديه مشويا .

(وروى) في تفسير قوله تعالى : ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ (١) أنه يطاف بسبعين صفحة من ذهب فيها لون ليس هو في الأخرى وفي تفسير قوله تعالى : (ختامه مسك) أنه شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شراهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها وفي

(١) سورة الزخرف الآية ٧١ .

قوله تعالى : (وفرش مرفوعة) أن ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض ولو أن امرأة من نساء الجنة اطلعت إلى الأرض ملأت ما بينهما ريحا ولنضيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعنى خمارها وعلى كل واحد من أهل الجنة سبعون حلة تتلون كل حلة منها في كل ساعة سبعين لونا يرى الرجل وجهه في وجه زوجته وفي صدرها وفي ساقها وترى هى أيضا وجهها في وجهه وفي صدره وفي ساقه .

(قلت) وألوان الحلل المذكورة ترى جميعها لا تستر كل حلة منها ما تحتها من الحلل والطير إذا أكل منه وجد طعم أحد جانبيه مطبوخا والآخر مشويا فيأكل ما يشاء ثم يعود طيرا كما كان ويصفق بجناحيه ويطير إلى رأس الأغصان من أشجار الجنان ليأكل من طيبات الثمار ويشرب من طيبات الأنهار، ويجدون في كل لقمة من طعامهم لذة غير ما يجدون في الأخرى وفي كل شربة من شرابهم لذة لا يجدونها في الشربة الأخرى .

وروي في كتاب الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يؤذن لهم في مقدار جمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم سبحانه وتعالى ويبرز لهم عرشه يتبدي لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنىء على كئبان المسك والكافور وما يرون أهل الكراسى بأفضل منهم مجلسا. وهذا بعض حديث طويل، وفي كتاب الترمذى أيضا عن سعد ابن أبي وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدأ سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم).

وفي كتاب الترمذى أيضا عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وإن أدنى لؤلؤة من تيجان أهل الجنة تضىء ما بين المشرق والمغرب قوله الجابية بالجيم مكان فى الشام وصنعاء معروفة فى اليمن وهذه عشرة أحاديث رويها فى الصحاح فى وصف الجنة وأهلها اقتصرنا عليها فى هذا الفصل الآخر ختام خاتمة الكتاب كما اقتصرنا أيضا على أحاديث من الصحاح فى الفصل الأول من مقدمة الكتاب .

(الحديث الأول) رويها فى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين

يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون وأمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوّة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا فى السماء) قوله الألوّة بفتح الهمزة عود الطيب والحور جمع حوراء والحور شدة سواد العين مع شدة بياضها وقيل الحور شدة بياض فى الوجه والعين بكسر العين المهملة جمع عيناء وهى الواسعة العين وفى رواية البخارى ومسلم آنتيتهم فيها الذهب ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى منح سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله تبارك وتعالى بكرة وعشيا.

وفى رواية الترمذى على كل زوجة سبعون حلة يرى منح ساقها من ورائها. (الحديث الثانى) رويانا فى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال إن أهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال (والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين). (الحديث الثالث) رويانا فى الصحيحين أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: (إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها) وفى الصحيحين أيضا من رواية أبى هريرة رضى الله عنه يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها.

(الحديث الرابع) رويانا فى الصحيحين أيضا عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: (إن فى الجنة للمؤمن الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ولا يرى بعضهم بعضا). (الحديث الخامس) رويانا فى صحيح مسلم رحمه الله عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن فى الجنة سوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا ويرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقولون لهم أهلوهم والله لقد ازددتم حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا).

(الحديث السادس) رويانا فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقراءوا أن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين).

(الحديث السابع) روينا فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله عز وجل له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك قال فلقدر رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ﷺ فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة).

(الحديث الثامن) روينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد أن لكم أن تمحوا فلا تموتوا أبدا وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وأن لكم أن تنعموا فلا تياسوا أبدا).

(الحديث التاسع) روينا فى الصحيحين عن جرير رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال : (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته).

(الحديث العاشر) روينا فى صحيح مسلم عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى) جعلنا الله الكريم منهم ومن الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (١).

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسيد العالمين وعلى آله الكرام الطيبين وأصحابه الغر المنتخبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين أفضل صلوات الله عدد معلومات الله كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون وعلى جميع النبيين والمرسلين وآل كل والملائكة المقربين وسائر الصالحين آمين.

لك الدهر كل الكائنات تسبيح
تعاليت بل أنت الإله المسبح
فكفر كما جاء الحديث المصحح
على روحه ما غرد المترنج
به أنت معروف تجود وتمنح
تزل يا كريم العفو تغفو وتصفح
فعال وأقوال تسوء وتقبح
فذو القبح أن يكسى جمالك يملح
من الفعل فيها تجتلى وتوشح
خيار لباس فيه تغدو وتسرح
بجوهر صدق فيه تسمى وتصبح
بإصلاحها كل الجوارح تصلح
بكل جميل من صفاتك تمدح
سراج الهدى يهدى بنوره مفلح
بها يختم القول الحميد ويفتح

وسبحانك اللهم ربا مقدسا
بحمدك أشهد لا إله سواك قط
وغفرانك اللهم تب ومجالسي
عن الصادق المختار صل مسلما
وبالفضل عاملنا ومعروفك الذي
وقابل بإحسان إساءتنا فلم
وأسبل جميل الستر ياذا العلا على
وزن بجمال من جمالك قبحها
فأقوالنا ما زانها حسن حلية
ولا كسيت غالى لباس من التقى
ولا أنزلت على مقام مزين
فيارب أصلحنا بإصلاح مضغة
وبالخير فاختم ثم جمل فلم تزل
وصل على مسك الختام محمد
وتمت ولله المحامد كلها

(قال) العبد الفقير إلى عفو الله الكريم ولطفه ورحمته وعطفه عبد الله بن
أسعد اليافعي اليمنى الشافعي نزيل الحرمين الشريفين عفا الله عنه وكان له وبلغه من
الخيرات أمله وختم بالصلاحات عمله ووالديه وأحبابه ومحبيه والمسلمين آمين وهذه
قصيدة أنشأتها وسميتها مهبجة الأشجان في ذكر الأحياب والأوطان ومدح المصطفى
من ولد عدنان والبيت المعظم الجناح والأركان الجامعة بين شرفي الممدوحين النبي
المكرم والبيت المعظم وشرفي المكان والزمان الحرم الشريف المحترم ورجب المبارك
المحرم ختمت بها كتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين رضی الله عنهم
أجمعين وهي هذه :

تأجج نيران الجوى بين أضلعي
نسيم الصبا صبت سواجم أدمعى
شجتنى وشاقتنى إلى خير مرتع
أقاموا وهاجت لوعتى وتولعى
وخيف منى والمنحنى والأجيرع
وبين المصلى جوف أطيب موضع
صفا عندهم عيش المحب المولع
مقبلها عنه أماطت لبرقع
وحم فى حماها عن هوى غير مبدع
فبث الجوى سرا هنالك واخضع
ولله فاسجد شاكر الفضل واركع
إلى ركنها والذيل فالزمه واخشع
ويث غراما بالتواضع ترفع
وذاق طيب عيش ناعم وتمتع
وأمن وإحسان وخير مجمع
على الباب والزمه ليفتح واقرع
إليكم بكم يا سادتى وتشفعى
عرفتم به فى شرع كل مشرع
لعبدكم والعدل ما تفعلوا معى
ولكن رجائى فى نداكم ومطمعى
لجار الحمى الرحب الجنب الموسع
بجسم وكن وبالقلب غير مودع
لدى ربعها الممدوح فى كل مجمع
بوصلهما العالى العزيز المنع
غدا من حميا الحب سكران لا يعى
وكم شغفنا بالحب قلبا لمولع
معنى وذا قلب من البين موجه
ولا كان ذكر للعقيق ولعلع
بطول السرى تطوى فيافى بلقع
وحسن البها فى نورها المتلمع

إذا لعلع البرق الحجازى بلعلع
وإن حلمت نشر الخزامى من الحمى
وإن غنت الورقاء فى الأيك أو بكت
وأغررت غرامى بالأحبة حيثما
تذكرنى جيران سلع ورامية
سقى الله حيا خيموا بين رامة
وحيا ثووا بين الأباطح والصففا
بحسنا فى الديباج تجلى موشحا
فدونك قبل للتى عز وصلها
فما ذاق طعم الوصل من يدعى الهوى
وقم بمصلاها تهنى بحجرها
ولذ بالجنب العالى ما بين بابها
ضع الخد والصدر الكثيب بصدرها
وقف بحماها ثم شاهد جمالها
تفزز بنعيم ثم من رحمة
وقم باكيا قف شاكيا ذا تضرع
وقل هجركم يولى الشقا وتوسلى
فإن تسعدوا بالوصل فالفضل عرفكم
وإن تهجروا فالذنب أوجب هجركم
أنا المذنب الجانى المسىء جواركم
وأنتم أولو الإحسان والعفو تكرموا
وظف بالحمى ودع ربا ربع عزة
وزر ربع ليلى فالمحاسن والسدى
فلا عيش إلا عيش ليلى وعزة
هما سقتا راح الهوى كل عاشق
فكم سبتا بالحسن عقلا لمغرم
وكم تيما كم هيما ذا صبابة
فلولا هما لم يذكر الخيف أو قبا
ولم يأت من فج عميق ضوامر
إذا طيبة الغرا رأيت جمالها

فقبل رباها واسقها وابل الشجي
ورر روضة من جنة الخلد جوفها
هناك لذيد العيش فانعم مشاهدا
تنزه وطالع في بهاء ربوعها
ترى في الوجود النور من قبة البها
سراج الهدى الماحى بأنوار وجهه
محمد الحاوى المحامد قام في
إمام الورى مولى البرايا مخصصا
إذا زرت مولانا الحبيب وجنته
فبالله قبل لى ثرى أرض ربعه
عبيدك ذاك اليافعى مؤمل
عليك صلاة الله يا معدن الندى
وتسليمه داميا يضوعان مندلا
مدى الدهر ما لاحت بوارق فى دجى
وباتت عيون المزن تبكى بدمعها
وآل وصحب أهل مجد ونجدة
وسمر عوال كم علوا من علائها
إذا هاجت الهيجا علوا كل أكمة
وقد لبسوا فى الناس من نسج صانع
وما منهمو فى كل خوف وغفلة
سوى أسد فى الحرب فى الليل عابد
ضراغيم كم ذا قد غدت فى الوغى فلم
إلى أن علا دين الهدى بأولى النداء
فأمسوا نجوما حول بدر متمم
ولا سيما زهر إذا غاب بدرها
كصديقهم ذى المجد سابقهم إلى
مقام نبى قام يوم ارتدادهم
فضاءت بهم ظلماً دياجى ارتدادهم
له مفخر فى الغار حيا ومفخر
وكم مفخركم من مناقب كم علا

وخلعة أهل الحب صفرا تدرع
مصلى حبيب فيه قم بتخشع
لملبوس أنوار على الأفق مسخلع
وحسن رباها ثم بعد التطلع
يدا طالعا من مطلع خبير مطلع
ظلام الطغا الغوث الشفيح المشفع
مقام على كل الأنام مرفع
بفضل وسر فيه لله مودع
وقمت حذا مغنى أهيل ومرع
وسلم وقل بعد البكا أو التضرع
نداك الذى قد عم للخلق أجمع
ويا ملجأ للخلق فى كل مفزع
ومسكا بقبر للمكارم منبع
وزمجر فيه صوت رعد مقعقع
على ثغر زهر ظل يضحك مرتع
بيض وبيض كم بها من مقطع
وكم مزقت من مارق جوف مصرع
للقي القنا شوقا تطير بأربع
لبوسا لها لم غير داود يصنع
وجهد وفقر فى المجاعة مدقع
وفى العلم مصباح وفى المحل مشبع
تدع كل قرن ثم غير ممزع
وزال الصدا عن نوره المتشعشع
بأعلى سما المجد الأثيل المرفع
أضاءت بها الظلماء فى كل موضع
علا كل فضل نافيا كل مبدع
مشى القهقرى لم يعط حقا ويسمع
رجوعا إلى دين الهدى خير مرجع
له ميتا فى مضجع خبير مضجع
وكم سوؤدد فى فضله المتنوع

وفاروقهم نافي الطغما منه بالوغى
ومن عجب أن الملوك تهابه
لها عن لذيذ العيش مجذب منزل
سراج جنان الخلد محمود سيرة
وذى النور والبرهان والحلم والندى
قنوت الدياجى والعيون هواجع
لقد منه تستحى ملائكة السما
وليث العدى نور الهدى معدن الندى
مفيد المعالى ذا المكارم والعلا
مطلق دنياه ثلاثا ومن أتى
وسبطين من عليا المفاخر توجا
وعمين أيضا عمما بعمامة
كذلك باقى عشرة سادة أولى
وزهرا زهت بالفخر مع كل زوجة
وماذا عسى مدحى بنظم قصيدة
وكل من الأنواع أصل لمفخر
وكل من الكل استمد بغرفة
سيدرى أبو جهل إذا جمع الورى
إذا ما لواء الحمد أحمد شاله
وكل الكرام الرسل تحت لوائه
ثنيت عنانى والوجود فخاره
فها هى للتقصير أرخت من الحيا
وكانت نوت من جوهر اللفظ تجتلى
ولف ونشر مستعيرا موشحا
مقابل جنس رد صدرا موشحا
ورب مليح من حلى ومن حلا
وكان لها وقت شريف وموضع
بأيام بيض غر شهر محرم
حذا كعبة غرابها اليمن قبلة
وفت مائة أبياتها الزهر ضمنها

بشوق إلى ربع الأحبا مزعزع
وهان بعيد في ذهاب ومرجع
فأصغ عسى يشتاق قلبك واخشع
بحسن قبول واغفر الذنب وانفع
وقارئها والحاضر المتسمع
ومالي من نثر ونظم مسجع
وما حاز راو عن مجيز ومسمع
لأصل على شرط على ذاك مجمع
حكايات فضل الصالحين مجمع
وغفرانك اللهم يا خير من دعى

مهيجة الاشجان تغرى ذوى الهوى
إذا ما بها غنى الحداة تمايلوا
فإن كنت مثلى عادم الشوق والهوى
فيا رب أصلحنا وزين قصيدتى
بها ناظما مع حافظيها وكاتب
كذلك راويها وها قد أجزتها
ومن كتب ألفتها أو قرأتها
لمن صار يرويها وكل محصل
ختمت بها روض الرياحين ذاك فى
ومت وحمد الله مسك ختامها

قال مؤلف هذا الكتاب كان الله تعالى له وبلغه من الخيرات أمله وختم
بالصالحات عمله وأحيا به المسلمين آمين قد حصل والحمد لله فى هذا الكتاب
بشارات خير إن شاء الله تعالى بشرنى بها جماعة من أهل الخير والصلاح ممن
أعتقدهم وأتمس بركتهم فينبغى أن يتعظ بهذا الكتاب ويتبرك بسماع ذكر من فيه من
السادة ويحسن السامع الظن ولا ينكر ما فيه من أحوالهم الخارقة للعادة وهأنا أذكر
بعض البشارات المذكورة تحسينا لظن السامع وترغيبا فى هذا الكتاب الجامع فأقول:
أخبرنى أحد الجماعة المذكورين أنه حين كان الناس يسمعون على هذا الكتاب بقرب
الروضة الشريفة كان قاعدا يسمع فأخذه ما يأخذ الفقراء من الوجد والغيبة فرأى
ثلاثة قد خرجوا من القبة الشريفة العالية المنيفة وأحدهم وجهه كالقمر فجلس فى
الروضة وجلس أحد صاحبيه عن يمينه والآخر عن يساره واستقبلوا الجماعة الحاضرين
للسماع ولم يزالوا كذلك إلى آخر المجلس وذكر أنى لما فرغت من الدعاء التفت
الأوسط بوجهه المنير إلى صاحبه الذى عن يمينه وتبسم ثم قاموا فدخلوا فى القبة
والحمد لله على ذلك حمدا كثيرا كما هو أهله وجزى الله سيدنا محمد ﷺ عنا
أفضل الجزاء وأولاه أفضل الصلاة والتسليم وكذلك أخبرنى أيضا آخر أنه رأى فى
المنام كأنى مع جماعة من مشايخ الصوفية الفضلاء فى الحرم الشريف المبارك وهم
يسمعون هذا الكتاب فقال وعليك ثياب بيض فاستغربت ذلك فأراد بعض الشيوخ أن
يتكلم على هذا الكتاب فقال له الجماعة أو بعضهم دعه يتكلم وأشاروا إليه بالكلام.

وكذلك أخبرنى أيضا آخر أنه رأى فى المنام كأنى مع بعض المشايخ الصالحين فى الروضة المباركة الشريفة ومعنا بعض الأصحاب ونحن مجتمعون على هذا الكتاب وكذلك أرسل إلى فى وقت تأليف هذا الكتاب بعض الأولياء من بعض البلاد البعيدة يبشرنى ببشارة أرجو من فضل الله العظيم المؤمل حصولها إن شاء الله عز وجل وصلى الله على سيدنا محمد النبى الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين تم كتاب روض الرياحين فى مناقب الصالحين للشيخ الإمام العالم العامل اليمنى الورع ولى الله تعالى عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى الشافعى اليمنى قدس الله روحه ونور ضريحه ورضى عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه ورحم سلفه وكان الفراغ من تعليقه يوم الجمعة المباركة قبل صلاة الجمعة بالمسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة بيت الله الحرام زاده الله شرفا وتعظيما سلخ رجب المعظم سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وسلام الله على عباده الذين اصطفى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم الكتاب بحمد الله

وأرجو من الله عز وجل أن ينفع به المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.
وأن يبارك لمن طبعه وصححه ونشره وقارئه.

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة
٤٦	القرشى	(الفصل الأول من المقدمة)
٤٦	١٥ عن مالك بن دينار	فى شىء من فضائل الأولياء
٤٧	١٦ عن جعفر بن سليمان	والصالحين والفقراء والمساكين
٤٨	١٧ عن محمد بن السماك	والأخبار والآثار
	١٨ حكى أنه كان لهارون	٨ (الفصل الثانى فى إثبات كرامات الأولياء
٥٠	الرشيد ولد إلخ	٢٨
٥٣	١٩ عن عبد الله بن مهران	٣٦ حكايات الصالحين :
	٢٠ حكى أنه لما خرج هارون	رقم (الحكاية)
٥٤	الرشيد حاجا إلخ	٣٧ ١ عن ذى النون مصرى
	٢١ عن محمد بن الصباح	٣٨ ٢ عن ذى النون أيضا
٥٤	رحمه الله	٣٩ ٣ عنه أيضا
٥٥	٢٢ عن مالك بن دينار	٤ عن الأستاذ أبى القاسم
٥٥	٢٣ عن ذى النون المصرى	٣٩ الجنيد
٥٦	٢٤ قيل كان سعدون المجنون	٤٠ ٥ عن الشيخ عبد الواحد
٥٧	٢٥ عن مالك بن دينار	٤٠ ٦ عن الشيخ عبد الواحد
٥٨	٢٦ عن ابن القصاب الصوفى	٤١ ٧ روى أن الشيخ مطهرا
٥٨	٢٧ عن عبد الواحد بن زيد	٨ عن الشيخ أبى بكر
٥٩	٢٨ حكى عن الربيع	٤١ الضرير
٥٩	٢٩ عن عتبة الغلام	٤٢ ٩ عن أحد العارفين
٦٠	٣٠ عن ذى النون المصرى	١٠ روى عن الشيخ السرى
٦١	٣١ عنه أيضا	٤٢ السقطى إلخ
٦١	٣٢ عن الفضيل بن عياض	٤٢ ١١ عن الشيخ عبد الواحد
٦٢	٣٣ عن الشبلى	١٢ حكى عن أحد
٦٣	٣٤ عن السرى السقطى	٤٤ الصالحين
٦٤	٣٥ عن عطاء	٤٥ ١٣ عن الشيخ عبد الواحد
٦٤	٣٦ عن الشبلى	١٤ عن الشيخ أبى عبد الله

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
٨٤	عن مالك بن دينار	٦٥	٣٧ عن محمد بن محبوب
٨٥	عن ذى النون المصرى	٦٥	٣٨ عن على بن عبدان
٨٦	عن إبراهيم بن المهلب	٦٦	٣٩ عن ذى النون المصرى
٨٦	عن أحد الصالحين	٦٦	٤٠ عن ذى النون أيضا
٨٧	عن مالك دينار	٦٦	٤١ عن الشيخ أبى عبد الله
٨٨	عن أحد الصالحين	٦٧	الإسكندرى
٩٠	عن إبراهيم الخواص	٦٩	٤٢ عن ذى النون
٩١	عن أحد الصالحين	٦٩	٤٣ عنه أيضا
٩٢	حكى أنه ركب جماعة إلخ	٧٠	٤٤ عن أبى القاسم الجنيد
٩٢	عن أبى عبد الله الجوهرى	٧٠	٤٥ عن ذى النون
٩٣	عن على بن الموفق	٧١	٤٦ عن محمد بن رافع
٩٣	عن أحد الصالحين	٧١	٤٧ عن أحد الصالحين
٩٣	عن سهل بن عبد الله	٧١	٤٨ عن أمير المؤمنين على بن
٩٥	حكى أنه حج هشام إلخ	٧٢	أبى طالب كرم الله
	حكى عن أبى جعفر محمد	٧٢	وجهه
٩٨	ابن على بن الحسين	٧٣	٤٩ عن ذى النون
٩٩	عن الليث بن سعد	٧٣	٥٠ عن أحدهم
١٠٠	عن شقيق البلخى	٧٧	٥١ عن السرى
	عن الشيخ أبى سعيد	٧٨	٥٢ عن أحدهم
١٠١	الخرزاز		٥٣ عن الشيخ أبى الربيع
	عن الشيخ أبى عبدالرحمن	٧٩	المالقى
١٠٢	ابن الخفيف		٥٤ عن أحد أصحاب
١٠٢	عن أحدهم	٨٠	السرى
١٠٣	عن الشيخ فتح الموصلى	٨٠	٥٥ عن أبى عامر الواعظ
١٠٤	عن أحدهم	٨٢	٥٦ عن بهلول
١٠٤	عن شقيق البلخى	٨٤	٥٧ عن بشر الخافى

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
١١٨	١٠٥	١٠٤	٨١
١١٩	١٠٦	١٠٥	٨٢
١١٩	١٠٧	١٠٥	٨٣
١٢٠	١٠٨	١٠٦	٨٤
١٢١	١٠٩	١٠٧	٨٥
١٢١	١١٠		٨٦
	١١١	١٠٨	٨٧
	روى أنه سأل الشيخ أبو	١٠٩	٨٨
		١٠٩	٨٩
	١١٢	١١٠	٩٠
	١١٣	١١٠	٩١
	١١٤	١١١	٩٢
	١١٥	١١٢	٩٣
١٢٤	١١٦	١١٢	٩٤
	١١٧	١١٢	٩٥
١٢٥	١١٨	١١٣	٩٦
١٢٥	١١٩	١١٣	٩٧
١٢٧	١٢٠	١١٤	٩٨
١٢٩	١٢١		٩٩
١٣٢	١٢٢	١١٤	١٠٠
١٣٦	١٢٣	١١٥	١٠١
١٣٧	١٢٤		١٠٢
١٣٨	١٢٥	١١٥	١٠٣
١٣٩	١٢٦	١١٦	١٠٤
١٣٩	١٢٧	١١٧	
١٣٩	١٢٨	١١٧	
١٤٠	١٢٩	١١٨	

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
١٥٩	إلخ	١٤٠	١٣٠ عن إبراهيم الخواص
١٥٩	كان رجل يكثر الجلوس إلخ	١٤١	١٣١ عن أبي العباس بن مسروق
١٦٠	روى أن أحد الناس إلخ	١٤١	١٣٢ عن أبي القاسم الجنيد
	روى عن آخر أيضا أنه	١٤١	١٣٣ حكى عن الشبلى إلخ
	كان حرفته بيع الحشيش	١٤٢	١٣٤ حكى عن الشبلى أيضا
١٦٠	إلخ		١٣٥ حكى عن إبراهيم الخواص
	حكى أن امرأة من	١٤٣	١٣٦ عن أبي عبد الله بن حنيفة
١٦١	المتعبدات إلخ	١٤٤	١٣٧ عن أحدهم
١٦١	ذكر أحد أهل العلم إلخ	١٤٤	١٣٨ عن عبد الله بن عبيد العباداني
	روى أن إحدى النساء	١٤٥	١٣٩ عن عبد الواحد بن زيد
١٦٢	إلخ	١٤٥	١٤٠ عن إبراهيم الخواص
١٦٢	عن صالح المري	١٤٦	١٤١ عن أحد الصالحين
١٦٣	عن مالك بن دينار	١٤٧	١٤٢ عن أحدهم
١٦٤	عن أحدهم	١٤٧	١٤٣ عن أحدهم
	روينا عن أحد من	١٤٨	١٤٤ عن أحدهم
١٦٥	يحفرون القبور إلخ	١٤٨	١٤٥ روى أن أويسا القرني
١٦٦	عن منصور بن عمار	١٤٨	١٤٦ حكى أن الربيع إلخ
١٦٦	قال المؤلف إلخ	١٥٤	١٤٧ عن الشيخ أبي محمد الحريري
١٦٧	قال المؤلف إلخ	١٥٥	١٤٨ عن سري السقطي
١٦٧	قال المؤلف إلخ		١٤٩ حكى أنه كان سبب خروج إبراهيم بن أدهم
١٦٨	قال المؤلف إلخ	١٥٧	١٥٠ حكى أن الشيخ أبا الفوارس إلخ
١٦٨	قال المؤلف إلخ		١٥١ عن مالك بن دينار
	حكى عن الشيخ أبي على	١٥٧	١٥٢ حكى عن أحد العصاة
١٦٩	الروذباري إلخ		
	حكى عن الشيخ أبي سعيد الخزاز		
١٧٠	سعيد الخزاز		
١٧٠	عن أحدهم		

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
١٧٧		١٧٠	١٧٢ عن أحدهم
	١٩٢	١٧١	١٧٣ عن أحدهم
		١٧١	١٧٤ عن أحدهم
١٧٧		١٧١	١٧٥ عن محمد بن حامد
	١٩٣	١٧٢	١٧٦ عن أحدهم
١٧٨			١٧٧ عن الشيخ أبي الحسن
	١٩٤	١٧٢	المزني
١٧٩		١٧٣	١٧٨ عن خلف بن سالم
	١٩٥	١٧٣	١٧٩ عن الغزالي
١٧٩		١٧٣	١٨٠ عن مالك بن دينار
	١٩٦		١٨١ عن أحد أصحاب الإمام
١٨٠		١٧٣	أحمد بن حنبل
	١٩٨	١٧٤	١٨٢ عن بلال الخواص
١٨١		١٧٤	١٨٣ عن أحدهم
	٢٠٠	١٧٥	١٨٤ عن أحد الصالحين
١٨٢		١٧٥	١٨٥ عن أحد الصالحين
	٢٠١		١٨٦ حكى أنه لما مات سهل
١٨٢		١٧٥	ابن عبد الله التستري إلخ
	٢٠٢	١٧٦	١٨٧ عن خادمة رابعة العدوية
١٨٢			١٨٨ روى عن أحمد بن أبي
	٢٠٣	١٧٦	الحواري
١٨٣			١٨٩ حكاية شعوانة رضى الله
	٢٠٤	١٧٦	عنها
	٢٠٥		١٩٠ حكاية عمرة امرأة حبيب
١٨٣		١٧٧	العجمي
	٢٠٦		١٩١ حكى أنه كان لأحد
١٨٤			
	٢٠٧		
١٨٤			
١٨٤			

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
١٩٩	الأمراء إلخ	٢٠٩	روى أن ملكا من ملوك
١٩٩	عن أبي عبد الله الجلاء	١٨٥	كندة إلخ
٢٠٠	عن ذى النون	٢١٠	حكى أنه كان فى الأمم
٢٠١	عن ذى النون	١٨٦	الماضية إلخ
	حكى أن إبراهيم بن أدهم	٢١١	حكى أن أحد ملوك الأمم
٢٠١	إلخ	١٨٦	إلخ
	حكى عن بشر بن الحرث	٢١٢	روى أنه تحارب ملكان
٢٠١	إلخ	١٨٧	إلخ
٢٠٢	حكى عن بشر الحافى إلخ	١٨٧	عن أحدهم
	عن الأستاذ أبى على	٢١٤	عن أبى القاسم الجنيد
٢٠٢	الدقاق	١٩٣	عن ذى النون المصرى
٢٠٣	عن فاطمة بنت أحمد	١٩٣	عن ذى النون أيضا
٢٠٣	عن أحد أهل العلم	١٩٤	سئل إبراهيم بن شيان إلخ
٢٠٤	حكى عن أحد الصالحين	١٩٤	عن أحدهم
	روى عن أحد شيوخ	٢١٩	عن أحدهم
٢٠٤	اليمن إلخ	٢٢٠	حكى أنه كان شابان إلخ
	روى أن الشيخ الكبير	٢٢١	عن أحدهم
٢٠٥	إلخ	١٩٥	عن سعيد بن أبى عروبة
٢٠٦	روى أن ابن السماك إلخ	١٩٦	عن سعيد بن أبى عروبة
	حكى عن الحسن البصرى	٢٢٣	روى أن الحجاج إلخ
٢٠٧	إلخ	٢٢٤	عن طاهر المقدسى
٢٠٧	قال المؤلف إلخ	١٩٨	عن سرى السقطى
٢٠٨	عن أحد أهل العلم	٢٢٦	عن أبى العباس بن
٢٠٨	عن يوسف بن الحسين	١٩٨	مسروق
٢٠٩	عن عمر البنانى	٢٢٧	روى أن عمر بن الخطاب
٢١٠	عن ذى النون	١٩٩	إلخ
		٢٢٨	روى أنه اجتاز أحد

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
٢٢١	إبراهيم بن أدهم إلخ	٢٤٨	حكى أن سالما الحداد إلخ
٢٢١	عن سفيان الثوري	٢٤٩	حكى عن أحد أصحاب
٢٢٢	قال المؤلف إلخ	٢١١	فتح الموصلى إلخ
	روى أن أحد المشايخ	٢١١	عن ذى النون
٢٢٢	إلخ	٢١١	عن أحدهم
٢٢٣	عن أحدهم	٢١٢	عن أحدهم
٢٢٤	عن خير النساج	٢٥٣	عن أحد أصحاب الشيخ
٢٢٥	روى أنه كان شاب إلخ	٢١٣	أبى تراب
٢٢٦	عن أحدهم	٢١٣	عن سعيد بن يحيى
٢٢٦	عن أحد السلف	٢٥٥	حكى أن حبيبا العجمى
	روى أنه صاح الشبلى	٢١٤	إلخ
٢٢٧	إلخ	٢١٤	روى أن عطاء الأزرق إلخ
٢٢٨	عن أبى القاسم الجنيد	٢١٥	عن أحد الصالحين
٢٢٨	عن الجنيد	٢١٥	عن ذى النون
	عن أبى الغيث بن جميل	٢١٦	عن أحدهم
٢٢٨	اليمنى	٢١٦	عن أحدهم
٢٣٢	عن أحمد بن مقاتل العكى	٢١٧	عن ذى النون المصرى
٢٣٣	عن أبى عبد الله بن الجلاء	٢١٨	عن أحد الأكراد
٢٣٣	عن المؤلف رحمه الله	٢١٨	عن عبد الواحد بن زيد
٢٣٤	عن أحدهم	٢٦٤	عن سليمان بن داود
٢٣٤	عن أبى تراب النخشبى	٢١٩	عليهما السلام
٢٣٥	عن يحيى بن معاذ	٢٢٠	عن ذى النون
٢٣٥	عن أحدهم	٢٦٦	حكى أن رجلا جاء إلى
٢٣٦	عن يحيى بن معاذ الرازى	٢٢٠	الفضيل إلخ
٢٣٦	عن زيتونة	٢٦٧	قال أحدهم كنا مع
٢٣٦	عن أحدهم		
٢٣٧	عن المؤلف		

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
٢٥٣	قال المؤلف إلخ	٢٣٧	٢٩١ عن المؤلف
٢٥٤	عن أحدهم	٢٣٨	٢٩٢ عن واحد من السلف
٢٥٤	عن أحد المشايخ	٢٣٨	٢٩٣ عن بكير صاحب الشبلى
٢٥٥	عن أبى عمرو والزجاجى	٢٣٩	٢٩٤ عن امرأة إسرائيلية
٢٥٥	قال المؤلف إلخ	٢٣٩	٢٩٥ عن عمرو بن دينار
٢٥٦	قال المؤلف إلخ	٢٤٠	٢٩٦ عن على بن حرب
٢٥٦	حكى أن رجلا من بنى إسرائيل إلخ	٢٤١	٢٩٧ عن أحد الصالحين
٢٥٧	عن عبد الله بن الفضيل	٢٤١	٢٩٨ روى أنه كان على عهده
٢٥٨	قال أحد السلف إلخ	٢٤٢	صلى الله عليه وسلم
٢٥٨	عن عبد الواحد بن زيد	٢٤٢	رجل يتجر إلخ
٢٥٩	روى أن عيسى ابن مريم إلخ	٢٤٣	٢٩٩ روى أنه كان فى الكوفة
٢٥٩	عن إبراهيم بن بشار	٢٤٣	رجل مكارى إلخ
٢٦٠	عن الشبلى	٢٤٤	٣٠٠ روى أنه كان شاب إلخ
٢٦١	عن أبى جعفر بن خطاب	٢٤٤	٣٠١ حكى أن أحد الأخيار
٢٦٢	عن الجنيد	٢٤٥	إلخ
٢٦٢	حكى أنه كان بالرى إلخ	٢٤٥	٣٠٢ حكى أن أحد الملوك إلخ
٢٦٣	عن حبيب العجمى	٢٤٦	٣٠٣ عن سرى السقطى
٢٦٤	قال المؤلف إلخ	٢٤٦	٣٠٤ عن أحد أهل العراق
٢٦٤	عن أحد الصالحين	٢٤٧	٣٠٥ عن الشيخ أبى الحسن
٢٦٥	عن إبراهيم إلخواص	٢٤٨	٣٠٦ عن أبى الحسن الشاذلى
٢٦٦	حكى أن عابدا إلخ	٢٥١	٣٠٧ عن أحدهم
٢٦٧	عن أحد الصالحين	٢٥١	٣٠٨ عن الشيخ أحمد بن عطاء
٢٦٧	حكى أنه خرج أحد	٢٥٢	٣٠٩ عن أحد السلف
٢٦٧	٣٣٤	٢٥٣	٣١٠ روى أن امرأة جاءت إلخ
			٣١١ حكى أنه كان فى طبرستان إلخ

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
٢٨٠	٣٥٥	٢٦٧	٣٣٥
	عن رجاء بن عمرو		عن أبي القاسم الجنيد
	النخعي	٢٦٨	٣٣٦
٢٨٠	٣٥٦		روى أن يونس عليه
	عن كعب الأحبار		السلام إلخ
٢٨١	٣٥٧	٢٦٩	٣٣٧
	عن كعب الأحبار أيضا		عن شقيق البلخي
٢٨٢	٣٥٨	٢٧٠	٣٣٨
	عن الأصمعي رحمه الله		عن أبي عبد الله شجاع
٢٨٢	٣٥٩	٢٧٠	٣٣٩
	حكى أنه خرج عطاء		عن ذى النون
	الأزرق إلخ	٢٧١	٣٤٠
٢٨٣	٣٦٠		عن ذى النون أيضا
	عن كعب الأحبار	٢٧١	٣٤١
٢٨٤	٣٦١		عن ذى النون
	حكى أنه لحق بنى	٢٧٢	٣٤٢
	إسرائيل فحط إلخ		عن أحد السلف
٢٨٤	٣٦٢	٢٧٢	٣٤٣
	حكى أن ثلاثة نفر إلخ		روى أن سليمان بن عبد
٢٨٥	٣٦٣		الملك إلخ
	حكى أنه لما ولى عمر بن	٢٧٢	٣٤٤
	عبد العزيز الخلافة إلخ		عن صالح المري
٢٨٦	٣٦٤	٢٧٣	٣٤٥
	حكى عن أحد المشايخ		قال المؤلف إلخ
	إلخ	٢٧٤	٣٤٦
٢٨٦	٣٦٥		قال الشيخ أبو الربيع
	عن أحد السلف		المالقي إلخ
٢٨٧	٣٦٦	٢٧٤	٣٤٧
	عن الشبلي		عن إبراهيم بن أدهم
٢٨٧	٣٦٧	٢٧٥	٣٤٨
	عن حاتم الأصم		عن الشيخ أبي يزيد
٢٨٨	٣٦٨		القرطبي
	عن سفيان الثوري	٢٧٥	٣٤٩
٢٨٨	٣٦٩		عن أبي القاسم الجنيد
	عن أحد الصالحين	٢٧٦	٣٥٠
٢٨٩	٣٧٠		روى أنه كان كسر
	عن أحدهم		الجرجاني
٢٨٩	٣٧١	٢٧٧	٣٥١
	روى عن عمر بن عبد		عن إبراهيم بن شبيب
	العزير رضى الله عنه	٢٧٧	٣٥٢
٢٩٠	٣٧٢		عن محمد بن السماك
	عن إبراهيم بن الأشعث	٢٧٩	٣٥٣
٢٩٠	٣٧٣		عن أحد السلف
	عن محمد بن واسع	٢٨٠	٣٥٤
٢٩١			عن الحسن رضى الله عنه

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
٣٠٣	٣٩٥ عن أحدهم	٢٩١	٣٧٤ قال أبو تراب النخشي
٣٠٤	٣٩٦ حكى عن أحد الفقراء	٢٩٢	٣٧٥ قال المؤلف إلخ
	٣٩٧ حكى عن أحد المشايخ	٢٩٣	٣٧٦ عن أحد الصالحين
٣٠٥	إلخ	٢٩٣	٣٧٧ حكى أن شابا إلخ
٣٠٦	٣٩٨ عن أحد الفقراء	٢٩٣	٣٧٨ عن ذى النون إلخ
٣٠٧	٣٩٩ عن أحدهم	٢٩٤	٣٧٩ عن أبي عامر الواعظ
٣٠٨	٤٠٠ قال المؤلف إلخ	٢٩٤	٣٨٠ قال أحد الصالحين
٣١٠	٤٠١ عن أحدهم	٢٩٥	٣٨١ عن أبي الحسين الديلمي
٣١١	٤٠٢ عن أحد الفقراء	٢٩٥	٣٨٢ حكى عن أحدهم إلخ
	٤٠٣ حكى أن رجلا باع نفسه	٢٩٦	٣٨٣ عن أحد الصالحين
٣١١	للفقراء	٢٩٦	٣٨٤ عن أحد الصالحين
	٤٠٤ حكى عن أحد المشايخ	٢٩٧	٣٨٥ عن بشر بن الحرث
٣١٢	إلخ		٣٨٦ حكى أنه خرج أبو
٣١٤	٤٠٥ عن أبي الحرث الألوسى	٢٩٧	الحسين الثورى إلخ
٣١٤	٤٠٦ عن أحدهم	٢٩٨	٣٨٧ عن سهل بن عبد الله
٣١٥	٤٠٧ عن أحدهم الصالحين		٣٨٨ حكى أن أحد السلف
٣١٧	٤٠٨ عن أحدهم	٢٩٨	إلخ
٣١٨	٤٠٩ قال أحد الشيوخ إلخ	٢٩٩	٣٨٩ عن صالح المرى
٣٢٠	٤١٠ عن أحدهم	٣٠٠	٣٩٠ عن أبي سليمان المغربى
	٤١١ عن الشيخ أبي عمران		٣٩١ عن أحد السائحين فى
٣٢١	الواسطى	٣٠٠	جبال بيت المقدس
٣٢٣	٤١٢ عن أحد المشايخ	٣٠١	٣٩٢ عن أبي جعفر الفرغانى
٣٢٣	٤١٣ عن أحدهم		٣٩٣ عن الشيخ أبى بكر بن
٣٢٤	٤١٤ عن أحد المشايخ	٣٠٢	إسماعيل الفرغانى
٣٢٥	٤١٥ عن أحد الصالحين		٣٩٤ عن الشيخ يوسف بن
٣٢٦	٤١٦ عن أحد الشيوخ	٣٠٢	حمدان
٣٢٧	٤١٧ عن أحدهم		

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
	٤٣٨	٣٢٨	٤١٨ عن أحد الصالحين
٣٤١	الخرار	٣٢٨	٤١٩ عن أحد المشايخ
٣٤١	٤٣٩ قال أبو العباس الخراز	٣٢٩	٤٢٠ عن أحدهم
	٤٤٠ قال أبو العباس الخراز	٣٣٠	٤٢١ عن أحد الصالحين
٣٤٢	أيضا إلخ	٣٣١	٤٢٢ روى عن سهل إلخ
٣٤٢	٤٤١ قال أبو العباس أيضا		٤٢٣ حكى عن أحد المشايخ
	٤٤٢ قال الشيخ صفى الدين	٣٣١	إلخ
٣٤٣	إلخ		٤٢٤ روى عن أبي أحمد
	٤٤٣ قال الشيخ صفى الدين	٣٣٢	الخلاسى إلخ
٣٤٥	أيضا إلخ	٣٣٣	٤٢٥ عن أحد الشيوخ
٣٤٨	٤٤٤ قال المؤلف إلخ	٣٣٤	٤٢٦ عن أحد الروم
٣٤٩	٤٤٥ قال المؤلف إلخ	٣٣٤	٤٢٧ روى عن الشعبي إلخ
٣٤٩	٤٤٦ قال المؤلف إلخ		٤٢٨ روى عن الشيخ عبد
٣٥١	٤٤٧ قال المؤلف إلخ	٣٣٥	الواحد بن زيد إلخ
٣٥٢	٤٤٨ قال المؤلف إلخ	٣٣٥	٤٢٩ عن إبراهيم بن أدهم
٣٥٢	٤٤٩ قال المؤلف إلخ		٤٣٠ قال عبد الواحد بن زيد
٣٥٣	٤٥٠ عن أحد المشايخ	٣٣٦	إلخ
٣٥٣	٤٥١ عن أبو عبد الله القرشى	٣٣٦	٤٣١ عن الواسطى إلخ
	٤٥٢ عن عبد الله القرشى	٣٣٧	٤٣٢ عن عبد الواحد بن زيد
٣٥٤	أيضا		٤٣٣ قال ذو النون المصرى
	٤٥٣ عن أبي عبد الله القرشى	٣٣٧	إلخ
٣٥٥	أيضا		٤٣٤ روى عن محمد المقدسى
٣٥٥	٤٥٤ عن الشيخ صفى الدين	٣٣٨	إلخ
٣٥٦	٤٥٥ عن الشيخ المغاورى	٣٣٨	٤٣٥ عن أبي سعيد الخراز
	٤٥٦ روى أن أمير المؤمنين	٣٤٠	٤٣٦ قال ذو النون إلخ
	بالمغرب المسمى يعقوب	٣٤٠	٤٣٧ قال ذو النون أيضا إلخ
٣٥٨	إلخ		

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
٣٧٠	عن أحد الاخيار	٤٧٢	قال الشيخ صفى الدين
٣٧٢	حكى أن سفيان الثورى	٤٧٣	إلخ
٣٧٢	عن أبى سليمان الدارانى	٤٧٤	٣٥٨
	حكى أن إحدى	٤٧٥	٣٦٠
٣٧٣	الصالحات		٣٦٠
٣٧٤	عن ذى النون المصرى	٤٧٦	٣٦١
٣٧٥	عن ذى النون أيضا	٤٧٧	٣٦١
٣٧٥	عن أحد الصالحين	٤٧٨	٣٦١
	حكى أنه كان فى بنى	٤٧٩	٣٦٢
٣٧٦	إسرائيل إلخ		٣٦٢
	عن أحمد بن عبد الله	٤٨٠	٣٦٣
٣٧٧	المقدسى		٣٦٣
	عن محمد بن يعقوب	٤٨١	٣٦٣
٣٧٨	الخراسانى		٣٦٣
٣٨٠	حكى أن معروف الكرخى	٤٨٢	٣٦٤
٣٨٠	حكى عن ذى النون	٤٨٣	٣٦٤
٣٨١	حكى أنه أمسك الغيث	٤٨٤	٣٦٤
٣٨٢	عن السرى رضى الله عنه	٤٨٥	٣٦٤
	عن الشيخ أبى يزيد	٤٨٦	٣٦٥
٣٨٣	القرطبى		٣٦٥
	عن الشيخ أبى عبد الله	٤٨٧	٣٦٧
٣٨٤	القرشى		٣٦٧
	عن الشيخ أبى عبد الله	٤٨٨	٣٦٧
٣٨٦	القرشى أيضا	٤٨٩	٣٦٨
	عن الشيخ أبى الربيع	٤٨٩	٣٦٨
٣٨٧	المالقي		٣٦٩
			٣٦٩
			٣٧٠
			٣٧٠

رقم الصفحة	رقم (الحكاية)	رقم الصفحة	رقم (الحكاية)
		٤٩٠	عن الشيخ أبي العباس
		ابن العريف	
	٣٨٨	٤٩١	عن الشيخ الكبير أبي
٣٩٨	على الفقراء	الحسن الشاذلي	
		٣٨٨	حكى أنه عزم على الشيخ
		٣٨٩	أبي العباس المرسى إلخ
		٤٩٣	حكى عن أحدهم إلى
		٣٩١	آخره
		٤٩٤	حكى عن أحد الشيوخ
٤١٣	والمذمومات	٣٩٢	إلخ
		٤٩٥	حكى عن أحد الصالحين
		٣٩٣	إلخ
		٣٩٣	عن ذى النون
		٣٩٤	عن ذى النون أيضا
		٣٩٤	عن معروف الكرخي
٤٣٠	وتاج الأصفياء محمد ﷺ	٤٩٩	حكى أن يحيى وعيسى
		٣٩٥	إلخ
		٣٩٦	عن أحد الزهاد
			الفصل الأول من الخاتمة

المكتبة التوفيقية

لمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين